جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية
كلية التربية – قسم التاريخ

حركات المعارضة في الدولة العربية الاسلامية
من (١١ – ٣٢٢ هـ / ٦٣٣ – ٩٣٤ م)
من خلال كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي
دراسة تحليلية و مقارنة

رسالة قدمها الطالب

علي عناد عاشور

الى مجلس كلية التربية – جامعة القادسية وهي جزء من متطلبات
نيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي

بإشراف

أ.م.د. سعد كاظم عبد الجنابي

١٤٤٠ هـ ٢٠١٩ م

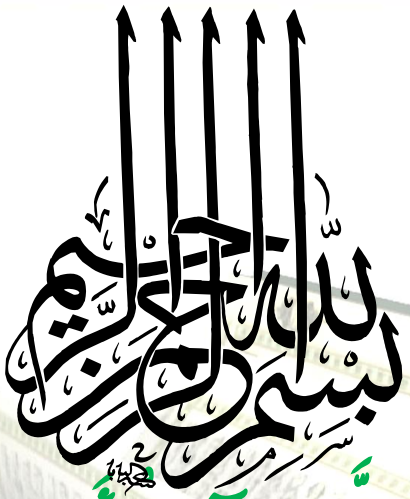

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾

صدق الله العظيم

سورة النساء- الآية/ (٥٩)

شكر وعرفان

بعد ان انعمَ الله تعالى عليَ في انجاز هذا الجهد الضئيل يقتضي مني الامرَ بعد حمدهِ تعالى أن اردَ الفضل لأهله ، فلا يسعني والحال كذلك الا ان اقفَ وقفةَ امتنان شاكراً لكل من ساعدني في انجاز هذهِ الدراسة واولهم استاذي الفاضل الدكتور سعد كاظم عبد الجنابي لقبوله الاشراف على هذه الرسالة ولمتابعتهِ خطوات العمل فيها اولاً بأول وتوجيهاتهِ العلمية التي كان لها الفضل في اخراج الرسالة على هذهِ الصورة .

كما يقتضي العرفان مني ان اشير بفخر الى جهود اساتذتي في قسم التاريخ وبالأخص الاستاذ الدكتور عباس خميس الزبيدي والدكتور محمد عايد الحسيني اللذان كانا لي عوناً ومعيناً لا ينضب بما قدماه من مشورة وتوجيهات لإتمام هذه الدراسة .

كما اتقدم بالشكر والامتنان للعاملين في المكتبات التي ارتدتها طوال مراحل دراستي واخص منهم العاملين في المكتبة المركزية في جامعة القادسية وكادر المكتبة العامة في محافظة الديوانية و اخيراً العاملين في مكتبات العتبتين العلوية والحسينية لما قدموا لي من تسهيلات ساعدتني كثيراً في تذليل الكثير من العقبات التي مرت بها تلك الدراسة .

ولا انسى ان اوجه خالص شكري وامتناني الى اخي (منير) الذي كان لي نعمَ الاخ والمعين فشدَ على ازري ودعم مجهودي حتى تمكنت اخيراً من انجاز ما استطعت انجازه ، بالإضافة الى اخٍ لي لم تلده امي ابن مدينتي المبرمج والمترجم فارس دالي وليس لي هنا الا ان اتمثل بقول الشاعر :-

ان الكرام اذا ما ايسروا ذكروا مَنْ كانَ يألفهم في الموطن الخشنِ

الإهداء

الى .....من جرعت كأسها فارغاً ليسقيني قطرة حب

الى .....من كللت انامِلها لتقدم لي لحظة سعادة

..... أمي الحنونة الغالية

الى .....من حصدت الاشواك عن دربي لتمهد لي طريق العلم

الى .....من صبرت وتأنت لتمهد لي طريق العلم والمعرفة

..... زوجتي العزيزة الصبورة

الى .....مدينة (الحمزة) التي احببتها كثيراً

الى ..... روح والدي في جوار ربٍ كريم

اقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن اعضاء لجنة المناقشة اننا اطلعنا على الرسالة الموسومة بـ(حركات المعارضة في الدولة العربية الاسلامية من ١١ – ٣٢٢هـ / ٦٣٣-٩٣٤م من خلال كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي دراسة تحليلية ومقارنة) المقدمة من طالب الماجستير (علي عناد عاشور) وقد ناقشناه في محتوياتها وفيما له علاقة بها ، ونرى انها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي بتقدير (إمتياز) .

التوقيع
أ.م.د. مروان عطية مايع
عضو اللجنة
/ /٢٠١٩

التوقيع
أ.م.د. محمد عايد مانع
عضو اللجنة
/ /٢٠١٩

التوقيع
أ.م.د. سعد كاظم عبد عميش
عضوا ومشرفا
/ /٢٠١٩

التوقيع
أ.د. يوسف كاظم جغيل
رئيس اللجنة
/ /٢٠١٩

مصادقة عمادة كلية التربية / جامعة القادسية على قرار لجنة المناقشة .

التوقيع
الاستاذ الدكتور خالد جواد العادلي
عميد كلية التربية / جامعة القادسية
التاريخ ١٩/ ٢ /٢٠١٩

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
الآية الكريمة	أ
الإهداء	ب
شكر وعرفان	ج
فهرس المحتويات	د-ز
المقدمة	١-١٢
مدخل	١٣- ١٦
الفصل الأول: حركات المعارضة من سنة (١١-٣٥ هـ / ٦٣٣-٦٥٦م)	١٧-٧٨
المبحث الاول : حركات المعارضة غير المسلحة (١١-١٤هـ / ٦٣٣-٦٣٧ م).	١٨- ٣٠
أ- حركة علي بن ابي طالب (١١ هـ / ٦٣٣ م).	١٨- ٢٦
ب- حركة سعد بن عبادة (١١-١٤هـ / ٦٣٣-٦٣٧ م).	٢٦- ٣٠
المبحث الثاني : حركات المعارضة المسلحة(١١-٢٣ هـ/٦٣٣-٤٤م)	٣١- ٣٩
أ- حركات أهل الردة.(١١ هـ/٦٣٣م)	٣١- ٣٤
ب- اغتيال الخليفة عمر بن الخطاب.(٢٣ هـ/٦٤٤م)	٣٤- ٣٩
المبحث الثالث- حركات المعارضة في خلافة عثمان بن عفان (٢٣-٣٥ هـ /٦٤٤-٦٥٦م)	٤٠- ٧٨
أولاً – معارضة كبار الصحابة	٤٢- ٥٤

الفهرس

أ- معارضة ابي ذر الغفاري	٤٢ – ٤٣
ب- معارضة عمار بن ياسر	٤٤ –٤٦
ج- معارضة عبد الله بن مسعود	٤٧ – ٥٠
د–معارضة طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام	٥١–٥٤
ثانياً – معارضة أم المؤمنين عائشة	٥٤ –٥٨
ثالثاً – معارضة اهل الامصار	٥٨ – ٧٨
الفصل الثاني: حركات المعارضة من سنة (٣٦–٤١ هـ / ٦٥٧–٦٦٢م)	٧٩ –١١٥
المبحث الاول : حركة معارضة اصحاب الجمل (٣٦هـ/٦٥٦م)	٨٠ – ٩١
أ- معارضة طلحة والزبير	٨١ – ٨٤
ب- معارضة ام المؤمنين عائشة	٨٤ –٩١
المبحث الثاني : حركة معارضة معاوية بن ابي سفيان (٣٦–٤٠هـ/٦٥٦–٦٦١م)	٩٢ – ١٠٦
المبحث الثالث : حركة معارضة الخوارج (٣٧– ٤٠هـ/٦٥٨–٦٥٩م)	١٠٧ – ١١٥
الفصل الثالث: حركات المعارضة من سنة (٤١–٦٤ هـ / ٦٢٢–٦٨٤م)	١١٦ – ١٤٨
المبحث الاول : حركات المعارضة في خلافة معاوية بن ابي سفيان (٤١–٦٠هـ/٦٦٢–٦٨٠م)	١١٧ – ١٢٥
أ- حركة حجر بن عدي الكندي سنة (٥٠–٥١ هـ/٦٧٠ – ٦٧١ م)	١١٧ – ١١٩
ب- حركات الخوارج (٤١–٦٠هـ/٦٦٢–٦٨٠م)	١٢٠ – ١٢٥
١- حركة حوثرة بن وداع الاسدي (٤١ هـ / ٦٦٢ م)	١٢٠ – ١٢١

الفهرس

٢- حركة قريب بن مرة و زحاف بن زحر الطائي (٥٠ هـ / ٦٧١ م)	١٢٢-١٢٣
٣- حركة مرداس بن حدير الربعي (٦١ هـ / ٦٨١ م) .	١٢٣ - ١٢٥
المبحث الثاني: حركات المعارضة في عهد يزيد بن معاوية (٦١ هـ /٦٨١م) حركة الحسين بن علي (٦٠-٦١ هـ /٦٨١-٦٨٠م)	١٢٦- ١٣٨
المبحث الثالث : حركات المعارضة في عهد يزيد بن معاوية (٦٢-٦٤هـ /٦٨٢- ٦٨٤ م) .	١٣٩- ١٤٨
أ- حركة اهل المدينة (٦٢-٦٣هـ /٦٨٢- ٦٨٣ م)	١٣٩- ١٤٤
ب- حركة عبد الله بن الزبير (٦٠- ٦٤هـ / ٦٨٠-٦٨٤م).	١٤٤- ١٤٨
الفصل الرابع : حركات المعارضة من سنة (٦٤-١٣٢هـ / ٦٨٤-٧٥٠م)	١٤٩- ٢٠٢
المبحث الاول : حركات المعارضة (٦٤ – ٦٥ هـ/ ٦٨٤-٦٨٥م) (حركة الضحاك بن قيس الفهري).	١٥٠- ١٥٤
المبحث الثاني : حركات المعارضة من سنة (٦٥ – ٧٠ هـ/ ٦٨٥-٦٩٠م)	١٥٥- ١٦٥
أ- حركة المختار بن ابي عبيد الثقفي (٦٤-٦٧هـ /٦٨٤-٦٨٧م).	١٥٥- ١٦٢
ب- حركة عمرو بن سعيد الاشدق (٧٠هـ /٦٩٠م)	١٦٢- ١٦٥
المبحث الثالث : حركات المعارضة من سنة (٧٠ – ٨٠ هـ/٦٩٠- ٧٠٠ م) (نهاية حركة عبد الله بن الزبير)	١٦٦- ١٨١
المبحث الرابع : حركات معارضة الخوارج	١٨٢- ١٩١
المبحث الخامس : حركات المعارضة من سنة (٨١ /٧٠١ م – حتى نهاية الدولة الاموية)	١٩٢- ٢٠٢

الفهرس

أ- حركة عبد الرحمن بن الاشعث	١٩٢- ١٩٣
ب- حركة يزيد بن المهلب (١٠١-١٠٢هـ/٧٢٠-٧٢١م).	١٩٣- ١٩٦
ج- حركة زيد بني علي (١٢١ - ١٢٢هـ / ٧٣٩-٧٤٠م).	١٩٧- ٢٠٢
الفصل الخامس :حركات المعارضة من سنة (١٣٢-٣٢٢ هـ / ٧٥٠-٩٣٤م)	٢٠٣ - ٢٣٧
المبحث الاول : الدعوة العباسية(١٠٠- ١٣٢ هـ / ٧١١- ٧٥٠م)	٢٠٤- ٢١٤
المبحث الثاني : حركات المعارضة في الدولة العباسية من سنة (١٣٢-٢٠٢هـ/٧٥٠-٨١٨ م)	٢١٥-٢٢٦
أ- حركة محمد ذو النفس الزكية(١٤٥هـ/ ٧٦٣ م)	٢١٥- ٢٢١
ب- حركة ابراهيم بن المهدي (٢٠٢هـ/ ٨١٨ م)	٢٢٢ -٢٢٦
المبحث الثالث : حركات المعارضة في الدولة الأموية في الاندلس(١٣٢-٣٢٢هـ/٧٥٠-٩٣٤ م)	٢٢٧ - ٢٣٧
أ- حركة أهل الربض (١٨٩- ٢٠٢هـ/٨٠٥-٨١٨م).	٢٢٧ -٢٣٠
ب-معارضة عمر بن حفصون (٢٦٧ - ٣١٦ هـ / ٨٨١-٩٢٩م)	٢٣٠ - ٢٣٧
نتائج الدراسة	٢٣٦- ٢٣٧
ملحق الجداول	٢٣٨- ٢٤٠
المصادر والمراجع	٢٤١- ٢٦٤
Abstract	a-b

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الخلق والمرسلين ابي القاسم محمد وعلى اله وصحبه ومن صدق بهِ اجمعين من يوم مبعثهِ الى يوم الدين وبعد .

فلا زالت الروايات التاريخية مبعثرة في العديد من المصادر والكتب العامة بانتظار مَن يكشفها ويعيدها الى حضيرة التاريخ لكشف بعض الحقائق التي لاتزال صورتها غير مكتملة ، اذ ان امام الباحثين في شتى حقول التاريخ الكثير من العمل لتجديد تلك البضاعة العتيقة بعد ان حباهم الله بثورة علمية تكنولوجية قرّبت لهم البعيد وذللت لهم الصعب علّهم ينتفعوا بها حتى يُخرِّجوا للناس صوراً تاريخية غير التي اعتادوا على سماعها عسى ان ينتهي الذي كانوا فيهِ يختلفون .

تأتي كتب الادب من بين ابرز تلكَ المصادر التي ازدحمت فيها روايات حفظت لنا الكثير من تراث العرب بما انطوى عليه من مرويات تاريخية صرفة تقاربت في المعنى مع تلك التي في مصادر التاريخ ، بل ان بعضها جاء متمّماً لها بعد ان تبعثرت تفاصيلهُا هنا وهناك ، وبسبب قلّة الدراسات النقدية الخاصة بالروايات التي تضمنتها المصادر الادبية ، والهوس المستحدث بمثلِ هذا النوع من الدراسات ، فوجدتُ نفسي منجذباً نحو هذهِ الدراسة لأتحرّى بنفسي صدق ادعاء البعض من ان الادب جزءً من التاريخ ، فاتخذتُ من كتاب العِقد الفريد لشهاب الدين أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي القرطبي (٢٤٦ – ٣٢٨ هـ / ٨٦١ – ٩٤٠ م) ميداناً لدراستي ، وقد كان وراء اختياري هذا سببان ، الاول الذخيرة الضخمة من المادة التاريخية التي اشتملَ عليها الكتاب ، والثاني اعتماد الكثير من المؤرخين القدامى والمحدثين عليه حتى عدّوه مصدراً لا يقل شاناً عن غيره من مصادر التاريخ الاخرى ، لذا كان كتاب العِقد اشبه بالاختبار الذي وضعته لنفسي التي تاقت لاستجلاء الحقيقة التاريخية من اي مصدر كان ولأضع امام الباحثين في التاريخ الاسلامي خلاصة الروايات التاريخية المتعلّقة بحركات المعارضة في الدولة العربية الاسلامية من سنة (١١-٣٢٢ هـ /٦٣٣-٩٣٤م)التي اندرجت ضمن هذا الكتاب دون تكلّفهم العناء بالعودة اليه.

اعتمدت في دراستي لكتاب العِقد على طبعة (دار صادر – بيروت) الواقعة في سبعة اجزاء بتحقيق الاستاذ الدكتور محمد التونجي لما بذلهُ المحقق من جهدٍ كبير في تعريفه بجميع الشخصيات والاماكن الواردة في الكتاب . ولي ان اعترف ان اتخاذ كتاب العِقد موضوعاً للدراسة ليس بالموضوع البكر فقد سبقني كثير من الباحثين بتناولهِ بالعديد من الدراسات التي كانت اما ذات طابع أدبي أو تاريخي ، فأما الاولى فهيَ كثيرة ومنها دراسة الاستاذ عيسى سلمان درويش الموسومة (ابن عبد ربه الاندلسي وموسوعة العِقد الفريد) ، ودراسة الدكتورة إنكل غونتالت بالنتيا الموسومة بـ (ابن عبد ربه وعقد الادب الفريد) ، ودراسة الدكتور جبرائيل سليمان جبور المُعنّونة بـ (ابن

عبد ربه وعقده) وكان غرض جميع تلك الدراسات التركيز على النصوص الادبية او البلاغية الواردة في الكتاب .

اما الدراسات التاريخية المعقودة عليه فلم أطّلع الا على ثلاث منها ، الاولى هي دراسة احمد سعيد راشد المعنونة بـ (احوال العرب العامة قبل الاسلام في ضوء كتاب العِقد الفريد) ، ودراسة طه حسين عيسى الموسومة (ال النبوة حتى عام ٦١ هـ في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي) ، ودراسة محمد حسين معلم علي المعنونة (الروايات التاريخية في كتاب العِقد الفريد المتعلقة بالخلفاء الامويين (٦٤ – ١٣٢ هـ) وهي دراسة قريبة من دراستي اذ انها تناولت في فصلها الاخير حركات المعارضة ضد السلطة الاموية خلال المدة الزمنية التي اشتملت عليها الدراسة . الا ان هذه الدراسة انطوت على الكثير من الثغرات التي اخرجتها من دائرة الموضوعية ، منها اهمال الباحث - عن عمد - النصوص التاريخية التي جرَّحت ببعض الصحابة والتابعين ، ثم صارت محل خلافٍ بينَ المؤرخين مثل مسالة عداء عبد الله بن الزبير لبني هاشم بصورة عامة وال ابي طالب بشكلٍ خاص ، وهيَ مسألة رغم ثبوتها التاريخي الا ان الباحث طعنَ بصحتها مستنداً على افتراضٍ واحدٍ فقط ، وهو ان هذهِ الافعال لا يمكن ان تصدر عن عبد الله بن الزبير الشخص المقرب من ال النبي (ﷺ) بزعمه ! ، كما انهُ مر بذكر شخصيات علوية كبرى كان لها تأثير في مجرى الاحداث فذكرها بشكلٍ موجز دون ان يعطيها اهتماماً مثل الاهتمام الذي شملَ بهِ شخصيات أخرى اقل تأثيراً كعبد الله بن مطيع وال مروان – قبل استلامهم للسلطة - يضاف الى ذلك عدم ذكره بعض حركات المعارضة ضد الدولة الاموية الواقعة ضمن النطاق الزمني للدراسة رغم ذكر ابن عبد ربه لها كحركة عمرو بن سعيد الاشدق و حركة عبد الرحمن بن الاشعث وحركة يزيد بن المهلب ، فضلاً على ان نطاق الدراسة انحصرَ بين سنة ٦٤ – ١٣٢هـ ، وهذا يعني ان خلافة معاوية بن ابي سفيان ومن بعدهِ ولدهُ يزيد كانت خارج نطاق البحث رغم ان هذه الحقبة تضمّنت خروج حركات معارضة ضد السلطة كان لها امتداد وتأثير على مجريات الاوضاع العامة حتى تسببت فيما بعد بسقوط الدولة الاموية كحركة الحسين بن علي وحركة اهل المدينة فضلاً عن الكثير من حركات الخوارج ، لذا فقد اتسمت الدراسة بشكلٍ عام بعدم الحيادية وتغليب الاتجاه المذهبي من جهة وعدم الشمولية لجميع الحركات المعارضة التي قامت ضد السلطة الاموية منذُ قيامها سنة ٤١ هـ حتى سقوطها سنة ١٣٢ هـ من جهة اخرى .

وقبل الشروع بتفصيل اجزاء الدراسة اود الاشارة الى أنني تجاوزت الحديث عن حياة المؤلف . لاستيفاء الدراسات السابقة الحديث عنه ، لذا فقد احجمت عن ذكره تجنباً للإطالة والتكرار.

نطاق البحث:

اشتملت هذهِ الدراسة على مقدمة ومدخل وخمسة فصول ونتائج للدراسة وملاحق ، أما المقدمة فقد تناولتُ فيها أهمية المصادر الادبية بالنسبة للتاريخ وضرورة تسليط الضوء عليها لاستخراج بعض الحقائق التاريخية التي لا زالت متوارية بين طياتها ، كما ذكرت سبب اختياري لموضوع الدراسة والدراسات التي سبقتني في هذا الكتاب ، اما المدخل فقد عرّفت فيه معنى المعارضة السياسية في اللغة والاصطلاح كما ناقشت فيه باختصار بداية قيام دولة الاسلام تحت لواء النبي (ﷺ) واضطراب الامر بعد وفاته ، مسلطاً الضوء بشكلٍ موجز على ابرز الاحزاب السياسية التي ظهرت في المدينة بعد وفاته الاليمة .

اما فصول الدراسة الخمسة فقد قسّمتها على اساس زمني تماشياً مع ما ورد في كتاب العِقد من مادة تاريخية متباينة في الطول او القصر او الذكر من عدمه ، فكان الفصل الاول مخصصاً للحديث عن حركات المعارضة المحصورة بين (١١ – ٣٥ هـ / ٦٣٣ – ٦٥٥ م) ، وهي مدّة زمنية تخللها حكم ثلاثةُ خلفاء وهم ابو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان فكان المبحث الاول مختصاً بحركات المعارضة غير المسلحة ضد خلافة ابي بكر المُقتصرة على معارضة الامام علي بن ابي طالب ومعارضة سعد بن عبادة . اما المبحث الثاني فقد افردتهُ للحديث عن حركات المعارضة المسلحة للمدّة (١١ – ٢٣ هـ / ٦٣٣ – ٦٤٤ م) التي اشتملت على حركات الردة واغتيال الخليفة عمر بن الخطاب ، لانتقل بعدها الى المبحث الثالث الذي خصصتهُ لحركات المعارضة التي قامت ضد الخليفة عثمان بن عفان وانتهت بمقتله وبما تغطيه المدة الزمنية (٢٣ – ٣٥ هـ / ٦٥١ – ٦٥٦ م) .

تناولت في الفصل الثاني حركات المعارضة السياسية ضد خلافة الامام علي بن ابي طالب للمدّة (٣٦ – ٤١ هـ / ٦٥٧ – ٦٦٢ م) ، وقد افردت الفصل بأكمله لهذه المدة الزمنية بسبب التطور الكبير في الاساليب التي اتبعتها المعارضة لتنتقل بنفسها من مجرد حركات عشوائية شبه منظمة في خلافة عثمان الى حركات اكثر تنظيماً استطاعت ان تنازل الخلافة بجيوشٍ منظمة حتى تمكن احدها من انتزاع السلطة ، وقد كان المبحث الاول مخصصاً لفتنة الجمل . اما الثاني فقد اقتصر على معارضة معاوية بن ابي سفيان واهل الشام ، في حين اختصَ الثالث بمعارضة الخوارج المتمثلة ببداية ظهورهم على مسرح الاحداث مختتماً بانتقال السلطة الى الامام الحسن بن علي ومنهُ الى معاوية دون الاشارة الى ما رافق ذلكَ من احداث بسبب عدم ذكر المؤلف ذلك .

اما الفصل الثالث فقد خصصتهُ للحديث عن حركات المعارضة السياسية للمدّة (٤١ – ٦٤ هـ / ٦٦٢ – ٦٨٤ م) وهي خلافة معاوية بن ابي سفيان وولدهِ يزيد . وقد ضم هذا الفصل ثلاثة مباحث ايضاً ، خصصتُ الاول منه للحديث عن حركات المعارضة التي قامت خلال حكم معاوية بن ابي سفيان للمدّة (٤١ – ٦٠ هـ / ٦٦٢ – ٦٨٠ م) وهي بلا شك حركات قليلة برهنت على حنكة معاوية السياسية ومداهنته وتشديد قبضته على اطراف مملكته . اما المبحث الثاني فقد خصصتهُ للحديث عن حركة معارضة الحسين بن علي سنة ٦٠- ٦١ هـ في بداية خلافة يزيد ، في حين قصرت الثالث للحديث عن حركتي معارضة اهل المدينة وعبد الله بن الزبير .

كان الفصل الرابع الذي اختص بالمدّة الزمنية (٦٤-١٣٢هـ / ٦٨٤-٧٥٠م) من اطول فصول الدراسة والسبب في ذلك هو كثرة حركات المعارضة التي ظهرت بعد وفاة يزيد بن معاوية من جهة وكثرت ما اورد المؤلف من مرويات عن تلك المرحلة وبالأخص خلافة عبد الملك بن مروان من جهةٍ اخرى وقد يكون وراء ذلك هو طول مدة حكم هذا الخليفة والاضطرابات السياسية التي تخللت بداية خلافته ، وبالأخص الامتداد المزمن لمعارضة عبد الله بن الزبير ، ثم استقرار الاوضاع بشكل تدريجي في الشطر الثاني من خلافته ، لذا كان هنالك العديد من الروايات التي اوردها المؤلف بخصوص تلك الحركات وفي الوقت نفسه لم يخصص مادةً عما تلا خلافة عبد الملك من حركات اخرى وانما اقتصر ذكرهُ على حركتين فقط هما حركة يزيد بن المهلب وحركة زيد بن علي ، لذا قمت بتقسيم مباحث هذا الفصل على اساس زمني – عدا مبحث واحد- حتى يسهل ضبطها والسيطرة عليها فاختصّ المبحث الاول بحركات المعارضة التي انحصرت في المدة (٦٤-٦٥ هـ / ٦٨٤- ٦٨٥م) . بينما تناولَ المبحث الثاني الحركات المحصورة خلال المدة (٦٥- ٧٠هـ / ٦٨٥-٦٩٠م). اما المبحث الثالث فكان مداه الزمني للمدّة (٧٠-٨٠ هـ / ٦٩٠-٧٠٠م) ، وفي المبحث الرابع تخليت مضطراً عن فكرة التقسيم الزمني لتلك المباحث ، فعدلت الى تسميته بحركات معارضة الخوارج لكثرة تلك الحركات وتخللها لجميع المراحل الزمنية السابقة . اما المبحث الخامس والاخير فقد تناولت فيه حركات المعارضة التي حدثت منذ الشطر الثاني من خلافة عبد الملك بن مروان وحتى نهاية الدولة الاموية (٨١-١٣٢هـ / ٧٠٠- ٧٦٠م) حيث لم يذكر ابن عبد ربه سوى ثلاث حركات هي حركة عبد الرحمان بن الاشعث وحركتي يزيد بن المهلب و زيد بن علي . وسبب جعلي بداية الفصل في تلك السنة هو ان الدولة الاموية شهدت نوعا من الاستقرار النسبي بعد قضاء عبد الملك على تمرد ابن الزبير في بداية سنة ٧٣ هـ لذا رأيت ان افصل حركات المعارضة التي حدثت في الدولة الاموية منذ سنة ٨١ هـ واتناولها في فصل مستقل لوجود فاصل زمني طويل بينها وبين نهاية حركة ابن الزبير .

وفي الفصل الخامس من الدراسة استعرضت حركات المعارضة التي حدثت في المدّة (١٣٢-٣٢٢هـ / ٧٥٠-٩٣٤م) وهي السنة التي انهى بها ابن عبد ربه كتابه دون اشارته الى اي من حركات المعارضة الاخرى التي حدثت في الدول العربية سواء في المشرق او المغرب ، وقد تخلل هذه الحُقب العديد من الحركات المعارضة للسلطة التي قسّمتها على مباحث الفصل . اختص الفصل بالدعوة العباسية التي بدأت نحو عام مائة للهجرة ولم اجد محيصاً من دمج هذه الحركة مع حركات المعارضة التي تناولتها في الفصل السابق نظراً لكونها حركة مستقلة تبعها قيام دولة جديدة خرجت عليها الكثير من الحركات وبسبب الوحدة الموضوعية تناولت هذه الحركة في المبحث الاول . اما المبحث الثاني فقد خصصتهُ لدراسة حركات المعارضة السياسية في الدولة العباسية في المدة الزمنية (١٣٢-٢٠٢هـ/٧٥٠–٨١٨ م) وقد ذكرَ المؤلف حركتين فقط هما حركة محمد ذو النفس الزكية و حركة ابراهيم بن المهدي . وبالنسبة الى المبحث الثالث فقد انتقلت فيه للحديث عن حركات المعارضة في الاندلس التي ذكر ابن عبد ربه ايضا حركتين منها فقط ، هما حركة اهل الربض و حركة عمر بن حفصون ، وعلى الرغم من ان تلك المعارضة انتهت سنة ٣١٦ هـ الا انني لم اعثر في المصادر التاريخية الاخرى حركات معارضة كبرى هزت كيان الدولة العربية كالتي مر ذكرها من قبل ، لذا انهيت دراستي عند السنة التي توقف فيها المؤلف عن الكتابة ، ثم لخصت في نتائج الدراسة ما توصلت اليه من استنتاجات ،وقد استعنت بالملاحق لتبيان ما اشكل من مواضيع الدراسة مستعينا بالجداول تارة وبالقوائم تارة اخرى لحل تلك الاشكاليات ، ولاشك ان هذهِ المدة الزمنية الواسعة لم اتمكن من تغطيتها الا بعد الاستعانة ببعض المصادر التي اعتمدتها أساساً للمقارنة مع المادة التي اوردها المؤلف عن تلك الحركات ويأتي في مقدمتها :-

١. كتاب تاريخ خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٥ م) من اقدم كتب التاريخ التي اعتمدت المنهج الحولي ، ورغم اختصاره الشديد للأحداث التاريخية لكني افدت منهُ في تحديد تواريخ الاحداث الخاصة بالحركات التي تضمنتها الدراسة ، وخصوصاً كون ابن عبد ربه لم يقدم تاريخاً دقيقاً لأي منها .

٢. كتاب الامامة والسياسة المنسوب لعبد الله بن مسلم الدينوري المشهور بابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ / ٨٩٠ م) وهو كتاب يقع في جزئين يبدأ الاول منه بذكر بداية خلافة ابي بكر وينتهي بتولي يزيد بن معاوية الخلافة . اما الثاني فيبدأ بثورة الامام الحسين بن علي وينتهي بقتل المأمون العباسي لأخيه الامين وقد افدت من هذا المصدر كثيراً كونهُ ذكر اخباراً مفصلة عن معارضة الامام علي لبيعة الخليفة ابي بكر ، واغتيال الخليفة عمر بن الخطاب ، وانتقاض الامر على عثمان ، و اخبار الجمل وصفين . وكان من ابرز ما افادني من ذلك

الكتاب نصوص المراسلات التي دارت بين الخليفة علي ومعاوية فقد كانت اغلب المرويات التي اوردها ابن عبد ربه عن تلك الاحداث مشابهة للأخبار التي ذكرها ابن قتيبة حتى انها تصل في بعض الاحيان الى درجة التطابق وقد قادني ذلك الى القول ان هذا المصدر كان ضمن المصادر التي اطلع عليها ابن عبد ربه واعتمدها في كتابه.

٣. أنساب الاشراف لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٣ م) ويعد هذا الكتاب من ابرز المصادر المعتمدة في دراسة التاريخ الاسلامي رغم اشتمالهِ على الكثير من الروايات الغير مسندة الا انهُ مع ذلك اعتمد في اغلب مروياته على كبار الرواة كابي مخنف والمدائني والواقدي و عوانة بن الحكم وهشام الكلبي . وقد افدت من هذا المصدر كثيراً كونهُ ضم روايات لم اجدها عند غيرهِ من المصادر كاجتهاد طلحة في امر الخليفة عثمان واستيلائهِ مع الزبير بن العوام على شؤون الدولة خلال مدّة حصار عثمان بما في ذلكَ مفاتيح بيت المال ، كما انهُ حددَ هوية المسؤولين عن قتل خباب بن الارت فذكرَ بأنهم خوارج البصرة ، كما اعطى تفصيلاً اكثرُ أقناعاً عن حوثرة الخارجي وكيفية انقلابه على الخليفة علي ومن بعده ولده الحسن ، كما اورد روايات فيها تفصيلاً اكثر اقناعاً عن وفادة مصعب بن الزبير على اخيه عبد الله بن الزبير فذكر انهُ وفد على اخيه ثلاث مرات كانت الاخيرة منها برفقة جماعة من اهل البصرة الذين تكلموا مع عبد الله محاولين التودد اليه ، لكنهُ رفض اكرامهم فكان ذلكَ سبباً لانحيازهم الى عبد الملك بن مروان .

٤. كتاب الاخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) . وهذا الكتاب من الكتب الهامة التي اعتمدت عليها الدراسة لكونهِ ركز بشكلٍ كبير على الحركات التي اشتركَ فيها الموالي كحركة المختار بن ابي عبيد الثقفي ، وحركات الخوارج في نواحي خراسان التي قام جميعها ضد الامويين ، الا ان بعض اخباره كان مبالغاً فيها خاصةً اذا تعلق الامر بلغة الارقام التي تعكس الى حدٍ كبير محاولتهِ تضخيم دور الموالي بإظهارهم في موقف الند للعرب .

٥. تاريخ اليعقوبي لأحمد بن ابي يعقوب (ت ٢٩٢ هـ /٩٠٥م) . وهو من المصادر المهمّة التي اعتمدت عليها الدراسة رغم ميولهِ العلوية ، الا انها لا تخرجهُ عن دائرة الاعتدال والوسطية التي اتخذها لنفسه بإيراده روايات غير متحيزة لطرف . انفرد اليعقوبي بإعطائه قائمة مطولة بأسماء من تخلفوا عن بيعة ابي بكر ، كما ان بعض اخبارهِ حملت طابعاً

اقتصادياً افادني كثيراً ببعض فرضيات الدراسة . منها تحديدهِ اجور عمال الخليفة عمر بن الخطاب لمسح ارض السواد والتي قِستُ عليها مقدار الضريبة اليومية المفروضة على ابي لولؤة ، كما ان المؤلف اعطى سبباً مهمّاً للعداوة التي جرت بين الخليفة عثمان وعبد الله بن مسعود لامتناع الاخير من تسليم مصحفهِ الى السلطة التي سنت قراراً بمصادرة المصاحف من اجل توحيدها . وكذلكَ اعطائه سبباً اقتصادياً لمعارضة اهل المدينة لعامل يزيد بن معاوية عليها وهو احتكاره ناتجهم الزراعي وارسالهِ الى بلاد الشام ، مما ادى لرخاء في الشام وغلاءٍ في الحجاز .

٦. تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ /٩٢٣م) . وهذا الكتاب غني عن التعريف اذ لابد لكل باحث في التاريخ الاسلامي ان يجعلهُ ضمن جملة مصادرهِ . وتأتي اهميته من خلال منهجية مؤلفه القائمة على اساس اثقال رواياتهِ بالسند التي تنتهي غالباً بشهود عيان ، كما انهُ اعتمد ايراد اكثر من رواية عن الخبر الواحد مما يوحي للقارئ ان المؤلف لا يتلاعب في تلكَ الروايات بل تصرف معها بحياديةٍ تامة ، لكنهُ مع ذلكَ أظهرَ بعض الميل نحو السلطة الاموية مما جعلني أرجئ بعض مروياته معتمداً على غيره من المصادر ، ولكنهُ يعد من اشهر المصادر التاريخية التي نقلت الينا اخبار الشرق . ولعل سبب تلك الاهمية هو اعتماد المؤلف على مبدأ التخصص في انتقاء اخباره ، فقد اخذ عن ابي مخنف اغلب مروياته التي اوردها عن العراق والكوفة بشكلٍ خاص كما اخذَ عن المدائني اغلب مروياته التي تعلقت بالبصرة وخراسان ، وكذلكَ فعلَ مع باقي الرواة ، لذا كان كتاب الطبري بالنسبة لي اشبه بالميزان الذي وازنتُ به اغلب مرويات ابن عبد ربه .

٧. كتاب الفتوح لأبن اعثم الكوفي (ت ٣١٤ هـ / ٩٢٧ م) وهو ايضاً من الكتب المهمّة التي اعتمدت عليها الرسالة . وتأتي اهميتهُ هذهِ من كون المؤلف كوفياً لذا فان ميوله العلوية واضحة في جميع اخبارهِ الكثيرة لكنهُ مع ذلك انفرد في ذكر اخبار لم يروها احدُ غيرهُ ، فقد اعطى المؤلف سبباً لخلاف عبد الله بن عباس مع ابي الاسود الدؤلي كما نفى التهمة عن سرقة ابن عباس لبيت مال البصرة . كما نفى ايضاً ان يكون الخليفة علي بن ابي طالب قد عزلهُ عن ولاية البصرة بل ذكر بانهُ ظلَ بمنصبه حتى تنازل الخليفة الحسن بن علي لمعاوية ، فضلاً على ان المؤلف انفرد بذكر نصوص الكتب التي بعثَ بها اهل الكوفة للحسين بن علي. كما انفرد بذكرهِ ان عبيد الله بن زياد هدد عمر بن سعد بقتلهِ وهدم داره ان

لم يبتدر لقتال الحسين ، لكنهُ مع ذلكَ اوردَ خبراً خالف بهِ الاجماع بذكرهِ ان والي مكة عمرو بن سعيد بعثَ للحسين بن علي بعد خروجهِ منها معزياً لهُ بمقتل مسلم بن عقيل . وهذا الخبر لا يتماشى مع طبيعة الاجواء المتوتّرة في مكة التي اجبرت الحسين على الخروج منها متوجهاً الى العراق ، و للأمانة فان الانصاف يقتضي منا الاشارة الى ان ميول المؤلف العلوية قد تكون سبباً وراء ضياع بعض الحقائق التاريخية اذا وضعناها بنفس الميزان الذي وزنا بهِ مادة غيره من المؤرخين كالطبري مثلاً .

٨. مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت٣٤٦ هـ / ٩٥٨ م) وهذا الكتاب من اهم الكتب التي اعتمدت عليها الدراسة فقد اولى عنايةً خاصة بخلافة عبد الملك بن مروان وخاصةً حادثة قتلهِ لعمرو بن سعيد الاشدق ، كما انهُ تتبع تنقل الحجاج في خدمة البلاط المرواني قبلَ ان يكونَ والياً على العراق ، كما انهُ ذكرَ حوادث علوية بحتة كمشاورة زيد لأخيه الامام محمد الباقر (عليه السلام) في امر القيام ، كذلكَ ذكرهُ للجدل الذي دار بينَ عبد الله بن الحسن المثنى وبينَ داود وعبد الله أبني علي بن عبد الله بن عباس بخصوص شخص ولدهِ محمد ذو النفس الزكية مما يشير الى ان المسعودي قد اعتمد في اخبارهِ رواة موالين لأهل البيت الا انهُ لم يصرح بأسمائهم .

٩. المصادر التاريخية المتأخرة وتشمل كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والامم لجمال الدين ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) ، وكتاب الكامل في التاريخ لأبي الحسن علي بن ابي الكرم المعروف بأبن الاثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) ، وكتاب البداية والنهاية لأبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م) وكتاب المبتدأ والخبر في تاريخ العرب لعبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) . وقد اعتمدت جميع هذهِ المصادر بشكلٍ اساس على المادة التي قدمها الطبري فأوردوها ولكن بشكلٍ مختصر مع اعتمادهم في الكثير من الاحيان على انهاء كلُ حادثة بنهاية توفيقية دون الطعن بأي جهة تمسُ طرفاً معيناً من كبار الصحابة باستثناء ابن الاثير الذي لم يلتزم كلياً بالمادة التاريخية التي اخذها عن الطبري وانما حاول في الكثير من الاحيان تنويع مصادرهِ حتى اخذ عن ابن عبد ربه نفسه ، ومنها ما ذكرهُ على لسان عمرو بن العاص الذي اشار على معاوية ايام الفتنة بقولهِ : " حرك لها حوارها تحن " في اشارة منه لتهييج اهل الشام وحثهم على الطلب بدم عثمان . كما ان المؤلف ذكر بأن عبد الله بن الزبير هو الذي بعث المختار ليكون واليهُ على الكوفة لضبط شيعتها واستثمارهم في قتال اهل الشام . فضلاً عن اعطائه سبباً مغايراً للسبب الذي

رواه الطبري عن خروج زيد بن علي ، لذا فأن هذا الكتاب يعد ذا قيمة تاريخية خاصة من بين المصادر التاريخية المتأخرة التي اعتمدت عليها الدراسة .

١٠. اخبار الدولة العباسية المجهول وقد اعتمدتُ هذا الكتاب بشكلٍ اساس للحديث عن بداية الدولة العباسية ، فبالرغم من ان مؤلف هذا الكتاب اتبع منهجية مضطربة بين الاسناد وعدمه الا ان الكثير من اخباره تطابقت مع ما جاء في غيرهِ من المصادر ، بل انها زادت عليها بإعطائها تفصيلاً دقيقاً لكل خبر ، منها اخبار محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكذلكَ اجتماع بني هاشم لبيعة محمد بن عبد الله بن الحسن (ذو النفس الزكية) . كما انهُ ذكر خطبة ابي مسلم الخراساني بمرو التي حثت اتباعهُ على مؤازرة الدعوة لذا فقد عولتُ على هذا المصدر كثيراً عند استعراضي لأخبار الدولة العباسية بصورة عامة .

١١. البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب لأبن عذاري المراكشي (ت٦٩٥ هـ / ١٢٩٦ م) وقد افادت الدراسة من هذا المصدر في الحديث عن حركات المعارضة في الاندلس اذ ان المؤلف اعطى صورة دقيقة فاقت ما قدمته المصادر الاخرى عن حركتي اهل الربض وحركة عمر بن حفصون فكانَ اشبه بالمصدر الاول الذي رجعت اليه تلكَ الحركات قبل تتبع تلكَ الروايات في غيرهِ من المصادر .

اعتمدت الدراسة ايضاً على بعض كتب الادب والتي من اهمها الكامل في اللغة والادب للمبرد(٢٨٥ هـ / ٨٩٨م) وكتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني (٣٥٦ هـ / ٩٦٦م) وكتاب عيون الاخبار لابن قتيبة (٢٧٦ هـ /٨٨٩م) وكتاب البيان والتبيين للجاحظ (٢٥٥ هـ/٨٧٠م) . وقد اعتمد ابن عبد ربه بشكلٍ متفاوت على هذه المصادر – باستثناء كتاب الاغاني – ففي الوقت الذي جعل من كتاب الكامل للمبرد مصدراً اوحدا في سردهِ اخبار الخوارج نجدهُ لا ينقل بعدها من المصادر الاخرى الا القليل من الاخبار . وهذا دليل على تنويع المؤلف لموارده رغم عدم تصريحه بذلك . وقد استفادت الدراسة من جميع تلك المصادر بصورة او باخرى لكونها مصادراً ادبيةً الّفت لنفس الغرض الذي الفَ فيهِ ابن عبد ربه كتابه ، وكذلكَ اشتمالها على اخبار تاريخية مهمّة لم ترد في المصادر التاريخية الاخرى ، كأخبار الخوارج بشكلٍ عام وكذلكَ نتف من اخبار الولاة الامويين .

اما بالنسبة الى كتب الرجال والتراجم فهيَ كثيرة ومتنوعة ، الا ان الدراسة ركزت على بعضها دون البعض الاخر ككتاب الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٣٠ هـ /٨٤٤م)، وكتاب الاستيعاب لأبن عبد البر (٤٦٣ هـ /١٠٧٠م)، ، وطبقات خليفة بن خياط ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ،

وتـاريخ دمشـق لابـن عسـاكر(٥٧١ هـ / ١١٧٥م)، ، ووفيـات الاعيـان لأبـن خلكـان(٦٨١ هـ/١٢٨٢م) ومختصر تاريخ دمشق لأبن منظور (٧١١ هـ /١٣١١م)، ومؤلفات الذهبي (٧٤٨ هـ /١٣٤٨م) وابـن حجـر (٨٥٢ هـ /١٤٤٨م) فقد ضـمت هـذه المصـادر فـي طياتهـا تـواريخ عامـة للشخصيات المترجم لها وطبيعة الظروف التاريخية المحيطة بها ، وبذا تكون قد اغنت الدراسة بتفاصيل مكملة وضرورية عنها .

كان للمصادر المتنوعة التي اعتمدت عليها الدراسة ككتب الفرق والحديث واللغة والبلدان دورٌ بارزٌ في اسعاف المواضيع المتشعبة للدراسة ، ويعود ذلك الى الامتداد الزمني الواسع الذي غطّتهُ و المادة التاريخية المتنوعة التي اوردها المؤلف ، فكانت تلك المصادر بمعلوماتها الوافية دليلي في تذليل تلك المصاعب .

اما كتب المحدثين او المراجع فقد استعنت بطائفة يسيرة منها رغم كثرتها والسبب في ذلك هو محاولتي الموضوعية والاستقلالية في استنتاجاتي متحاشياً الوقوع في دائرة تأثير تلك المراجع واحكامها على بعض الحوادث التاريخية التي لا يخلو بعضها من ميول عاطفية ، ولا ينفي هذا استفادتي من بعض تلك المراجع ككتاب تاريخ الاسلام للدكتور حسن ابراهيم حسن ، وكتاب التاريخ السياسي للدولة العربية الاسلامية لعبد العزيز سالم ، وكتاب مقدمة في تاريخ الاسلام لعبد العزيز الدوري ، وكتاب عبد الملك بن مروان لعبد الامير دكسن ، وكتاب الخوارج للطيفة البكاي وبعض كتبث المستشرقين واهمها كتاب احزاب المعارضة السياسية للمستشرق الالماني يوليوس فلهاوزن ، وكتاب مسلمي الاندلس لرينهارت دوزي . الا ان افادتي من تلك الكتب كان محدوداً جداً خوفاً من الوقوع في بعض الافكار الاستشراقية البعيدة عن واقع الحياة السياسية التي عاشها اهل الشرق. ولا ينفي هذا استعانتي بالعديد من المصادر الاجنبية التي استفدتُ منها في توسيع افاق الدراسة والحصول على خلاصة الفلسفة الغربية ورؤيتهم المستقلة للعديد من الاحداث التاريخية التي تناولتها الدراسة .

لاشك ان عملاً شاقاً كهذا واجهته العديد من المصاعب وابرزها مشكلة الوقت اللازم لإتمام الدراسة التي ضمّت العديد من الحركات حيث تحتاج كل واحدة منها الى دراسة مستقلة ، لذا فقد عمدتُ على اختصار الحديث عنها الى الدرجة التي دفعتني الى الاحجام عن ذكر الصدامات العسكرية التي افضت اليها تلك الحركات فضلاً عن كون تلك الصدامات ماهي الا نتيجة لمعظم الحركات السياسية الا انني اقتصرت على ذكر نتيجة تلك الصدامات او بالأحرى ما ترتب عليها من احداث ، كما انني واجهت صعوبة اخرى تمثّلت بكثرة المصادر التي طالتها يدي للعثور على مادة

قريبة من المادة التي اوردها المؤلف عن تلك الحركات وتصلح للمقارنة ، لذا تطلّب الامر مني تتبع جميع تلك الروايات والتعرّف على امتدادها في المصادر الاخرى التي ربما تكون تاريخية او ادبية ، و تمثّلت المنهجية التي اتبعها المؤلف بحذف اسانيد الروايات أو اعطاء بعضها سنداً مبهما مشكلةً اخرى جعلتني اقفُ عاجزاً امام بعض الكنى والاسماء المجرّدة التي اعيتني كثيراً في البحث عن اصحابها ، ولمعالجة هذه المشكلة لم اخصص مبحثاً خاصاً لمناقشة رواة ابن عبد ربه لكونهم كانوا على صنفين هما رواة مشهورون ترجمتُ لهم في هوامش فصول الدراسة (كلٌ بحسبه)واخرون مبهمون افردت لهم في الملاحق قائمة بأسمائهم ومروياتهم مرتبة حسب فصول الدراسة.

من جانب اخر برزت مشكلةُ اخرى تمثّلت بكيفية التعامل مع بعض الشخصيات التي لها مكانة خاصة لدى المسلمين ، لكون المدّة الزمنية التي غطّاها المؤلف في كتابه شهدت ارساء المداميك الاولى في صرح الحضارة للدولة العربية الاسلامية من رجال عُدُّوا الرعيل الاول عقائدياً وفكريا في مضاميرها ، وليس علي مندوحة اذا قلت ان تلك المشكلة تواجه كل من يكتب في المدة الزمنية عينها ولا أعدو الصواب اذا قلت ان مؤلفنا نفسه (رحمه الله) عانى من المشكلة ذاتها ، لذا فقد جرّدت جميع تلك الشخصيات من القابها وصفاتها لتذليل تلكَ المشكلة مع خالص التقدير لمقتضياتها وحيثياتها الداعية اليها .

واخيراً ارجو ان اكون قد وفقت في هذه الدراسة لإعطاء صورة مقتضبة عن الطابع التاريخي لكتاب العِقد الفريد لأبن عبد ربه - الذي مازال مصدر الهام للكثيرين ممن تجاذبتهم فصول هذا الكتاب وشهرتهُ المدوّية – واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق والمرسلين وعلى الهِ وصحبهِ اجمعين .

الباحث

مدخل

حظيت حركات المعارضة التي حدثت في التاريخ الاسلامي باهتمام العديد من الباحثين في هذا المجال ، فكانت تلك الحركات اشبه بالأرض الخصبة التي استوعبت جميع تلك الدراسات ولا زالت مصدر الهام للعديد منها والتي قد تخرج بنتيجة تزيل الكثير من الغموض الذي يلتاث بالعديد من حلقات ذلك التاريخ . وعلى الرغم من ان مصطلح المعارضة السياسية يعد من المصطلحات الحديثة ، الا انهُ من حيث المحتوى انبثقَ مع ظهور اول اشكال السلطة منذُ عصورٍ قديمة قدم التاريخ ، وعلى الرغم من كثرة التعريفات اللغوية والاصطلاحية التي قدمها الباحثون حول هذا المصطلح [١] الا انها جميعاً تقود الى معنى واحد هو الاعتراض على السلطة أيا كان ذلكَ الاعتراض وتطوراته التي قد تؤدي الى الخروج عليها . وبغض النظر عن شمولية هذا العنوان والمصاديق الكثيرة التي انطبق عليها عبر التاريخ الا ان الذي يخصنا هنا ما وقع منهُ في التاريخ الاسلامي ورصده ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد وكيفية تعاملهُ مع تلكَ الحركات وتقديمهُ لها بوصفهِ احد موثقي التاريخ الاسلامي في ذلك العصر .

فمن المعلوم ان الله خلق ولد آدم وهم متفاوتون في قواهم البدنية والعقلية ، ذلك التفاوت الذي كان سبباً في تمييز بعضهم عن بعض ، مما جعل منهم مختلفون في مدى استيعابهم و تقبلهم لمفاهيم الحياة المختلفة الذي أدى في النهاية الى اختلاف مواقفهم تجاه تلك المفاهيم . فكان من ابرز ما اشكل عليه الناس من تلك القضايا او المفاهيم هي المفاهيم السياسية . إذ ان السياسة بشكلها العام تعد القوة التي تنظم افراد المجتمع ، لكونها المسؤولة عن اتخاذ قرارات مصيرية ملزمة لجميع افراده الا ان تلك القرارات قد لاتحضى بتأييد فئات معينة منه مما يتمخض عنه خلق معارضة تحاول التنصل من تطبيق تلك القرارات او اجبار السلطة عن طريق القوة بالعدول عنها [٢] . وطبقاً لذلك يمكننا تقسيم المعارضة السياسية الى قسمين : الاول المعارضة المبدئية ، والآخر المعارضة الستراتيجية . فبالنسبة الى المعارضة المبدئية فتعني الاختلاف الفكري مع السلطة المبني على اسس فكرية او عقائدية ويظهر هذا النوع من المعارضة مع المراحل الاولى لتشكل السلطة أو انه يظهر خلال قوة السلطة وشدة عنفوانها ، اما النوع الآخر من المعارضة وهو المعارضة

(١) ينظر: الكيالي ،عبد الوهاب ، موسوعة السياسة ، ٦ / ٢٣١ ؛ الرواحنة ، علي جمعة ، مرتكزات المعارضة السياسية في الفقه الاسلامي ، ١٣ ؛

Merriam Webster Authors' . Webster's Dictionary of English Usage . p 696 .

(٢)صالح ، احمد عباس ، اليمين و اليسار في الاسلام ، ١٣٢ .

الستراتيجية فهو الاختلاف السياسي مع السلطة المبني على اسس ستراتيجية مصلحية بغض النظر عن مشروعية تلك المعارضة ام لا .

قبل الشروع بالدخول الى هذا الموضوع الشائك علينا تذكّر الطريقة التي ظهرت فيها السلطة في الاسلام أو بمعنى اخر بداية تشكل الدولة الاسلامية فمن المعروف ان الدين الاسلامي هو الدين الوحيد الذي تمكن بعد مدة وجيزة من اقامة دولة بعد ان ارسى دعائمها النبي (ﷺ) منذ ان هاجر من مكة الى يثرب ، تلك الهجرة التي كان الغرض منها اقامة مركز قرار يمسك هو بزمامهِ [١] بعيداً عن سيطرة قريش وسطوتها التي كانت تعيق مثل هذا المشروع . ثم لم يلبث (ﷺ) بعد ان هاجر الى يثرب ان اصبحَ زعيماً لحزبين غير متجانسين[٢] وهما كلاً من المهاجرين والانصار . فبالنسبة الى المهاجرين فقد ساعد انقطاعهم عن عشائرهم المقيمة بمكة وغيرها على تيسير انضوائهم تحت زعامةٍ جديدة خارج الاطار القبلي ، بينما كان للأنصار ولاءً مزدوجاً للدين والقبيلة كما برزَ في الولاء القبلي لبعضهم عائقاً دون تحقيق وحدة الزعامة [٣] ، لذا فقد اقدم (ﷺ) فور وصولهِ الى يثرب على اسباغ صيغة روحية لزعامة دينية قائمة على اساس الايمان والعقيدة بعيداً عن النعرات القبلية المقيتة واطرها الضيقة فعلمَ اتباعه ان معتنقي الاسلام كلهم كتلة واحدة لا تفاضل بين افرادها الا بطاعة الله وتنفيذ اوامره وقد وثق ذلكَ بالكثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية التي دللت بشكلٍ واضح وجلي على ان ما اقامهُ في يثرب ما هو الا وضع نواة لمجتمعٍ مدنيٍ متكامل يكون هوَ فيه بمثابة الحاكم الفعلي وهذا يعني بالضرورة ولادة سلطة جديدة قائمة على اساس الدين .

لم يكن من المقدّر للرسول (ﷺ) ان يستمر برسم نظامه السياسي الجديد الذي لم يألفهُ العرب من قبل فقد كانت وفاتهُ المفاجئة من العوامل التي حالت دون اكتمال الاطار القانوني للدولة الاسلامية الكبرى التي وضعَ لبنتها الاولى ، لذلك لم يلبث أن احسَ المسلمون بعدهُ بالنقص لما نشأت مشكلة مَن الذي يليه في الرئاسة العليا للدولة الدينية [٤] ، لذا فقد صار هذا الموضوع محل اشكال وازمة سياسية انبثقت من قلب الدولة في المدينة المنورة جسدها الخلاف الذي نشأ بين المهاجرين والانصار ، ثم بين المهاجرين انفسهم ، كما ان الاطراف قد تزعزعت ولاءاتها للدولة بارتداد اغلب القبائل العربية التي حسبت ان تحالفها مع الرسول قد انتهى بعد وفاته وفق اعراف

(١) العلوي ، هادي ، محطات في التاريخ والتراث ، ٧٠ .

(٢) سالم ، عبد العزيز ، التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية ، ٨٩ .

(٣) العلوي ، هادي ، فصول من تاريخ الاسلام السياسي ، ٢٤ .

(٤) فلهاوزن ، يوليوس ، تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية ، ٣٢ .

جزيرة العرب قبل الاسلام [1] لذا فقد كان الوضع السياسي مرتبكاً في الداخل والخارج حتى اذا ما آلت الامور لأبي بكر بتسنّم الخلافة وجد نفسهُ امام حركات معارضة لسلطتهِ الجديدة . وقد انقسمت هذهِ الحركات من حيث الاسلوب الذي تعاملوا فيه مع السلطة وتعاملت به معهم على قسمين . الاول حركات المعارضة غير المسلحة ، و الآخر الحركات المسلحة . وبدورها شكّلَت هذه الحركات - فيما بعد- اللبنة الاولى للعديد من الحركات التي ظهرت بوجه السلطات المتتابعة على مدار حلقات التاريخ الاسلامي ، كما شكّلَت في الوقت نفسهِ الاساس الذي ارتكزت عليه السلطات المتتالية في قمعها .

وعلى الرغم من ان التيارات السياسية استترت في خلافة عمر بن الخطاب ، الا ان ذلك لا يعني انها تلاشت بشكل نهائي فقد ظهرت سريعاً بعد ذلك وتصارعت صراعاً حاداً حين اتسعت رقعة الدولة في زمن خلافة عثمان بن عفان فقد اضطربت الاحوال السياسية بسبب الاجراءات الجديدة التي اتخذها مخالفاً سياسة الخليفة السابق وممهداً للثورة التي قامت ضده وانتهت بمقتله ، الا ان ذلك لم ينهي الازمة ، فقد كان للتغييرات التي احدثها اثراً لاضطراب المراكز الاقتصادية في عامة الدولة فلما وصل علي بن ابي طالب الى السلطة حاول ارجاع تعاليم الاسلام الى ما كانت عليه ، لكنه لم يجد من يتحمس لمبادئه رغم ماله من مكانة في قلوب عامة المسلمين ، لذا كانت الساحة السياسية بشكل عام بانتظار شخص يستطيع اعادة سطوة رجال المال وهذا ما لباه معاوية بن ابي سفيان الذي لم يكن نجاحه يعود الى براعته في المناورات السياسية فقط بل ومؤاتات الظروف العامة له ويمكننا القول ان التحول الساسي الذي اجراه معاوية والثورات او الحركات السياسية لم تتوقف [2] ، بل انها استمرت حتى نهاية التاريخ الاسلامي.

رصدَ ابن عبد ربه جزءاً يسيراً من تلك الحركات - ذات التداخلات المُتشابكة والحسابات المعقّدة - خلال المدة الزمنية التي تناولها في كتابه ، علماً انهُ لم يعطِ تفسيراً واضحاً أو مفهوماً ثابتاً محدداً للسياسة بشكلٍ عام وانما ذكر وجهات نظر لبعض المُبرزين من رجالها امثال عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب ومعاوية وعبد الملك وتبعاً لذلك نستشف ان مفهوم المعارضة السياسة لديه مرتبط بوجهات النظر تلك ، والذي تُرجِمَ على انهُ الخروج على السلطة بشكلٍ عام بغض النظر عن مشروعية ذلكَ الخروج من عدمه . كما انه اتبعَ نهجاً خاصاً بهِ في ايراد الروايات والاخبار التاريخية التي ضمّنها في كتابه حيث قال ما نصهُ [3] : "وحذفتُ الاسانيد من اكثر الاخبار

(1 Bernard) Lewis : The Arabs in History. p.65

(٢) صالح ، احمد عباس ، اليمين و اليسار في الاسلام ، ١٤٢ .

(٣) العِقد ، ١ / ٢٨ .

طلباً للاستخفاف والايجاز وهرباً من التثقيل والتطويل ، لأنها اخبار ممتعة وحكم ونوادر لا ينفعها الاسناد باتصاله ولا يضرها ما حُذِفَ منها .وقد كان بعضهم يحذفُ اسناد الحديث من سنةٍ متبعة وشريعةٍ مفروضة فكيفَ لا نحذفهُ من نادرةٍ شاردة ومثلٍ سائرٍ وخبر مستطرفٍ وحديثٍ يذهبُ نورهُ اذا طالَ و كثُر " .

اذاً كان همَّ المؤلف بالدرجة الاولى هو ادخال المتعة والسرور وحب الاستزادة في نفس القارئ او السامع على حدِ سواء محافظاً في الوقت نفسهِ على شدّهما وربطهما بالخبر الذي قد يطول او يقصر حسب مادته السردية مضحّياً بالحقيقة التاريخية التي قد يخرج منها بأقل ما يمكن من التقصير وعدم الاتقان ، فكان ما اعتذرَ به لنفسهِ دليلا على ان جلّ اخباره ومروياته كان القصد منها تحقيق ما سلف ذكرهُ من غرض ، لذا فان اعراض المؤلف عن اسناد اغلب مروياته انما كان لسببين الاول فلسفة المؤلف واقتناعه بان تلك الاخبار لا ينفعها السند باتصاله فضلاً عن عدمه والثاني هو ان كتابه كتاب ادب ولا توجد هناك ضرورة من اسناد تلك الاخبار بخلاف غيره من كتب الحديث او لتاريخ ، الا ان ذلك لا يعطيه العذر بالابتعاد عن الاسناد مادامت تلك الاخبار اخبار تاريخ ، ثم ان علينا ان نتذكّر ان الرجل عاش خلال نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجريين وهذا يعني انه عاش خلال نفس المرحلة التي عاش فيها كبار المؤرخين كالطبري وابن اعثم ، فضلاً على ان هناك بعض ممن سبقوه في هذا المضمار كخليفة بن خياط وابن قتيبة ، لذا يمكننا القول ان الثقافة العامة التي نهل منها المؤلف هي ذاتها التي نهل منها غيره من المؤرخين ولا يمكن باي شكل من الاشكال ان تكون اندلسيته عائقاً يمنعه من التزوّد بثقافة الشرق ذلك لان تلك الثقافة قد وجدت طريقها الى الاندلس فتسللت لها خلال مدة وجيزة من فتحها باتفاق الجميع ، لذا وعلى هذا الاساس سنعمد على مقارنة تلك الاخبار مع ما ورد عنها في المصادر الاخرى للحكم لها او عليها ، ومعرفة ما اذا كان كتاب العِقد يمكن اعتماده كمصدر رديف لمصادر التاريخ الاولى ام لا .

الفصل الاول

حركات المعارضة من سنة

(١١-٣٥ هـ / ٦٣٣-٦٥٦م)

المبحث الاول – حركات المعارضة غير المُسلّحة (١١-١٤ هـ/٦٣٣-٦٣٦م)

المبحث الثاني – حركات المعارضة المُسلّحة (١١-٢٣ هـ/٦٣٣-٦٤٤م) .

المبحث الثالث – حركات المعارضة في خلافة عثمان بن عفان . (٢٣-٣٥هـ/٦٤٤-٦٥٦م)

المبحث الاول

حركات المعارضة غير المُسلّحة(١١-١٤هـ /٦٣٣-٦٣٦م)

لم يتم اختيار ابي بكر خليفة لرسول الله ﷺ الا بعد نزاع نشب بين المهاجرين والانصار في سقيفة بني ساعدة كاد ان يفتت وحدة المسلمين [١] ويصدّع احدى المقومات الرئيسة التي قامت عليها الدولة العربية الناشئة ، وهي ارتباط المسلمين برابطة المؤاخاة [٢] ، ذلك ان تلك الرابطة سرعان ما تفككت بعد وفاة الرسول ﷺ بين المهاجرين انفسهم وبينهم وبين الانصار حيث انقسم المسلمون بعد وفاة الرسول على ثلاث فرق لكل منها مرشّحها وهم بنو هاشم ومن انضمَ اليهم ومرشحهم علي بن ابي طالب وسائر قريش وقد رشّحوا ابا بكر اما الانصار فقد رشّح الخزرج منهم زعيمهم سعد بن عبادة [٣] ، لذا فما ان تبلورت حكومة جديدة حتى وجدت نفسها أمامَ معارضين كشفت معارضتهم عن عدم تقبلهم للحاكم الجديد إما اعتراضاً على طريقة انتخابه أو على الجهة التي ساعدته بالوصول الى منصبهِ ، ويمكننا تقسيم حركات المعارضة غير الُمسلّحة التي حدثت في خلافة ابي بكر على حركتين هما:

أ- حركة علي بن ابي طالب (١١ هـ / ٦٣٣ م).

حاول ابن عبد ربه شأنهُ شأن غيرهِ من المؤرخين ان يعالج مسألة اختيار المسلمين خليفةً لنبيهم الراحل الذي لم يترك وصيّة يحددُ فيها من يؤول لهُ الامر بعده - كما يرى المؤلف - معتمداً في ذلكَ على رواية المقبري[٤] ، وقد عقدَ لها موضوعا مستقلاً - ساق فيه رواية مطوّلة - اسماه

(١) ذكر المسعودي ان المهاجرين والانصار كان لهم يوم السقيفة خطب طويل ومجاذبة في الامامة. ينظر : مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٢ / ٢٤٤ .

(٢) سالم ،عبد العزيز ، التاريخ السياسي للدولة العربية ، ١٧٠ .

(٣) الدوري ، عبد العزيز ، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، ٤٨ .

(٤) هو سعيد بن أبي سعيد كيسان الليثي مولاهم المدني ، الامام المحدّث الثقة أبو سعيد المقبري ، كان يسكن مقبرة البقيع فنُسِبَ اليها. سمعَ أباه وعائشة وام سلمة وأبا هريرة وأبا سعيد الخدري وسعد بن أبي وقاص وجماعة من الصحابة والتابعين ، روى عنهُ عبد الحميد بن جعفر و ابن اسحاق و ابن ابي ذئب وهشام وابن سعد وخلق . وقال بعضُ من ترجمَ له : كبرَ واختلطَ قبلَ موتهِ بأربع سنين وأكثر ما روى عن ابي هريرة ، توفي سنة خمس وعشرينَ ومئة وقيلَ غيرُ ذلك . ينظر : الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، ١ / ٢٩ ؛ العلائي ، جامع التحصيل في احكام المراسيل ، ١ / ١٨٤ ؛ ابن حجر العسقلاني ، تقريب التهذيب ، ١ / ٢٦٣.

سقيفة بني ساعدة [١] التي كشفَ بها عن امتناع مجموعة من الصحابة عن بيعة ابي بكر لمبررات متعددة اظهرت عدم جاهزيتهم لتقبل تلك البيعة .

كانت أولى مرويات ابن عبد ربه عن ذاك الحدث رواية اوردها عن عامر الشعبي [٢] قالَ فيها ما نصّه: [٣] " اول من قدمَ مكة بوفاة الرسول ﷺ وخلافة ابي بكر عبد ربه بن قيس بن السائب المخزومي[٤] ، فقالَ لهُ ابو قحافة : مَن ولّي الامر بعدهُ ؟ قال : أبو بكر ابنك . قال : فرضيت بذلكَ عبدَ مناف؟ ". ان هذه الرواية التي اوردها المؤلف تشير بوضوح الى استغراب أبي قحافة من ان امر الخلافة الذي جرى دونما اعتراض احد من اقرباء النبي ﷺ لكونهم ورثتهِ بحسب ما تقتضيه الاعراف القبلية ، فحسبَ تلك الاعراف انه اذا مات زعيم القبيلة انتقلَ امر الزعامة الى اخوتهِ او ابناءِ عمهِ دونَ غيرهم [٥] ، لذا فقد ساق المؤلف هذه الرواية ليستدلَ بها على ان خلافة ابي بكر جرت دونما اعتراض احدٍ من اقارب النبي ﷺ (من بني عبد مناف).

اورد البلاذري [٦] رواية عن محمد بن سعد جاءت مطابقة لرواية الشعبي الا انهُ زاد عليها بقول ابي قحافة فمن وليَ امر الخلافة بعده . قالوا : ولدكَ ابو بكر . قال : ارضيَ بذلك بنو هاشم

---

(١) العِقد ، ٤ / ٢٤٨ .

(٢) هو عامر بن شراحيل بن عبد الله ابو عمرو بن عبيد الله بن مروان ، الشعبي الهمداني الكوفي ، ولِدَ سنة احدى وعشرين للهجرة ، أمهُ من سبي جلولاء ، كانَ ضئيلاً نحيفاً ، سمعَ جابر بن عبد الله وابن عباس و علي بن ابي طالب وسعد بن ابي وقاص وجماعة وقيلَ انهُ ادركَ مئة وخمسين من الصحابة ، روى عنهُ الحكم وحماد و ابو اسحاق وابو حنيفة واخرون .كان فقيهاً شاعراً. كانَ شيعياً في الشطر الاول من حياته ثم تركَ المذهب ولعل هذا ما يفسر انقلابهُ الى الضد النوعي في عهد بني أمية ولهُ في الشيعة الكثير من الترهات والتخرّصات .اقامَ بالمدينةِ اشهراً فاراً من الحجاج الثقفي . توفيَ سنة اربعٍ و مائة وقيلَ ثلاثُ ومائة للهجرة وقيلَ غيرُ ذلك . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٦ / ٢٤٨ ؛ البخاري ، الهداية والارشاد في معرفة اهل الثقة والسداد ، ٢ / ٥٥٧ ؛ العقيلي ، عبد الرحمن ، معجم نواصب المُحدثين،٤٦٧.

(٣) العِقد ، ٤ / ٢٤٦ .

(٤) هو عبد ربه بن قيس بن السائب بن عويمر بن عامر بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وهو اخو عبد الله بن عامر بن كريز لأمه ، وأمهما دجاجة بنت أسماء بن الصلت بن حبيب بن جارية بن أمرؤ القيس ، وقد اغفلت كتب التراجم سيرته حتى تكاد لا تورد له سوى ما تقدّم . ينظر : ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٢٩ / ٢٤٩ ؛ ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، ١٢ / ٢٨٤ ؛

(5) Bernard Lewis : The Arabs in History , p.65

(٦) انساب الاشراف ، ١ / ٥٨٩ .

وبنو عبد شمس وبنو المغيرة ، اما الحاكم فأورد رواية بسندهِ عن ابي هريرة و نصّها [١] :" لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم ، بلغ اهل مكة الخبر قال : فسمع ابو قحافة الهائعة فقال : ما هذا ؟ قالوا : توفي النبي صلى الله عليه وسلم . قال : أمرٌ جليل ، فمن قامَ بالأمر من بعده قالوا : ابنك . قال : ورضيت بنو عبد مناف وبنو المغيرة ... " .

اذاً فإنَ استفهام ابي قحافة كان بخصوص اقارب النبي ﷺ ولحمته الاقرب فضلا عن زعماء قريش من بني المغيرة ، اما ابن عبد ربه فقد خصَّ في روايته بني عبد مناف فقط ، ولعلَ سبب ذلك التشذيب هوَ انه اراد التركيز على اقارب النبيﷺ وهم بنو هاشم و بنو امية ، فاذا اخرجنا بني امية من المعادلة كون جلّهم قد أسلمَوا عام الفتح لم يبقَ سوى بني هاشم وهم اقارب النبي الخلّص وبشكلٍ ادق علي بن ابي طالب دون غيرهِ لكونه المرشّح الاول لهذا المنصب لقرابته من النبي ﷺ وسابقتهُ في الاسلام وصفات اخرى منها العلم والعدل والشجاعة التي عقدَ لها المؤلف موضوعاً مستقلاً اسماه فضائل علي بن ابي طالب [٢] .

ذكر المؤلف ان سبب امتناع علي بن ابي طالب عن بيعة ابي بكر هو تمتعهُ بجميع تلكَ الصفات لذا كان يرى بان الناس لا تعدل بهِ احد وهذا هو سبب اعراضهِ عن نصيحة عمهِ العباس بن عبد المطلب الذي كانَ يكرر عليهِ لائما له فيقول [٣]: " اما قلتُ لك " وقولهُ : " لم ادفعكَ في شيء الا رجعت الي مستأخراً " . اذاً كان علي مطمئناً في امر الخلافة غير سمّاع لنصيحة عمهِ العباس لذا فإعراضه عن بيعة ابي بكر امرُ مفروغاً منهُ . والسؤال هنا ما هو الطريق الذي سلكتهُ تلكَ المعارضة ؟.

اورد ابن عبد ربه رواية غير مسندة ذكرَ فيها جزءاً من تفاصيل معارضة علي لخلافة ابي بكر فقال ما نصّه [٤] : " الذين تخلفوا عن بيعة ابي بكر : علي والعباس والزبير وسعد بن عبادة ، فأما علي والعباس والزبير فقعدوا في بيت فاطمة حتى بعثَ اليهم ابو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة وقالَ لهُ : إن أبوا فقاتلهم ، فاقبلَ بقبس من نار على ان يضرم عليهم الدار فلقيتهُ فاطمة فقالت يا بن الخطاب أجئت لتحرق دارنا ؟ قال : نعم أو تدخلوا فيما دخلت فيه الامة فخرجَ علي حتى دخلَ على ابي بكر فبايعهُ فقال لهُ ابو بكر : أكرهت امارتي ؟ فقالَ لا ولكنّي آليت ان لا ارتدي بعد موت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى احفظ القرآن فعليه حبست نفسي ".

ان المفهوم من هذه الرواية هو ان تخلّف علي بن ابي طالب كان مقروناً بتخلّف عمهِ العباس وابن عمته الزبير بن العوام اللذان كانا - وفق الرواية – في بيت فاطمة وكذلك سعد ابن

(١) المستدرك على الصحيحين ، ٣ / ٢٥١ .

(٢) العِقد ، ٤ / ٢٦٤ .

(٣) م. ن ، ٤ / ٢٦٤

(٤) م . ن ، ٤ / ٢٤٨ .

عبادة وهذا يعني ان هنالك جماعة مع علي امتنعوا عن بيعة ابي بكر ، الا ان هذا الامتناع لم يكن قائماً على اساس المعارضة بدليل اعتذار علي بحفظ القرآن [١]اي انهُ كان غير ممانع بإمضاء خلافة ابي بكر . فان كان الامر كذلك فما بال الذين تخلفوا معهُ في بيت فاطمة ؟ وهل كان سبب تخلفهم قائماً على نفس الحيثيات !؟، ام ان هناك سبباً آخر لم يذكرهُ المؤلف ؟ .

اوردت العديد من المصادر [٢] روايات مسهبة بخصوص عدم مبايعة علي ومن معهُ في بيت فاطمة لأبي بكر ، الا ان هذا الموضوع لم يتطرق ابن عبد ربه لذكرهِ في روايتهِ هذهِ ، كما انهُ لم يسمِ من امتنع عن بيعة ابي بكر مع علي وانما اكتفى بذكر ثلاثة فقط وهما العباس بن عبد المطلب والزبير بن العوام و سعد بن عبادة ، ذاكراً ان سعداً لم يكن في عداد من تخلف مع علي في ذلكَ اليوم . وهذا دليل على ان المؤلف اراد توجيه الاحداث من منظوره الخاص .

اما بالنسبة للذين تخلفوا مع علي في بيت فاطمة فقد اختلفت المصادر في عدّتهم وهويتهم حيث أضاف ابن هشام [٣] طلحة بن عبيد الله . اما اليعقوبي [٤] فعدَ الفضل بن العباس بن عبد المطلب ، والمقداد بن الاسود [٥] ، وسلمان الفارسي و ابا ذر و عمار بن ياسر والبراء بن عازب [٦]

(١) قد يكون القصد من كلمة (حفظ) هنا هو جمع القرآن وليس حفظه في الذاكرة كما يُفهم من النص .

(٢) ينظر : سليم بن قيس ، كتاب سليم بن قيس ، ١٥١ ؛ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٤ / ٣٠٨ ؛ ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ١ / ٣١ - ٣٢ ؛ البلاذري ، أنساب الاشراف، ٢ / ٧٧٠ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ٢ / ١٢٥ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، ٣ / ٢٢٢ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ٢ / ٢٤١ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٢ / ١٦١ ؛ ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ١ / ١٥٧ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ٢ / ٤٨٩ .

(٣) سيرة ، ٤ / ٣٠٨ .

(٤) تاريخ ، ٢ / ١٢٦ .

(٥) هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن قضاعة . كنيتهُ ابو معبد . حالفَ الاسود بن عبد يغوث الزهري في الجاهلية فتبناه لذا يقال لهُ المقداد بن الاسود ، فلما نزلت الآية (أدعوهم لأباءهم) قيلَ لهُ المقداد بن عمرو . من كبار الصحابة وقيل انهُ اول من اظهر الاسلام بمكة ، وهاجر الهجرتين وشَهِدَ مع النبي بدراً وبعض المشاهد الاخرى .زوّجهُ الرسول بنت عمّهِ ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، شَهِدَ فتح مصر ثم عاد الى المدينة في خلافة عثمان وظلَ بها حتى توفيَ سنة ثلاث وثلاثون وقد اوصى الى الزبير بن العوام . ينظر : أبن سعد ، الطبقات ، ٣/ ١٩؛خليفة ،طبقات خليفة بن خياط ،١ /٤٧ ؛ ابن الاثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٢٤٢/٥.

(٦) هو البراء بن عازب بن حارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الخزرج الانصاري الحارثي . كنيتهُ ابا عمارة وقيلَ ابا الطفيل ولهُ ولأبيهِ صحبة . لم يشركه النبي (ص) يومَ بدر لصغرِ سنه الا انهُ غزا مع النبي خمسةَ عشرَ غزوة .شَهِدَ مع الخليفة علي الجمل وصفين والنهروان ولأجلِ ذلكَ نزل الكوفة فأبتنى بها داراً وظلَ فيها حتى توفي في امارة مصعب بن الزبير. ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ١ / ١٥٥-١٥٦ ؛ خليفة ، طبقات ، ١ / ١٤٧ ؛ ابن حجر ، الاصابة في تمييز الصحابة ، ١ / ٤١٢ .

و أُبَيْ بن كعب[١] . في حين ذكر البلاذري [٢] ان الذين تخلفوا مع علي بن ابي طالب عن بيعة ابي بكر جماعةٌ من بني هاشم ، وقد اتفق معهُ المسعودي [٣] في ذلك . أما ابن حبان فقال ما نصّه[٤] : "ان الذينَ تخلفوا عن بيعة ابي بكر شرذمة مع علي بن ابي طالب " . والغريب ان ابن خلدون [٥] ينفي مثل هذه المعارضة فقال اجمع المهاجرون والانصار على بيعة ابي بكر ولم يخالف الا سعد ان صحَ خلافهُ فلم يلتفت اليه لشذوذه .

اذاً فقد كان العدد كبيراً لدرجة انهُ شمل جماعة من المهاجرين والانصار [٦] ، وهذا العدد شجّع علي بن ابي طالب على اللجوء الى القوة لأخذ حقه الا انهُ عدلَ عن ذلك ، ولكن اذا كان الامر كذلك فلماذا لم يذكرهُ المؤلف ؟ ، وهل يصح ان لا يعطي تفصيلاً دقيقاً عن هذا الخلاف ؟ ، أو الى الطريقة التي اتبعتها السلطة في فض تلكَ المعارضة ؟. لذلك ارى ان ابن عبد ربه ابتعد عن جميع ذلك عملاً بالمنهجية القائمة على اساس التركيز على شخصية البطل الذي تدور حولهُ الاحداث دون تشتيت انتباه السامع او القارئ بذكر شخصيات اخرى وجدت في الحدث نفسه . أي ان مجرد ذكره لعلي – في رايهِ - يغني عن ذكر مَنْ كانَ دونهُ ، لذا فلا داعي لذكر غيره ممن كانوا جميعاً قد بايعوا واحداً تلو الاخر بعدَ مدّة وجيزة بضغط من السلطة .

وفي معرض الحديث نفسه اورد ابن عبد ربه رواية ثانية عن الزهري [٧] عن عروة عن عائشة انها قالت ما نصّه [٨] : "لم يبايع علي ابا بكر حتى ماتت فاطمة وذلكَ لستة اشهر من موت

(١) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الخزرجي الانصاري . كنيتهُ ابا المنذر . قيلَ بانهُ أول من كتبَ الوحي بعدَ مقدم الرسول الى المدينة. شهدَ فتح الشام واستقر هناك لحين وفاته بطاعون عمواس سنة تسعة عشر. ينظر :ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الاصحاب ،٦٧/١-٦٩؛ابن الاثير، أسد الغابة،١ / ١٦٨؛ابن حجر، الاصابة ، ١ / ١٨٠-١٨١.

(٢) أنساب ، ٢ / ٢٦٥ .

(٣) مروج ، ٢ / ٢٤٤ .

(٤) السيرة النبوية واخبار الخلفاء، ٢ / ٤٢٦ .

(٥) تاريخ ، ٢ / ٤٨٩ .

(٦) اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ١٢٦ .

(٧) هو ابو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث الزهري احدُ الفقهاء والمحدثين والاعلام التابعين بالمدينة . رأى جماعة من الصحابة فأخذَ عنهم ، وروى عنهُ مالك بن انس وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري وجماعة . قال عنهُ ابن حبان كانَ احفظُ اهل زمانه واحسنهم سياقاً لمتون الاخبار. ذكرهُ السيوطي في الطبقة الرابعة من صغار التابعين. كان الزهري من المنحرفين عن علي بن ابي طالب. ارتحلَ الى الشام ولم يزل معظماً وافر الحرمة عندَ بني مروان حتى توفي سنة اربعُ وعشرين ومائة للهجرة . ينظر : ابن حبان ، الثقات، ٥ / ٣٤٩ ؛ ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٤ / ١٠٢ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٢ / ٩٩.

(٨) العقد ، ٤ / ٢٤٨ .

ابيها ﷺ فارسل علي الى ابي بكر ، فاتاهُ في منزله فبايعهُ وقال : والله ما نفسنا عليكَ ما ساقَ الله اليكَ من فضل وخير ولكنا كنا نرى ان لنا في هذا الامر شيئاً فاستبددتَ بهِ دوننا وما ننكر فضلك" ، وهذهِ الرواية تختلف عن الرواية الاولى في كونها اعطت مدّة زمنية لبيعة علي لابي بكر التي تمّت بعد وفاة فاطمة أي بعد ستة اشهر من وفاة النبي ﷺ، وقد اوردها المؤلف عن الزهري مباشرةً ، بينما اوردها غيرهِ عن الزهري ولكن بطرق مختلفة

اورد البخاري في صحيحهِ روايةً [١] بنفس السند قال فيها ما نصه " ... وكانَ لعلي وجهٌ من الناس حياة فاطمة ، فلما توفيت فاطمة استنكر علي وجوه الناس فالتمسَ مصالحة ابي بكر ومبايعته ولم يكن يبايع تلك الاشهر فارسل الى ابي بكر أن آتنا ولا يأتنا احدُ معك – كراهية لمحضر عمر – فقال عمر : لا والله لا تدخل عليهم وحدك ، قال ابو بكر : وما عسيتهم ان يفعلوا بي والله لاتينّهم ! ، فدخلَ عليهم ابو بكر فتشهد علي فقال : إنا قد عرفنا فضلك وما اعطاك الله ولم ننفس عليك خيرا ساقهُ الله اليك ولكنك استبددت علينا بالأمر وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نصيباً حتى فاضت عينا ابي بكر فلما تكلم ابو بكر قال : والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احبُ الي ان اصل من قرابتي وأما الذي شجرَ بيني وبينكم من هذه الاموال فلم ال فيها عن الخير ولم اترك امراً رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعهُ فيها الا صنعته فقال علي لابي بكر : موعدك العشية للبيعة فلما صلى ابو بكر الظهر رقى على المنبر فتشهد وذكر شأن علي وتخلفهُ عن البيعة وعذره بالذي اعتذر اليه ثم استغفر وتشهد علي فعظم حق ابي بكر وحدث انهُ لم يحملهُ على الذي صنع نفاسة على ابي بكر ولا انكاراً للذي فضلهُ الله به ولكنا نرى في هذا الامر نصيباً فاستبد علينا فوجدنا في انفسنا فسر في ذلك المسلمون وقالوا اصبت " .

اذاً فقد وضّح الزهري بروايته هذه ان سبب امتناع علي بن ابي طالب عن بيعة ابي بكر هو علاقته برسول الله لكونه زوج بنته فاطمة فقط و لا يوجد اي سبب آخر يدفعه لتأجيج تلك المعارضة ، ولو فرضنا صحة ذلك ،الا ان كلام ابي بكر لا يوحي باي شيء من هذا القبيل فقد اعتذر ابو بكر عن ميراث فاطمة الذي حرمها منه بحجة انهُ سمع حديثا عن النبي ﷺ بخصوص ذلك ولم يتطرق لأمر الخلافة وابتزازها وما بين الامرين فرقاً شاسعاً ، وقد ورد ذكر هذه الرواية في العديد من المصادر[٢]

(١) ح / ٣٩٩٨ .

(٢) الطيالسي ، ابو داود ،مسند ابي داود الطيالسي ، ١ / ٤٩٥ ؛ مسلم ، صحيح مسلم ، ح / ١٧٥٩ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ١٢٦ ؛ المسعودي ، مروج ، ٢ / ٢٤٤ ؛ ابن حبان ، السيرة ، ١٤ / ٥٧٣ ؛ النووي ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ١٢ / ٧٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٩ / ٤٩٠ ؛ والسيرة النبوية ، =

اما البلاذري [١] فقد أورد روايةً عن المدائني بسندهِ عن عائشة مطابقة لرواية الزهري الا انهُ لم يذكر ما دار من كلام بين علياً و ابي بكر والذي افضى الى بيعة الاول للآخر ، غير انهُ اتفق مع الزهري في السبب الذي دفعَ علي للامتناع عن تلك البيعة .

أما المسعودي فأورد روايةً قريبةً من رواية الزهري هذه قال فيها ما نصّه [٢] : " ولما بُويعَ ابو بكر في يوم السقيفة وجُدِدت البيعةُ لهُ يومَ الثلاثاء على العامة خرجَ علي فقال : أفسدتَ علينا أمورنا ولم تستشرْ ولم ترعْ لنا حقاً فقال ابو بكر : بلى ، ولكني خَشيتُ الفتنة ... " . والمفهوم من رواية المسعودي هذه ان علي بن ابي طالب عارض بيعة ابي بكر لأنه كان يرى في نفسهِ الجدارة لتولي مثل هذا المنصب ، وقد اعترف ابو بكر بذلك الا انهُ اعتذرَ بخوفه من الفتنة ، ولكن هذهِ الرواية توحي بشيء قد حدث بعد تلك المعارضة والا فما معنى قولهُ ((أفسدتَ علينا امورنا)) ، فهل كانَ هنالك امر وثّقَ لعلي ثمَ افسدهُ ابو بكر ؟ ، واذا كان الجواب بنعم فلماذا لم يأخذ علي حقهُ بالقوة[٣]؟!

اذاً فقد كانت مرويات ابن عبد ربه السالفة لا تتفق مع السبب الحقيقي لامتناع علي بن ابي طالب عن بيعة ابي بكر ، اذ انَ هناك سبباً جوهرياً آخر حملهُ على عدم الاعتراف ببيعة ابي بكر وهو غير الفضائل التي ذكرها المؤلف . وهذا السبب يكمن في تنصيب النبي ﷺ لهُ اميراً للمؤمنين في غدير خم [٤] بعد عودته من حجة الوداع سنة (١٠ هـ / ٦٣٢ م) . وقد احتج علي بن ابي طالب

=٤ / ٥٦٨ ؛ العيني ،عمدة القاري شرح صحيح مسلم البخاري ، ٤١٣/١٧ ؛ التستري ، الصوارم المهرقة ، ٧١ ؛ الشيرواني ، ما روته العامة من تاريخ اهل البيت،٤١٣ .

(١) أنساب ، ٢ / ٧٧١ .

(٢) مروج ، ٢ / ٢٤٤ .

(٣) حاول علي بن ابي طالب ان يجتذب نصرة المهاجرين والانصار ليأخذ ما كان يعتقد حقاً لهُ ولو بالقوة الا انهُ لم يجد من ينصرهُ على ذلك فما استجاب لهُ الا نفرُ من المهاجرين والانصار على خوفٍ من السلطة ان تفتنهم ، فلما عزم على النهوض بهم طلب منهم ان يبايعوه على ان يغدوا عليه في اليوم التالي مـُحـْلـِقيْ رؤوسهم وعليهم السلاح فلم يوافه منهم سوى اربعة وهم : سلمان وابو ذر والمقداد والزبير وقيل عمار . ينظر: سـُليم بن قيس ، كتاب سليم بن قيس ، ٢ / ٥٨٠ - ٥٨١ ؛ اليعقوبي ،تاريخ ، ٢ / ١٢٦ ؛ الطبرسي ، الاحتجاج ، ١ / ٢٠٦ – ٢٠٧ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ٢٢ / ٣٢٨ و ٢٨ / ٢٦٧ ؛ النوري ، نفس الرحمن ، ٤٨٢ ؛ المرندي ، مجمع النوريين ، ٩٧ ؛ القمي ، عباس ، بيت الاحزان ، ١٩٨ ؛ البحراني ، هاشم ، غاية المرام ، ٥ / ٣١٥ – ٣١٦ ؛ المسعودي ، محمد ، الاسرار الفاطمية ، ١١٥ .

(٤) اسم موضع بينَ مكة والمدينة بالجحفة على ثلاثةِ اميالٍ منها ، ووادية يصب في البحر لا يفارقهُ ماء المطر ابداً . فيهِ اناسُ من خزاعة وكنانة غير كثير . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣٨٩/٢ ؛ الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، ١ /١٥٦.

على حقّه المسلوب في خطبته المسمات بالشقشقية [١] التي ذكرتها بعض المصادر [٢] ، الا ان ابن عبد ربه لم يذكر هذه الروايات في محلّها وتفسير ذلك امران :

الاول : ان المؤلف لم يطّلع على مثل هذه الروايات وانهُ كان يجهلها تماماً وهذا امر مستبعد لكونهِ أورد في موضع آخر من كتابهِ مناظرة للمأمون العباسي مع قضاة وفقهاء بغداد عن افضلية علي عن باقي الصحابة فذكرَ لهم حديث الولاية[٣] وهذا دليلُ قاطع على ان المؤلف كان عارفاً بتلكَ الروايات ، يضاف الى ذلك انَ بيعة علي بن ابي طالب في غدير خم هي قضية الشيعة الاولى وان التشيع في نهاية القرن الثالث الهجري استطاع ان يقيم لهُ دولة في بلاد المغرب وهي الدولة الفاطمية العبيدية ، فليسَ من المعقول ان يكون المؤلف على جهلٍ بذلك الحدث الذي احتجت به تلك الدولة من اجل اثبات شرعيتها في السلطة .

الثاني : عدم رغبة المؤلف في اثارة قضايا مذهبية تعاقب عليها السلطة الاموية في الاندلس التي يعيش هو في كنفها ، بل على العكس فقد افرد في كتابه فصلاً مستقلاً اسماه الرافضة [٤]. وقد بالغ بالتشنيع والتنكيل بهم حتى عدّهم أسوأ من اليهود ، فتوافق المؤلف مع هوى السلطة في منعها ذكر أي منقبة من مناقب اهل البيت الذين هم قادة الشيعة وائمتهم .

وطبقاً لما سبق ذكره ارى ان المؤلف ابتعد عن ذكر تفاصيل دقيقة عمّا جرى من احداث مفصليّة بعد سقيفة بني ساعدة لضيق المقام بذلك ، ولعلّهُ ترك جملة من الاخبار التي تخصّ ذلك لكونها مسألةُ حسّاسةُ تمسُ فئة عريضة من كبار الصحابة ، او انه اراد توجيه الاحداث وفقما جرت عليه اغلب المصادر التاريخية التي تتناسب مع هوى نفسه ، لذا فقد حاول ابن عبد ربه ان يبين بأنَ معارضة علي بن ابي طالب لخلافة ابي بكر لم تكن سوى حركة فردية قام بها علي بن ابي طالب وعمّه العباس وابن عمّته الزبير فقط ، ثم انها سرعان ما انتهت بعد وفاة فاطمة ، ولكن المصادر

(١) هي الخطبة الثالثة لعلي بن ابي طالب التي ورد ذكرها في كتاب نهج البلاغة ، وتعد من أكثر خطبه شهرةً ولعل سبب ذلك هو موضوعها الذي يدور حول الخلافة وحادثة السقيفة . ينظر : ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ١٥١/١،

(٢) ينظر : المفيد ، الارشاد في معرفة حجج الله على العباد ،١ / ٢٨٧ ؛ الطبرسي ، الاحتجاج ، ١٩٢/١ ؛ الاميني ، الغدير ، ١ / ٣٨٤ .

(٣) هو الحديث الذي صرّحَ به النبي (ص) في غدير خم بعد مُنصرفهِ من حجة الوداع والذي قال فيه : من كنتُ مولاه فهذا عليُ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . ينظر: احمد بن حنبل ، فضائل الصحابة ، ٢ / ٥٦٩ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك ، ٣/ ١١٨ ؛ القندوزي ، ينابيع المودة ، ١ / ١٠٧ .

(٤) العِقد ، ٢/ ٣٤٣ -٣٤٨ .

التاريخية الاخرى ذكرت غير ذلك فقد كادت تلك المعارضة ان تتحول الى حركة مسلحة و لها اتباع الا انها سرعان ما تهاوت تحت الحملة التي جردتها السلطة على بيت فاطمة لتتحول من حركة معارضة جماعية الى حركة فردية تمثلت بشخص علي بن ابي طالب الذي رفضَ البيعة لأبي بكر حتى حين ، وهذا الامر ان دلَّ على شيء فانهُ يدلُّ على الانتقائية المفرطة التي اتبعها المؤلف والتي قد تكون مرتبطة بميوله السياسية و منهجيته المضطربة التي تميل الى التوفيقية بين الاحداث

ب- حركة سعد بن عبادة (١١-١٤هـ / ٦٣٣-٦٣٧ م).

كان موقف الانصار ككتلة اجتماعية لها ثقلها في موطنهم الاصلي (يثرب) قد تغيَّر كثيراً في السنوات الاخيرة من حياة النبي ﷺ ، فقد اصبحوا اقلّية بعد ان هاجر اليهم اهل مكة وغيرهم من عرب الجزيرة ، وبعدَ وفاة النبي ﷺ ظهر الشد السابق الذي كان هاجعاً ومختبئاً بينهم وبين مهاجري مكة (المهاجرين) بما يهدد بتمزيق وفصل الامة [١] . لذا فقد استشفوا ما ينطوي عليه المستقبل بعد وفاة النبي مِن ان السلطة ستنتقل الى جماعة من قريش ممن سيتظاهرون عليها بالقوة مُكرهين بنو هاشم والانصار على ذلك ، لذا التفوا حول احد زعمائهم وهو سعد بن عبادة سيد الخزرج محاولين اختياره ليخلف النبي ﷺ بعيد وفاته ، فسابقتهُ في الاسلام وعلاقتهُ الوثيقة بالنبي ﷺ [٢] ، فضلاً عن كونهِ زعيماً قبلياً تؤهلهُ مكانتهُ الاجتماعية - في نظر قومهِ – لاستلام السلطة، الا ان حملة الانصار هذه لم تكن كافية لنيل السلطة ، فكانت مجرد محاولة غير منظمة سرعان ما انتهت على يد المهاجرين من قريش [٣] .

(1), Fred M. Donner : Muhammad and the Believers: At the Origins of Islam , p 165 .

(٢) كان سعد قد شهد العقبة مع السبعين من الانصار ، وكان احد النقباء الاثني عشر وشهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها الا بدر ، فقد نُهِشَ قبل أن يخرج . وكان لما قدم رسول الله ﷺ يبعث إليه كل يوم جفنة فيها ثريد بلحم أو ثريد بلبن أو ثريد بخل وزيت أو سمن، وأكثر ذلك اللحم، فكانت جفنة سعد تدور مع رسول الله ﷺ في بيوت أزواجه . للاستزادة يُنظْر ابن سعد ، الطبقات ، ٣ / ١٦٧ .

(٣) اورد الطبري رواية عن هشام ذكرَ فيها قول اسيد بن خضير الاوسي : والله لأن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم الفضيلة ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً فقوموا فبايعوا ابا بكر ، فقاموا فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما اكانوا اجمعوا لهُ من امرهم وهذا نفس ما ذهب اليه المسعودي الذي ذكر ان الاوس تخلوا عن معاضدة سعد خوفاً من ان يفوز بها الخزرج . ينظر : تاريخ ، ٣ / ٢٢٢ ؛ مروج ، ٢ / ٢٤٢ .

قدّم ابن عبد ربه مادة تاريخية جيدة عن اجتماع الانصار في سقيفة بني ساعدة وترشيحهم لزعيمهم سعد بن عبادة ، الا انهم بوغتوا من ابي بكر و عمر وابي عبيدة بن الجراح الذين ابلغهم معن بن عدي [١] ، وكانوا قبل ذلك في حجرة النبي ﷺ حيث فاضت روحه الطاهرة .

استطاع ابن عبد ربه وهو يروي عن المقبري ان يعطي موجزاً عمّا جرى من جدل بين المهاجرين والانصار لا يختلف كثيراً عمّا موجود في المصادر التاريخية الاخرى حيث تمكن عمر ان يحسم الامر لصالح ابي بكر ، فاقبل الجميع على بيعته حتى وطئوا سعد ، وكانَ يومئذٍ متكئاً على وسادة وبهِ الحمى . فقال قائلهم : قتلتمْ سعد . فقال عمر : أقتلوه قتله الله فانهُ صاحب فتنة ، فخرجَ سعد ولم يبايع [٢] . وبهذا تكون حملة الانصار قد انتهت دون ان تسفر عن شيء يُذكرْ ليظهر بعدها سعد مفارقاً للجماعة بسبب عدم بيعتهِ لابي بكر .

يبرز هنا سؤالٌ ملحٌّ هو اذا كان ابو بكر قد ارسل في طلب مَن تخلّفوا عن بيعته في بيت فاطمة وجيءَ بهم مكرهين فبايعوا ، فلماذا لم يفعل الشيء نفسهُ معَ سعد؟. لم يتطرق ابن عبد ربه الى ذكر ما جرى من جدال بين سعد بن عبادة وابي بكر و عمر بعد البيعة ، بل انهُ لم يذكر الطريقة التي تعاملت فيها السلطة مع تلك المعارضة ، لكن بعض المصادر[٣] ذكرت بأنها حاولت الضغط على سعد لانتزاع البيعة منه الا ان تلكَ الطريقة لم تفلح معه مما حدا بالسلطة الى الاخذ بنصيحة بشير بن سعد الانصاري [٤] حين قال:" يا خليفة رسول الله إنه قد أبى ولج وليس بمبايعكم أو يقتل ولن يقتل حتى يُقتل معه ولده وعشيرته ولن يُقتلوا حتى تُقتل الخزرج ولن تُقتل الخزرج حتى تُقتل الأوس، فلا تحرّكوه فقد استقام لكم الأمر فإنه ليس بضاركم إنما هو وحده ما ترك ".

(١) هو معن بن عدي بن الجد بن عجلان بن ضبيعة البلوي. من بلي بن الحاف بن قضاعة. حليف لبني عمرو بن عمرو الأنصاري، والجد يكنى أبو عدي فهو معن بن عدي بن أبي عدي، شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم وقتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آخى بينه وبين زيد بن الخطاب فقتلا جميعاً يومئذ . يُنظْر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٤ / ١٤٤١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٤ / ٤١٥.

(٢) المسعودي ، مروج ، ٢ / ٢٤٤ .

(٣) قارن : ابن سعد ، الطبقات ، ٣ / ٦١٧ ؛ ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ١ / ٢٧ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٣ / ٢٢٢ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ١٩٢ .

(٤) هو بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد بن مالك الاغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الانصاري . امهُ انيسة بنت خليفة بن عدي بن عمرو بن امرؤ القيس بن مالك بن الاغر . يكنى ابو النعمان . كان ممن كتب بالعربية في الجاهلية والاسلام . شهد العقبة مع السبعين من الانصار . وشهدَ بدراً واحد والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ . ثم شهد السقيفة فكان اول من بايع ابا بكر . قُتِلَ شهيدا بجيش خالد بن الوليد في عين التمر سنة اثنا عشرَ للهجرة . ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ٣ / ٥٣١ - ٥٣٢ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ٣/ ٣٣ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ١٠ / ٢٨٢ .

ومن خلال هذه الرواية يتضح ان معارضة سعد تختلف اختلافاً جذرياً عن معارضة علي بن ابي طالب في الدافع والاسلوب اذ قد يتحوّل الضغط على سعد – كونهُ زعيماً من زعماء الانصار – الى صدامٍ مسلح بينهم وبين السلطة ، لذا اكتفت بعدم اجباره على البيعة على الاقل في خلافة ابي بكر ، ولكن الحال تغير في خلافة عمر فقد اورد ابن عبد ربه رواية ثانية عن الزهري حدد فيها مصير سعد قالَ فيها [١]: " واما سعد بن عبادة فانهُ رحلَ الى الشام " ، الا انهُ لم يعطِ سبباً ولا توقيتاً لتلكَ الرحلة . وهل كانت في عهد ابي بكر ام في عهدِ عمر ؟ .

بينما نجد ان ابن سعد [٢]اورد رواية عن محمد بن عمر اوضح فيها مصير سعد بعدَ تولي عمر الخلافة فقال : " ... فلما ولي عمر لقيهُ ذات يوم في طريق المدينة فقال: إيه يا سعد، فقال سعد: إيه يا عمر، فقال عمر: أنت صاحب ما أنت صاحبه؟ فقال سعد: نعم أنا ذاك وقد أفضى إليك هذا الأمر، كان والله صاحبك أحب إلينا منك وقد والله أصبحت كارها لجوارك. فقال عمر: إنه من كره جوار جاره تحول عنه، فقال سعد: أما أني غير مستأنسٍ بذلك وأنا متحول إلى جوار من هو خير منك. قال فلم يلبث إلا قليلا حتى خرج مهاجرا إلى الشام في أول خلافة عمر بن الخطاب فمات بحوران " .

ان هذه الرواية تعطي تفصيلاً كاملاً لما آل اليه حال سعد في خلافة عمر . كما انها تشير – ومن طرفٍ خفي – الى ان السلطة كانت تراقب سعد وتريد بيعتهِ باي طريقة ، فان لم يتيسر ذلك فإسكاته وابعادهِ عن الساحة السياسية افضل لها ، لذا يمكن اعتبار تلك الرواية مقدمة لرواية المؤلف التي قال فيها : " ان عمر بن الخطاب بعث رجلاً إلى الشام ... " . وهذا يشير الى تجدد موقف سعد في اظهار معارضتهِ للسلطة بعد انتقالها لعمر فكان نتيجة ذلك ارتحاله الى الشام .

اورد المؤلف ثلاث روايات حدد فيها مصير سعد بعد ارتحالهِ الى الشام وهيَ:-

الاولى : رواية [٣] هشام الكلبي[٤] التي قال فيها : " ان عمر بن الخطاب بعث رجلاً إلى الشام فقال: ادْعُه [يقصد سعد] إلى البَيعة واحمل له بكل ما قَدرت عليه، فإن أبى فاستعن اللهَ عليه.

(١) العِقد ، ٤ / ٢٤٩ .

(٢) الطبقات ، ٣ / ٦١٧ .

(٣) العِقد ، ٤ / ٢٤٩ .

(٤) هو هشام بن محمد بن السائب بن بشر بن زيد بن عمرو بن الحارث الكلبي والمعروف بأبن الكلبي . ولِد نحو مائة وعشرة للهجرة .النسابة الاخباري العالم بالأيام وأخبار العرب ووقائعها ومثالبها. ، صاحب التصانيف والكتب التي زادت على المئة وخمسين مصنفاً ، متفق عليه في النسب والتاريخ واخبار العرب ومختلفُ عليه في الحديث بحيث يلاحظ التناقض المذهبي فقال ابن عساكر رافضي ليسَ بثقة ، في حين وثقهُ الخوئي وعدهُ من رجال جعفر بن محمد الصادق . توفي في الكوفة سنة ستّ ومائتين، وقيل سنة أربع ومائتين. ينظر : النجاشي=

فقَدم الرجل الشام، فلقيه بحُوران في حائطٍ [١] ، فدَعاه إلى البيعة، فقال: لا أبايع قُرشياً أبداً. قال: فإني أقاتلك. قال: وإن قاتلتَني! قال: أفخارج أنت مما دخلتْ فيه الأمة؟ قال: أمّا من البَيعة فأنا خارج. فرَماه بسَهم، فقتله " .

الثانية : رواية [٢]ساقها المؤلف عن ميمون بن مهران[٣] عن ابيه قال : " رُمي سعد بنُ عبادة في حمّام بالشام، فقُتل " . وربما تكون هذه الرواية هي تتمة للرواية الاولى ، اذ قد يكون الرجل الذي بعثهُ عمر قد امهل سعد حتى خلا بنفسهِ فسدد عليه ورماه فقتله .

الثالثة : رواية [٤]عن سعيد بن أبي عَروبة [٥] قال فيها : " رُمي سعد بن عُبادة بسهم فوُجد دفينا في جسده. فمات، فبكته الجنّ، فقالت:

وقَتلنا سيّد الخَزْ رج سعدَ بن عُبادة

ورَميناه بسهمي نِ فلم نخطئ فُؤاده

وعلى الرغم من اتفاق اغلب المصادر [٦] على هذه الروايات الا ان ابن سعد تميز في اعطائه رواية اكثر تفصيلاً ، وهو يرويها عن يحيى بن عبد العزيز بن سعيد بن سعد بن عبادة [٧]

=،الرجال، ٤٣٤ ؛ الذهبي ، العبر ، ١ / ٢٧١ ؛ الخوئي ، ابو القاسم ، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة ، ٢٠ / ٢٥٣.

(١) حائط : ذكرت كتب اللغة ان الحائط هو الجدار الذي يُحاط به شيء ما ، الا ان ابن شبة ذكر الحائط على انه بُستان . ينظر: تاريخ المدينة ،٢٧٩/٣.وانظر أيضاً : الفارابي ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،٦٠٩/٢.

(٢) العِقد ، ٤ / ٢٤٩ .

(٣) هو ميمون بن مهران بن الجزري أبو أيوب مولى بني اسد الرقي . كان من سبي اصطخر . يقال انهُ مولى للأزد ويقال لباهلة . يعد في اهل الجزيرة . ولدَ سنة اربعين وفدَ على عمر بن عبد العزيز. سمعَ ابن عمر وابن عباس وام الدرداء وسمعَ عنهُ جعفر بن برقان والاعمش وجماعة ، كان ثقة كثير الحديث . توفي سنة مائة وثمان عشر وقيل سنة مائة وسبع عشر . ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير، ٧ / ٣٣٩ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٦١ / ٣٣٦ ؛ السيوطي ، طبقات ، ١١ / ٢٧٥.

(٤) العِقد ، ٤ / ٢٤٩ .

(٥) اسمهُ مهران اليشكري مولاهم ابو النظر العدوي شيخ البصرة وعالمها واول من دون العلم بها وقيلَ انهُ اول من صنف بالعراق . روى عن ابي رجاء العطاردي و ابن سيرين والحسن البصري واخرين كثر . تغيرَ حفظه قبلَ موتهِ بعشر سنين . توفيَ سنة ست وخمسين ومائة . ينظر : الذهبي ، العبر ، ١ / ١٦٣ ؛ ابن حجر ، لسان الميزان ، ٧ / ٢٣٠ ؛ السيوطي ، طبقات الحفاظ ، ١ / ٨٥.

(٦) ينظر: البلاذري ، انساب ، ١ / ٢٥٠ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٢ / ٥٩٩ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٢٠ / ٣٦٥ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، ٤ / ٢٠٠ ؛ ابن الاثير ، اسد الغابة ، ١ / ٤٢٩ ؛ المزي ، تهذيب الكمال في اسماء الرجال ، ١٠ / ٢٨١ ؛ اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، ١ / ٦٢ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٩ / ٦٠٨.

(٧) لم اعثر لهُ على ترجمة فيما تيسر لي من مصادر.

الذي قال [١]: " توفي سعد بن عبادة بحوران من أرض الشام لسنتين ونصف من خلافة عمر. قال محمد بن عمر: كأنه مات سنة خمس عشرة. قال عبد العزيز: فما علم بموته بالمدينة حتى سمع غلمان في بئر منبه أو بئر سكن وهم يقتحمون نصف النهار في حر شديد قائلا يقول من البئر: قد قتلنا... [الابيات] ، فذعر الغلمان فحفظوا ذلك اليوم فوجدوه اليوم الذي مات فيه سعد فإنما جلس يبول في نفق فاقتتل فمات من ساعته، ووجدوه قد اخضر جلده " .

والواضح من هذه الرواية انها تتهم صحابياً جليلا من النقباء كسعد بن عبادة وتصفهُ بإتيانه امر نهى عنهُ النبي ﷺ ، لا لشيء الا لكونهِ لم يبايع ابا بكر .

اذاً فبالرغم من اعطاء ابن عبد ربه مادة تاريخية جيدة عن معارضة سعد بن عبادة لبيعة ابي بكر، لكنهُ لم يضف شيئاً جديداً ، كما انه عاد وشذب اسناده ، ثمَ ابتعد عن ذكر الروايات الاكثر تفصيلاً ، وهذا ما فعلهُ في مروياته السابقة .

اتفقَ بعض المؤرخين والمفكرين المحدثين [٢] على ان حادثة مصرع الصحابي سعد بن عبادة ماهيَ الا من تدبير السلطة أي ان اغتياله كان سياسياً بامتياز ، الغرض منه هو انهاء معارضتهِ . كما ان هذا الاغتيال يُعدَ الاول من نوعهِ في تاريخ الاسلام . اما الابيات التي نُسِبَت للجن فإنها تبين لنا مدى تمكن السلطة من التخلص من المعارضين لها مستغلةً الاوهام الشعبية السائدة كغطاء لها ، والا كيف تمكنَ الجن من قتلِ رجلِ فترميه بسهمين لكونهِ تبولَ من قيام وهذا الامر مكروه في الشريعة ، فكأنها ارادت ان تحقّر من شأن سعد حتى لا يكون في المستقبل عنواناً لمن ارادَ ان ينهج نهجه فتأتي الايام بما لا يحمد عقباه .

اما بالنسبة الى المعارضات الفردية [٣] التي حدثت في بداية خلافة ابي بكر فلم يذكر منها ابن عبد ربه سوى معارضة ابي سفيان صخر بن حرب .التي تمكنت السلطة من اسكاتها عن طريق اطلاق يده فيما جمع من صدقات.

(١) الطبقات ، ٣ / ٦١٧ .

(٢) القمي ، بيت الاحزان ، ١ / ٥١ ؛ العسكري ، مرتضى ، احاديث ام المؤمنين عائشة ، ٢ / ١٢٧ ؛ طه حسين ، كتاب في الشعر الجاهلي ، ٢٣ ؛ الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ٩ / ٥٠ ؛ العلوي ، هادي ، الاغتيال السياسي في الاسلام ، ٢٩.

(٣) ينظر :الجدول رقم (١) .

المبحث الثاني

حركات المعارضة المُسلّحة (١١ – ٢٣ هـ/٦٣٣ – ٦٤٤م) .

خلال تلكَ المرحلة المبكرة من تاريخ الدولة العربية الاسلامية التي تزامنت مع قيام خلافة ابي بكر ومن بعده خلافة عمر لم تقتصر المعارضة على الحركات غير المسلحة وانما رافقتها حركات معارضة اخرى لجأت الى اشهار السلاح بوجه السلطة تعبيراً عن رفضها لقيام تلكَ السلطة او للطريقة التي تمخضت عنها ، وقد رصد ابن عبد ربه في كتابه حركتان هما:

أ- حركات أهل الردة(١١هـ/٦٣٣ م) ..

يطلق مصطلح الردة على الحركة التي انتشرت بينَ القبائل العربية غداة وفاة الرسول ﷺ للتنصل من التزاماتها السابقة مع المدينة ، لذا كانت المهمة الاولى التي تنتظر ابا بكر بعد توليه الخلافة هي قمع العصيان وارجاع القبائل التي اعلنته الى ما كانت عليه من طاعة زمن النبي ﷺ[١] ، لذلك اقدم الخليفة ابو بكر على تعبئة الناس وارسال البعوث الى جهات مختلفة من الجزيرة العربية حتى تمكن اخيراً من ارجاع تلك القبائل الى حضيرة الاسلام مرة اخرى .

لم تكن منهجية ابن عبد ربه في ايراد اخبار الردة واضحة ، فقد كانت الروايات التي انتقاها عنها قليلة ومبهمة بعض الشيء لدرجة انها لم تُفَصّلْ ما جرى من احداث تاريخية على منوال ما فعلَ في معرض حديثه عن معارضتي علي بن ابي طالب وسعد بن عبادة ، بلْ انهُ اقتصر في مروياتهِ على ذكر اسماء شخصيات فقط دون التطرق الى ما دار من احداث تاريخية صنعتها تلك الشخصيات او كانت طرفاً اساسياً فيها . أي انهُ اورد أخباراً لم تعالج قضايا الردة بشكل مستقل ، بل انها أُدرِجَت في سياق كلامه عن احداث اخرى غير الردة وهي:-

١- ذِكرِ خبر الفجاءة السلمي [٢] .
٢- وصية ابي بكر لخالد بن الوليد لما وجههُ لقتال اهل الردة .
٣- ندامةُ ابي بكر عن عدم مكوثهِ في معسكر ذي القصة [١] .

---

(١) شوفاني ، الياس ، حروب الردة ، ١٠٣.

(٢) وأسمه اياس بن عبد الله بن الفجاءة السلمي ، كان قد قدمَ على ابي بكر فأسلمَ وطلبَ سلاحاً فزوده بهِ ، ثم بلغ ابو بكر بان ابن الفجاءة يقطع بهِ الطريق ويخيف السبيل ، فبعثَ لهُ جماعة تمكنوا منه واحضروه الى ابي بكر فأمر بأحراقه حياً . ينظر : اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ١٣٤ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٣ / ٢٦٥ ؛ ابن اعثم ، الفتوح ،١/ ٩ – ١١؛ ابن الاثير ، الكامل ،٢ /٢٠٧ .

٤- مرثيات متمم بن نويرة لأخيه مالك [٢] .

٥- اخبار متفرقة ذكرت اسماء بعض المرتدين في حديثه عن انساب القبائل .

ولو تأملنا المنهجية التي اتبعها المؤلف مع هذه الروايات نجد انهُ اوردَ رواية واحدة دمجَ فيها الخبرين الاول والثاني وهذه الرواية هي رواية ابي صالح [٣] التي يرفعها عن عبد الرحمن بن عوف [٤] الذي عاد ابا بكر في المرض الذي توفي فيه . وقد تحدثت هذه الرواية في جزئها الاخير عن ندامة ابي بكر عن اشياء فعلها في خلافته كان من بينها قتلهِ الفجاءة السلمي ، وعدم مكوثهِ في معسكر ذي القصة .

(١) وهو المكان الذي اجتمعت فيه القبائل المرتدة وهي : أسد وغطفان وطيء ومرة وعبس وناس من بني كنانة فارسلوا الى أبى بكر على أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة ، فزحفَ لهم بجيشهِ ليلاً فما طلع الفجر إلا وهم والعدو على صعيد واحد فاقتتلوا في أعجاز ليلتهم فما ذر قرن الشمس حتى ولوهم الادبار وغلبوهم على عامة ظهرهم وقتل حبال وأتبعهم أبو بكر حتى نزل بذى القصة وكان أول الفتح . ينظر : الطبري ، تاريخ ، ٣ / ٢٤٤ – ٢٤٥ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٤٣٨/١ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ٢٠٢ .

(٢) هو مالك بن نويرة اليربوعي جعلهُ النبي ﷺ على صدقات بني حنظلة ، فلما توفي النبي ﷺ أبطأ في حمل تلك الصدقات الى المدينة فكتب ابو بكر إلى خالد بن الوليد أن ينكفئ إلى مالك بن نويرة ، فبعث خالد إلى مالك بن نويرة سرية فيهم أبو قتادة، فساروا يومهم سراعاً حتى انتهوا إلى محلة الحي فأسروهم وقدموا بهم الى خالد ، وكان في جمعهم زوجة مالك ليلى بنت المنهال ، فلما رآها خالد أعجبته فقال: والله لا نلت ما في مثابتك حتى أقتلك ، فحدث أبو قتادة خالداً أن لهم أماناً وأنهم قد ادعوا إسلاماً، وخالف أبو قتادة جماعة السرية فأخبروا خالداً أنه لم يكن لهم أمان ، وإنما سيروا قسراً، فأمر بهم خالد فقتلوا وقبض سبيهم، فركب أبو قتادة معترضا وسار الى أبي بكر فاخبره . وقدم متمم بن نويرة فأنشد أبو بكر مندبة ندب بها أخاه، وناشده في دم أخيه وفي سبيهم، فرد إليه أبو بكر السبي، وقال لعمر وهو يناشد في القود: ليس على خالد ما تقول، هبه تأول فأخطأ . اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ١٣١ – ١٣٢ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٣ / ٢٧٩ – ٢٨٠ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير الاعلام ، ٣ / ٣٤ .

(٣) من الرواة المُبهمين . ينظر: جدول رقم (٣)

(٤) هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري. كان اسمهُ في الجاهلية عبد الحارث وقيلَ عبد عمرو فسماهُ النبي ﷺ بعبد الرحمن . ولد بعد عام الفيل بعشر سنين . قُتِلَ ابوهُ في الجاهلية . كان بهِ برش وقيلَ رخصَ لهُ النبي لبس الحرير لذلك . من اوائل المهاجرين للمدينة . كان في الستة الذين ذُكِروا للشورى . كان تاجراً مبرزاً في الجاهلية وتضاعفت ثروته بعد الفتوحات حتى قيلَ انهُ تركَ ذهباً يكسر بالفؤوس توفي في خلافة عثمان مغاضباً له سنة اثنين وثلاثين عن خمسٍ وسبعين سنة . ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ٣ / ٧٢ ؛ خليفة ، طبقات ، ١ / ١٣٢ ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ١ / ٢٣٦ .

اما مرثيات متمم بن نويرة فقد تعاملَ معها المؤلف على انها اجمل ما قيل في المراثي[١] ، ولكون كتابه كتاب ادب فقد حرص على ايرادها من باب الادب لا التاريخ بدليل انهُ ادرجها تحت عنوان : من رثى اخوته . في حين كانت اخباره التي ذكر فيها اسماء بعض المرتدين من قبائل العرب جاءت ضمن باب انساب القبائل، وجميعها غير مسندة.

وبالنسبة للأخبار المتفرقة للمرتدين فان مجرد ذكر المؤلف لهذه الشخصيات في مواقع متفرقة من كتابه دليلُ على انهُ قد احاطَ خبراً بما آل اليه امرهم لكنهُ لم يتصدَ لذكر هذه الاخبار كاملةً بل انهُ اشار اليها من بعيد .فما سبب ذلك؟

ان هذه الضبابية التي تميزت بها منهجية المؤلف في حديثهِ عن الردة تجعلنا نجزم بانهُ لم يعط الموضوع اهمية تذكر في كتابه . وهذا الامر يتركنا امام تساؤل ملحٍ جداً ، وهو لماذا لم يهتم المؤلف بهذا الموضوع على الرغم من وروده في جميع المصادر التاريخية الاخرى ؟ .

ان السبب في اتباع المؤلف تلك المنهجية يرتبط بعصره والمرحلة التاريخية التي عاش فيها ، وهي القرن الثالث الهجري ، اذ انها مرحلة انصرف فيها الناس في حديثهم الى اهتمامات اخرى غير الردة واخبار المتنبئين الساذجة ، بلْ ان اغلبهم كانَ لهُ ولعُ شديد في ذكر اخبار الخلفاء وطبيعة الاحداث التي واجهت كل خليفة فضلاً عن المقارنة بين خليفة واخر والاهتمام المتصاعد بذكر اخبار الخليفتين عثمان وعلي والمشاكل التي مرت بها خلافة علي وصراعهِ مع معاوية وهيَ بمجملها اخبار خصص لها المؤلف مساحة واسعة في كتابهِ ، ناهيك عن اخبار الخوارج فثوراتهم المستمرة زمانياً والمنتشرة مكانياً ضد الامويين والعباسيين ومعاركهم المشهورة بالاستبسال والشجاعة والفناء في الهدف والمبدأ تحولت الى امثال تضرب في التحدي والاباء [٢] . كما ان الحديث عن اخبار القبائل المرتدة فقدَ اهميتهُ كون تلك القبائل عادت ودخلت الاسلام مرة اخرى ، وشاركت في الجهاد والفتح ، فلم تكن هناك تبعات جانبية مترتبة على ارتدادها ، على العكس من باقي الاخبار التي ظلت مواضيعها محل اشكال وخلاف أمتد لعهود متواصلة .

وارى ان هناك سبباً اخر كان وراء اتباع المؤلف لهذه المنهجية في حديثهِ عن الردة وهو العصبية القبلية التي كانت ظاهرة في المشرق ثم ما لبثت ان انتقلت الى الاندلس . التي عملت عملها في تفتيت وحدة العرب الى يمانيين وقيسيين يتنازعون في كل شيء [٣] . وقد لعبت سياسة بعض الولاة في الاندلس دوراً كبيراً في تأجيج نيران هذه العصبية عن طريق ميلهم الى فريق دون

(١) العِقد ، ٣ / ٢٥٩ .

(٢) عمارة ، محمد ، تيارات الفكر الاسلامي ، ١٣ .

(٣) مؤنس ، حسين ، معالم تاريخ المغرب والاندلس ، ٢٤٢ .

اخر وتقديمهُ عليه[١] . وكانت هذه العصبية تبعث نفسها في المجتمع الاندلسي كلما وجدت الى ذلك سبيلاً على الرغم من بذل بعض الامراء الامويين جهوداً حثيثة في القضاء عليها .

وتبعا للأسباب السالفة الذكر فقد اراد المؤلف الابتعاد عن كل ما يثير الشبهة في نظره او يتسبب بفوضى اجتماعية قد تعاقب عليها السلطة ، فأي شيء يثير انتباه العرب مثلَ الحديث عن القبائل وتفضيل قبيلةٍ على اخرى ! ، فامر الردة شاركت فيهِ اغلب القبائل المضرية والقيسية على حد سواء فلا داعي لأثارة هذا الموضوع الحساس اذا كان يؤلب الناس بعضهم على بعض .

ب- اغتيال الخليفة عمر بن الخطاب [٢٣ هـ/ ٦٤٤ م] .

توفيَ ابو بكر في السنة الثالثة عشر للهجرة فخلفهُ عمر بن الخطاب الذي لم تكن سياستهُ تختلف كثيراً عمن سبقه فكانت ادارتهُ للامة تمثل امتدادا لسياسة ابي بكر – سوى اختلافهما في بعض الامور الجزئية - ، لذا يمكن القول بان عهده كان متمماً لعهد ابي بكر الا انهُ تميز عنهُ بطول مدة حكمه وخلوها من اي حركة من حركات المعارضة العلنية الواضحة ، ولكن هذا لا يعني ان خلافته (١٣ – ٢٣ هـ / ٦٣٥ – ٦٤٥ م) كانت مستقرة تماماً كما يتصورها البعض ، فعلى الرغم من صلابة عمر وشدته وقبضه على السلطة بيدٍ من حديد ، انبثقت معارضة تختلف عما سبقها بكونها غير معلنة ومضمرة في صدور معارضيه فلما ظهرت كان الخليفة قد فارق الدنيا . وقد تجلى ذلك بوضوح في حادثة اغتياله التي كشفت الى حد بعيد مدى الاحتقان الذي كانت تعانيه فئات متعددة من المجتمع الاسلامي المتنامي في عهده .

أورد ابن عبد ربه [٢] رواية واحدة عن مقتل عمر بن الخطاب وهو يوردها عن ابو الحسن المدائني [٣] ذكر فيها ان للمُغيرة بن شُعبة غلام نَصراني يقال لـه: فَيْروز أبو لؤلؤة، وكان نجَّاراً

(١) ديودار ، حسين يوسف ، المجتمع الاندلسي ، ٩٣ .

(٢) العقد ، ٤ / ٢٦١ .

(٣)هو علي بن محمد بن عبد الله بن ابي سيف المدائني مولى عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، ولِد سنة خمسُ وثلاثين ومائة للهجرة ، روى عن الزبير بن بكار و احمد بن ابي خيثمة والخراز والحارث بن ابي اسامة وغيرهم ، كان مولدهُ ومنشأهُ بالبصرة ، ثم صار الى المدائن ثم الى بغداد فلم يزل بها الى ان مات واتصل باسحاق بن ابراهيم الموصلي فكانَ لا يفارق منزله وفي منزله كانت وفاته و كان ثقةً . هو صاحب الكتب المصنفة ، عالماً بأيام الناس واخبار العرب وانسابهم ، عالماً بالمغازي ورواية الشعر صدوقاً في

لطيفاً، وكان خِراجُه ثقيلاً[١]، فشكا إلى عمر ثِقل الخراج، وسأله أن يكلِّم مولاه أن يُخفِّف عنه من خراجه، فقال له: وكم خِراجك؟ قال ثلاثة دراهم في كل شهر. قال وما صناعتُك؟ قال: نجَّار. قال: ما أرى هذا ثقيلاً في مثل صناعتك. فخرج مُغضَباً، فاستلّ خِنْجراً محدودَ الطَّرفين. وكان عمر قد رأى في المَنام ديكاً أحمر ينقره ثلاث نَقرات، فتأوله رجلاً من العجم يَطعنه ثلاثَ طَعنات. فطعنه أبو لُؤلؤة بخِنْجره ذلك في صلاة الصُّبح ثلاثَ طَعنات، إحداها بين سرُّته وعانته، فخرقت الصِّفاق، وهي التي قتلته. وطُعن في المسجد معه ثلاثةُ عشر رجلاً، مات منهم سَبعة. فأقبل رجلٌ من بني تميم، يقال له حِطَّان، فألقى كِساءه عليه ثم احتضنه. فلما علم العِلج أنه مأخوذ طَعن نفسه وقدَّم عُمر صُهيباً يصلِّي بالناس، فقرأ بهم في صلاة الصُّبح: " قل هو الله أَحد " في الرَّكعة الأولى، و " قُل يأيّها الكافرون " في الرّكعة الثانية. واحتُمل عمر إلى بيته، فعاش ثلاثةَ أيام ثم مات .

على الرغم من ايراد المؤلف رواية واحدة عن مقتل عمر بن الخطاب الا ان تلك الرواية لاتشتمل على تفاصيل دقيقة عن الاسباب التي افضت الى اغتيال الخليفة أو حتى مقدمات تلك الحادثة في ذلك اليوم، وجل ما ذكرهُ هو روايات مقتضبة حاول ان يقحمها في رواية واحدة تناقضت بإشارات مختلفة مع ما موجود من مرويات في المصادر الاخرى [٢] ، فقد ذكرت الروايةَ ان الغلام كان نجاراً بينما اجمعت المصادر السالفة بانه كان نجاراً حداداً نقاشاً ، كما ان الرواية لم تذكر عدد المرات التي كلم بها الغلام الخليفة عمر كي يضع من خراجه ، ولا طلب عمر منه بان يصنع لاهله رحى ، ثم انها ذكرت رؤيا لعمر بأن ديكاً أحمراً ينقره وهذه رواية اخرى مستقلة ، كما لم تذكر الرواية الطريقة التي دخل بها الغلام الى المسجد وكيف استتر به فضلاً عن ذكرها بأن الذي صلى بالناس صهيباً الرومي بينما اتفقت المصادر على انهُ عبد الرحمن بن عوف . كذلكَ اغفلت الرواية ذكر الذين أُخِذُوا بدمِ عمر بينما حددت المصادر الآنفة نفسها ابا لؤلؤة [٣] و الهرمزان [١] فضلاً عن

ذلك ، توفيَ في السنة الخامسة والعشرينَ بعد المئتين، ولهُ ثلاثُ وتسعون سنة . ينظر : ابن النديم ، الفهرست ، ١ / ١٣٠ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٥٤/١٢ ؛ الحموي ، معجم الادباء ، ١ / ١٨٥٢.

(١) لم أجد تفسيراً دقيقاً لذلك الخراج ، الا ان المقصود به - بحسب السياق العام للنص – قد يكون الضريبة بشكلها العام .

(٢) ينظر: ابن سعد ، الطبقات ، ٣ / ٣٤٦ و ٣٤٧ ؛ ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ١ / ٣٩ ؛ البلاذري ، انساب ، ١٠ / ٤١٣ – ٤١٤ و ٤٢٢ - ٤٢٣ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٤ / ١٩١ ؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ١ / ٣٢٣ ؛ ابن حبان ، السيرة ، ٢ / ٤٩٥ – ٤٩٦ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ٤٢٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٧ / ١٣٧ .

(٣) اسمهُ فيروز مجوسي الاصل رومي الدار نصراني الديانة ، وقع في سهم المغيرة بن شعبة من سبي نهاوند . للاستزادة ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٧ / ١٣٧ .

وجفينة [٢] ، ولعل اجماع تلك المصادر عليهم كون الثلاثة تجمعهم قومية و ثقافة واحدة لذا فقد كان بينهم نوع من الالفة [٣] ، يضاف الى ذلك ان ابا لؤلؤة وجفينة كانا على دين النصرانية ، لذا فمن الطبيعي جداً ان يأوي بعضهم الى بعض فقد كانت العجم في بالمدينة يستروح بعضها الى بعض [٤] فما الامر الا كما قال الشاعر[٥] :

اجارتنا إنّا مقيمان ها هنا وكل غريب للغريب نسيبُ .

ورغم تعدد الروايات وتشعبها في اعطاء تفاصيل متنوعة لمقتل الخليفة عمر ، الا ان الشبهة تبقى تحوم فوق جماعة تعددت ميولهم واتجاهاتهم ، وهناك اشارة تجعلنا نفكر بهذه الطريقة فقول عبيد الله بن عمر: " والله لاقتلن رجالاً ممن شركوا في دم ابي يعرض بالمهاجرين والانصار" [٦] ، وكأنهُ على يقين من ان مقتل ابيه جرى بتدبير جماعة من المسلمين ، والحقيقة ان عمر نفسه استغرب من هذا الاعتداء وطلب من ابن عباس ان يخرج ويسأل المهاجرين والانصار بقوله : " يا ابن عباس اخرج فنادى في الناس أعن ملأٍ منكم هذا " [٧] .

فاذا كان الامر بهذا الحال والتهم ماضية على اشدها فمن يكون وراء هذا العمل الشنيع ؟ .
وللإحاطة اكثر بملابسات هذه القضية علينا التعرف اولاً على الطبقة المعارضة لخلافة عمر بن الخطاب منذ البداية فقد عُرفَ عن عمر عدم انسجامه مع سادات قريش، فلم يعمد الى تالفها بالمناصب وهو امرُ سار عليه النبي ﷺ ، ومن بعدهِ الخليفة ابو بكر ، ولعلهُ اتبعَ ذلكَ من باب حفظ التوازنات لا غير ، فلما كانت خلافته لم يتردد في قهر هذه الطبقة وحملها على ما تكره [٨] ، اما

(١) الهرمزان – هو قائد عسكري فارسي قاتل في الاهواز ، ثم ظفر به المسلمون بتستر بعد وقعات أسرِ في اخرها واعطي بيده على الرضا بحكم عمر ، فجُلِبَ الى المدينة ومكثَ بها ولازم عمر حتى يومَ مصرعه. ينظر : مسكويه ، تجارب ، ٢٣٧/١ ؛ ابن كثير، البداية ، ٨٧/٧.

(٢) كان رجل نصرانيا من اهل الحيرة ، قيل بانه ظهيراً لسعد بن ابي وقاص جلبهُ الى المدينة لتعليم الصبيان القراءة والكتابة . ينظر : مسكويه ، تجارب الامم وتعاقب الهمم ، ٤ / ٢٤٠ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٧ / ٤٤٧ .

(٣) انفرد ابن كثير بإيراد رواية اكد فيها على حسن اسلام الهرمزان وانهُ كان لا يفارق عمر حتى قُتلَ فاتهمهُ بعض الناس بممالأة ابي لؤلؤة هو وجفينة فقتلهما عبيد الله بن عمر ، فلما علا الهرمزان بالسيف قالَ : لا اله الا الله . البداية والنهاية ، ٧ / ٨٨ .

(٤) الطبري ، ٤ / ٢٤٣ .

(٥) البيت لأمرؤ القيس . ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، ٩ / ١٩١.

(٦) ينظر: البلاذري ، انساب ، ١٠ / ٤٣٣ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٤ / ٢٣٩ ؛ ابن الاثير ، الكامل ،٤٥٥/٢.

(٧) ابن سعد ، الطبقات ، ٣ / ٣٤٨ ؛ ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ،١/ ٤٣ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٤ /٢٤١ .

(٨) ذكرَ الطبري ان عمر بن الخطاب سجنَ ابا سفيان حتى يفي بمال اقترضته زوجتهُ هند من بيت المال لتجارة تتجرها في بلاد كلب فأبطأت في تسديده . ينظر : تاريخ ، ٤ / ٢٢١ .

بالنسبة الى عمالهِ على الامصار فقد اتبع طريقة في توليتهم على الامصار لم يتبعها سلفهُ فكانَ اذا ولى عاملاً كتبَ ماله وقد قاسم غير واحدٍ منهم ماله [١]. ولاشك ان هذه الطريقة تترك من الضغينة في نفوس هؤلاء فتجعل منهم كارهين لسلطته [٢]. اما عن علاقته بكبار الصحابة فقد منعَ جماعةً منهم من الخروج الى الامصار [٣] ، فضلاً عن كونهِ خسر دعم قبيلتهِ (بنو عدي) لحجبها عن الانتفاع بخلافته [٤].

كل هذه الاسباب جعلت قاعدة المعارضة ضد سلطة عمر تتسع يوماً بعد يوم ، ثمَ انهُ اضاف للمجموع قاعدة عريضة من المسلمين بعد ان صرح في سنتهِ الاخيرة بانهُ سيعدل عن توزيع العطاء وفق مبدأ المفاضلة و العودة بهِ على اساس التسوية [٥] ، وهذا هو اخطر ما في الامر ، لان خبراً كهذا يجن لهُ جنون الناس وهو كفيل بأن يغير مجريات الاحداث بالضد من مصلحة الخليفة ،بدليل ان عمر لم يستقبل سنته التي وعد الا وهو مقتول [٦] . وما ذكرناه قد يجمع خيوط مؤامرة خفية تكون حيكت من خارج المجموعة الفارسية الصغيرة التي اتهمت بالتواطؤ مع ابي لؤلؤة ، ولعلَ عبيد الله بن عمر كانَ قد أحسَّ بشيء من هذا القبيل فهددَ بقتل من شركَ بدم ابيه ، لكنَ الاسراع بألقاء القبض عليه واسكاته حال دون معرفة تلكَ الاسماء [٧] .

كانت تراكمات سياسة عمر بن الخطاب سبباً مباشراً في تحديد مصيره ، ولعلنا لا نعدو الصواب اذا قلنا ان سياسته كانت قائمة على اساس خلق العدو [٨] ممن تعددت ميولهم واتجاهاتهم فمنهم من كره ولايته ومنهم من حنق عليه لكونه حطّ من قدره ومنهم من بغضهُ لكونه شاطره ماله ومنهم من تحامل عليه لكونه هددَ بانقاص عطائه ، لذا فقد تضافرت جهود الجميع واجمعت على التخلص منه ولعل رواية الطبري [٩] عن الشعبي بان عمر سئمَ قريش وسئمته تنطبق كلياً على ذلك ، لذا فقد قرر جماعة منهم التخلص منه قبلَ أن يأتي بعمل يكون سنة لمن بعده ، وما ابو لؤلؤة الا اداة التنفيذ ، ولكن ورغم وضوح كل هذه الاسباب لم تعطِ المصادر التاريخية اكثر من ذلك بل على

(١) ومنهم سعد بن ابي وقاص وابو هريرة ومعاذ بن جبل والنعمان بن عدي بن حرثان ونافع بن عمرو الخزاعي ويعلى بن منبه وعمرو بن العاص .ينظر: البلاذري ،انساب ،١٠ / ٣٦١ ؛ اليعقوبي،تاريخ،١٥٧/٢.

(٢) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١ / ١٧٥ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ١٥٨ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٤ / ٣٩٧ .

(٤) ذكر الطبري ان بني عدي طلبوا من عمر تفضيلهم في العطاء اسوة ببني هاشم وبني تيم فرفض ذلك . ينظر : تاريخ ، ٤ / ٢١٠ .

(٥) اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ١٥٤ .

(6) Siddiqi , Mazheruddin . Modern reformist thought in the Muslim world , p. 147.

(٧) العلوي ، الاغتيال السياسي ، ٤٣ .

(8) Gordon , D. Newby ,: A CONCISE ENCYCLOPEDIA of ISLAM , pp. 206 – 207 .

(٩) الطبري ، تاريخ ، ٤ / ٢٥٣ .

العكس فقد اسدلت الستار على تلك الحادثة مكتفية باتهام أولئكَ الثلاثة الذينَ قتلهم عبيد الله بن عمر لتتحول بعدها الى الحديث عن تفاصيل اختيار الخليفة من بين اعضاء مجلس الشورى السنة وفقاً لوصية الخليفة المقتول .

تكاد تجمع المصادر القديمة والحديثة على ان الدافع وراء هذه الجريمة قومي بحت فقد تمددت الدولة العربية الاسلامية في زمن الخليفة عمر شرقاً في بلاد الفرس اكثر من أي جهةٍ اخرى فكان الفرس تبعاً لذلك امةً مغلوبة ، ووفق تقاليد واعراف القرون الوسطى فان من يدخل في يد المسلمين يعامل كرق فيباع ويشترى ، فاسترق جراء ذلك اعداد غفيرة من الرجال والنساء والصبيان ، فبعث ذلك دافعاً في نفس ابي لؤلؤة وجههُ لطلب الثأر من رأس السلطة في الدولة العربية الاسلامية وهو الخليفة نفسه . الا انهُ تحايل على الخليفة فأظهرَ ظلامتهُ من سيده المغيرة بن شعبة الذي كان قد فرض عليه خراجاً ثقيلاً يدفعهُ لهُ كل يوم . وللتعرف اكثر على ملابسات هذه القضية علينا اولا معرفة قيمة ذلكَ الخراج وفقَ مقاييس ذلك العصر ، او بمعنى اخر قوته الشرائية كما يُصطلح عليه في عصرنا ، ورغم اختلاف المصادر[١] في تحديد خراج ابي لؤلؤة ، الا انه على العموم تراوح بين الدرهمين والاربعة. فما هي قيمة الدرهم (قوتهُ الشرائية) في ذلك العصر.

ذكر اليعقوبي [٢] ان الخليفة عمر بن الخطاب اعطى عثمان بن حنيف و حذيفة بن اليمان خمسة دراهم في كل يوم لقاء مسحهما ارض السواد كأجر لعملهما الشاق ومسؤوليتهما الجسيمة فمسح ارض السواد يتيح للدولة معرفة خراجها و من ثمَّ يمكن التخطيط على اساس ذلك الخراج .وهذا يعني ان الخمسة دراهم أجراً عاليا يُدفع لقاء هذا العمل المهم ، اما بالنسبة الى قيمة كل درهم فقد ذكر المقريزي[٣] ان الخليفة عمر بن الخطاب ضرب دراهماً جديدة وكان قيمة كل درهم ثلاثين رطلاً من التمر وكان ذلك سنة ثمانية عشر للهجرة ، اذا فقد كانت قيمة الدرهم كبيرة في ذلك العصر ، وعلى هذا القياس فان الخراج الذي فرضهُ المغيرة على غلامهِ هو خراجٌ ثقيلٌ وضريبة باهظة يؤديها لهُ كل يوم وهذه الضريبة او الخراج تقارب مرتباً لموظف للدولة موكل بعمل حساس كعمل ابن حنيف ، لِذا فأن المبلغ كان فعلاً ثقيلاً على ابي لؤلؤة وقد اشتكاه للخليفة فما انصفهُ ، الا ان ذلك لا يعطي مبرراً لابي لؤلؤة يسوغ لهُ قتل الخليفة .

(١) قارن: ابن سعد ، الطبقات ، ٣ / ٣٤٦ و ٣٤٧ ؛ ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ١ / ٣٩ ؛ البلاذري ، انساب ، ١٠ / ٤١٣ – ٤١٤ و ٤٢٢ - ٤٢٣ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٤ / ١٩١؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ١ / ٣٢٣ ؛ ابن حبان ، السيرة ، ٢ / ٤٩٥ – ٤٩٦ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ٤٢٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٧ / ١٣٧.
(٢) تاريخ ، ٢ / ١٥٢ .
(٣) رسائل المقريزي ، ٥.

وارى ان موضوع الاغتيال هذا يحتمل امرين :-

الاول – هو ان ابا لؤلؤة كان عبداً للمغيرة بن شعبة وهذا الاخير عُرِفَ بمكره ومكيدته ، فقد يكون الخليفة قد احتملَ عليه ضغينة واراد ان يوقع بهِ فخشى المغيرة من ذلك واجبر ابا لؤلؤة على التظلّم للخليفة بقضية كثرة الخراج الذي كان فعلاً ثقيلاً . الا انهُ دفع عمر لكي يحكم لا لهُ بل عليه بدليل ان ابا لؤلؤة ذكر جميع الصنائع التي يتقنها دون ان ينقص منها شيء . والمعروف عند المتهربين من دفع الضرائب (في زماننا)بأنهم يميلون الى ذكر ارقام اقل بكثير من ثروتهم الحقيقية لكي لا تطالهم الضرائب او تتعاظم عليهم . فلما اخبر ابو لؤلؤة الخليفة بصنائعه قال لهُ خراجكَ قليل امام ما تحسن وهنا يكون الخليفة قد بلغَ الطعم . والذي يدفعنا الى الاعتقاد بذلك هو الحاح المغيرة على الخليفة عمر باستقدام ابي لؤلؤة الى المدينة وهو امر كان قد نهى عنهُ عمر [١] .

الثاني – هو ان ابا لؤلؤة كان مدفوعاً بعاطفة جياشة تجاه ما لقيَ قومه على يد المسلمين من ذل وهوان ثم اقدام سيده على استغلالهُ ففرض عليه خراجاً ثقيلاً حاول ان يتخلّص منهُ او يقللهُ فشكى امرهُ الى الخليفة لكنهُ لم ينصفه فاقدمَ على اغتياله .

وانا كباحث اميل الى ترجيح الاحتمال الاول على الثاني كونهُ ينسجم مع جميع المعطيات التي سقناها انفاً .اما بالنسبة الى ابن عبد ربه فقد اظهر تقصيراً واضحاً تجاه تلك الحادثة بإيراده رواية ابتعدت كثيراً عما موجود في المصادر الاخرى بل انها لم تتفق معها الا بحقيقةٍ واحدةٍ هو ان الخليفة عمر قُتِل على يد غلام فارسي يدعى فيروز ابي لؤلؤة .

(١) العلوي ،الاغتيال السياسي في الاسلام ، ٤١ .

المبحث الثالث

حركات المعارضة في خلافة عثمان بن عفان
(٢٣-٣٥ هـ /٦٤٤-٦٥٦م)

لما طُعِنَ الخليفة عمر بن الخطاب على يدِ فيروز ابي لؤلؤة ، واشرفَ على الموت ، تحدث اليهِ نفر من الصحابة في امر الخلافة وطلبوا منهُ ان يستخلف ، ورغم تردده في ذلك بادئ الامر ، الا انهُ جعلها شورى في ستة من كبار الصحابة وهم : (علي بن ابي طالب، وعثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن ابي وقاص) ، على ان يتم اختيار أحدهم خلال مدة معلومة، فان لم يفعلوا او تنازعوا فيما بينهم فسيكون القتل علاجاً لذلك النزاع.

ويرى احد الباحثين [١] ان تلك الطريقة جمعت بين مساوئ التعيين و اللا تعيين بدلاً من ان تجمع محاسنهما او محاسن احداهما على الاقل فهي من جهة لم تحسم الخلاف بتعيين شخص واحد كما فعل ابو بكر ، و من جهة اخرى لم ترجع الامر الى المسلمين ليختاروا بأنفسهم الاصلح للخلافة ، بل انها حصرت الخلافة في ستة افراد صاروا فيما بعد تواقين لها متنافسين عليها . وبغض النظر عن المؤاخذات على تلك الطريقة الا انها اسفرت عن حسم امر الخلافة لصالح عثمان بن عفان ، لكنها اظهرت التحزّب والشقاق في الوقت نفسه فقد انقسم المسلمون على فرقتين : هاشمية واموية ، الاولى معارضة والثانية مؤيدة [٢] لخليفة طاعن في السن لم يكن لهُ من قوة وتجديد الشباب شيء ، الامر الذي قاد الى اتكاله على مجهود غيره من عمال عمر بن الخطاب في الامصار ، الذين استبدلهم تدريجياً بجماعة من اقاربه [٣] .

كان المسلمون قد الفوا خشونة العيش واظهارهم التقشف ولو تكلفاً مقتدين بهادي الامة النبي محمد ﷺ الذي دعا الى كبح النفس وحملها على ما تكره في المأكل والملبس ، وقد سار على نهجه الخليفة ابو بكر ، ثمَ جاءَ من بعدهِ عمر بن الخطاب الذي صادف حكمه انتعاشاً اقتصادياً – ولو بشكل متقطع – بسبب كثرة الفتوحات في عهده ، وحمل ثروات الامم المغلوبة الى المدينة المنورة مركز الخلافة الاسلامية . فما ان ابصر المسلمون طلائع النعمة وهيَ تطأ بلادهم حتى خفقت قلوبهم

(١) ينظر : الاراكي ، محسن ، نظرية الحكم في الاسلام ، ٣٦٤ .
(٢) سالم ، التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية ، ٢٩٢ .
(٣) عزل سعد بن ابي وقاص عن الكوفة ، وولى الوليد بن عقبة بن ابي معيط وكان اخا عثمان لأمه ، وعزل ابا موسى الاشعري عن البصرة و ولاها عبد الله بن عامر بن كريز ابن خاله ، وعزل عمر بن العاص عن حرب مصر وجمع الحرب والخراج لعبد الله بن ابي سرح ، اخيه من الرضاعة . ينظر : الدينوري ، ابو حنيفة ، الاخبار الطوال ، ١ / ١٣٩ ؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ٣٧٠/١ ؛ المسعودي ، مروج ، ٢ / ٢٧٢ .

لها ، وعبثاً حاول الخليفة عمر من حجبها عن المسلمين او حجزهم عنها ، فلما انقضت ايامه تنفسَ بعضهم الصعداء فقد وصلت الخلافة الى عثمان بن عفان ، الرجل الذي اشتهر من بين الصحابة بثرائهِ ، فقد كان يعيش في ترفٍ ولين ، فلم يألف ضنك العيش ولم يتسامر مع الحرمان او يتخذهُ خليلاً كما فعلَ الذي سبقه [١] .

صادفت خلافة عثمان بن عفان انهيال ثروات الشرق والغرب على مركز الخلافة الاسلامية ، فاراد ان يطرح رداء البساطة وان يكسيها ثوباً جديداً يتناسب مع ما حققتهُ من نجاحات على حساب الامم المغلوبة ، فأقدمَ على اظهار تلك النعمة بأن زاد في اعطيات الناس وسمحَ لهم ببناء القصور واتخاذ الضياع ، ومكث فيهم ست سنين لا ينقم عليهِ احد ، وانه لأحبُ الى قريش من عمر بن الخطاب لأن عمر كان شديداً عليهم فلما وليهم عثمان لانَ لهم ووصلهم [٢] .

ولعل الخليفة الجديد مال الى اقرار الملكية الخاصة ليسَ الا ، فقد تراكمت الاموال لدى بعض المسلمين بسبب تمييزهم في العطاءات على غيرهم ، وهيَ سياسة اتبعها الخليفة عمر بن الخطاب وقد خصَّ بها المقاتلة الاولى في الاسلام انطلاقاً من مبدأ التفضيل [٣] . وعلى هذا الاساس تصرفَ الخليفة عثمان ، فالإسلام رغم كونهِ اشتراكياً بصبغتهِ العامة ، الا انهُ في ذات الوقت يُقرّ الملكية الخاصة ، فالمقادير التي ترضاها الجماعات في نظمها متروك تقديرها لساستها وأُلي الامر فيها [٤] . وعلى أي حال فقد كان وصول عثمان بن عفان لمنصب الخلافة انتصار بني أمية الاول ، حيث يرى احد المُستشرقين ان السلطة عادت لهم من جديد بعد ان سلبها الاسلامُ منهم منذُ وقتٍ ليسَ بالقريب ، ثم ان إحكام اقارب عثمان ومواليه السيطرة عليه وخصوصاً مروان قاد عثمان الى ان يفقد السيطرة على خلافته مما حدا بالكثير من الصحابة ومن بينهم اعضاء من مجلس الشورى (الخمسة) بسحب الدعم والتأييد عنه [٥] .

---

(١) روى محمد بن عمر قال : إني كنت أتعشى مع عثمان خزيرا [لحم مسلوق بماء وملح ينقع فيه الخبز] من أجود ما رأيت قط ، فيها بطون الغنم وأدمها اللبن والسمن . فقال عثمان : كيف ترى هذا الطعام فقلت هذا أطيب ما أكلت قط فقال يرحم الله ابن الخطاب أكلت معه هذه الخزيرة قط قلت : نعم فكادت اللقمة تفرث في يدي حين أهوى بها إلى فمي وليس فيها لحم وكان أدمها السمن ولا لبن فيها . فقال عثمان : صدقت إن عمر أتعب والله من تبع أثره وأنه كان يطلب بثنيه عن هذه الامور ظلفا أما والله ما آكله من مال المسلمين ولكني آكله من مالي أنت تعلم أني كنت أكثر قريش مالا وأجدهم في التجارة ولم أزل آكل من الطعام ما لان منه وقد بلغت سنا فأحب الطعام إلي ألينه ولا أعلم لاحد علي في ذلك تبعة . ينظر : الطبري ، تاريخ ،٤ / ٤٠٠ .

(٢) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ١٥٦ .

(٣) الملاح ، هاشم يحيى ، الوسيط في السيرة والخلافة الراشدة ، ٣٥١ - ٣٥٢ .

(٤) هيكل ، محمد حسين ، الامبراطورية الاسلامية والاماكن المقدسة ، ١٠٠ .

(5) Madelung , Wilferd : The Succession to Muhammad , pp. 87 – 88 and 90 .

اظهرَ ابن عبد ربه أهمية خاصة لخلافة عثمان بن عفان وما تعرضت لهُ من انتقادات ما لبثت ان تطورت الى حركات معارضة نبّهت الرأي العام على سوء ادارة الخليفة وقصور السلطة في اداء مهامها ، لذا فقد خصصَ المؤلف موضوعاً مستقلاً لتلك الاحداث رفدهُ بالعديد من الروايات . كما اوردَ روايات مستقلة في مواضيع متفرقة من كتابهِ وهي بالجملة تنقسم على ثلاثة محاور هي :-

أولاً - معارضة كبار الصحابة .

ثانياً – معارضة أم المؤمنين عائشة

ثالثاً – معارضة أهل الامصار .

أولاً – معارضة كبار الصحابة .

أ- معارضة ابي ذر الغفاري :-

ذكرَ ابن عبد ربه في روايتهِ عن اسباب المعارضة لسياسة الخليفة عثمان خبراً عن ابي ذر فقال ما نصه [١] : " وسيَّرَ ابا ذر الى الربذة " . والتسيير هنا بمعنى النفي أي ان عثمان بن عفان نفى ابا ذر الى الربذة [٢] . ثم اورد المؤلف رواية ثانية[٣] عن حصين[٤] عن زيد بن وهب قال : "مررنا بأبي ذر بالربذة فسألناه عن منزله . فقال: كنت بالشام فقرأت هذه الآية [٥] ((والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم)) فقال معاوية: انما هي في أهل الكتاب. فقلت :انها لفينا وفيهم فكتب اليَّ عثمان : أقبل . فلما قدمت ركبتني الناس كأنهم لم يروني قط ،فشكوت ذلك الى عثمان ،فقال: لو اعتزلت فكنت قريبا. فنزلت هذا المنزل، فلا أدع قولي ولو أمروا علي عبدا حبشيا لأطعت " .

---

(١) العِقد ، ٤ / ٢٧٠ - ٢٧١ .

(٢) الربذة : قرية من قرى الاعراب فيه ماء كثير تقع شرق المدينة المنورة على طريق العراق . وهي من القرى القديمة في الجاهلية . ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ١ / ٢٦٦ .

(٣) العِقد ، ٤ / ٢٨٤ .

(٤) هو حصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ الأشهلي الاوسي المدني ، روى عن اسيد بن حضير ولم يدركه وعن أنس بن مالك وزيد بن محمد بن مسلمة وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن ثابت الأشهلي وجماعة وعنه حجاج بن أرطاة ومحمد بن اسحاق بن يسار وأبنه محمد بن حصين ، قال ابن معين : ثقة قليل الحديث . ذكرهُ ابن حبان في ثقات اتباع التابعين فكانت روايتهُ عن الصحابة عندهُ مرسلة ، قالَ عنهُ ابوداود حسن الحديث . ماتَ سنة ستةُ وعشرين ومائة للهجرة .ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير، ٣ / ٨ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ٤ / ١٥٩ ؛ السيوطي ، طبقات ، ٦ / ٢١٢.

(٥) التوبة / ٣٤ .

لم يعطِ ابن عبد ربه تفصيلاً دقيقاً لاعتراض ابي ذر على عثمان الذي حدا بالأخير الى نفي ابي ذر [١] الى الربذة في الرواية الاولى ، وكذلك فعلَ في الرواية الثانية فلا تفصيل لما دار من جدل بين ابي ذر ومعاوية [٢] ولا ذكر للسبب الرئيس الذي دفعَ الاخير لمكاتبة الخليفة عثمان الذي ردَ عليه بتسيير ابي ذر من الشام الى المدينة ومنها الى الربذة ، اي ان هنالك غموضاً واضحاً في ذكر تلكَ الحركة ينمُّ عن تقصير جلي من جهة المؤلف ، فقد ذكرت العديد من المصادر التاريخية [٣] تفصيلاً ادق عن حيثيات تلك الحركة وماهية اسبابها ، وان كانت قد اختلف بعضها عن بعض في تفاصيل تلكَ الاحداث الا ان النتيجة واحدة هو ان الخليفة عثمان ضاقَ ذرعاً بتصرفات ابي ذر فنفاهُ الى مكان لا يستمع اليه فيهِ احد ، حيث بقي هناكَ حتى توفيَ رحمهُ الله .

وبالمحصّلة لم يذكر ابن عبد ربه جميع تلكَ التفاصيل ، وارى ان سبب ذلك يكمن في امرين الاول :منهجيته القائمة على اساس اثارة قضيةٍ معينة ثم يترك للقارئ او السامع التـَحرَي عن تفاصيل تلك القضية من أي مصدرٍ شاء ، والآخر هو السلمية اللامتناهية التي تميزت بها تلك الحركة جعلت المؤلف يتجنب تفاصيل ذكرها اذ انه لم يجد فيها ما يبعث على التشويق والاثارة التي يبحث عنها السامع او القارئ.

---

(١) اشار اليعقوبي الى هذا الخلاف بين الاثنين بما نصه : "وبلغ عثمان أيضاً أن أبا ذر يقع فيه، ويذكر ما غيّر وبدّل من سنن رسول الله (ص) وسنن أبي بكر وعمر ، فسيّره إلى الشام إلى معاوية " . اما المسعودي فقد اعطى سبباً اخر حيث قال : حضر ابو ذر مجلسَ عثمان ذات يوم فقال عثمان: رأيتم من زكى ماله هل فيه حق لغيره؟ فقال كعب: لا يا أمير المؤمنين، فدفع أبو ذر في صدر كعب، وقال له: كذبت يا ابن اليهودي، ثم تلا: " ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب فقال عثمان: أترون بأساً أن نأخذ مالاً من بيت مال المسلمين فننفقه فيما ينوبنا من أمورنا ونعطيكموه ؟ فقال كعب: لا بأس بذلك، فرفع أبو ذر العصا فدفع بها في صدر كعب وقال: يا ابن اليهودي ما أجراك على القول في ديننا ! فقال له عثمان: ما أكثر أذاك لي ! غَيبْ وجهك عني فقد آذيتنا، فخرج أبو ذر إلى الشام . ينظر : تاريخ ، ٢ / ١٧١ ؛ مروج ، ٢ / ٢٧٦ .

(٢) ذكر البلاذري ان ابا ذر كان ينكر على معاوية أشياء يفعلها، فبعث إليه معاوية بثلاثمائة دينار فقال: إن كانت من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هذا قبلتها، وإن كانت صلةً فلا حاجة لي فيها، وبعث إليه حبيب بن مسلمة الفهري بمائتي دينار فقال: أما وجدت أهون عليك مني حين تبعث إليّ بمال؟ وردها. وبنى معاوية الخضراء بدمشق فقال: يا معاوية إن كانت هذه الدار من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهذا الإسراف، فسكت معاوية... فقال حبيب بن مسلمة لمعاوية: إن أبا ذر مفسد عليك الشام فتدارك أهله إن كانت لك به حاجة، فكتب معاوية إلى عثمان فيه، فكتب عثمان إلى معاوية : أما بعد فاحمل جُندباً إليّ على أغلظ مركب وأوعره، فوجه معاوية من سار به الليل والنهار . ينظر : انساب ، ٦ / ١٦٧ .

(٣) ينظر: ابن سعد ، الطبقات ، ٤ / ٢٢٦ ؛ البلاذري ، الانساب ، ١٦٦/٦ – ١٦٧ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ١٧١ - ١٧٣ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٤ / ٢٨٣ - ٢٩١ ؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ١ / ٣٧٣ - ٣٧٤ ؛ المسعودي ، مروج ، ٢ / ٢٧٦ - ٢٧٧ ؛ المقدسي ، البدء والتاريخ ، ٥ / ٢٠٢ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ١ / ١٤٩ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٤ / ٣٤٦ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ٤٨٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٠ / ٢٣٤ .

ب- معارضة عمار بن ياسر :-

ذكر ابن عبد ربه رواية [١] عن الاعمش[٢] قال : " كتبَ اصحاب عثمان عيبهُ وما ينقم الناس عليهِ في صحيفة ثم قالوا : مَن يذهب بها اليه ؟ قال عمار : انا ، فذهب بها اليه ، فلما قرأها قال : ارغم الله انفك . قال : وانف ابي بكر وعمر قال : فقام اليهِ فوطئهُ حتى غُشيَ عليه ، ثم ندمَ عثمان وبعثَ اليه طلحة والزبير يقولان له: اختر احدى ثلاث : اما ان تعفو واما ان تأخذ الارش وأما أن تقتص . فقال : والله لا قبلت واحدةً منها حتى القى الله " .

ثم اورد المؤلف رواية ثانية غير مسندة بخصوص اتهام عمار بن ياسر بدم عثمان ونصها [٣] : " قال سعد ابن ابي وقاص لعمار بن ياسر : لقد كنتَ عندنا من افاضل اصحاب محمد حتى اذا لم يبق من عمركَ الا ظمأ الحمار فعلت وفعلت – يعرض لهُ بقتل عثمان – قال عمار :أي شيء احبُ اليك ؟ مودةُ على دخل او هجرٌ جميل؟ قال : هجرٌ جميل . قال : فللهِ عليَّ ان لا اكلمك ابداً " .

اعطى ابن عبد ربه في مروياته هذه صورة عن معارضة عمار للخليفة عثمان ، الا ان هذه الصورة لم تكن واضحة كفاية لتبين الدور المتفرّد لعمار بمواقفه الجريئة تجاه السلطة فمن المعروف انهُ كان كثير الاعتراض على سياسة عثمان شديداً بانتقادها وهذا ما ادّى الى تعكر العلاقة بينهما ليقود اخيراً الى امر الخليفة بضربهِ وهذا ما جرى تفصيله في العديد من المصادر[٤] ، ولكن المؤلف لم يذكر من تلك المواقف سوى ما أشار اليه بروايته الاولى وهو ما يتعارض منطقياً مع روايته الثانية غير المسندة التي تحدث بها عن اتهام سعد بن ابي وقاص لعمار بدم عثمان في اشارة منه الى تأليب عمار لأهل مصر المسؤولين بالدرجة الاولى عن مقتل الخليفة ، اذ ليس من المعقول ان يكون ضرب عثمان لعمار هو السبب الوحيد الذي دفعَ سعد لاتهام عمار بدم الخليفة المقتول .

---

(١) العِقد ، ٤ / ٢٩٢ .

(٢) هو سليمان بن عمران أبو محمد الاسدي ثم الكاهلي مولاهم الكوفي . كانَ أبوه من سبي دبثا . احد الأئمة في الحديث والقرآن بالكوفة وشَهِدَ لهُ جماعة في ذلك . أخذَ القراءة عن أبراهيم النخعي . عُرِف له مواقف جريئة تجاه السلطة وعدم سيرهُ في ركابها بعث لهُ هشام بن عبد الملك: أن أكتب إلي مناقب عثمان ومساوئ علي ، فأخذ الأعمش القرطاس وأدخله في فم شاة فلاكته، وقال للرسول: قل له هذا جوابك . توفي في ربيع الاول سنة ثمان واربعين ومائة . ينظر : ابن خلكان ، وفيات، ٢ / ٣٩١ ؛ الجيّاني ، القاب الصحابة والتابعيين ، ١ / ٩٣ ؛ اليافعي ، مرآة الجنان ، ١ / ٢٣٩.

(٣) العِقد ، ٤ / ٢٨١ .

(٤) ينظر: ابن سعد ، الطبقات ، ٣ / ٢٠٠ و ٤/ ١١٧ ؛ أبن شبة ، تاريخ المدينة ، ٣ / ٣١٧ - ٣٢١ ؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ١ / ٣٧٣ - ٣٧٨ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٣٩ / ٤١٩ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ٥٠٩ و ٥٢٧ .

ذكر ابن قتيبة خبراً[١] اكثر تفصيلاً عن حادثة الضرب تلك حيث قال ان الذي اعانَ عثمان على ضربِ عمار جماعة من بني امية ، اما سبب ذلكَ الضرب فهوَ تجرؤ عمار على عثمان وتذكيرهُ بمخالفتهِ سنة النبي محمد ﷺ وسنة ابي بكر وعمر ، وعلى الرغم من منطقية رواية ابن قتيبة الا انهُ لم يسمِ احداً ممن تجرأ على عمار . فهل كانوا من بني امية ؟ ام من غلمان الخليفة ؟ ، وهل كان سبب الوطيء مجرد تلك الحادثة ؟ ام ان هناك حوادث اخرى اجتمعت في صدر عثمان فأوغرتهُ على عمار حتى قامَ بوطئه! .

اما اليعقوبي [٢] فقد ذكرَ انَ هناك اسباباً اخرى جعلت عثمان ينقم على عمار وهي قيامهُ بتجهيز جنازة عبد الله بن مسعود ودفنها وكرر ذلك في جنازة المقداد بن الاسود دون علم الخليفة . ثم ذكرَ في خبر [٣] اخر ما يعزز توتر العلاقة بين الاثنين بعد ورود خبر وفاة أبي ذر الى المدينة حيث قال عثمان رحم الله أبا ذر! قال عمار: نعم! رحم الله أبا ذر من كل أنفسنا، فغلظ ذلك على عثمان. وبلغ عثمان. عن عمار كلام، فأراد أن يسيره أيضاً، فاجتمعت بنو مخزوم إلى علي بن أبي طالب، وسألوه إعانتهم، فقال علي: لا ندع عثمان ورأيه. فجلس عمار في بيته، وبلغ عثمان ما تكلمت به بنو مخزوم، فأمسك عنه ، لذا فقد حصلت عدة اسباب حملت عثمان على ايذاء عمار ، ولكن اليعقوبي رغم ذكرهِ لبعضها الا انهُ لم يعطِ تفصيلاً دقيقاً عن حال عمار منذُ ان بويعَ عثمان بالخلافة ، كما فعل المسعودي الذي ارجع توتر العلاقة بين عمار وعثمان الى اليوم الذي بوْيعَ فيهِ عثمان حيث قال ما نصه [٤] : " وقد كان عمار حين بويع عثمان بلغه قول أبي سفيان صخر بن حرب في دار عثمان ... فقام عمار في المسجد فقال: يا معشر قريش، أما إذ صرفتم هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم ههنا مرة وهنا مرة فما أنا بآمِنٍ من أن ينزعه الله منكم فيضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله ..." . اذاً فقد اعلن عمار معارضتهُ لعثمان منذُ اليومِ الاول لخلافتهِ ، ومن الطبيعي ان يبلغ كلامُ عمار هذا الى عثمان فيضغنهُ لهُ .اما البلاذري فذكرَ رواية [٥] عن عباس بن هشام اشارت الى ان سبب ضرب عثمان لعمار هو اعتراض عمار على اخذ عثمان للفيء - حسبما اخبر به ابن هشام -، كما انهُ اخبر عن انقلاب الرأي العام ضد عثمان بسبب ضربهِ لعمار .

(١) الامامة والسياسة ، ٥١/١ .
(٢) تاريخ ، ٢ / ١٧١ .
(٣) م. ن. ، ٢ / ١٧٣ .
(٤) مروج ، ٢ / ٢٧٧ - ٢٧٨ .
(٥) انساب ، ٥ / ٥٣٨ .

ذكرَ ابن كثير في رواية[١] غير مسندة من ان سبب ضرب عثمان لعمار كان تأديباً له على سبّهِ عباس ابن عتبة فأضغنَ عمار ذلكَ في نفسه ، ثم صار يؤلب الناس عليه . وهذه الرواية شديدة الوهنِ لأن عمار كان قد بدرت منهُ مواقف كثيرة جعلت من عثمان يحنق عليه وقد مرّ ذكرها آنفاً، هذا من جانب ، ومن جانب اخر فانَ سُبابهِ للعباس بن عتبة – ان كانَ صحيحاً – فانهُ لا يوجب الضرب فإنما هي كلمةُ بكلمة ، اللهم الا اذا كانَ الخليفة لا يعرف الحدود فهذا امرٌ آخر.لذا فان ايراد ابن كثير لهذا السبب كأنما اراد به تبرئة عثمان من جميع ما أُشيعَ عنهُ ، فعمدَ باللقاء اللوم على عمار وجعلَ من معارضته لعثمان ذات ابعاد شخصية هو الثأر لنفسهِ ، ولعمري ما هذا الا الطعن في تلك المعارضة ليس الا .

اما الطبري فأورد رواية [٢]عن السري بخصوص توتر العلاقة بين عمار والخليفة عثمان ذاكراً ان الخليفة عثمان ارسل مجموعة من الصحابة لجميع الامصار لمعرفة سيرة عمالهِ فيها وقد رجعوا اليه بما رأوه باستثناء عمار الذي ارسلهُ الى مصر حيث مكثَ هناك يؤلّب اهل مصر على الخليفة .

وبالمحصّلة النهائية فقد كانت العلاقة بين عمار والخليفة عثمان تزداد توتراً بتعاقب الاحداث من خلافة عثمان الطويلة وسلطة اقاربه غير المباشرة التي سيّرت دفة الحكم باتجاه مصالحهم الخاصة والعامة ، لذا فقد كانت نظرة المؤلف لمعارضة عمار نظرة جزئية تفتقد الموضوعية في الطرح فضلا عن افتقارها الى الشمولية الظاهرة في المصادر الانفة الذكر ، ومن خلال مناقشة جميع الروايات الواردة في تلك المصادر ارى ان هنالك اسباباً عدة حملت عثمان على ان يمتليء غيضاً على عمار فقد كانت اعتراضاته المتكررة على سياسة عثمان التي لم يتبع فيها سنة سلفه عمر بن الخطاب[٣] ، حتى كانت حادثة الكتاب الذي كتبهُ الصحابة وحملهُ عمار لعثمان تفجّر الموقف ، اما مسالة اشعال مصر على عثمان فلم تكن مصر افضل حالا او بعيدة عن الفتنة قبلَ ان يدخلها عمار ، ولكنني ارى ان تضخيم دور عمار في مصر ، وما تكلّم به الرواة انما هو من وحي السلطة الاموية التي اقترفت ذنباً كبيراً بقتلهِ يومَ صفين ، فأرادت ان تضفي نوعاً من الشرعية في ذلك فحمّلت عمار مسؤولية ما وقعَ في مصرٍ من احداث .

(١) البداية والنهاية ، ١٠ / ٣٧١ .

(٢) تاريخ ، ٤ / ٣٤١ .

(3) Hinds, Martin : The murder of the Caliph Uthman , pp. 464–465 .

ج - معارضة عبد الله بن مسعود [١]

أوردَ ابن عبد ربه رواية ثانية[٢] عن الاعمش تحدث فيها عن خلاف ابن مسعود مع السلطة فقال ما نصه : " خرج علينا ابن مَسعود ونحن في المَسجد، وكان على بيت مال الكُوفة، وأميرُ الكوفة الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط، فقال: يا أهل الكوفة، فُقِدت من بيت مالكم الليلةَ مائةُ آلف لم يأتني بها كتابٌ من أمير المؤمنين ولم يكتب لي بها براءة. قال: فكتب الوليدُ بن عُقبة إلى عثمان في ذلك، فنَزعه عن بيت المال " . ان تلك الرواية تحمل في طياتها تناقضاً لا يحسن السكوت عليه ، فاذا كان ابن مسعود يدعي فقدانهِ مائةَ الف من بيت المال فلأي شيء يكتب الوليد للخليفة مطالباً بعزله .هل كان هو المسؤول عن فقدان ذلك المال ام ماذا ؟ .

لم يورد المؤلف الا هذه الرواية في معرض حديثه عن خلاف عبد الله بن مسعود مع الخليفة عثمان الا ان هذه الرواية تكاد تكون مبتورة غير متصلة بما قبلها وما بعدها ، فقد ذكر العسكري رواية [٣] مطابقة لرواية ابن عبد ربه الا انهُ زاد عليها قولهُ ان ابن مسعود قام يصلي في المسجد والوليد بن عقبة يخطب فقال لهُ ما نصه : " أتاك في هذا أمر أمير المؤمنين أم ابتدعت؟ قال: لم يأتني فيه أمره وما ابتدعت. ولكن أبى الله أن ينظرك بصلاتنا وأنت تلعب، فكتب عثمان في حمله إلى المدينة، فخرج، فقال عثمان: يأتيكم دويبة، فلا تسلح على شيء، فيُأكلُ منه إلا مات، فلما قدم عاتبه، وأحرمه عطاءه ثلاث سنين، فلما حضرته الوفاة، حمله إليه، فقال: حرمتنيه حين ينفعني، وتعطينه حين لا ينفعني، ورده وأوصى إلى الزبير أن يصلي عليه، فلما مات صلى عليه، فعاتبه عثمان، وقال: لهممت أن أنبشه وأصلي عليه، فقال الزبير: لو رمت ذلك لحيل بينك وبينه، فوقف على قبره وترحم عليه وحمل عطاءه إلى ولده فقال الزبير:

لا ألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي فما زودتني زادا " .

(١) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فأر بن مخزوم بن صاهلة ويكنى ابو عبد الرحمن ، وامهُ بنت عبد ود بن سواء بن قريم بن صاهلة ، كان ابوه قد حالف في الجاهلية الحارث بن زهرة الزهري ، وقد اسلمَ ابن مسعود قديماً في اول الاسلام وكان يعرف في الصحابة بصاحب السواد والمسواك ، وقد شهدَ بدراً والحديبية معاً وهاجر الهجرتين وصلى القبلتين وشهد لهُ رسول الله ﷺ بالجنة . توفي بالمدينة سنة اثنين وثلاثين وصلى عليه الزبير . ينظر : أبن سعد ، الطبقات ، ٣ / ١٨٧ ؛ البلاذري ، انساب ، ١ / ٢٠٤ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ،٩٩٣/٣ ؛ ابن الاثير ، اسد الغابة ، ٧٣٦ - ٧٣٧ .

(٢) العِقد ، ٤ / ٢٧٤ .

(٣) الاوائل ، ١ / ١٨٧ .

وطبقا لهذهِ الرواية فان المال الذي اخذهُ الوليد بن عقبة من بيت مال الكوفة لم يعرف بأمره خازن بيت المال (عبد الله بن مسعود)، أي ان الوليد احتال عليه بالسرقة وهذا الذي دفعَ عبد الله الى معارضة الوليد والتشهير به ، اما سبب قيام عبد الله بن مسعود للصلاة والوليد يخطب وهو لعب الوليد او فسقه هو ان ابن مسعود ليسَ غريباً عن الوليد ، فقد كان راعياً للغنم لدى ال ابي معيط [١] وهذا سببُ كافٍ لأن يجعلهُ يعرف الوليد معرفة شخصية ، فضلاً عن كون الاثنان مكيين ، لِذا فقد كان عبد الله على معرفةٍ تامة باستهتار الوليد وفسقه وهذا ما دفعهُ الى عدم الإتمام به في الصلاة.

اما البلاذري فقد ذكر رواية [٢] عن ابن هشام قال فيها ما نصه : " لما قدم الوليد الكوفة ألفى ابن مسعود على بيت المال فاستقرضه مالاً وقد كانت الولاة تفعل ذلك ثم ترد ما تأخذ، فأقرضه عبد الله ما سأله، ثم إنه افتضاه إياه، فكتب الوليد في ذلك إلى عثمان فكتب عثمان إلى عبد الله بن مسعود: إنما أنت خازن لنا فلا تعرض للوليد فيما أخذ من المال، فطرح ابن مسعود المفاتيح وقال: كنت أظن أني خازن للمسلمين فأما إذا كنتُ خازناً لكم فلا حاجة لي في ذلك، وأقام بالكوفة بعد إلقائه مفاتيح بيت المال " .

اذاً فقد كان اقتراض الوليد مالاً من بيت المال هو السبب في وقوع الوحشة بينَ عبد الله بن مسعود والوليد بن عقبة ، ولكن هذه الرواية تتعارض مع رواية الاعمش التي اوردها ابن عبد ربه لكون استقراض المال شيء وفقدانه شيء آخر.

اما ابن خلدون فقد أعطى سبباً اخر لوقوع العداوة بين ابن مسعود والوليد فقال ما نصه[٣] : " ان شباباً من الأزد بالكوفة عدوا على رجل من خزاعة فقتلوه ليلا في بيته وشهد عليهم أبو شريح الخزاعى فقتلهم الوليد فيه بالقسامة وأقام آباؤهم للوليد على حقه وكانوا ممن يتحدثون فيه وجاءوا إلى ابن مسعود بمثل ذلك فقال لا نتبع عورة من استتر عنا وتغيّظ الوليد من هذه المقالة وعاتب ابن مسعود عليها ثم عمد أحد أولئك الرهط إلى ساحر قد أتى به الوليد فاستفتى ابن مسعود فيه وأفتى بقتله وحبسه الوليد ثم أطلقه فغضبوا وخرجوا إلى عثمان شاكين من الوليد ... " .

لم يكمل ابن خلدون ما جرى لابن مسعود بعد ذلك على يد الوليد أو غيره . ولكنه مع ذلك انفرد بذكرهِ هذه الرواية التي قد تضيف لنا سبباً ثالثاً لوقوع العداوة بينَ ابن مسعود والوليد بن عقبة.

(١) البيهقي ، دلائل النبوة ، ٢ / ١٧٢ .

(٢) انساب ، ٥ / ٥٢٤ .

(٣) تاريخ ، ٢ / ٥٨١ .

امااليعقوبي فقد اضاف سبباً اخر لأقدام عثمان على ضرب عبد الله بن مسعود فقال [١] ان امتناع عبد الله بن مسعود عن دفع مصحفهِ لوالي الكوفة عبد الله بن عامر والموافقة على مشروع السلطة في توحيد المصاحف هو السبب وراء ما جرى لهُ . ولكنَ سبباً كهذا غيرُ كافٍ لجعل عثمان يأمر بمعاقبته عقاباً شنيعاً كهذا فقد صدرت عن بعض الصحابة افعالاً اكبر من هذهِ فضغنها عثمان رغمَ كونهِ قد ضاقَ ذرعاً بهم في نهاية المطاف ، كما ان والي الكوفة هو الوليد بن عقبة وليسَ عبد الله بن عامر ، لذا فرغم كون هذهِ الرواية قد اضافت سبباً آخر حملَ عثمان على معاقبة ابن مسعود الا انها لم تكن كافية لجعلها سبباً اوحداً لضرب ابن مسعود .

اما ابن عبد البر فلم يذكر جميع ما تقدم وانما اكتفى بإعطاء رواية [٢] عن احمد بن سعيد بن بشر قال : " لما بعث عثمان إلى عبد الله بن مسعود يأمره بالخروج إلى المدينة اجتمع إليه الناس وقالوا: أقم ولا تخرج ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه منه. فقال لهم عبد الله: إن له علي طاعة وأنها ستكون أمور وفتن لا أحب أن أكون أول من فتحها. ففرق الناس، وخرج إليه " .ونستشف من خلال هذه الرواية ان الخليفة عثمان طلبَ ابن مسعود لأمر جلل دفعَ الناس الى ان يشيروا اليه بعدم الخروج ، وانهم مانعوه من ان يصل اليه ، الا انهُ لم يذكر ذلك السبب .

ذكرابن كثير[٣] ان ابن مسعود قدم من العراق حاجّاً فمر بالّربذة وشهد وفاة ابي ذر ودفنه ثم قدم الى المدينة فمرض بها فجاءه عثمان بن عفان عائدا فيروى انه قال له ما تشتكي قال ذنوبي قال فما تشتهي قال رحمه ربي قال الا آمر لك بطبيب فقال الطبيب امرضني قال الا آمر لك بعطائك وكان قد تركه سنتين فقال لا حاجة لي فيه فقال يكون لبناتك من بعدك فقال اتخشى على بناتي الفقر اني أمرت بناتي ان يقرآن كل ليلة سورة الواقعة واني سمعت رسول الله (ص) يقول من قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً واوصى عبد الله بن مسعود الى الزبير بن العوام فيقال انه هو الذي صلى عليه ليلا ثم عاتب عثمان الزبير على ذلك وقيل بل صلى عليه عثمان وقيل عمار فالله اعلم ودفن بالبقيع عن بضع وستين سنة .

والواضح من هذه الرواية انها مبتورة اذ اخفى ابن كثير – عن عمد – ما دار بين عثمان و ابن مسعود ولم يذكر الا مرضه الذي مات فيه ، بل انه لم يذكر حتى مسألة تسييرهُ من العراق ، الا

(١) تاريخ ، ٢ / ١٧٠ .

(٢) الاستيعاب ، ٢ / ٩٩٣ .

(٣) البداية والنهاية ، ١٠ / ٢٥٢ .

انهُ قال ان ابن مسعود قدم من العراق حاجاً وهذهِ محاولة منه لتجميل الاحداث وخفض ما كان فيها من توتر لا غير .

اما الطبري فلم يتطرق البتة لما اصاب ابن مسعود على يدِ عثمان ، وانما اكتفى بذكره ضمن وفيات سنة ثلاث وثلاثين للهجرة [١] .

ومن خلال مقارنة جميع ما تقدم من روايات مع رواية ابن عبد ربه يتضح لنا ان المصادر التاريخية انقسمت على نفسها بين مؤيد ومعارض تجاه حركة ابن مسعود الذي كان قد عارض والي الكوفة الذي اتهمهُ بسرقة بيت المال دون القدح بالخليفة عثمان ، ثم تطور به الحال مع تعاقب الاحداث الى معارضة الخليفة نفسه وهذا ما لم يذكرهُ ابن عبد ربه – فما حدا مما بدا ! – لعلَ السبب الذي دفعَ المؤلف الى عدم تطرقه لتفاصيل تلك المعارضة كونها معارضة سلمية لم تفضِ الى احداث دموية على غرار ما جرى بعد ذلك للخليفة على يد اهل الامصار ، فالحركة برمتها لا يوجد فيها – من وجهة نظر المؤلف – ما يشد السامع او القارئ الى متابعة تفاصيلها والتطلع لنتيجتها او ان التفاصيل اللاحقة اهملها المؤلف كونها اختلطت بأحداث اكبر منها بكثير على الرغم من كونها من ابرز الحركات التي دفعت الكثير من الصحابة الى تغيير نظرتهم للخليفة عثمان .

وارى ان المدة التي مكثها ابن مسعود في الكوفة بعد نزعه من بيت المال تسييره الى العراق كانت كافية لعبد الله بن مسعود ان يطور معارضتهُ وتحديه من الوالي الى الخليفة نفسه ، فكانت انتقاداته المتكررة للسلطة واعتراضه على مسألة توحيد المصاحف وهو المشروع الذي كانت تعول عليه السلطة بالظهور بالمظهر الحسن امام الناس [٢] ، فكانت هذهِ الامور كفيلة بتعكّر العلاقة بينهُ وبين السلطة التي اصدرت امرها بتسييره الى المدينة والاعتداء عليه بالضرب ومنعه عطائه لسنتين او اكثر لذا فيمكن القول ان المعارضة التي قادها عبد الله بن مسعود لا تختلف عن المعارضة التي قادها ابو ذر الغفاري في كونها معارضة سلمية كان هدفها تنبيه المسلمين الى سلبيات السلطة فقط دون ان تحرضهم على قتالها ، الا ان كلتا الحركتين جلبتا على السلطة معارضة قبائل بارزة من قبائل المدينة وهم هذيل قبيلة عبد الله بن مسعود وبني زهرة التي كانت حليفتها غفار قبيلة ابي ذر[٣] .

(١) تاريخ ، ٤ / ٣٠٨ .

(2) Gordon D. Newby , : A CONCISE ENCYCLOPEDIA of ISLAM , p. 92 .

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ، ٢٧٥/٢ .

د- معارضة طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام .

اختلفت معارضة طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام عن باقي المعارضات على الخليفة عثمان كونها كانت معارضة ذات دافع سياسي بحت ، فقد كان الاثنان من المرشحين الستة للخلافة طبقاً لوصية عمر بن الخطاب ، ومن هنا فقد كانا يريا نفسيهما أهلاً للخلافة [١] ، واحق بها من عثمان الذي غيّر وبدّل وخرج عن سنة صاحبيه ابي بكر وعمر ، لذا فقد كانت معارضتهما قائمة على اساس اظهار عيوب عثمان وتضخيمها في نظر المسلمين لإجباره على التنحي عن السلطة ، او قتله ان تطلب الامر ذلك .

قدّم ابن عبد ربه روايات مختصرة عن معارضة طلحة بن عبيد الله للخليفة عثمان ، وكان اول تلك الروايات هي رواية[٢] سعيد بن المسيب[٣] التي قال فيها ما نصه : "...وحاصرَ الناسُ عثمان، وأجلب عليه محمدُ بن أبي بكر بنِي تَيم وغيرهم، وأعانه طلحةُ بن عبيد اللهّ على ذلك ... " . ثم يستمر في سرد روايته حتى قال : " ثم خرج علي وهو غضبان [لقتل عثمان] يرى أن طلحة أعان عليه " .

وجّهَ ابن المسيب في روايته هذه اتهاماً مباشراً لطلحة في سعيهِ بدم عثمان ولم تنف بقية المصادر[٤] هذه التهمة ، لذا ومن خلالها نستطيع رسم صورة لطلحة تـظـْهـِر اشتراكهُ الفعلي بقتل عثمان بدافع انتزاع الخلافة من يدهِ بعد ان رفض التنازل عنها ، لذا فلا غرابةَ ان يورد المؤلف رواية عن ابن عون عن ابن سيرين قال [٥] : "لم يكن أحدٌ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أشدَ على عثمان من طَلحة " . علماً ان البلاذري قد اورد روايةً [٦] مطابقة لهذهِ الرواية أوردها عن

(1) Gabrieli , Francesco : Muhammad and the Conquests of Islam , V 2 , pp: 315 – 318 .

(٢) العِقد ، ٤ / ٢٧٤ .

(٣) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن ابي وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد الله القرشي المخزومي . كنيتهُ ابو محمد . ولِدَ لسنتين خلتا من خلافة عمر بن الخطاب . امهُ ام سعيد بنت عثمان بن حكيم بن امية بن حارثة السلمي . يعد من كبار التابعين وقيلَ انهُ كانَ ممن اصلحَ بين عثمان وعلي على صغرِ سنه . ضربهُ هشام بن اسماعيل المخزومي ثلاثين سوطاً لما كان والياً على المدينة بعد امتناعهِ عن البيعة لأبني عبد الملك الوليد ومن بعدهِ سليمان . توفي سنة ثلاثُ وتسعين وقيلَ خمس ومائة . ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ٥ / ٨٩ - ٩٠ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ٤ / ٢٧٣-٢٧٤ .

(٤)ينظر: ابن شبة، تاريخ المدينة ، ٤ / ٣٤٩ - ٣٥٣ ؛ ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ١ / ٦١ ؛ البلاذري ، أنساب ، ٥ / ٥٣٣ و ٥٦٥ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٤ / ٤٧٩ - ٤٨٢ ؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ١ / ٤٢٣ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ٥٢٩ ؛ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٩/ ٣٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٠ / ٢٧٩ - ٢٨١ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ٢ / ٥٩٥ – ٥٩٨.

(٥) العِقد ، ٤ / ٢٨٥ .

(٦) انساب ، ٥ / ٥٧٢ .

المدائني ، وقد يكون البلاذري هو مصدر ابن عبد ربه في هذه الرواية ، اما ما يخص موضوع الرواية حول اجتهاد طلحة في امر عثمان ، فان المؤلف لم يورد ما يكفي من الروايات حتى توضح شدة طلحة على عثمان من بين اصحاب النبي ﷺ ، أي ان المادة التي قدمها ابن عبد ربه عن معارضة طلحة كانت بحاجة الى التوضيح .

وعلى الرغم من اختصار المؤلف الشديد في ايراد روايات تدين طلحة بن عبيد الله في سعيهِ على عثمان والاشتراك في قتله ، فانهُ كان اكثر اختصاراً في حديثه عن معارضة الزبير اذ انه لم يذكر الا روايتين لا تعطيان صورة واضحة عن هذه المعارضة . ففي الرواية الاولى[١] التي اوردها المؤلف عن العتبي[٢] التي قال فيها ما نصه : " قال رجل من ليث: لقيتُ الزبيرَ قادماً، فقلت: أبا عبد الله، ما بألُك؟ قال: مَطلوب مَغلوب، يَغلبني ابني، ويطلبني ذَنبي. قال: فقدمتُ المدينة فلقيتُ سعدَ بن أبي وقّاص، فقلت: أبا إسحاق، من قتل عثمان؟ قال: قتله سيفٌ سلته عائشة، وشَحذه طلحة، وسمّه عليّ. قلت: فما حال الزُبير؟ قال: أشار بيده وصَمت بلسانه " .

تنطبق هذه الرواية بشكل كبير على واقع الاحداث التي عَمّت المدينة ايام الفتنة على عثمان ، كما انها اشركت جميع من تقدم ذكرهم بِدمِ الخليفة المقتول ، الا انها اضافت اسم علي بن ابي طالب الى المجموع ، وهذا امر فيه نظر ! ، فبالرغم من ايراد المؤلف روايات تدين طلحة والزبير وعائشة بقتل عثمان الا انهُ لم يشمل علي بتلك التهمة بدليل انه عقد عنواناً بكتابه اسماه " تبرؤ علي من دمِ عثمان " [٣] اورد فيه روايات عدة اشارت بوضوح الى ان علي لم يكن في عداد الثائرين على عثمان . اذاً ما سر هذا التناقض ؟ . ارى ان المؤلف حاول اتباع الحيادية في هذه القضية فأورد روايات متنوعة اراد منها الاحاطة بجميع تفاصيل تلكَ الفتنة ، هذا من جانب ومن جانب آخر فإن تلك الرواية التي اتهمت علي بن ابي طالب بدم عثمان لا تصمد امام النقد لسببين : الاول انفراد ابن عبد ربه بإيرادها عن راوٍ سفياني الولاء ، والآخر كون راويها اوردها عن رجلٍ من ليث ولم يذكر اسمه وهذا ابهام لا تقوم عليهِ بينة ، كما ان الليثي لم يكن هو الاخر قد شهدَ تلك

(١) العِقد ، ٤ / ٢٨١ .

(٢) هو محمد بن احمد بن عبد العزيز بن عتبة بن حميد بن عتبة بن ابي سفيان بن حرب الأموي، وقيلَ هو مولى لآل عتبة بن ابي سفيان ، ولِدَ في قرطبة وتفقهَ على كبار شيوخها فأخذَ عن يحيى بن يحيى و سحنون و الاصبغ بن وحمزة بن ربيعة ويحيى بن أدم وطبقتهم ، ثم صار احد الاعلام ببلده . قال عنهُ الدارقطني كانَ من اهل الخير والجهاد ، الفَ في الفقه كتباً كثيرة سُمّيت العتبية . توفيَ سنة خمسُ وخمسين ومائتين. ينظر : ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ٢ / ٨ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك ، ١ / ٢٩٦ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ١٢ / ٣٣٥ .

(٣) العِقد ، ٤ / ٢٨٨ – ٢٩٠ .

الاحداث وانما نقلها عن سعد بن ابي وقاص . لذا ولهذهِ الاسباب السالفة لا يمكن الوثوق بتلكَ الرواية .

اما الرواية الثانية فقد اوردها عن الفضلُ[١] عن كَثير عن سَعيد المَقبريٌ قال [٢] : " لما حَصروا عثمان ومَنعوه الماء، قال الزُّبير: وحِيلَ بينهم وبين ما يشتهون، كما فُعل بأشياعهم من قَبل " .وهذه الرواية كسابقتها لم توضح الدور الذي لعبه الزبير في معارضته للخليفة عثمان وانما ذكرت كلاماً عن لسانه هو اقرب للشماتة منه الى المعارضة .

لذا لم تعط هاتان الروايتان انطباعاً واضحاً عن دور الزبير في الفتنة على عثمان فضلاً عن انفراد ابن عبد ربه في ايرادهما ، بينما نجد بعض المصادر قد أوردت بعض المرويات التي توضّح دور الزبير في تلك الفتنة ، فقد ذكر اليعقوبي رواية ونصها [٣]: "وكان اكثر من يؤلب عليه طلحة والزبير وعائشة ... " . اما ابن ابي الحديد فقال ما نصّه[٤] : " وكان طلحة من اشد الناس تحريضاً عليه [عثمان] ، وكان الزبير دونهُ في ذلك " . في حين ذهب البلاذري الى ما هو ابعد من ذلك فأوردَ رواية عن الزهري ونصها [٥] : "... وكان الزبير وطلحة قد استوليا على الامر ... " . ورواية الزهري هذهِ منطقية الى حد انها تصل الدور الذي لعبهُ الزبير في خلافة علي بن ابي طالب بدورهِ في الفتنة على عثمان . فاذا كانَ الزبير قد خرجَ على علي بن ابي طالب متفقاً معَ طلحة و عائشة ، فلماذا لا يكون لهُ نفس الدور في الفتنة على عثمان ؟ .

وقد اكد الطبري ذلك بإيراده رواية عن السري قال فيها ما نصه [٦] : " ... أما أهل البصرة فانهم كانوا يشتهون طلحة وأما أهل الكوفة فإنهم كانوا يشتهون الزبير ... " . وطبقاً لهذه الرواية فان الزبير كانَ قد مَنّى نفسهُ بالخلافة مثل طلحة ولهُ شيعةٌ في الكوفة ، وقد يكون كاتبهم مثلما فعل طلحة مع اهل البصرة ، لِذا فان دور الزبير في الفتنة على عثمان لم يكن يختلف عن دور طلحة ، الا انهُ كان اقل منهُ حدةً وتهوراً .

(١) لعلهُ اراد بهِ الفضل بن دكين الكوفي مولى طلحة بن عبيد الله والمتوفي سنة تسعة عشر ومائتين. ينظر : ابن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ٢ / ٣٧٥ .

(٢) العِقد ، ٤ / ٢٨٥ .

(٣) تاريخ ، ٢ / ١٧٥ .

(٤) شرح نهج البلاغة ، ٩ / ٣٥ .

(٥) انساب ، ٥ / ٥٨٢ .

(٦) تاريخ ، ٤ / ٣٤٨ - ٣٤٩ .

ومن خلال ما تقدّم يمكن القول ان معارضة كبار الصحابة لخلافة عثمان بن عفان كانت متعددة الدوافع ، فمنهم من كانت معارضته عقائدية فقط لكون عثمان غيّرَ وبدّل سنّة النبي ﷺ وسنّة صاحبيه ابي بكر وعمر ، وينطبق ذلكَ على معارضة ابي ذر الغفاري وعبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر ، ومنهم من كانت معارضتهُ سياسية بحتة كمعارضة طلحة والزبير و كلتا الحالتين قد اثّرتا تأثيراً بالغاً على اهل الامصار الاسلامية الذين يمكن عدّ معارضتهم امتداداً لمعارضة كبار الصحابة التي تمّت مناقشتها انفاً كما كان هناك معارضات اخرى قام بها نفرٌ من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف و عمرو بن العاص وقد ذكرها المؤلف الا انني ارى بانها معارضة فردية [١] لا يمكن اخذها بأي وجهٍ كان على انها حركات بارزة ولها اتباع .

وبالعودة الى كتاب العِقد، فعلى الرغم من ذكر المؤلف لجميع تلكَ الحركات الا انهُ لم يُعط صورة تاريخية مفصلة لكلِ حركة كما فعلت بقية المصادر التاريخية . يضاف الى ذلك اختصارهُ الشديد في ايرادهِ للروايات المتعلقة بتلكَ الحركات وانتقائيته المفرطة ، فضلاً عن اضطرابهِ في اسناد كل رواية مما يجعل المادة التي قدمها مادةً غير متكاملة لا يمكن عدها بأي وجهٍ كان على انها مادة تاريخية مستقلة .

ثانياً - معارضة أم المؤمنين عائشة .

لامّ المؤمنين عائشة دورٌ محوريٌ في الثورة على عثمان [٢] ، فقد كانت مقبولة الرأي من المسلمين لأنها زوج الرسول ﷺ من جهة ، والراوية لأكثر احاديثهِ من جهةٍ اخرى ، لذا فقد اورد ابن عبد ربه روايات عدة بينَ فيها دورعائشة في المشاركة بالثورة على عثمان كان اولها رواية [٣] سعيد بن المسيب التي قال فيها ما نصه : " وحاصرَ الناسُ عثمان، وأجلب عليه محمدُ بن أبي بكر بنِي تَيم وغيرهم، وأعانه طلحةُ بن عبيد اللهّ على ذلك. وكانت عائشة تُقرّضه كثيراً ... " .

وطبقاً لهذه الرواية فقد شاركت عائشة فعلياً في تأليب الناس على عثمان ومعها طلحة بن عبيد الله واخوها محمد بن ابي بكر ، فاذا كانَ لكل من هذين الرجلين سبباً دفعهُ للقيام بذلك فما هو السبب الذي دفع ام المؤمنين عائشة للاشتراك في ذلك من دون ازواج النبي ﷺ ؟ ، هذا مالم يعطِ

(١) ينظر :جدول رقم (٢) .

(2) English Wikipedia , https://En.wikipedia.org/wiki/ , Aisha- Wives of Muhammad, update 10\2\2018 .

(٣) العِقد ، ٤ / ٢٧٦ .

ابن عبد ربه تفسيراً له ، كما انهُ لم يحدد متى كانَ خلاف عائشة مع عثمان ، هل كان في بداية خلافتهِ ام انهُ حدثَ بعدَ ذلك ؟.

فَصـلّت العديد من المصادر التاريخية [١] طبيعة العلاقة التي ربطت بين عائشة وعثمان واعطت اسباباً متعددة لنقمتها عليه ، في حين لم يذكر المؤلف سبباً واحدا مقنعاً لذلك العداء يرقى الى ان تكون فيه عائشة مركزاً تستقطب حولها جميع المعارضين لعثمان .

ثم ذكر ابن عبد ربه رواية[٢] عن ابي نظرة[٣] قال ما نصه : " إنّ ناساً كانوا عند فُسطاط عائشة وأنا معهم بمكة، فمرّ بنا عثمان فما بقي أحدٌ من القوم إلا لعنه غيري، فكان فيهم رجلٌ من أهل الكوفة فكان عثمان على الكُوفيّ أجرأ منه على غيره، فقال: يا كُوفي، أتشتُمني؟ فلما قدم المدينةَ كان يتهدّده . قال: فقيل له: عليك بطَلحة. قال: فانطلق معه حتى دَخل على عثمان. فقال عُثمان: والله لأ جلدنَه مائة سَوط. قال طلحة :والله لا تَجلدنه مائةَ إلاّ أن يكون زانياً. قال :والله لأ حرمنه عَطاءه. قال :اللهُ يرزقه".

وعلى الرغم من انفراد ابن عبد ربه بإيراد هذه الرواية الا انها جاءت منسجمة الى حد ما مع غيرها من الروايات فقد ذكر الطبري رواية عن ابن ابي سبرة بسنده عن ابن عباس قال [٤] : " قال لي عثمان ... رأيت أن أوليك أمر الموسم وكتب معه إلى أهل الموسم بكتاب يسألهم أن يأخذوا له بالحق ممن حصره فخرج ابن عباس فمر بعائشة في الصلصل فقالت يا ابن عباس أنشدك الله فانك قد أعطيت لسانا إزعيلا [٥] أن تخذل عن هذا الرجل وأن تشكك فيه الناس فقد بانت لهم بصائرهم وانهجت ورفعت لهم المنار وتحلبوا من البلدان لأمر قد جم وقد رأيت طلحة ابن عبيد الله قد اتخذ على بيوت الاموال والخزائن مفاتيح فان يلِ يسير بسيرة ابن عمه أبي بكر ... " .

(١) ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ٢ / ٢٣١ ؛ ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ١ / ٧٢ ؛ البلاذري ، أنساب ، ٥ / ٥٣٤ ـ ٥٣٨ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ١٧٥ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٤ / ٤٠٧ و ٤٥٨ ؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ١ / ٤٢٢ ؛ العسكري، الاوائل ، ١ / ١٩٣ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق، ٦٦ / ١٧٤ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٥ / ٧٩ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ٥٧٠ ؛ ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١ / ٢٥٤ ؛ ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، ١ / ٩٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٠ / ٢٧٩ ـ ٢٨١ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ٢ / ٦٠٠.

(٢) العِقد ، ٤ / ٢٩١ .

(٣) من الرواة المُبهمين . ينظر :جدول رقم (٣)

(٤) الطبري ، ٤ / ٤٠٧ .

(٥) ازعيلاً : نشيطاً . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ،١٢٢/٢٩ .

تُعَد هذهِ الرواية دليلاً على ان عائشة حرّضت جميع الناس على عثمان حتى الصحابة مثل أبن عباس الذي ارادت منهُ ان يكون داعيتها الى ذلك ، وقد ذكرت بعض المصادر[١] روايات تدور في نفس المعنى . ان تطور الامر بعائشة حتى وصل بها الى التحريض على قتل عثمان لشيء يبعث على الحيرة ، وهب ان عثمان قد قُتل فماذا بعد ذلك ؟ . لعل عائشة ارادت ابدال خليفة باخر عن طريق تأليب الناس عليهِ لإجباره على التنحي عن السلطة ، فلما لم يتيسر ذلك عمدت الى المطالبة بقتله ، ولكن كيف تمكنت عائشة من اقناع الناس بالتجرؤ على امامهم ؟ علماً ان هذا المنصب محاط بقداسة معروفة لدى عامة المسلمين .

اذا اردنا الاجابة على السؤال علينا اولاً التفكير بعقلية ذلك الزمان فقد كانت مثالب عثمان شُغل الناس الشاغل الا انهم كانوا يبحثون عن سندٍ شرعي يعولون عليه لمواجهة شرعية سلطته ولعمري فقد وفّرت عائشة عليهم ذلك ومن مثلها – في نظرهم – في التصدي للأمر وهم يرون انها ترجماناً لسنة الرسول ولسان حاله الناطق.

حاولت عائشة اول امرها ان تكسر حاجز القداسة الذي كان يحيط بشخص عثمان - كونهُ خليفة - فعمدت الى تلقيبه بـ (نعثل) [٢] نكاية بهِ ، وقد شاعَ هذا اللقب على عثمان ، ثم انتقلت الى الخطوة الحاسمة ، وهيّ حث الناس على قتله كما ذكرتهُ بعض المصادر [٣] ، ولم تكتفِ عائشة بذلك بل سعت جاهدة لتمكين قريبها طلحة من الخلافة فقد اورد ابن ابي الحديد رواية عن المدائني قال [٤] : " ان عائشة لما بلغها قتل عثمان وهيَ بمكة ، اقبلت مسرعة وهي تقول له : ايه ذا الاصبع! للهِ ابوك ، اما انهم وجدوا طلحة لها كفؤاً " . اما العسكري فيورد رواية عن ابي القاسم بسندهِ عن عمر بن بشير عن عمته ام زيد قالت [٥] : " كنت مع عائشة رضي الله عنها بمكة، فأتاها أن عثمان قتل

(١) ينظر :أبن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ٧٢/١ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٤ / ٤٥٨ -٤٥٩ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٦٦ / ١٧٤ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ /٥٧٠ ؛ ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٦ / ٢١٥ ؛ ابن الطقطقي ، الفخري ، ١ / ٩٠ .

(٢) النعثل : اسم للذكر من الضباع ، وقيل بأنه لفض يُطلق على الشيخ الاحمق كما قيل بأنه رجل من اهل مصر طويل اللحية ، وكان عثمان اذا نيل منه وعيب يشبّه بهِ . ينظر : الفارابي ،الصحاح تاج اللغة ، ١٨٣٢/٥؛ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١ / ٢٥٤ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ١ / ٤٤٤.

(٣) ينظر: أبن قتيبة ، الامامة والسياسة ،١ /٧١ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٤ / ٤٥٩ ؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ٤ / ٤٢٣ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٣٩ / ٣٧ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ /٥٧١ ؛ ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٦ / ٢١٧ ؛ ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، ١٦ / ١٩٩ .

(٤) شرح نهج البلاغة ، ٦ / ٢١٥ .

(٥) الاوائل ، ١ / ١٤١ .

فقالت: أبعده الله بما قدمت يداه يا معشر قريش لا يشأم منكم عثمان كما شأم أحمر ثمود قومه إن أحق بهذا الأمر ذو الإصبع " . في حين اوردَ البلاذري رواية عن ابي مخنف جاءت مفصّلة اكثر من غيرها عن حال عائشة لما سمعت خبر مقتل عثمان فقال[١] : " حدثني ابو يوسف الانصاري انه سمع أهل المدينة يتحدثون ان الناس لما بايعوا علياً عليه السلام بالمدينة بلغ عائشة - رضي الله تعالى عنها - أن الناس بايعوا لطلحة فقالت: إيه ذا الإصبع لله أنت ، لقد وجدوك لها محشاً ، وأقبلت جذلة مسرورة ... " .

اذا فقد سعت عائشة جاهدة في أمرِ عثمان ليحل محلهُ طلحة احد المرشحين للخلافة طبقاً للطريقة التي وضعها عمر بن الخطاب ، ولكن ما الذي يمكن ان تستفيدهُ عائشة من ذلك ، فاذا كان الخليفة عثمان او طلحة او علي او حتى معاوية ، فما هو الفرق بالنسبةِ لها ؟ .

لتوضيح الامور بشكل ادق علينا تذكّر سيرة الخليفة عمر بن الخطاب الذي عُرِفَ عنه البطش والشدة ، والذي لم يكن يتردد في استخدامها حتى مع زوجات النبيﷺ ، كما انهُ حجرَ على كبار الصحابة بالمدينة لا يخرجوا منها الا باجلٍ معلوم ، فحافظَ بذلكَ على النسيج الاجتماعي الذي اوجدهُ الرسول . كما ان وجود كبار الصحابة في المدينة مكّنَ اهل الامصار من الرجوع اليهم للتزود بأحاديث النبي ﷺ وأخذ سيرته ، ومن هنا برز دور عائشة ، فكان اختلاف الناس لها طلباً للحديث واخذاً بالمشورة سبباً مباشراً في جعلها تحاول التدخل في شؤون الدولة ، فلما عسرَ عليها عثمان وأثرَ عليها اقاربه سعت الى ابداله بقريبها طلحة الذي بدا وكانهُ سماعُ لكلامها.

ومن الغريب جداً ان نجد المصادر التاريخية المتأخرة لا تذكر دور عائشة في تلكَ الفتنة فقد ذكر ابن الجوزي ما نصّهُ [٢] : " وكانت عائشة مقيمة بالمدينة تريد عمرة المحرم، فلما قضت عمرتها وخرجت سمعت بما جرى فانصرفت إلى مكة وهي لا تقول شيئاً ، فنزلت على باب المسجد وقصدت الحجر فسُتِرَتْ فيه ". اما ابن كثير فقال [٣] : " ولزم اكثر الناس بيوتهم وجاء وقت الحج فخرجت ام المؤمنين عائشة في هذهِ السنة الى الحج فقيلَ لها : انك لو اقمت كان اصلح ، فقالت اني اخشى ان اشير عليهم براي فينالني منهم من الاذية ما نال ام حبيبة ، فعزمت على الخروج " ، في

(١) انساب ٢ / ٢١٧ – ٢١٨ .

(٢) المنتظم ، ٥ / ٧٩ .

(٣) البداية والنهاية ، ١٠ / ٣١٣ .

حين يعطي ابن خلدون صورة اخرى لعائشة فقال [١] : " ثم خرجت عائشة إلى الحج و دعت أخاها فأبى فقال له حنظلة الكاتب : تدعوك أم المؤمنين فلا تتبعها و تتبع سفهاء العرب فيما لا يحل"

اذاً فقد ابتعدت المصادر التاريخية المتأخرة كثيراً عن تلك الفتنة حتى كادت لا تذكر أي صحابي بسوء ناهيكَ عن عائشة التي بُرِئت تماماً من كل تُهمة وفي الوقت نفسهِ القوا اللوم في ذلكَ كله على اهل الامصار ، وهذا مثالاً للانتقائية المفرطة التي اتبعها مؤرخوا تلك المصادر التي تتماشى مع ميولهم السياسية او العقائدية . ولعلَ اتقاء الفتن الطائفية التي انتشرت في العالم الاسلامي منذُ القرن الرابع وما تلاه هي السبب في احجام المؤرخين المعاصرين لها عن ذكر أي خبر من شانه ان يأجج الموقف ، فابتعدوا عن ذلك كله لكي لا يكونوا سبباً في تعقيد الامور اكثر مما هي عليه . اما بالنسبة الى ابن عبد ربه فقد تصرّف مع معارضة عائشة تصرّفاً لا يختلف عمّا فعلهُ مع معارضة كبار الصحابة اي انهُ عمدَ الى الوقوف على نهايات توفيقية دون الطعن بأحد – ولو على حساب الحقيقة التاريخية – ولعل سبب ذلكَ هو ان ارباب الدولة التي يعيش في كنفها هم اخلاف الرعيل الاول من بني امية الذين يمثّل عثمان سندهم الشرعي باستمرار الخلافة ، اي انهُ لم يذكر مثالب عثمان ولا ردة فعل الصحابة عليها .

ثالثاً - معارضة اهل الامصار:

ان التطورات السياسية الاخيرة التي شهدتها الدولة الاسلامية في السنوات الست الاخيرة من خلافةِ عثمان كانت من الشدّة بحيث حملت الناس على التوجه بأنظارهم صوبَ الخليفةِ فقط وتركِ ما سواه ، فقد كان الوضع الداخلي للدولةِ هشّاً الى درجةِ أن عادَت اليهِ روح القبليةِ التي حاربها الاسلام اولَ عهدهِ ، فكان استئثار عثمان ببني عمهِ وتوليتهم أمور المسلمين وأعراضهِ عن كبارِ الصحابة ما هوَ الا تمكيناً لقريش ليسَ على الحجازِ وحسب ، بل على الدولةِ الاسلاميةِ برمّتها .

ان معارضة اهل الامصار لسياسة الخليفة عثمان لم تخرج من العدم اذ لابد ان يكون هناك سبباً مؤثّراً دفعها الى ذلك ، فكما هو معلوم ان الطعن على عثمان كان قد بدأ في المدينة اولاً وقد ابتدئهُ بعض كبار الصحابة كعمار بن ياسر وابي ذر يشاركهم في ذلك المعتدلين من المهاجرين والانصار [٢].وطبقاً لنظرية القلب والاطراف [٣] فإن أقاليم الدولة البعيدة لابد ان تتأثر بذلك الحدث

(١) تاريخ ، ٢ / ٦٠٠ .

(٢) طه حسين ، الفتنة الكبرى ، ١ / ١٦٧ .

(٣) نظرية قدّمها العالم الجغرافي فريدمان الذي يرى ان النظام الجغرافي في الدول النامية يقوم على نظامين فرعيين هما القلب ويضم مركز النمو ، والاطراف وتظم المناطق البعيدة ويقول انهُ توجد علاقة تبعية بين

المستجد الذي لم يكن مألوفا في عهد الخليفتين ابو بكر و عمر، الا ان ذلك الموقف سرعان ما تعقّد كثيراً ليسفر في النهاية عن ارباك الوضع الامني في المدينة وهيجانه بشكل ادى الى عدم تمكّن بعض كبار الصحابة من رتق ذلك الفتق .وقبل الشروع بمناقشة مرويات ابن عبد ربه عن معارضة اهل الامصار وتطورها الى معارضة منظّمة تمكنت خلال مدة وجيزة ان تبسط سيطرتها على الامصار التي بدأت فيها ثم زحفت على مركز الدولة مشدّدة الحصار على الخليفة لإجباره على العدول عن سياسته التي جلبت عليه نقمة الناس ، الا ان ذلك الموقف سرعان ما تعقّد كثيراً ليسفر في النهاية عن مقتل الخليفة بطريقة مأساوية .اذاً علينا التعرّف اولاً على ابرز الاسباب التي اشكلها المعارضون على عثمان والتي أيدتها معظم المصادر التاريخية ثم نتحدث عن معارضة اهل الامصار واشكالياتها المعقّدة.

اوردَ ابن عبد ربه رواية غير مسندة بيّنَ فيها سبب نقمة الناس على عثمان فقال ما نصّه [١] : " ومما نَقم الناسُ على عثمان أنه آوى طريدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكَم بن أبي العاص .ولم يُؤْوه أبو بكر ولا عُمر، وأعطاه مائةَ ألف، وسَيّر أبا ذَرّ إلى الربذة، وسيّر عامرَ بن عبد قيس من البَصرة إلى الشام، وطَلب منه عُبيد الله بنُ خالد بن أسِيد صلةً فأعطاه أربعمائة ألف، وتصدّق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمهزور - موضِع سوق المدينة - على المُسلمين، فأقطعها الحارثَ بن الحَكم، أخا مَرْوان، وأقطع فدك مروانَ، وهي صدقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وافتتح إفريقية، وأخذ خُمسه فوهبه لمَروان. فقال عبد الرحمن بن حَنْبل الْجُمحي:

فأحْلِفُ بالله رَبّ الأنا ... م ما كتب الله شيئا سُدَى
ولكنْ خلِقت لنا فِتْنةً ... لكَي نُبتَلى بك أو تبتلى
فإن الأمينَينْ قد بَينا ... مَناراً لحق عليه الهُدى
فما أخذا دِرْهما غِيلةً ... وما تَركا دِرْهما في هَوى
وأعطيتَ مَرْوان خمس العبا ... د هيهات شأوك ممن شَأى "

دمج ابن عبد ربه روايات عدة في هذه الرواية ، لذا لو اردنا مقارنة هذهِ الرواية مع ما جاء في المصادر لابدَ لنا من اخذ كل رواية على حدة ومناقشتها لمعرفة مدى تمكن المؤلف من ايراد روايات تاريخية دقيقة . فبالنسبة الى روايتهِ من ان عثمان بن عفان قد أوى طريد رسول الله ﷺ ، فانهُ لم يبين السبب الذي من اجلهِ طرده الرسول ﷺ . بعكس غيره من المصادر التاريخية الاخرى التي ذكرت ان سبب طرد النبي للحكم بن ابي العاص هو استخفافهُ بالنبي والتشهير بهِ وهذا العمل

النظامين تتمثل في ان نظام الاطراف يتبع نظام القلب في كل شيء سياسياً وثقافياً واجتماعياً واقتصادياً . ينظر : عبد الهادي ، طه عبد القادر ، اتجاهات التخطيط ، ص ٢٠ .

(١) العقد ، ٤ / ٢٧٠ - ٢٧١ .

الشنيع لا يتوافق مع شخص الرسول الكريم ﷺ ، فضلاً عن قداستهِ ، لذا لم يجرؤ ابو بكرٍ ولا حتى عمر على ردّهِ الى المدينةِ بعد وفاة النبي ﷺ .ولكن عثمان أرجعه اليها .

كان امر طرد النبي ﷺ للحكم مشهوراً لدرجة انه ورد في جميع المصادر [١]. كما انه صار منقصة بحق بني امية واشكال على عثمان الذي اقدم على ردّه ، الا ان هناك بعض من عذر عثمان بن عفان على صنيعه هذا. فقد اورد ابن كثير كلام قال فيه ما نصّه [٢] : " وعتبوا عليه في ايوائه الحكم بن ابي العاص وقد نفاه اليها قال فقد نفاه رسول الله صلى إلى الطائف فذكر أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان قد نفاه إلى الطائف ثم رده ثم نفاه إليها قال فقد نفاه رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم رده " .

والواضح من كلام ابن كثير هذا ان عثمان لم يكن مخطئاً في ارجاع عمه الى المدينة لأن النبي ﷺ قد ارجعه من قبل . وهذا خلاف ما أتت فيه اغلب المصادر التي مر ذكرها. والغريب ان ابن سعد لم يتطرق الى امر نفي الحكم البتة وانما اكتفا بقوله [٣] : " أسلم [الحكم] يوم فتح مكة ولم يزل بها حتى كانت خلافة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، فأذن له فدخل المدينة فمات بها في خلافة عثمان ابن عفان، رضي الله عنه. وهو أبو مروان بن الحكم وعم عثمان بن عفان " .اما ابن خلدون فلم يذكر من تلك الحادثة شيء سوى قوله [٤]... والحكم بن ابي العاص بن امية من المستهزئين ايضاً " هكذا دون ان يذكر طريقة هذا الاستهزاء وكيف عاقبه النبي ﷺ على ذلك .

وعلى اية حال فقد كان امر الحكم بن ابي العاص من اهم ما شكل الثائرون على عثمان بن عفان . الا ان ابن عبد ربه لم يعطِ تفسيراً كافياً لسبب طرد النبي ﷺ لهُ كما اختصر الرواية الى الحد الذي دمجها مع روايات اخرى .

اما ذِكرهُ لعامر بن عبد القيس [٥] فلم تكن روايتهُ مفصّلة ولا مبيّنة لسبب نفيهِ وقد اكتفى بقولهِ : " وسيّر عامر بن عبد قيس من البصرة الى الشام " .

---

(١) ينظر : البلاذري ،انساب ،١٠/١٧٠-١٧١؛ اليعقوبي ،تاريخ ،٢/١٦٤؛ الطبري، تاريخ ، ٥/٥٦٦؛ المسعودي ، مروج، ٢/٢٧٢؛ العسكري ، الاوائل ،١/١٨٤؛ ابن عبد البر، الاستيعاب ،١/٢٥٩؛،ابن عساكر ، تاريخ دمشق ٣٩/ ٢٥١ ؛ ابن الاثير، اسد الغابة ،١/٢٨٩؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ١ / ٣١٠ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ١٥٦ .

(٢) البداية والنهاية ، ١٠ / ٢٧٣ .

(٣) طبقات ، ٥ / ٤٤٧ .

(٤) تاريخ ، ٢ / ٤١٣ .

(٥) هو عامر بن عبد الله المعروف بأبن عبد قيس بن ناشب بن اسامة بن العنبر ويقال أبو عمرو العنبري البصري الزاهد ، من كبار التابعين واعيان اهل البصرة ، كان من مُنكري سياسة والي عثمان على البصرة عبد الله بن

تناولت بعض المصادر مسألة تسيير الخليفة عثمان بن عفان لعامر بن عبد القيس بشيء من الاسهاب ، فقد اوردَ ابن سعدٍ رواية [١] عن عتاب بن زياد قال ان عامر بن عبد قيس وشي به إلى زياد ابن أبيه ، فقيل له: إن هاهنا رجلا يقال: له ما إبراهيم خير منك فيسكت وقد ترك النساء، فكتب فيه إلى عثمان فكتب أن انفه إلى الشام على قتب [٢] ، فلما جاءه الكتاب أرسل إلى عامر فقال: أنت الذي قيل لك ما إبراهيم خير منك؟ فسكت، قال: أما والله ما سكوتي إلا تعجبا لوددت أني كنت غبارا على قدميه يدخل في الجنة، قال: ولم تركت النساء؟ قال: أما والله ما تركتهن إلا أني قد علمت أنه متى ما تكن لي امرأة فعسى أن يكون ولد ومتى ما يكون ولد يشعب الدنيا قلبي فأحببت التخلي من ذلك، فأجلاه على قتب إلى الشام فلما قدم أنزله معاوية معه "

لم توضح رواية عتاب هذهِ سبب نفي عامر ، فليسَ من المعقول ان تكون مجرد تهمة ليسَ عليها بينة تُسَبِبْ في نفي رجلٍ صالحٍ مثل عامر . والغريب ان بعض المصادر [٣] أخذَت بهذهِ الرواية وان كان فيها شيء من الاختلاف الا انها اجمعت على ان هذا السبب هو الذي دفع الخليفة عثمان الى نفي عامر .

اورد الطبري رواية اخرى [٤] عن عامر بن عبد القيس في بداية حديثه عن احداث سنة ثلاث وثلاثين وقد أسنِدها عن جعفر بن عبدالله المحمدي قال : اجتمع ناس من المسلمين فتذاكروا أعمال عثمان وما صنع فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا إليه رجلا يكلمه ويخبره بأحداثه فأرسلوا إليه عامر بن عبدالله التميمي ثم العنبري - وهو الذي يدعى عامر بن عبد قيس - فأتاه فدخل عليه فقال له : إن ناسا من المسلمين اجتمعوا فنظروا في أعمالك فوجدوك قد ركبت أمورا عظاما فاتق الله عز وجل وتب إليه وانزع عنها قال له عثمان انظر إلى هذا فإن الناس يزعمون أنه قارئ ثم هو يجئ فيكلمني في المحقرات فو الله ما يدري أين الله قال عامر أنا لا أدرى أين الله قال نعم والله ما تدري أين الله قال عامر بلى والله إني لأدري أن الله بالمرصاد لك .

عامر، نفاه عثمان الى الشام ، فضل فيها الى ان مات ايام معاوية ، وقيل ان قبره ببيت المقدس . ينظر : أبن سعد ، الطبقات ، ٢ / ١٠٢ ؛ خليفة ،طبقات ،٣٣٢/١؛ بن قتيبة ، المعارف ، ١ / ٤٢٥ .

(١) الطبقات ، ٢ / ١٠٥ .

(٢) القتب ما يوضع على ظهر البعير، وهو رحل صغير على قدر السنام . ينظر : معلوف المُنجد ، ٦٠٨ .

(٣) ينظر: ابن قتيبة ، المعارف ، ١ / ٤٣٦ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٤ / ٣٢٧ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٢٦/ ٨ أبن الاثير ، الكامل ، ٢ / ٥١٧ ؛ أُسد الغابة ، ٦١٧ ؛ أبن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، ١١ / ٧٦ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ٢ / ١٤٢ .

(٤) تاريخ ، ٤ / ٣٣٤ .

ان رواية السري هذه تجعلنا نجزم بأنَ هذا هو السبب لإقدام الخليفة عثمان على نفي عامر بن عبد قيس ، فقد حدثَ ان نفى الخليفةُ ابا ذرٍ لما اعترضَ على بعضِ تصرفاته . ثم انهُ عالج معارضة عامر بن عبد قيس بنفس الطريقة التي عالجَ فيها معارضة ابي ذر ، يضافُ الى ذلكَ الى ان نفي عامر كانَ سنةَ ثلاثٍ وثلاثين وفي هذه السنة كان عثمان قد امر بنفي جماعة من اهل الكوفة فيهم مالك بن الاشتر وكُميل بن زياد واخرون ، لكونهم احتجوا على سعيد بن العاص قريب عثمان في مقالة قالها ، فكيفَ الحال بعامر الذي احتجَ على الخليفة نفسه ؟! . كما ان سنة ثلاث وثلاثين تُعَدْ بداية انتفاض اهل الامصار على عثمان ، لِذا فقد كانَ هنالكَ الكثير من الاحداث التي تشغلْ السلطة عن امرِ عامر الذي لا يأكل اللحم ولا يتزوج . وعلى اية حال يمكن عد معارضة عامر بن عبد القيس هي جزء من معارضة اهل البصرة التي سيأتي الحديث عنها في حينه .

اما قول ابن عبد ربه : " وطلبَ منهُ عبد الله بن خالد بن أسيد[١] صلةً فأعطاه اربع مئةَ الف " ، فعلى الرغم من كون بعض المصادر قد جعلت ذلكَ مما أُخِذَ على الخليفة عثمان الا انها اوردتهُ بطريقة مختلفة ، فقد اورد ابن شبة رواية [٢] عن احمد بن معاوية انهُ قال : " حدثني عبدالله عن إسحاق بن يحيى عن موسى بن طلحة قال : أرسل عثمان إلى طلحة يدعوه فخرجت معه حتى دخل على عثمان وأذ علي وسعد والزبير وعثمان ومعاوية ... قالوا: أعطيْت عبد الله بن خالد بن أُسيد، ومروان وكانوا يزعمون أنه أعطى مروان خمسة عشر ألفاً وابن أُسيد خمسين ألفاً [قال]: فردُوا منهما ذلك . فرضوا وقبلوا وخرجوا راضين " .

وهذهِ الرواية حددت مبلغ المال الذي أُعطيَ لخالد ، الا أنها ذكرت في الوقت نفسه ان عثمان ترك أمر ذلك المال الى كبار الصحابة الذين أشكلوا عليه في ذلك فبادروا الى ارجاعه الى بيت المال ، وقد اتفقت بعض المصادر [٣] مع ابن شبة في ايراد روايات قريبة من هذه الرواية ، ولكن رواية ابن عبد ربه لم تذكر ان كبار الصحابة أقنعوا عثمان باسترجاع ذلك المال كما انها اختلفت

(١) هو عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي وهو اخ عتّاب بن اسيد ، اسلم عام الفتح وهو من المؤلفة قلوبهم . نزل البصرة ايام معاوية وكانت علاقته وثيقة بزياد ابن ابيه وقيل انه اخلفه عليها بعد موته . فأقرّ ذلك معاوية ، وظل هناك حتى كانت فتنة ابن الزبير فوقف الى جانب مصعب في صراعه مع عبد الملك ،ثم تحول عنه والتحق بالشام ، فلما بسط عبد الملك نفوذه على العراق ولاه البصرة ثم عزله عنها ، عاد الى مكة وتوفي فيها . ينظر : أبن سعد ، الطبقات ، ٥ / ٤٧١ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ٥ / ٨ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان، ٣ / ١٦٣ .

(٢) تاريخ ، ٣ / ١٠٩١ .

(٣) ينظر : اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ١٤٤ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٤ / ٣٣٤ ؛ المقدسي ، البدء والتاريخ ، ٥ / ٢٠٠ ؛ العسكري ، الاوائل ، ١ / ١٩٠ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ٢٦٨ ؛ ابن الطقطقي ، الفخري ، ١ / ٢٠٢ ؛ابن خلدون ، تاريخ ، ٢ / ١٦٨ ؛ .

معها في اسم المعني بذلك الحدث ،حيث ذكرته رواية المؤلف بعبيد الله بن خالد ، وهذا الذي لم يوافقه عليه احد . ولا يعد ذلكَ الا خلطاً وقعَ فيه المؤلف لعدم دقتهِ في ضبط اسمائه .

اما قول ابن عبد ربه : " وتصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم بمهزور – موضع سوقٍ بالمدينة – على المسلمين ، فأقطعها الحارث بن الحكم " .

فقد اورد ابن شبة أيضاً رواية عن ابراهيم بن المنذر انهُ قال [١] : " لما أَراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أَن يجعل للمدينة سُوقًا أَتى سوقَ بني قَيْنُقَاع، ثم جاء سوق المدينة فضربه برجله وقال : هذا سوقكم، فلا يُضيَق، ولا يؤخذ فيه خَرَاج ".

وهذهِ الرواية تدلل على ان النبي ﷺ لم يرد ان يؤخذ على سوق المدينةِ خراج.ثم اورد ابن شبة رواية ثانية عن ابراهيم بن المنذر قال فيها [٢] : " تصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين بأَسواقهم " .الا ان هذا الاطلاق فيهِ نظر ، فقد اخرجَ ابن ماجة حديثاً للنبي ﷺ انه قال [٣] : " هذا سوقكم، فلا يُنْقَصَنَ، ولا يُضْرَبَنَ عليهِ خَرَاج " .لذا فالرواية الاولى اصح كما يوجد ما يؤيدها في بعض المصادر[٤]. ومهما يكن الحال ، فقد ذُكِرَ ان هذا السوق قد اقطعهُ الخليفة عثمان بن عفان لأبن عمهِ الحارث بن الحكم

واما قول المؤلف : " واقطعَ فدكٍ مروان وهي صدقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم " .

فقد اختلفت المصادر التاريخية في امر فدك [٥] فقد اورد الفسوي رواية [٦] عن سليمان قال فيها ما نصّه : " أن عمر بن عبد الغزيز نظر في مزارعه فخرق سجلاتها غير مزرعتي خيبر والسويداء فسأل عن خيبر من أين كانت لأبيه قيل كانت فيئا على عهد رسول الله (صلى الله عليه و سلم) فتركها رسول الله (صلى الله عليه و سلم) فيئا على المسلمين حتى كان عثمان بن عفان فأعطاها

---

(١) تاريخ المدينة ، ١ / ٢٠٠ .

(٢) م . ن. ، ١ / ٢٠٢ .

(٣) ينظر: الطبراني ، المعجم الكبير ، ١٩ / ٢٦٥ .

(٤) ينظر: اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ١٥٦ ؛ المقدسي ، البدء ، ٥ / ٢٠٠ ؛ العسكري ، الاوائل ، ١ / ١٩٠ .

(٥) فدَكُ : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة . أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم في سنة سبع صلحاً وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل خيبرَ وفتح حصونها ولم يبق من اليهود إلا ثُلة واشتد بهم الحصار راسلوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يُنزلهم على الجلاءِ وفعل ، وبلغ ذلك أهل فدك فأرسلوا إلى رسول الله أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم ، فأجابهم إلى ذلك فهي مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ٤ / ٢٣٨ .

(٦) المعرفة والتاريخ ، ١ / ١٣٧ .

مروان بن الحكم وأعطاها مروان عبد العزيز أبا عمر وأعطاها عبد العزيز عمر فخرق سجلها وقال أنا أتركها حيث تركها رسول الله (صلى الله عليه و سلم) وبلغني أنها فدك " .

اما الذهبي فيورد رواية [١] عن جرير قال : " جمع عمر بن عبد العزيز بني مروان حين استخلف، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له فدك ينفق منها، ويعود منها على صغير بنيهم ،ويزوج منها أيمهم، وإن فاطمة رضي الله عنها سألته أن يجعلها لها، فأبى، فكانت كذلك حياة أبي بكر ثم عمر، قال: ثم أقطعها مروان، ثم صارت لعمر بن عبد العزيز، فرأيت أمراً منعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة، ليس لي بحقٍ، وإني أشهدكم أني قد رددتها على ما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم " .

لذا فتعد هذه الرواية مكملة لرواية الفسوي اذ قد يكون عمر بن عبد العزيز قد سألَ عن الطريقة التي تَملّكَ بها أبوه فدك – وفق رواية الفسوي – فلما عرفَ مصدرها جمعَ بني أمية – حسبَ الرواية – الا ان هذهِ الرواية لم تُسعِ مَنْ أقطعَ مروان فدك والذي عن طريقهِ صارت لعمر بن عبد العزيز . وعلى ايةِ حال لا تختلفُ هذهِ الرواية عن بقية الروايات التي اوردتها المصادر الاخرى التي اتفقت على عدم ذكر اسم عثمان في تلك الحادثة ، وانما ذكرت بدلاً عنه معاوية بن ابي سفيان ذاكرةً بانه هو من وهب تلك الارض الى مروان [٢] .ولعلَ هذا التعتيم ناتج عن المنهجية التي اتبعها بعض المؤرخين في ابتعادهم عن مسالة التجريح بكبار الصحابة . اذ ان من المرجّح جداً ان يكون الخليفة عثمان هو من أعطى فدك لمروان وليسَ معاوية لكون ذلكَ يتفق مع مجموعة من المعطيات اتفقَ الجميع عليها فتفضيلهُ لقرابتهِ على سائر المسلمين وتغييرهُ في بعض الامور العقائدية التي تأولها بما لا يتفق مع السنة النبوية وهي دليل على عدم اكتراثه بها . كما ان اتفاق الجميع على كون مروان بن الحكم كانَ غالبُ على امره – كلُ ذلك – يجعلنا نجزم بأنَ الخليفة عثمان هو من اقْطَعَ فدك وليسَ معاوية ، اما الاخير فقد ردَها الى مروان لما صار خليفة ، وهذا يقودنا الى القول بأن علي بن ابي طالب قد استرجعَ فدك من مروان ، ولكن هل ارجعَ ملكيتها لهُ كونها خالصة للنبي ﷺ ؟ أم انهُ ارجعها صدقة كما ادعى ابو بكرٍ و عمر .

اعطى ابن ابي الحديد جواباً لتلك المسألة فقد ذكر في رواية [٣] ان علياً قد اعادَ فدك الى ما كانت عليه وقت خلافة ابي بكر و عمر ، أي انهُ قد اعادها صدقة للمسلمين وظلت كذلك وقتَ خلافة

(١) تاريخ الاسلام ، ٢ / ٣٢٩ .

(٢) ينظر: اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ١٤٤ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٣ / ٣٩٣ ؛ المقدسي ، البدء والتاريخ ، ٥ / ٢٠٠ ؛ العسكري ،الاوائل ، ١ / ٢٥٨ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ١٠٣ .

(٣) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٦ / ٢٠٨ .

ابنهُ الحسن ، ولكن بعدَ ان صار معاوية خليفة ارجعها لمروان بن الحكم فكانَ من امرها ما كان حتى اعادها عمر بن عبد العزيز الى ما كانت عليه زمن رسول الله ﷺ ومَنْ سار بسنّته .

اما قول ابن عبد ربه : " واخذَ خمس افريقية فوهبهُ لمروان " ، و قال عبد الرحمن بن حَنْبل الْجُمحي : فأحْلِفُ بالله رَبّ الأنام ... الابيات ". فقد اختلفت المصادر التاريخية [١] فيما بينها بطريقة تفصيل ذلك الخبر الا انها اتفقت على ان عثمان اطلق يد بنو الحكم و بالأخصّ مروان في ذلك الخمس ، الا ان ابن الاثير تميز بإعطائه تفصيلاً اكثر دقة عن ذلك الخبر فقال ما نصّه [٢] : " ...وحُمِل خمس إفريقية إلى المدينة فاشتراه مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار فوضعها عنه عثمان، وكان هذا مما أُخذ عليه . وهذا أحسن ما قيل في خمس إفريقية ، فإن بعض الناس يقول: أعطى عثمان خمس أفريقية عبد الله بن سعد، وبعضهم يقول : أعطاه مروان بن الحكم. وظهر بهذا أنه أعطى عبد الله خمس الغزوة الأولى وأعطى مروان خمس الغزوة الثانية التي افتتحت فيها جميع إفريقية، والله أعلم " .وطبقاً لهذه الرواية فان عثمان كان قد فعل ذلك من قبل بإعطاء خمس الغزوة الاولى ، فلما كانت الغزوة الثانية التي فُتِحَتْ فيها جميع افريقية اعطى خُمسها لمروان .

اما بالنسبة الى ابيات عبد الرحمان بن حنبل الجمحي [٣]فقد ذكرها ابن عبد البر في ترجمته لعبد الرحمن بن حنبل حيث ذكر ان سبب قول عبد الرحمن لها هو نفس الحادثة تلك الا انه يضيف عليها ابياتا اخرى فقال :

وأحلف بالله جهد اليمين	ما ترك الله أمراً سدى
ولكن جعلت لنا فتنة	لكي نبتلى بك أو تبتلى
دعوت الطريد فأدنيته	خلافاً لما سنه المصطفى
ووليت قرباك أمر العباد	خلافاً لسنة من قد مضى
وأعطيت مروان خمس الغني	مة آثرته وحميت الحمى
ومالاً أتاك به الأشعري	من الفيء أعطيته من دنا
فإن الأمينين قد بينا	منار الطريق عليه الهدى

(١) ينظر: ابن قتيبة ،الامامة والسياسة، ١/ ٥ ؛الطبري ، تاريخ ، ٤ / ٢٥٣ ؛ المقدسي، البدء والتاريخ ، ٥ / ٢٠٧ ؛ العسكري ،الاوائل ،١ /١٨٤ ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق ،٢٥١/٢٩ ؛ المحب الطبري ، الرياض النظرة في مناقب العشرة ،٢/ ٩١ ؛ ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ،١٦/ ١٧٣ .

(٢) الكامل في التاريخ ، ٢ / ٤٦٤ - ٤٦٥ .

(٣)هو عبد الرحمن بن حنبل أخو كلدة بن حنبل أمهما صفية بنت معمر بن خبيب بن وهب الجمحي كان أبوهما قد سقط من اليمن إلى مكة وقد مضى ذكره في باب كلدة بن حنبل ولا أعلم لعبد الرحمن هذا رواية .ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب ، ٢ / ٨٢٨ - ٨٢٩ .

فما أخذا درهماً غيلة ولا قسما درهماً في هوى "

اذا فقد اورد ابن عبد ربه روايات عدة دمجها برواية واحدة ، كما انهُ جاءَ بها مختصرة وغير مسندة ، لذا فيمكن القول إنهُ ارادَ أنْ يفهم القارئ او السامع انهُ بمجرد ذكرهِ لتلكَ الاخبار انهُ احاطَ خبراً بها ثمَ يترك لهُ حرية الاستزادة من مصادرِ التاريخ الاخرى .

وبالعودة الى معارضة اهل الامصار ، فقد عملت جميع الاسباب السالفة على تأجيج الموقف ضد الخليفة عثمان وخصوصاً في البصرة والكوفة و مصر التي ساعد ولاتها – من اقارب عثمان- على توسيع رقعة المحتجّين على السلطة ، اوردَ ابن عبد ربه رواية عن ابو الحسن قال فيها ما نصّه [١] : " أقبل أهلُ مصر عليهم عبدُ الرحمن بن عُديس البَلويّ، وأهلُ البصرة عليهم حَكيم بن جَبلة العَبدي، وأهل الكوفة عليهم الأشتر - واسمه مالك بن الحارث النّخعي - في أمر عُثمان حتى قَدِموا المدينة ، ثم قال ابو الحسن: لما قَدِمَ أهل مصر دخلوا على عثمان فقالوا: كتبت فينا كذا وكذا ؟ قال : انما هما اثنتان ، ان تقيموا رجلين من المسلمين ، او يميني بالله الذي لا اله الا هو ما كتبت ولا امليت ولا علمت . وقد يُكتب على لسان الرجل ، وينقش الخاتم على الخاتم . قالوا: قد احل الله دمك وحصروه في الدار ..." .

طبقاً لهذه الرواية فان كل مصر من هذه الامصار الثلاثة قد جعلت عليها زعيماً تسير بأمرته فلما وصلوا المدينة كان اهل مصر هم لسان القوم الناطق دون ان يكون لغيرهم اي دور، ولكن على الرغم من ذلك ما هي الصفة التي قدم بها اهل هذه الامصار ؟ ، هل كان قدومهم بصفةِ معارضين ومحاربين ؟ ، ام انهم ادّعوا امراً اخر ؟ وكم كان عددهم ؟ وهل كان لهم هوى في بعض الصحابة ؟ لم تخبر رواية ابن عبد ربه عن المزيد فلم يُفهم منها سوى قدوم اهل الامصار بزعمائهم على انهم معارضين ولا شيء غير ذلك .

اورد البلاذري رواية عن عباس بن هشام الكلبي قال فيها [٢] : خرج الأشتر إلى المدينة في مائتين، وخرج حُكيم بن جبلة العبدي في مائة ولحق به بعد ذلك خمسون فكان في مائة وخمسين، وجاء أهل مصر وهم أربعمائة، ويقال سبعمائة ويقال ستمائة، عليهم أمراء أربعة: أبو عمرو بن بُديل بن ورقاء بن عبد العزى الخزاعي على ربع، وعبد الرحمن بن عديس البلوي على ربع، وكنانة بن بشر التجيبي على ربع، وعروة بن شييم بن البياع الكناني ثم الليثي على ربع .

(١) العقد ، ٤ / ٢٧٩ .

(٢) انساب ، ٥ / ٥٤٩ .

وطبقاً لهذه الرواية فأن عدد اهل مصر كان يفوق ممن خرج من الكوفة والبصرة مجتمعين ، وعلى الرغم من اتفاق رواية ابن هشام مع رواية ابن عبد ربه في كون الاشتر كان اميراً على اهل الكوفة و حكيم بن جبلة اميراً على اهل البصرة الا ان ابن هشام قسّم اهل مصر الى اربعة ارباع لكل ربع امير ، وهذا ما يتفق مع التكتيك العسكري للحرب في ذلك الزمان ، ولكن هل اعلنوا بخروجهم هذا عن نيتهم في قلب نظام الحكم ؟ أم ان هناك شيئاً اخر لم تخبر بهِ هذهِ الرواية ، كما ان رواية ابن هشام اقتصدت كثيراً في عدد اهل الكوفة والبصرة ولم تعطِ تفصيلاً مقنعاً عن عددهم وامرائهم والمكان الذي نزلوا فيه لمّا قدموا المدينة ، اذ ليس من المعقول ان يتسع مكان واحد لذلك الجمع ، كما انها لم تعط وجهة نظر أي من المعارضين في بقية الصحابة ، ولكن على اية حال فقد تطابقت هذه الرواية مع بعض الروايات التي جاءت بها المصادر الاخرى [١].

اورد الطبري رواية عن السري قال فيها ما نصه[٢] : " لما كان في شوال سنة خمس وثلاثين خرج أهل مصر في أربع رفاق على أربعة أمراء المقلل يقول ستمائة والمكثر يقول ألف وعلى الرفاق عبدالرحمن بن عديس البلوى وكنانة بن بشر الليثي وسودان بن حمران السكوني وقتيرة بن فلان السكوني وعلى القوم جميعا الغافقي بن حرب العكّي ولم يجترئوا أن يعلموا الناس بخروجهم إلى الحرب وإنما أخرجوا كالحجاج ومعهم ابن السوداء وخرج أهل الكوفة في أربع رفاق وعلى الرفاق زيد بن صوحان [٣] العبدي والاشتر النخعي وزياد بن النضر الحارثي وعبد الله بن الاصم أحد بني عامر ابن صعصعة وعددهم كعدد أهل مصر وعليهم جميعا عمرو بن الاصم وخرج أهل البصرة في أربع رفاق وعلى الرفاق حكيم بن جبلة العبدي وذريح بن عباد العبدي وبشر بن شريح الحطم بن ضبيعة القيسي وابن المحرش بن عبد بن عمرو الحنفي وعددهم كعدد أهل مصر وأميرهم جميعا حرقوص بن زهير السعدي سوى من تلاحق بهم من الناس فأما أهل مصر فإنهم كانوا يشتهون علياً وأما أهل البصرة فانهم كانوا يشتهون طلحة وأما أهل الكوفة فإنهم كانوا يشتهون الزبير، فخرجوا وهم على الخروج جميع وفي الناس شتّى لا يشك كل فرقة إلا أن الفلج معها وأن أمرها سيتم دون الاخريين فخرجوا حتى إذا كانوا من المدينة على ثلاث تقدم ناس من أهل البصرة فنزلوا ذا خشب وناس من أهل الكوفة فنزلوا الاعوص وجاءهم ناس من أهل مصر وتركوا عامتهم بذي المروة ... " .

---

(١)ينظر: ابن سعد ، الطبقات ، ٥ / ٢٤ ؛ تاريخ خليفة ،١ / ١٦٨ .

(٢) تاريخ ، ٤ / ٣٤٨ - ٣٤٩ .

(٣) هو زيد بن صوحان بن الحارث بن الهجرس بن صبرة بن حدرجان بن ليث بن حداد بن ظالم بن عبد القيس ربيعة . كنيتهُ ابو طلحة . كان من اصحاب الخطط بالكوفة وكان خطيباً مفوهاً . من شيعة علي بن ابي طالب وشهدَ معهُ الجمل هو واخوه صعصعة وقد استشهد زيد في تلك المعركة فيها . ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٢٤٤ ؛ البلاذري ، انساب ، ٥ / ١٠٣ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٣ / ٥٢٨.

تعد رواية السري هذه الاكثر اقناعاً من روايتي ابن عبد ربه وابن هشام كونها فصّلت حال اهل الامصار واعدادهم وامرائهم والمكان الذي نزلوه في المدينة وهواهم فيمن يخلف عثمان من الصحابة ، الا انها بالغت بعض الشيء في حال اهل مصر الذين كانوا يصحبون ابن السوداء معهم ، وهذا امرُ مثير للجدل وعلى اية حال اخذ هذه الرواية عن الطبري مجموعة من المصادر [١] .

والغريب ان ابن قتيبة قد ذكر رواية غريبة بعض الشيء عن امير اهل مصر فقال [٢] ثم أقبل الاشتر النخعي من الكوفة في ألف رجل: وأقبل ابن أبي حذيفة من مصر في أربع مئة رجل، فأقام أهل الكوفة وأهل مصر بباب عثمان ليلا ونهارا .وهذه الرواية بعيدة كل البعد عما جاء في المصادر التاريخية ولا يمكن الركون اليها تحت اي ضرف .

اما بالنسبة الى قتل الخليفة عثمان فقد أوردَ ابن عبد ربه رواية [٣] بسندهِ عن الزهري قال فيها ما نصّه : " قلتُ لسعيد بن المُسيّب: هل أنت مُخبري كيف قُتل عثمان؟ وما كان شأن الناسِ وشأنه ؟ ولم خَذله أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم؟ فقال: قُتل عثمان مَظلوماً، ومَن قتله كان ظالماً، ومَن خذله كان مَعذوراً. قلت: وكيف ذاك؟ قال: إنّ عثمان لما وَلي كَره ولايتَه نفرٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنّ عثمان كان يُحب قومه، فوَلي الناسَ اثنتي عشرة سنةً، وكان كثيراً ما يُولّي بني أمية، ممن لم يكن له من لرسول الله صلى الله عليه وسلم صُحبة، وكان يَجيء من أمرائِه ما يُنكره أصحابُ محمد، فكان يُستعتب فيهم فلا يَعزلهم . فلما كان في الحِجج الآخرة استأثر ببني عمه فولاهم وأمرهم بتقوى الله، فخرجوا ... " .

اوردَ ابن شبة رواية مطابقة [٤] . لذا فقد اتفقَ الاثنان في ايراد نفس الرواية كما وافقهم ابن عساكر [٥] و ابن منظور [٦] ، و الذهبي [٧] و المحب الطبري [٨] ، وقد جاءت هذه الرواية في تلكَ المصادر بلفظِ واحد وبطرقِ اسنادٍ مختلفة ، وطبقاً لهذهِ الرواية فقد اكّدَ ابن المسيب في حديثهِ للزهري على انَ عثمان قد اتبعَ سياسة تمكين الاقلية من قومهِ ورفدهم بمناصب عُليا في الدولة رغم

(١) ينظر : ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٣٩ / ٣١٧ ؛ ابن منظور ، مختصر ، ١٦ / ١٩٧ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ١ / ٤٤٢ - ٤٤٣ ؛ أبن كثير ، البداية والنهاية ، ١٠ / ٢٧٧ - ٢٧٨ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ٢ ، ٢ / ٥٩٤ – ٥٩٥ .

(٢) الامامة والسياسة ، ١ / ٥٦ - ٥٧ .

(٣) العقد ، ٤ / ٢٧٤ .

(٤) تاريخ المدينة ، ٤ / ١١٥٧ – ١١٦٠ .

(٥) تاريخ دمشق ، ٢٩ / ٤١٥ - ٤١٩ .

(٦) مختصر تاريخ دمشق ، ١٦ / ٢٢٨ – ٢٣٢ .

(٧) تاريخ الاسلام ، ١ / ٢٤٢ – ٢٤٤ .

(٨) الرياض النضرة ، ٢ / ٦٢ – ٦٦ .

اعتراض الصحابةِ على ذلك الا انهُ ما كانَ يعدل عن سياسته التي جلبت عليه نقمة الناس واعتراضهم على سلطته .

أكمل ابن عبد ربه روايته - بخصوصِ مقتل الخليفة عثمان – فقال : "فخرجوا. وولّى عبدَ الله بن أبي سرح مصرَ، فمكث عليها سِنين، فجاء أهلُ مصر يشكونه ويتظلّمون منه. ومن قبل ذلك كانت من عثمان هَناةٌ إلى عبد الله بن مسعود وأبي ذَرّ وعمّار بن ياسر. فكانت هُذيل وبنو زُهرة في قلوبهم ما فيها لابن مَسعود. وكانت بنو غِفار وأحلافها ومن غَضب لأبي ذرّ في قلوبهم ما فيها وكانت بنو مخَزوم قد حَنِقت على عثمان بما نال عمّارَ بن ياسر. وجاء أهلُ مصر يشكون من ابن أبي سرَح، فكتب إليه عثمانُ كتاباً يتهدّده، فأبى ابن أبي سرح أن يَقبل ما نهاه عثمانُ عنه، وضَرب رجلاً ممن أتى عثمانَ ، فقتله. فخرج من أهل مصر سبعُمائة رجل إلى المدينة، فنزلوا المسجدَ، وشكوا إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواقيت الصلاة ما صَنع ابن أبي سَرْح. فقام طلحةُ بن عُبيد الله فكلَّم عثمانَ بكلام شديد. وأرسلت إليه عائشةُ: قد تقدَّم إليك أصحابُ رسول اللهّ صلى الله عليه وسلم وسألوك عَزل هذا الرجل فأبيتَ أن تعزلَه، فهذا قد قَتل منهم رجلاً، فأنْصِفهم من عاملك. ودخل عليه عليٌّ، وكان متكلّمَ القوم، فقال: إنما سألوك رجلاً مكَان رجل، وقد ادعوا قِبله دماً، فاعزله عنهم، واقض بينهم، وإن وجب عليه حق فأنصفهم منه. فقال لهم: اختاروا رجلاً أولِّه عليكم مكانَه. فأشار الناسُ عليهم بمحمد ابن أبي بكر. فقالوا: استعمل علينا محمدَ بن أبي بكر. فكَتب عهدَه وولاّهَ، وأخرج معهم عِدَّة من المُهاجرين والأنصار يَنظرون فيما بين أهل مِصر وابن أبي سَرْح ... " .

كانت تراكمات سياسة الخليفة عثمان بن عفان في الشطر الثاني من خلافته ثقيلة على كبار الصحابة بشكل خاص وعامة المسلمين بشكلٍ عام ، كما كانت تجاوزات اقاربه الذين رفدهم بمناصب عالية في الدولة - وفيهم الفاسق والطريد - تتعاظم في عيون اهل الامصار يوماً بعد آخر تلك التجاوزات التي كانت تصدر عنهم مراراً وتكراراً اما بحق الدين او بحق الرعيّة دون ان يكون هنالك رادع من شأنه ان يوقفها أو على الاقل يخفف من وطأتها ، لذا فقد كان الوضع العام في الدولة يُنبيء بوقوع شيء يصعُب بعد ذلك تداركه .

اوردَ الطبري رواية [1] عن الواقدي قالَ فيها ما نصّه : " لما كانت سنة اربع وثلاثون كتب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهم إلى بعض أن اقدموا فإن كنتم تريدون الجهاد فعندنا الجهاد وكثر الناس على عثمان ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون ويسمعون ليس فيهم أحد ينهى ولا يذب إلا نفير ... " .

(١) تاريخ ، ٤ / ٣٣٦ – ٣٣٧ .

اما ابن كثير فذكر [١] ان السبب الذي حمل اهل مصر على الخروج على عثمان هو تأليب عمر بن العاص لما عزلهُ عثمان عن مِصر وولى عليها عبدالله بن سعد بن ابي سرح وكان سبب ذلك ان الخوارج من المصريين كانوا محصورين من عمرو بن العاص مقهورين معه لا يستطيعون ان يتكلموا بسوء في خليفة ولا امير ، فما زالوا حتى شكوه الى عثمان لينزعه عنهم وولى عليهم من هو الين منه فلم يزل ذلك دابهم حتى عزل عمرا عن الحرب وتركه على الصلاة وولى على الحرب والخراج عبدالله بن سعد بن ابي سرح ثم سعوا فيما بينهما بالنميمة فوقع بينهما حتى كان بينهما كلام قبيح فارسل عثمان فجمع لابن ابي سرح جميع عمالة مصر خراجها وحربها وصلاتها وبعث الى عمرو يقول له لا خير لك في المقام عند من يكرهك فاقدم الى فانتقل عمرو بن العاص الى المدينة وفي نفسه من عثمان امر عظيم وشر كبير .

وهذهِ الرواية متضاربة بعض الشيء فإيهما أكثرُ شراً عمرو بن العاص ام خوارجَ مصر ، كما ان الكلام عن الخوارج يعدْ سابقاً لأوانهِ في تلكَ المرحلة من تاريخ صدر الاسلام ، فضلاً عن كونها فسّرت حال اهل مصر فقط دون باقي الامصار.

أما ابن حجر فيعطي سبباً لا يختلفُ كثيراً عما جاءَ بهِ غيره فيقول [٢] وكان سبب قتل عثمان أن أمراء الأمصار كانوا من أقاربه كان بالشام كلها معاوية وبالبصرة سعيد بن العاص وبمصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح وبخراسان عبد الله بن عامر وكان من حج منهم يشكو من أميره وكان عثمان ليّن العريكة كثير الإحسان والحلم وكان يستبدل ببعض أمرائه فيرضيهم ثم يعيده بعد إلى أن رحل أهل مصر يشكون من ابن أبي سرح فعزله وكتب له كتابا بتولية محمد بن أبي بكر الصديق فرضوا بذلك .

ذكر ابن شبة رواية عن ابي ذئب قال فيها :[٣] دعا عثمان عمار بن ياسر فقال: يا أبا اليقظان، إن لك سابقة وقِدْماً، وقَدْ عَرَفَك الناس بذلك، وقد استمْرحَ أهلُ مصر واستعلى أمرُهم وبَغْيُهم عليَّ، فأنا أحب أن أبعثك إليهم فتعتِبَهُم من كل ما عَتبُوا، وتضمن ذلك عليَ، وتقول بالمعروف وتنشر الحُسنى، فعسى الله أن يطفىء بك ثائرةً، ويلمَ بك شَعَثاً، ويصلح بك فساداً. وأمر له بحُملان ونفقةٍ، وكتب إلى عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح أن يُجري عليه رزقاً ما أقام عنده. فخرج عمار إلى مصر وهو عاتبٌ على عثمان ، فألَب الناس عليه، وأشعل أهل مصر على عثمان ، فكتب ابن أبي سرح إلى عثمان : إن عماراً قدِم علينا فأظهر القبيح ، وقال ما لا يَحِل، وأطاف به قوم ليسوا من أهل الدين ولا القرآن .

(١) البداية والنهاية ، ١٠ / ٢٧٠ .

(٢) الاصابة في تمييز الصحابة ، ٤ / ٣٧٩ .

(٣) تاريخ المدينة ، ٣ / ١٢٢ .

اذاً فقد كان عمار بن ياسر هو من اججَ أهل مصر على عثمان وفقَ ما جاءت بهِ هذهِ الرواية ، و قد يكون ذلكَ لا يعدو الصواب ، ولكنَ هذا لم يكن كافياً لجعلِ أهل مصر أولُ من شقَ عصا الطاعةِ على عثمان ، فهنالك ابن ابي سرح السيء السمعةِ وعمرو بن العاص الذي حنقَ على عثمان منذُ ان عزلهُ عن مصر ، كما كانت هنالكَ فوضى واضطرابات في الكوفةِ والبصرة تزامنت مع عصيان اهل مصر فتوافقَ جميع ذلكَ في فترة واحدة وهيَ سنة خمسُ وثلاثين .

اما قول الزهري كانت من عثمان هَنات إلى عبد الله بن مسعود وأبي ذَرّ وعمّار بن ياسر. فكانت هُذيل وبنو زُهرة في قلوبهم ما فيها لابن مَسعود. وكانت بنو غِفار وأحلافها ومن غَضب لأبي ذرّ في قلوبهم ما فيها وكانت بنو مخَزوم قد حَنِقت على عثمان بما نال عمّارَ بن ياسر .فعلى الرغم من ان رواية الزهري لا تتطرق لما اصابَ كل واحدٍ منهم الا انها جعلت من ايذاء عثمان لكبار الصحابة من اهم الاسباب التي فرّقت الناس عنهُ في المدينة ، فكما هو معلوم ان النظام الاجتماعي في تلك العصور كان يعتمدُ بشكلٍ اساس على القبيلة التي يمكن عدها بانها وجهُ اخر من وجوه الدولة لذا فأن تعرّض أي فردٍ من افراد القبيلة الى الاعتداء يجلب على المعتدي عداوةَ القبيلة باسرها ، وهذا ما حدثَ فعلاً لعثمان ، لذا فقد اكتسب عثمان عداوةَ قبائل اولئك الصحابة وحلفائهم الذينَ كانوا يشكّلون مع غيرهم مجتمعَ المدينة .

ثم يكمل ابن عبد ربه روايته عن مقتل عثمان فقال [1] مانصّه : " خرج محمد ومَن معه، فلما كان على مَسيرة ثلاثة أيام من المدينة إذا هم بغُلام أسود على بعير يَخبط الأرض خَبْطا، كأنه رجل يَطلب أو يُطلب. فقال له أصحابُ محمد: ما قصتك؟ وما شأنك؟ كأنك هارب أو طالب. فقال: أنا غلامُ أمير المؤمنين وجّهني إلى عامل مصر. فقالوا: هذا عامل مصر معنا. قال: ليس هذا أريد. وأخبر بأمره محمدُ بن أبي بكر، فبعث في طلبه، فأتي به، فقال له: غلامُ من أنت؟ قال: فأقبل مرة يقول: غلام أمير المؤمنين، ومرة: غلامُ. مَروان، حتى عَرفه رجل منهم أنَّه لعثمان. فقال له محمد: إلى من أُرسِلت؟ قال. إلى عامل مصر. قال: بماذا؟ قال: برسالة. قال: معك كتاب؟ قال: لا. ففتّشوه فلم يُوجد معه شيء إلا إداوة قد يَبِست فيها شيء يَتقلقل، فحرّكوه ليخرج فلم يَخْرج، فشقُوا الإداوة ، فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرَح . فجمع محمدٌ مَن كان معه من المهاجرين والأنصار وغيرهم، ثم فُكّ الكتاب بِمَحضرٍ منهم، فإذا فيه: إذا جاءك محمد وفلان وفلان فاحتل لقَتْلهم، وأبْطل كتابَهم ، وقَرَّ على عملك حتى يأتيَك رأي ، واحتبس مَن جاء يتظلّم منك ليأتيك في ذلك رأي إن شاء الله ... "

(١) العقد ، ٤ / ٢٧٤ .

كانت الفوضى التي احدثها وفد أهل مصر في المدينة قد جلبت على عثمان تذمر كبار الصحابة الذين حرّكوا بدورهم الرأي العام ضده ، لذا فقد نزعَ الخليفة اخيراً الى الاخذ برأي علي بن ابي طالب وهو عزل عبد الله بن سعد بن ابي سرح عن مصر ، ثمَ تخيير الوفد باختيار والياً جديداً محلهُ فوقعَ اختيارهم على محمدٍ بن ابي بكر بعدَ أن اشارَ عليهم جماعة ، فلما كتبَ لهُ الخليفة كتاب ولايتهِ وخرجَ ومعهُ جماعة من المهاجرين والانصار فاذا بهِ يتفاجأ بان ذلكَ كله كانَ مكيدة مدبّرة لإخراج الوفد من المدينة والقضاء عليه وعلى محمد بن ابي بكر في مصر ، فكانَ ذلكَ كفيلاً بعودةِ الوفدِ الى المدينةِ ، وكانت عودتهُ لا لعزل الوالي بل لعزل الخليفة نفسه !.اوردَ اليعقوبي رواية [١] ذكرَ فيها تفصيلاً لذلك فقال وبلغ عثمان أن أهل مصر قدموا وعليهم السلاح ، فوجّه إليهم عمرو بن العاص وكلّمهم ، فقال لهم: إنه يرجع إلى ما تحبون ، ثم كتب لهم عثمان بذلك وانصرفوا ، وسار الركب الذين قدموا من مصر، فلما صاروا في بعض الطريق، إذا براكب على جمل، فأنكروه، ففتشوه، فوجدوا معه صحيفة من عثمان إلى خليفته عبد الله بن سعد: إذا قدم عليك النفر، فاقطع أيديهم وأرجلهم، فقدموا واتفقوا على الخروج، وكان من يأخذون عنه محمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة، وكنانة بن بشر .

وقد تكون هذهِ الرواية منطقية الى حدٍ معينٍ لكون عثمان قد اختارَ عمرو بن العاص ليكلم اهلَ مصر وهو بهم عارف فهوَ مَنْ كانَ قَدْ الفهم والفوه منذُ خلافةِ عمر بن الخطاب وشطراً من خلافةِ عثمانْ ، الا ان الرواية لا تذكر ان الخليفة عثمان قد خيرهم في الوالي الجديد الذي يرغبون .

اما البلاذري فاورد رواية [٢] عن محمد بن سعد يسندها عن جابر بن عبد الله قال فيها أن المصريين لما نزلوا بذي خُشُب بعث عثمان إليهم محمد بن مسلمة في خمسين من الأنصار أنا فيهم، فلم يزل بهم حتى رجعوا، فرأوا بعيرا عليه ميسم الصدقة وعليه غلامٌ لعثمان فوجدوا معه كتاباً أن اقتل فلانا وفلانا، فرجعوا فحصروه . وتختلفُ رواية البلاذري هذهِ عن بقية الروايات في كونها جعلت من عثمان ينتخب شخصاً من الانصار لكي يثني اهل مصر ويرجعهم الى ديارهم ، وهذا الامر في غاية الغرابة لكونِ عثمان وصاحباه اللذان سبقاه انما كانوا يعتمدون في جميع الامور الجسام على افرادٍ من المهاجرين لا الانصار ، لكن يمكن الاخذ بها اذا قلنا ان هذهِ هيَ المرة الثانية التي يبعث فيها عثمان جماعة ليكلموا اهل مصر ويثنوهم عما عزموا عليهِ من امر، والذي يقودنا لذلك ان ابن اعثم [٣] ذكر ان عثمان ارسل لأهلِ مصر المغيرة بن شعبة ، ثم عمرو بن العاص ، ثم جماعة ثم علي بن ابي طالب لكنهم لم يستمعوا إلا لعليّ بن أبي طالب وهذه الرواية وان كانت غير

(١) تاريخ ، ٢ / ١٧٤ - ١٧٥ .

(٢) انساب ، ٥ / ٥٥١ .

(٣) الفتوح ، ١ / ٤٠٥ .

منصوص عليها في باقي المصادر الا انها قريبة من الواقع لكونها ذكرت تواتر المفاوضين على اهل مصر الذينَ خُتِموا بعلي بن ابي طالب .

اتفقت أغلب المصادر [١] على ان عثمان ارسلَ علي بن ابي طالب لكي يكّلم اهل مصر ويقنعهم بالرجوع الى مصرهم ، أو يتوسط بينهم وبين الخليفة ، وهذا ما ذهبَ اليهِ المؤلف ، الا انني ارى ان عثمان كانَ يبعث لكلِ جماعة منهم مَنْ يؤثر فيهم من الصحابة ، فعمرو بن الحمق الخزاعي و عبد الرحمن بن عديس كانا ميالين لعلي بن ابي طالب فبعثهُ اليهم ، كما كانَ فيهم جماعة ينزعون الى عمرو بن العاص فأرسلهُ لهم ، وكذلكَ فعلَ معَ محمد بن سلمة الانصاري ، وهذا دليلُ على ان عثمان كانَ يريد رتق الفتق الذي فعلهُ عاملهُ بأي وسيلة كانت .

استمر ابن عبد ربه في سرد روايتهِ فقال ما نصّه [٢] : " فلما قرأوا الكتاب فَزعوا وعَزموا على الرُّجوع إلى المدينة، وخَتم محمد الكتاب بخواتم القوم الذين أرسلوا معه، ودَفعوا الكتاب إلى رجل منهم، وقَدِموا المدينة فجمعوا عليًّا وطلحةَ والزُّبير وسعداً ومَن كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثمّ فكّوا الكتاب بمَحضر منهم وأخبروهم بقصّة الغلام، وأقرأوهم الكتابَ فلم يبق أحدٌ في المدينة إلا حَنِق على عثمان، وازداد مَن كان منهم غاضباً لابن مسعود وأبي ذر وعمّار بن ياسر غَضباً وحَنقا، وقام أصحابُ النبي صلى الله عليه وسلم فلحقوا منازلَهم، ما منهم أحد إلا وهو مُغتم بما قرأوا في الكتاب. وحاصرَ الناسُ عثمان ، وأجلب عليه محمدُ بن أبي بكر بنِي تَيم وغيرهم، وأعانه طلحةُ بن عبيد اللهّ على ذلك. وكانت عائشة تُقرّضه كثيراً. فلما رأى ذلك عليّ بعث إلى طلحةَ والزُبير وسَعد وعَمَّار ونفرٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كلّهم بَدْري، ثم دخل على عثمان ومعه الكتابُ والغلام والبعير، وقال له علي: هذا الغلام غلامك؟ قال: نعم. والبعيرُ بعيرك؟ قال: نعم. والخاتَم خاتمك؟ قال: نعم. قال: فأنت كتبتَ الكِتاب؟ قال: لا، وحَلف بالله: ما كتبتُ الكتاب ولا أمرتُ به ولا وجّهت الغلامَ إلى مصر قط. وأما الخط فعرفوا أنه خط مَرْوان ، وشكّوا في أمر عثمان وسألوه أن يَدفع إليهم مَروان، فأبى. وكان مَروان عنده في الدار ... " .

لقد كانت مسالة ارسال عبدِ اسود على بعير بكتاب الخليفة الى واليهِ الى مصر خطة ذكية ارادَ واضعها اَنْ تُكْشَفْ لا أن تُستتِرْ ، فما اختياره العبد الاسود دونَ غيرهِ الا دليل على انهُ كانَ يريد أن يُفْتَضحَ أمره لأنَ مثل هذا الفرد يكون مميزاً بالنظر اليه مِن مسافة فكيفَ الحال اذا كان

(١) ينظر : ابن شبة ، تاريخ المدينة ، ٤ / ١١٤٩؛ البلاذري ، انساب ، ٥ / ٥٤٩ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٤ / ٣٥٩ ؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ١ / ٤١٠ ؛ المسعودي ، مروج ، ٢ / ٢٧٨ ؛ ابن حبان ، السيرة ، ٢ / ٥١٣ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٢٩ / ٤١٧ ؛ المحب الطبري ، الرياض ، ٢ / ٦٣ ، ابن منظور ، مختصر ، ١٦ / ٢٢٩ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام، ١ / ٢٤٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٠ / ٢٧١ - ٢٧٣ .

(٢) العِقد ، ٤ / ٣٧٩ .

يسايرهم بنفس الطريق الذي سلكوه ، لكن اذا كانت اصابع الاتهام تشير الى مروان بن الحكم فكيفَ يُقدم مروان على فعل شيءٍ خطيرٍ كهذا في ظرفٍ حرجٍ كالذي زامن مقتل عثمان ؟! ، الا يكون ذلكَ تعريض نفسهِ للخطر ، ام انهُ كان يدرك انهُ ان الامور مهما تأزمت فانَ بيت الخليفة سيكون ملجأً أمناً له .

على أي حال لقد اجمعت المصادر [١] على ان مروان بن الحكم هو من كان وراء ذلكَ الكتاب ، لكنَ عثمان رفضَ تسليمهُ لكبار الصحابة لكي يمتحنوه في ذلكَ . وهذا امرُ يحتاجُ مِنا الى وقفة فاذا كانَ الخليفة عثمان قد تبرأ من ذلكَ الكتاب ، فلمْ يبقَ الا مروان الذي كتبهُ وقد عرفوا خطّه فلماذا امتنعَ عثمان عن تسليمهِ لهم .

اوردَ ابن سعد رواية قالَ فيها ما نصّه [٢] : " كان الناس ينقمون على عثمان تقريبه مروان وطاعته له ويرون أن كثيرا مما ينسب إلى عثمان لم يأمر به وأن ذلك عن رأي مروان دون عثمان. فكان الناس قد شنفوا لعثمان لما كان يصنع بمروان ويقربه وكان مروان يحمله على أصحابه وعلى الناس ويبلغه ما يتكلمون فيه ويهددونه به ويريه أنه يتقرب بذلك إليه " .

طبقاً لهذه الرواية فأن عثمان كانَ يسير بما يرسمهُ لهُ مروان ، فقد يكون مروان اقنعهُ بإبقاء ابن ابي سرح في مكانهِ ومعاقبة من سعوا بهِ فوافقَ عثمان على ذلك وامرهُ ان يكتب كتابه ، فلما كتبَ مروان اضافَ عبارة اقتل فلان وفلان ، وطبقاً لهذا الرأي فإنَ عثمان كانَ مسؤولاً بشكلٍ جزئي عن ذلك ، والا فلماذا لم يوافق على تسليم مروان ؟ اذا كان هنالك جماعة من كبار الصحابة ممن يثقُ بهم .

اسهب ابن عبد ربه بسرد روايتهُ فقال ما نصّه [٣]: " وحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء ، فأشرف عليهم ،فقال : أفيكم علي ؟قالوا لا. قال:؟ أفيكم سعد؟ قالوا لا. قال : ألا أحد يبلغ عليا فيسقينا ماء ؟ فبلغ ذلك عليا ،فبعث اليه ثلاث قرب مملوءة ماء . فما كادت تصل اليه ، وجرح بسببها عدة موالي بني هاشم وبني امية ، حتى وصل اليه الماء . فبلغ عليا ان عثمان يراد قتله فقال انما اردنا منه مروان ، فأما قتل عثمان فلا . وقال للحسن والحسين : اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا احد يصل اليه بمكروه .وبعث الزبير ولده ، وبعث طلحة ولده على كره منه .

(١) ينظر : ابن شبة ، تاريخ المدينة ، ٤ / ١١٦٠ ؛ البلاذري ، انساب ، ٥ / ٥٥٠ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٤ / ٣٦١ ؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ١ / ٤١٠ ؛ المسعودي ، مروج ، ٢ / ٢٧٨ ؛ ابن حبان ، السيرة ، ٢ /٥١٤ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٢٩ / ٤١٨ ؛ المحب الطبري ، الرياض ، ٢ / ٦٤ ، ابن منظور ، مختصر ، ١٦ / ٢٣١ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام، ١ / ٢٤٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٠ / ٢٧١ - ٢٧٣ .

(٢) طبقات ، ٥ / ٢٧ .

(٣) العِقد، ٤ / ٢٧٧ .

وبعث عدة من اصحاب رسول الله(ص) ابنائهم ليمنعوا الناس ان يدخلوا على عثمان وسألوه اخراج مروان .ورمى الناس عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بن علي بالدماء على بابه ، وأصاب مروان سهم في الدار ، وخضب محمد بن طلحة وشج قنبر مولى علي . وخشي محمد بن ابي بكر ان تغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيرونها ، فأخذ بيدي رجلين فقال لهما : اذا جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجه الحسن والحسين كشف الناس عن عثمان وبطل ما نريد ، ولكن مروا بنا حتى نتسور عليه الدار فنقتله من غير ان يعلم أحد. فتسور محمد بن ابي بكر و صاحباه من دار رجل من الانصار . ويقال من دار محمد بن حزم الانصاري . ومما يدل على ذلك قول الاحوص:

لا ترثينَّ لحزمي ظفرت بهِ طراً ولو طُرِحَ الحُزميُّ في النارِ .
الناخسين بمروانٍ بذي خُشُبٍ والمُدخلينَ على عُثمانَ في الدارِ.

اختصت هذهِ الفقرة من الرواية بحصار اهل مصر لعثمان الذي انتهى بمقتله ، وعلى الرغم من اتفاق جميع المصادر السالفة على حصار عثمان الا انها اختلفت بطريقةِ مقتله. فقد ذكرَ المسعودي [١] الرواية مطابقة لرواية المؤلف الا انها لا تخبر عمن بادرَ لقتلِ عثمان .

أما الطبري فقد أعطى رواية اكثر منطقية عن قتلِ عثمان فقال [٢] : " وكان آخر من دخل عليه ممن رجع إلى القوم محمد بن أبي بكر فقال له عثمان ويلك أعلى الله تغضب هل لي اليك جرم ألا حقه أخذته منك فنكل ورجع قالوا فلما خرج محمد بن أبي بكر وعرفوا انكساره ثار قتيرة وسودان بن حمران السكونيان والغافقي فضربه الغافقي بحديدة معه وضرب المصحف برجله فاستدار المصحف فاستقر بين يديه وسالت عليه الدماء وجاء سودان بن حمران ليضربه فانكبت عليه نائلة ابنة الفرافصة واتقت السيف بيدها فتعمدها ونفح أصابعها فأطن أصابع يدها وولت فغمز أوراكها وقال انها لكبيرة العجيزة ! وضرب عثمان فقتله " . وقد اورد ابن الاثير نفس هذهِ الرواية الا انهُ زادَ عليها بقولهِ [٣] : " وقيلَ الذي قتلهُ كنانة بن بشر التجيبي " .

اما اليعقوبي فلم يذكر كيفية قتل عثمان الا انهُ سمى من اشتركَ بقتله فقال [٤] : " وكان الذين تولوا قتله: محمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة، وابن حزم، وقيل كنانة بن بشر التجيبي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وعبد الرحمن ابن عديس البلوي، وسودان بن حمران ...

(١) مروج ، ٢ / ٢٧٩ .
(٢) تاريخ ، ٤ / ٣٩١ .
(٣) الكامل ، ٢ / ٥٤٤ .
(٤) تاريخ ، ٢ / ١٧٦ .

أعطى ابن حبان بروايتهِ [١] عن يومِ الدار اسم من قتلَ عثمان فقال : " ... ثم أخذ محمد بن أبي بكر بيد جماعة و تسور الحائط من غير أن يعلم به أحد من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان و هو قاعد و المصحف في حجره و معه امرأته و الناس فوق السطح لا يعلم أحد بدخولهم فقال عثمان لمحمد بن أبي بكر : والله لو رآك أبوك لساءه مكانك مني ! فرجع محمد و تقدم إليه سودان بن رومان المرادي و معه مشقص [٢]فوجأه حتى قتله و هو صائم ثم خرجوا هاربين من حيث دخلوا ... " .

وهذهِ الرواية تتعارض معَ رواية اليعقوبي الذي عدَ جماعة بلغوا سبعة رجالٍ كان فيهم سودان بن حمران لا حمران بن رومان . وانا ارجح رواية اليعقوبي وان كانت لا تعطي تفصيلاً لما حدثَ ذلكَ اليوم الا انها كانت اكثر شمولية من رواية ابن حبان التي حصرت قتلَ عثمان (بحمران) فقط ، بل انها لم تُتقن اسمهُ حتى .

في حين ذكرَ ابن خياط رواية [٣] عن المعتمر عن ابيه بسندهِ عن ابي سعيد قال : " دخل عليه رجل من بني سدوس يقال له الموت الأسود فخنقه وخنقه قبل أن يضرب بالسيف . فقال : والله ما رأيت شيئا ألين من خناقه لقد خنقته حتى رأيت نفسه مثل الجان تردد في جسده . وقال في غير حديث أبي سعيد : ودخل التجوبي فأشعره مشقصا فانتضح الدم على قوله : " فسيكفيكهم الله " فإنها في المصحف ما حكت " .

انفردَ ابن خياط في ايراد هذهِ الرواية فلم تذكر المصادر التي ذكرت يوم الدار ان احد قاتلي عثمان كان يسمى الموت الاسود ، كما ان حادثة قتله قبلَ ضربه لم يذكرها أحد .

ذكر ابن كثير رواية [٤] عن سيف بن عمر التميمي " بسندهِ عن خنساء مولاة أسامة بن زيد - وكانت تكون مع نائلة بنت الفرافصة [٥]امرأة عثمان - أنها كانت في الدار ودخل محمد بن أبي بكر وأخذ بلحيته وأهوى بمشاقص معه فبحأ بها في حلقه فقال مهلا يا ابن أخي فوالله لقد أخذت مأخذا ما

(١) السيرة ، ٢ / ٥١٩ .

(٢) المشقص : النصل العريض من نصال السهام . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ، ١٨ / ١٥ .

(٣) تاريخ ، ١ / ٣٩ .

(٤) البداية والنهاية ، ١٠ / ٣٠٧ .

(٥) هي نائلة بنت الفرافصة بن الاحوص بن عمرو الكلبية زوج عثمان بن عفان ، كانت على دين النصرانية مع ابيها ، اسلم اخوها ضب ثم اسلمت هي على يده ، خطبها الخليفة عثمان فأمر ابوها ابنه ان يزوجها له لأنه على دينه ، وقيل ان عثمان بذل في صداقها عشرة الآف درهم كانت مع عثمان يوم قتل وفقدت في ذلك اليوم أصابعاً من كفّها وبعثت بها وبقميص الخليفة المقتول الى معاوية مع النعمان بن بشير لكي يأخذ بثأره ، ثم ارتحلت بعدها الى الشام ، وقيل ان معاوية خطبها لنفسه فأبت ان تنكحه . ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ٥٤/٣؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ١٣٥/٧٠.

كان أبوك ليأخذ به فتركه وانصرف مستحييا نادما فاستقبله القوم على باب الصفة فردهم طويلا حتى غلبوه فدخلوا وخرج محمد راجعا فأتاه رجل بيده جريدة يقدمهم حتى قام على عثمان فضرب بها رأسه فشجه فقطر دمه على المصحف حتى لطخه ثم تعاوروا عليه فأتاه رجل فضربه على الثدي بالسيف ووثبت نائلة بنت الفرافصة الكلبية فصاحت وألقت نفسها عليه وقالت يا بنت شيبة أيقتل أمير المؤمنين وأخذت السيف فقطع الرجل يدها وانتهبوا متاع الدار ومر رجل على عثمان ورأسه مع المصحف فضرب رأسه برجله ونحاه عن المصحف ... " .

وقد تكون هذهِ الرواية هي من ادق الروايات التي ذكرت مقتل عثمان لكونها جاءت عمن شهدَ ذلكَ الحدث وهيَ الخنساء مولاة اسامة بن زيد التي كانت مع نائلة زوجة عثمان في الدار، ذلكَ لأنَ جميع الروايات السابقة لم تصدر عن أي شخص شهدَ ذلكَ الحدث ، فكما هوَ معروف صارَ مقتل عثمان منقصة لمن يريد أن يفتخر ، فضلاً عن كونهِ اصبحَ جرماً كبيراً تعاقب عليهِ السلطة التي انتقلت بعدَ مدة وجيزة الى اقارب عثمان مِن بني أمية .

أما بالنسبة الى قول الاحوص فقد ذكرت بعض المصادر[1] تلك الابيات لمّا أخرج اهل المدينة بني أمية منها عشية نكثهم بيعة يزيد بن معاوية فضلاً عن الدور الذي لعبه بعضهم في حصار عثمان وتسوّر قاتليه داره من دار عمرو بن حزم الانصاري . وبالعودة الى صاحب العِقد فقد تمكّن من إعطاء صورة عن الانقلاب الذي أحدثه اهل الامصار لا تختلف كثيراً عمّا موجود في المصادر التاريخية الاخرى ، ولعل سبب ذلك هو أشتهار تلك الرواية حتى انها وردت في جميع المصادر السالفة بلفظ واحد ، والغريب ان مؤلفنا لم يشذّب تلك الرواية مثلما اتبع مع غيرها من الروايات بل انه أوردها كاملة دون مَس وربما يكون السبب هو حرص المؤلف على ايرادها كاملةً لكونها أحاطت بجميع تفاصيل ذاك الحدث من جهة ، ومحاولته الظهور بمظهر المؤرخ لا الاديب من جهةٍ اخرى .

ان التطورات السياسية الاخيرة التي شهدتها الدولة الاسلامية في السنوات الست الاخيرة من خلافةِ عثمان كانت من الشدّة بحيث حملت الناس على التوجه بأنظارهم صوبَ الخليفةِ فقط وتركِ ما سواه ، فقد كان الوضع الداخلي للدولةِ هشّاً الى درجةِ أن عادَت اليهِ روح القبليةِ التي حاربها الاسلام اولَ عهدهِ ، فكان استئثار عثمان ببني عمهِ وتوليتهم أمور المسلمين وأعراضهِ عن كبارِ الصحابة ما هوَ الا تمكيناً لقريش ليسَ على الحجازِ وحسب ، وانما على الدولةِ الاسلاميةِ برمتها .

(١) ينظر: ابن شبة ، تاريخ المدينة ، ٤٢٤/٤؛ الاصفهاني ، الاغاني ، ٣١/١ .

قدّم ابن خلدون تحليلاً منطقياً [١] عما شهدته الدولة في السنوات الاخيرة من خلافةِ عثمان فأوضحَ بأنَ الازمة التي تعرضَ لها الخليفةُ عثمان ناتجةً عن توقف حركةَ الفتوحات فضلاً عما اصابَ المقاتلة من ابناء القبائل الاخرى من غبنٍ بسبب الامتيازات التي كانت ممنوحة منذ بدء الاسلام الى المهاجرين والانصار ، لكنه لم يذكر الاخطاء الجسيمة التي ارتكبتها السلطة بحقِ الشعب والتي كانت المحرّك الاساسي لتلكَ الازمة .

ويرى احد المستشرقين ان مقتل عثمان كان ذو تأثير استقطابي فقد كان الثوار في عرضهم بدائل لعثمان كخليفة قد حيدوا الرأي في المدينة ، وان عصبة وموالي عثمان لم يعد باستطاعتهم ان يوحدوا جبهتهم لمدة اطول من ذلك ، وفي الواقع فان مؤيدي عثمان الفعالين وقتذاك اصبحوا بنو امية واناس قليلين ومحدودين فقط في المدينة [٢] لذا كان من البديهي ان يؤول امر عثمان الى القتل بعدما كان قد خسر الدعم والتأييد من كبار الصحابة . ليس هذا وحسب بل واراد بعضهم قتلهُ فتحقق لهم ذلك .

(١) تاريخ ، ٢ / ٥٨٦ – ٥٨٧ .

(2) Francesco Gabrieli , : Muhammad and the Conquests of Islam , V 2 , p . 121 .

الفصل الثاني

حركات المعارضة من سنة (٣٦-٤١ هـ / ٦٥٧-٦٦٢م)

المبحث الاول- حركة معارضة اصحاب الجمل (٣٦هـ/٦٥٦م)

المبحث الثاني – حركة معارضة معاوية بن ابي سفيان (٣٥-٤٠هـ/٦٥٦-٦٦١م)

المبحث الثالث – حركة معارضة الخوارج (٣٧-٣٨هـ/٦

المبحث الاول

حركة معارضة اصحاب الجمل (٣٦هـ/٦٥٦م)

بعد مقتل الخليفة عثمان وقع اختيار اغلب من كان في المدينة على علي بن ابي طالب ليحل محله ، لكن الخلافة في ذلك الضرف كانت قد فقدت من هيبتها الشيء الكثير، فقد لقيَ الخليفة الجديد معارضة شديدة من بني امية كما تخلفَ عن بيعتهِ بعض المهاجرين والانصار لأنه بويعَ في فتنة قُتِلَ فيها خليفة ولأنَ الذين قتلوه سخطاً هم الذينَ حرصوا على اختيار علي ليسير بالمسلمين على سيرة النبي لا سيرة عثمان ، لكنَ المستقبل القريب كان ينبأ بشكلٍ جلي بعدم استقرار الوضع السياسي[١] ، حيث جرى ولأول مرة منذ خلافة ابي بكر تحدي الخليفة والاعتراض على سياسته اذا ما خالف رأي جمهور المسلمين أو اجتهد في طلب شيءٍ ، وهذا ما لا يتوافق مع مبدأ علي بن ابي طالب الذي عبّرَ عنه بصراحة لما اشترط عليه عبد الرحمن بن عوف على ان يسير بهم سيرة ابو بكر وعمر فقال[٢]:" اللهم لا ، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي ". ولا يعني هذا ان تمسّك بعض الصحابة بسنّة ابي بكر وعمر كان لما فيهما من مثالية أو تكامل بقدر ما كانتا تنطوي على امتيازات خاصة منحها الاثنان لبعض الصحابة كمسألة تفضيلهم بالعطاء وهي ما لا تتوافق مع الاحداث المتطوّرة للدولة الاسلامية التي صار فيها الصحابة قلّة بعد دخول اعداد غفيرة من القبائل العربية وغيرها في الاسلام ثم صارت تلك القبائل ذراع الدولة الضارب وعمودها الفقري ، وهذا ما استطاع علي بن ابي طالب ان يستشفّه فأجاب بأنه لا يلتزم بتلك السُنّة .

في الوقت نفسه كان معاوية بن ابي سفيان قد استقل بالشام منذ خلافة عمر بن الخطاب وطيلة خلافة عثمان ، وقد اشاع فيه ان عثمان قُتِلَ مظلوماً ، وانهُ ولي دمه وليس من السهل ثنيهِ عما يريد ، ثم ان طلحة والزبير اللذين عدّا قتل الخليفة عثمان نصراً لهما ولا بدَ لهما ان ينالا ثمرة ذلك النصر ، كما ان هنالك الكثير من الصحابة الذين التبست عليهم الامور فاثروا العافية حتى تنكشف الحقائق ، لذا فقد كانت خلافة الامام علي بن ابي طالب محاطةً بالكثير من المصاعب التي تعترض سبيله الطموح لإنقاذ الامة .

---

(١) سرور ، محمد جمال الدين ، الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية خلال القرنين الاول والثاني بعد الهجرة ، ٦٨-٦٩ .

(٢) الطبري ، تاريخ ، ٢ / ٢١٨ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ٤٤٤ .

قدمَ ابن عبد ربه مادة شبه متكاملة عن خلافة علي بن ابي طالب ، اذ اورد العديد من الروايات عنها وقد يكون غرضه من ذلك اشباع شغف السامع أو القارئ عن تلك المرحلة المضطربة في تاريخ الدولة الاسلامية والتي تعد مرحلة الفصل بين الخلافة الراشدة والدولة الاموية ، كما ان سائسها ابن عم النبي (ﷺ) وصهرهِ واشبه الناس خُلقاً بهِ ، وصاحب الحق الشرعي بالخلافة التي حيدهُ عنها كبار الصحابة منذُ وفاة النبي(ﷺ) ، لذا فقد كان الفضول يدفع الجميع لمعرفة الطريق الذي سار بهِ ، وكيف انتهى مشروعهُ لمواجهة التحديات الجديدة على الدين الاسلامي بعد ان انتهى قرابة الثلاثة قرون على تلكَ الخلافة .

أ- **معارضة طلحة والزبير** :

انتقلت هذه المعارضة من خلافة عثمان الى خلافة علي محتفظة بالدوافع ذاتها ، وبذا تكون تلك المعارضة موجهة بدافع المشاركة الفعلية في السلطة لا غير ، حيث اورد ابن عبد ربه رواية غير مسندة عن بداية تلك المعارضة قال فيها[١] ما نصه: "وقال طلحة لأهل البصرة وسألوه عن بيعة علي فقال : ادخلوني في حش [٢]ثم وضعوا اللُّجَ على قفي [٣]فقالوا بايع والا قتلناك " . حيث تشير هذهِ الرواية الى ان طلحة بايع الخليفة الجديد مكرهاً لا طائعاً ، فاذا كان الامر كذلك ، فهل كانَ هذا مسوّغاً يُجيزُ لهُ الخروج على من بايع ؟ .

أوردَ ابن سعد [٤] رواية غير مسندة ذكر فيها بيعه طلحة والزبير لعلي بن ابي طالب بالخلافة بانها تمت دون اكراه لذا تختلف هذه الرواية عن الرواية التي اوردها ابن عبد ربه ، وقد ايدت العديد من المصادر [٥] رواية ابن سعد ، لذا فمسألة اكراه طلحة على البيعة - كما ذكرها المؤلف – ماهي الا ادعاء طلحة لكي يكون في حل من بيعة علي بن أبي طالب لا غير .

---

(١) العِقد ، ٤ / ٣٠٠ .

(٢) الحش : البستان .ينظر :معلوف ، لويس ، المُنجد ،١٣٤.

(٣)علّق الزمخشري على تلك الحادثة فقال : " وفي حديث طلحة فوضعوا اللج على قفي يريد به السيف شبّهه باللج لكثرة مائه وقد وضِعَ على قفاه ، وقيل بل هو سيف الاشتر سمّاه الليم او اللج . ينظر: اساس البلاغة ٢ / ١٥٩

(٤) طبقات ، ٣ / ٢٣ .

(٥) ينظر: ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ١ / ٧٠ ؛ البلاذري ، انساب ، ٣ / ١٩ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ١٧٨ ؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ٤٣٥ ؛ ابن حبان ، السيرة ، ٢ / ٥٢٢ ؛ ابن الطقطقي ، الفخري ، ١ / ٩٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٠ / ٤٢٠ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ٢ / ٦٠٢ .

اما ابن ابي الحديد [١] فقد اوردَ رواية قريبة من رواية ابن سعد الا انهُ زاد عليها سبباً اخر لخروج طلحة والزبير على الخليفة علي بن ابي طالب حيث قال ما نصه : " ... جاء الزبير و طلحة إلى علي بعد البيعة بأيام فقالا له يا أمير المؤمنين قد رأيت ما كنّا فيه من الجفوة في ولاية عثمان كلها وعلمت رأي عثمان كان في بني أمية وقد ولاك الله الخلافة من بعده فولّنا بعض أعمالك فقال لهما ارضيا بقسم الله لكما حتى أرى رأيي و اعلما أني لا أشرك في أمانتي إلا من أرضى بدينه و أمانته من أصحابي و من قد عرفت دخيلته . فانصرفا عنه وقد دخلهما اليأس فاستأذناه في العمرة " . ان رواية كهذه تلامس الواقع الى حدٍ بعيد لكونها جعلت من بيعة الاثنين مشروطة باشراكهما في السلطة وهذا مالا يتوافق مع مبدا علي بن ابي طالب القائم على اساس حرصه الشديد في اختيار ولاته. اذاً فقد كانت رواية ابن عبد ربه ، عن مبايعة طلحة بن عبيد الله لعلي بن ابي طالب روايةً انتقائية انتقاها المؤلف لسبب قد يكون احجامه عن التعريض بالصحابة . او ميلهِ الى الاختصار واعطاء صورة مجملة لمجريات الاحداث في تلكَ المرحلة المضطربة من تاريخ الدولة الاسلامية .وأرى ان رواية ابن سعد أكثر منطقية من رواية ابن عبد ربه و ابن ابي الحديد لعدة اسباب هيَ:-

الاول : ان كلاً من طلحة والزبير كانا يعلمان من قرارة انفسهما ان علي بن ابي طالب هو الاجدر بهذا المنصب فقد عارض الزبير معه خلافة ابي بكر ، كما عارض طلحة بيعة ابي بكر لعمر [٢] .

الثاني : ان كان مقصد طلحة والزبير من بيعتهما لعلي بن ابي طالب بالخلافة ان يتوليا لهُ بعض الامصار اي ان يعملا للخليفة الجديد على البصرة و الكوفة فهذا الامر لا يمكن بلوغه الا من خلال التظاهر بموادعتهِ ، والا فلا يمكن ان يستعملهما بعد ان اظهرا ما في قلوبهما من شقاق .

الثالث : لم يُكره علي بن ابي طالب احداً على بيعته بدليل انه لم يُكره مَن تخلف عن بيعتهِ من بني امية وغيرهم[٣] . فكيف يصح ان يُكره طلحة والزبير ولا يُكرِه غيرهم على ذلك ! .

---

(١) شرح النهج ، ١ / ٢٣١ .

(٢) اورد الطبري رواية عن ابي حميد يرفعها عن اسماء بنت عميس قالت : " دخل طلحة بن عبيد الله على أبى بكر فقال استخلفت على الناس عمر وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه ، فكيف به إذا خلا بهم وأنت لاق ربك فسائلك عن رعيتك . فقال أبو بكر - وكان مضطجعا - أجلسوني فأجلسوه فقال لطلحة أبالله تفرقني..." . ينظر : تاريخ ، ٣ / ٤٣٣ .

(٣) تخلفَ عن بيعة علي من بني امية مروان بن الحكم وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة ومن الانصار حسان بن ثابت و كعب بن مالك والنعمان بن بشير وجماعة غيرهم من العثمانية ، الا انهم جميعاً عادوا فبايعوا من =

اما بالنسبة الى معارضة الزبير للخليفة علي بن ابي طالب فلم يتطرق المؤلف لذكرها وهذا امر فيه نظر ، فقد قرنت جميع المصادر اسم طلحة باسم الزبير معاً منذ ايام خلافة عثمان ثم انها ذكرت تفاصيل بيعتهما معاً لعلي بن أبي طالب . فلماذا لم يفعل المؤلف الشيء نفسه ؟ . وفي الحقيقة انه لم يعطِ تفاصيل دقيقة عن شخصية الزبير منذ أخباره عن الثورة على عثمان وهذا أمر يستحق التنويه ، فقد كانت شخصية الزبير في كتاب العِقد خلال هذه المرحلة ينتابها شيء من الضبابية . وأرى ان سبب ذلك يعود الى الزبير نفسه الذي كان قلقاً جداً على خلاف ما عرف من مواقفه الجريئة زمن النبي(ﷺ) وبعده ، ولعل الاضطراب والقلق ناتج عن عدم قناعته بما يجري من احداث أوان هنالك من يملي عليه ويسيره على رغم الكراهة .

أورد ابن عبد ربه رواية غير مسندة عن حالة الزبير تلك فقال [١] : " قال علي بن أبي طالب : ما زال الزبير رجلا منا اهل البيت حتى ادركه ابنهُ عبد الله فلفته عَنّا ". وهذه الرواية تنسجم تماماً مع حال الزبير في تلك المرحلة ، علماً ان هذه الرواية جرى ذكرها في بعض المصادر [٢] . ثم اورد المؤلف رواية ثانية عن العتبي قال فيها ما نصه [٣] : " قال رجل من ليث : لقيت الزبير قادماً فقلت : ابا عبد الله ، ما بالك ؟ قال : مطلوب مغلوب ، يغلبني ابني ويطلبني ذنبي ... " .

ورغم انفراد ابن عبد ربه بإيراد هذه الرواية ، فضلا عن كونه جاء بسند مبهم بقوله " رجل من ليث " الا انها تتفق مع الرواية التي قبلها في كون الزبير كان يتبع ولده عبد الله في تلك الفتنة فضلاً عن عائشة وطلحة . لذا فإنَ هذه الضبابية وعدم وضوح دور الزبير في تلك المرحلة ناتجة عن عدم اقتناعه بتلك المعارضة من اساسها وقد ذكرَ ابن قتيبة كلاماً للزبير يمكن ان يؤيد صحة ذلك فقال[٤] : وذكروا ان الزبير دخلَ على عائشة فقال : يا أماه ما شهدتُ موطناً قط في الشرك ولا في الاسلام الا ولي فيهِ رأيُ وبصيرة غير هذا الموطن فانهُ لا رأيَ لي فيهِ ولا بصيرة واني لعلى باطل . وهذه الرواية تعطي سبباً مقنعاً لتذبذب مواقف الزبير تجاه السلطة الجديدة، علماً ان بعض

= قرارة انفسهم دون ضغطٍ من السلطة . ينظر : اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ١٧٨ – ١٧٩ ؛ المسعودي ، مروج ، ٢ / ٢٨٥ - ٢٨٦ .

(١) العِقد ، ٤ / ٢٩٩ .

(٢) ينظر: ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ١٨ / ٤٠٤ ؛ ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢ / ١٦٧ ؛ ابن الطقطقي ، الفخري ، ١ / ٩٢ ابن منظور ، مختصر ، ٩ / ٢٤ .

(٣) العِقد ، ٤ / ٢٨١ .

(٤) الامامة والسياسة ، ١ / ٩٢ .

المصادر [١] اوردت روايات قريبة من هذهِ الرواية ، لذا يمكن عد ذلك الاضطراب في موقف الزبير تجاه خلافة علي بن ابي طالب هو السبب في عدم التركيز عليه من قبل المؤلف الذي أتبعَ منهجية التركيز على الشخصيات المؤثرة في مروياته ، يضاف الى ذلك انسحاب الزبير من المعركة بعد اقناعه من قبل الخليفة علي بعدم شق عصا الطاعة يجعل من شخصيته موادعة وهذا ما لا يستهوي المؤلف و القارئ و السامع على حد سواء . ولا يفوتنا ان نذكر ان الكتاب كتاب أدب و غرضه الاول و الاخير هو التأثير في نفس السامع والقارئ الى أقصى حد حتى يتحقق غرض المؤلف الذي لأجله الفّ الكتاب .

اما بالنسبة الى طلحة فقد اصر على موقفه في معارضتهِ للسلطة فظل في ارض المعركة حتى تمكنَ منهُ مروان بن الحكم فرماه بسهمٍ فجرحهُ جرحاً مات على اثرهِ في اليوم نفسه آخذاً بثأرِ ابن عمهِ عثمان الذي يُعَدْ طلحة المسؤول الاول عن قتلهِ .

ب- معارضة ام المؤمنين عائشة:

تقدّم دور ام المؤمنين عائشة في الفتنة على عثمان ، فقد شدّت رحالها تريد الحج لما ايقنت انهُ مقتول ، فلما قضت مناسكها وعادت في طريقها الى المدينة استفهمت عن أخبار عثمان فقيل لها انه قتل وان الناس اختاروا علياً للخلافة ، فلم تطق ذلك وعادت الى مكة وأخذت تحرّض الناس على الطلب بدمِ عثمان .

أورد ابن عبد ربه رواية عن الاعمش عن عيينة عن مسروق وضّح فيها حال عائشة بعد قتل عثمان فقال [٢]ما نصه : " قالت عائشة : مُصْتموه مَوْص الإناء حتى تركتموه كالثَّوب الرَّحيض [٣] نقيًّا من الدنس، ثم عَدوتم فقتلتموه ! فقال مَرْوان: فقلت لها: هذا عَملك، كتبتِ إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه. فقالت: والذي آمن به المُؤمنون وكَفر به الكافرون ما كَتبتُ إليهم بسواد في بَياض، حتى جلستُ في مجلسي هذا. فكانوا يَرَون أنه كُتب على لسان عليّ وعلى لسانها، كما كُتب أيضاً على لسان عثمان مع الأسود إلى عامل مصر. فكان اختلاف هذه الكتب كلها سبباً للفتنة " .

(١) ينظر : الدينوري ، الاخبار الطوال ، ١ / ١٤٨ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٤ / ٤٧٦؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ١ / ٤٧٠ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ٥٨١ ؛ ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١ /١٦٧.

(٢) العِقد ، ٤ / ٢٧٩ .

(٣) رحض الثوب غسله وثوبٌ رحض غُسِلَ حتى خَلُق . ينظر: معلوف ،المُنجد ، ٢٥٢-٢٥٣.

لم تبين رواية الاعمش هذهِ حقيقة كلام عائشة ، هل كان من خطبةٍ خطبتها ؟ ام انهُ كلام لها مرسل تكلمت بهِ بعد سماعها خبر مقتل عثمان ، علماً ان ابن خياط [١] اوردَ روايةً قريبة من رواية المؤلف وقد اسندها عن محمد بن عمرو بسنده عن خيثمة بن مسروق الذي قال ما نصه: " تركتموه كالثوب النقي من الدنس ثم قربتموه تذبحونه كما يذبح الكبش . قال مسروق : فقلت : هذا عملك كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه . فقالت عائشة : والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت إليهم بسواد في بياض حتى جلست مجلسي هذا . قال الأعمش فكانوا يرون أنه كتب على لسانها "وقد اخذت بعض المصادر[٢] بهذه الرواية.

ان التطابق بين هاتين الروايتين يجعلنا نشك بان ابن خياط هو المورد الذي أخذ عنه ابن عبد ربه ، لكن الأخير تلاعب بالنص كثيراً ، اما بالنسبة الى السند فعلى الرغم من ان المؤلف شذّب سنده ولكنهُ لم يتقن أسماء رواته ، فقد أورد روايتهُ عن الاعمش عن عُيينة عن مسروق ، بينما اسندها ابن خياط عن خيثمة بن مسروق [٣] لا عُيينة عن مسروق ، اما بالنسبةِ الى الرواية فقد شذّبها المؤلف الى الدرجة التي لم يتبقَ منها الا ما يُفهم من ان عائشة كانت واجمة على قتلِ عثمان ، كما انهُ يُقحم اسمَ مروان في الرواية حتى انهُ يحوّل الكلام له بقوله : " قال مروان فقلتُ لها ... " ، ولعمري هذا تخليطُ كبير لا يمكن ان يصدر عن رجلٍ يحرصُ على اتقان روايته ! ، فما علاقةُ مروان بذلك فالذي خاطبَ عائشة هو خيثمة الذي روى تلكَ الرواية . ثمَ يضيف المؤلف عبارة " فكانوا يرون أنه كتب على لسانِ علي ..." ، فما شأن علي بالمسألة؟!

ثم أوردَ ابن عبد ربه رواية ثانية غير مسندة ذكرَ فيها خطبة عائشة فقال[٤]: "وخطبت عائشةُ أهلَ البصرة يوم الجمل فقالت: أيها الناس، صَه صه، كأنما قُطعت الألسن في الأفواه. ثم قالت: إن لي عليكم حُرمَة الأمومة، وحق الموعظة، لا يتّهمني إلا من عَصى ربَّه. مات رسول اللهّ صلى الله عليه وسلم بين سَحْري ونَحْري، وأنا إحدى نسائه في الجَنة، له ادّخرني ربّي وسلّمني من كل بضُع، وبي مَيّز بين مُنافقكم ومؤمنكم، وبي أرخص لكم في صَعِيد الأبواء. ثم أبي ثالثُ ثلاثةٍ من المُؤمنين وثاني اثنين في الغار، وأول من سُمَّي صديقاً. مَضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم راضياً عنه، ... وانتظمت طاعتُكم بحَبله. ثم ولي أمرَكم رجلاً مَرْعياً إذا رُكن إليه، ...، وجَمَّع أعضاد ما جمع القرآن، وأنا نصْب المسألة عنِ مسيري هذا. لم ألتمس إثماً، ولم أورِّث فتنة

(١) تاريخ ، ١ / ١٧٦ .

(٢) ينظر: البلاذري ، انساب ، ٢/ ٢٣٩ ؛ ابن عساكر ، تاريخ ، ٣٩ / ٤٨٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٠/ ٣٣٩ .

(٣) لم اعثر لهُ على ترجمة فيما تيسر لي من مصادر.

(٤) العِقد ، ٤ / ٣٠٠ - ٣٠١ .

أوطئكموها. أقول قولي هذا صِدْقاً وعدلاً، وإعذاراً وإنذاراً، وأسأل الله أن يصلي على محمد وأن يَخلفه فيكم بأفضل خلافة المُرسلين " .

تحدثت عائشة في خطبتها هذهِ عن مكانتها من رسول الله (ﷺ) وكونها احد نسائهِ في الجنة ولهُ إدّخرها الله ، بل هيَ افضل نسائه – حسبما تكلمت بهِ – لكونها قد سَلِمَتْ من أي نكاح ، ثمَ انتقلت الى فضل ابيها أبي بكر على المسلمين لكونهِ ثاني اثنين فضلاً عن كونهِ ماسك عروة الدين لما انقلب الناس الى الشرك بعد وفاة النبي(ﷺ) ، ثمَ تكلّمت عن فضلِ عمر بن الخطاب الذي جاءَ بعدهُ واصفةً لهُ بما هوَ مناسب لتقولَ بعدها " وأنا نصْب المسألة ... " . لتنهي خطبتها بالصلاةِ على النبي (ﷺ) . فهل هذا كلُ شيء ؟ ، كانَ الموقف يحتاج الى اكثر من ذلكَ بكثير ! ، فقد خرجَ طلحة والزبير ومن معهما على الخليفة علي بن ابي طالب وهوَ واجب الطاعةِ في نظرِ جميع المسلمين كونهُ خليفة ، وبرروا خروجهم ذلكَ بحجة الطلبِ بدمِ عثمان ، ولاستكمال الشرعية في خروجهم اقنعوا عائشة زوج النبي وأم المؤمنين بالمسيرِ معهم حتى يميل الناسُ اليها . فهل تستطيعُ عائشة ان تستميل الناس بهذهِ الكلمات الملتبسة المعنى ؟ .

فاذا كانت عائشة تملك اقتداراً خطابياً – حسبما يرى البعض [1] - فلماذا لم يظهر ذلكَ في خطبتها التي اوردها المؤلف ؟! ، أو بالأحرى لماذا يختفي من خطبتها السبب الذي دفعها ومَن معها للخروج على علي بن ابي طالب؟ فالمعروف ان البلاغة الخطابية تقتضي وضوح القصد واتساق المعنى والايجاز للوصول للغاية ، ألم يكن من الاجدر بها وهيَ على هذا الحال ان تذكر في خطبتها سبباً لذلكَ الخروج ؟! ، ثمَ انَ مَنْ خرجَ معها كان يريدُ مِنها ان تُقْنِعَ أكبرُ عدداً ممكناً من أهل البصرة ممن كانَ منهم في شكٍ في ذلكَ الخروج . فأينَ هيَ من ذلك ؟ .

وفي الحقيقة ان ذلك السبب لم يختفِ من خطبة عائشة بدليل ان الطبري اورد رواية عن السري ذكر فيها شطراً من تلك الخطبة فقال ما نصّه :" قالت عائشة : كان الناس يجتنون على عثمان ويزرون على عماله ويأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما يخبروننا عنهم ويرون حسناً من كلامنا في صلاح بينهم فننظر في ذلك فنجده برياً تقياً وفياً ونجدهم فجرة كذبة يحاولون غير ما يظهرون فلما قووا على المكاثرة كاثروه فاقتحموا عليه داره واستحلوا الدم الحرام والمال الحرام والبلد الحرام بلا ترة ولا عذر الا ان ما ينبغي لا ينبغي لكم غيره اخذ قتلة عثمان واقامة كتاب الله عز وجل ((ألم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم)) " وقد

(١) ذكرت بعض المصادر ان ام المؤمنين عائشة كانت جهورية الصوت خطّابة مفلقة . ينظر :العسكري ، الاوائل ، ١ / ١٣٨ - ١٣٩ ؛ الحاكم ، المستدرك ، ٢ / ١٢٨ و ٤ / ١٢ .

جرى ذكر هذه الرواية في العديد من المصادر[١] ، الا ان السري لم يذكر مقدمة الخطبة التي ذكرها ابن عبد ربه .

ارى ان تلكَ الخطبة كانت تتضمن محوران الاول : هو استهلال ذكرت فيهِ منزلتها من النبي وفضلها عن باقي زوجاته وفضل ابيها و جميع ذلك من باب التمهيد الذي كان يسير عليه الخطباء في كل عصر، ثم انتقلت الى المحور الثاني وهو توضيح سبب قدومها الى البصرة ، لتختتم خطبتها بقولها " وأنا نصب المسألة عن ميسري هذا ... ". و بالنسبة الى ابن عبد ربه فقد ذكر المحور الاول فقط دون ان يذكر المحور الثاني الذي هو جوهر المسألة على العكس من بقية المصادر الانفة التي ذكرت المحور الثاني دون الاول . مع العلم ان المحوران يكمّل بعضهما بعضاً . فضلاً عن كون الرواية التي اوردها المؤلف غير مسندة كما انه شذّبها الى الدرجة التي جعلها تفقد قيمتها التاريخية .

اذاً كان خروج عائشة من مكة الى البصرة مع طلحة والزبير يعد خرقاً لما أقتضاه الحكم القرآني الخاص بأمهات المؤمنين - حسبما فسّرهُ اغلب الصحابة - وبالأخص ام سلمة[٢] ، فقد اورد المؤلف رواية اخرى غير مسندة ذكر فيها ما كتبته ام مسلمة الى عائشة فقال ما نصه [٣] : " وكتبت أم سَلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم إلى عائشة أم المؤمنين إذ عزمت على الخروج يوم الجمل: من أم سَلَمة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى عائشة أم المؤمنين، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو. أما بعد، إنك سُدّة بين رسول اللهّ صلى الله عليه وسلم وبين أمته، حجاب مضروب على حُرمته. قد جَمّع القرآنُ ذيلك فلا تَنْدحيه[٤] ، وسَكَّر خَفارتك [١]فلا تَبْتذليها. فاللهّ مِن

(١) ينظر: ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ١ / ٨٧ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١٤ / ١٩١ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ٥٧٥ ؛ ابن ابي الحديد ، شرح النهج ، ١ / ٢٢٧ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ١٣ /٥٨٥ ؛ السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، ٢ / ١٩٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٠ / ٤٣٢ .

(٢) هِنْد بِنْت أبي أميَّة بن المغيرة بن عَبْد الله بن عُمر بن مخزوم القُرَشِيَّة المَخْزُومِيَّة. زوج النَّبِيّ صلّى الله عليه وسلّم، وإحدى أمهات المؤمنين، واسم أبيها أبي أميَّة: حذيفة، ويعرف بزاد الركب. وهو أحد أجواد قريش المشهورين بالكرم. وأمها عاتِكَة بِنْت عامر بن ربيعة بن مالك بن جَذيمة بن علقمة وهو جِذْلُ الطعان بن فراس الكنانية . اختلف في اسمها، فقيل: رَمْلَة. وليس بشيء. وقيل: هِنْد. وهو الأكثر ، كانت قبل أن يتزوجها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تحت أبي سلمة بن عَبْد الأسد المخزومي، وكانت هي وزوجها أول من هاجر إلى الحبشة، ويقال أيضاً: إن أم سلمة أول ظَعينة هاجرت إلى المدينة. وقيل: بل لَيْلَى بِنْت أبي حَثْمة امْرَأَة عامر بن ربيعة. وتزوجها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سنة ثلاث، بعد وقعة بدر. وقيل: إنه شهد أُحداً ومات بعدها. قاله ابن إسحاق. ولما دخل بها قال لها: " إن شئت سبَّعْتُ عندكِ وسبَّعتُ لنسائي، وإن شئتِ ثَلَّثتُ ودُرْت؟ " فقالت: ثَلِّث. وتوفيت أم سلمة أول أيام يزيد بن مُعاوِيَة وقيل: إنها توفيت في شهر رمضان أول شوال سنة تسع وخمسين، وصلى عليها أبو هريرة. وقيل: صلى عليها سعيد بن زيد ، وقيل توفيت سنة اثنان وستون . ينظر : الرازي ، الجرح والتعديل ، ٩ / ٤٦٤ ؛ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ١ / ٤٥ ؛ ابن الاثير ، أسد الغابة ، ١٥٩٢ ؛ السيوطي ، أسعاف المبطئ ، ١ / ٣٥ .

(٣) العِقد ، ٤ / ٣٠٠ - ٣٠١ .

(٤) ندح الشيء وسّعه . ينظر : معلوف ، المُنجد ، ٧٩٨ .

وراء هذه الأمة. لو علم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنّ النساء يَحتملن الجهاد عهِد إليك. أما علمتِ أنه قد نَهاك عن الفَراطة [٢]في البلاد، فإن عمود الدين لا يَثبت بالنساء إن مال، ولا يُرأب بهن إن انصدع؟ جهاد النساء غَضُّ الأطراف، وضَمَّ الذُّيول، وقَصر المُوادة [٣]. ما كنتِ قائلةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو عارضك ببعض هذه الفلوات ناصَّةً قَعودا [٤] ، من مَنهل إلى مَنهل؟ وغداً تردين على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأقسم لو قيل لي: يا أم سلمة، ادخُلي الجنة، لاستحييتُ أن ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتكةً حجابا ضرَبه عليّ. فاجعليه سِتْرك، وقاعةَ البيت حِصْنك ، فإنك أنصح ما تكونين لهذه الأمة ما قعدتِ عن نُصرتهم. ولو أني حدثتُك بحديث سمعتُه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لنَهشتِني نهش الحيةِ الرقشاء المُرقّطة. والسلام.

فأجابتها عائشة: من عائشة أم المؤمنين إلى أم سَلمة، سلام عليك، فإني أحمدُ الله إليك الذي لا إله إلا هو. أما بعد. فما أقبلني لوَعْظك، وأعرفني لحق نَصيحتك، وما أنا بمُعتمرة بعد تَعْريج، ولنِعم المَطلع مَطلع فَرَقتُ فيه بين فئتين مُتشاجرتين من المُسلمين، فإن أقعد فعن غير حَرج، وإن أمض فإلى ما لا غِنى بي عن الازدياد منه. والسلام " .

و طبقاً لهذه الرواية فقد انكرت ام مسلمة على عائشة خروجها مع طلحة والزبير الى البصرة مذكرة اياها بحرمة رسول الله التي يجب ان تصان ، فضلاً عن كون النبي (ﷺ) قد نهاها عن ذلك مسبقاً ، يضاف الى ذلك انها امرأة والدين لا يقوم بالنساء لذا فقد اتبعت ام سلمة بكتابتها هذا اسلوب سد المنافذ على عائشة لكي لا تعتذر بعذر .

وقد يكون رأي بقية نساء رسول الله (ﷺ) مطابقاً لرأي ام سلمة هذا ، ذلك لكونها كانت اشبه بعميدة نساء النبي (ﷺ) لكبر سنها و مكانتها الخاصة والمميزة عنده[٥] ، باستثناء حفصة التي

(١) الخفارة بالضم : شدة الحياء. ينظر : الفارابي ، الصحاح تاج اللغة ، ٢/ ٦٤٩ .

(٢) الفراطة: ماء البئر الذي يتوسط عدة احياء فمن سبق اليه فهو له . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ١٩ / ٥٣٢ .

(٣) لم أعثر على معنى لها في كتب اللغة ، الا انها قد تقصد بها المودة فيصير معناها التقليل من اظهار المحبة للناس .

(٤) النّاص :المُجد في سيره ، والقعود : المستريح منه . ينظر : معلوف ، المُنجد ، ٨١١ .

(٥) ذكر ابن سعد رواية عن محمد بن عمر بسندهِ عن فاطمة الخزاعية قالت : " سمعت عائشة تقول يوما: دخل عليَّ يوما رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقلت: أين كنت منذ اليوم؟ قال: يا حميراء كنت عند أم سلمة. فقلت: ما تشبع من أم سلمة؟ قالت: فتبسم ... " . ينظر : الطبقات ، ٨ / ٦٤ .

وافق رأيها رأي عائشة ، كما انها أرادت الخروج معها لولا منع أخوها عبد الله بن عمر عن ذلك [١] ، أما عائشة فأنها كتبت الى ام سلمة تدعي بانها خارجة للإصلاح ما بين المسلمين لا غير .

اتفق ابن قتيبة [٢] مع ابن عبد ربه في ايراد نفس هذه الرواية وقد يكون هو المورد الذي استقى عنه المؤلف روايته ،لكنهُ أعطى تفصيلاً ادق للظرف الذي كُتِبت فيه تلك الرسالة ، في حين اختلفت رواية اليعقوبي [٣] عن رواية المؤلف اختلافاً جذرياً فقد ذكر ان ما جرى بين ام سلمة وعائشة من جدال كان في مكة ، وقد اتفقَ معه ابن اعثم [٤] في ذلك الراي ، كما انهُ اعطى تفصيلاً اكثر اقناعاً و منطقية من رواية ابن عبد ربه ، حيث ذكر ان ام سلمة وباقي امهات المؤمنين – ومنهن عائشة - كُنَّ في مكة لأداء فريضة الحج في السنة التي قُتِلَ فيها عثمان وبويعَ لعلي ، وانَ طلحةَ والزبير قد خرجا من المدينةِ هرباً الى مكة ليقنعا عائشة بالمثول معهما الى البصرة ، فإذاً كان جميع الاطراف في مكة وقد بانَ الامر وعُرِفتْ النوايا فلا داعي الى المراسلة ، ثم ان عائشة حاولت اقناع حفصة للمثول معها الى البصرة ، فما الذي يمنعها من ان تكلم باقي زوجات النبي (ﷺ) ، وهب انها لم تخبر ام سلمة بذلك لمعرفتها المسبقة بموقفها من علي [٥] ، ولكن الم يكن هناكَ وقتاً كافياً لأم سلمة حتى تطّلعَ على حقيقة امر عائشة وعزمها على المسير الى البصرة ؟ فقد كانت شبهة دم عثمان تدور حولَ افراد كانت عائشة من ضمنهم وهذا امراً كافياً لجذبِ عيون الناسِ وترقبهم في مكة التي خرجت هيَ الاخرى عن سيطرة الخليفة علي . اما بالنسبةِ الى عدم ذكرِ تلكَ الحادثة في المصادر التاريخية الاخرى ! فأرى ان اغلبَ الرواة واصحاب الاخبار والمؤرخين احجموا عن ايراد ذلكَ الخبر كونهُ يقدح في شخص عائشة وهذا ما لا يريدهُ أغلبهم .

اذاً فقد كانت معارضة طلحة والزبير و عائشة تسير باتجاه دعوي لموقفهم من السلطة ، أي انهم استغلوا صحبة الرسول وحرمته لتمرير ذلك العصيان الذي دخلت فيه اطرافاً عدّة ومنهم يعلى

(١) ينظر: الطبري ، تاريخ ، ٤ / ٤٥١ ؛ ابن أعثم ، الفتوح ، ٤٥٥/١ ؛ ابن حبان ، السيرة ، ٢ / ٥٣٢ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٥ / ٨٠ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ٥٧١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٠/ ٤٣٣ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ٢ / ٦٠٧ .

(٢) الامامة والسياسة ، ٧٦ .

(٣) تاريخ ، ٢ / ١٩١ .

(٤) الفتوح ، ٢ / ٤٥٤ - ٤٥٥ .

(٥) ذكر البلاذري ان ام سلمة كانت تخاطب الناس في مكة وتامرهم بلزوم بيعة علي كونهُ افضل الناس بعدَ رسول الله . ينظر: الانساب ، ٢ / ٢٢٣ - ٢٢٤ .

بن منية[١] الذي أوردَ بحقه ابن عبد ربه رواية[٢] عن الخشني[٣] فقال فيها ما نصه : " وكان جملها [عائشة] يدعى عسكراً ، حملها عليه يعلي بن مُنْيَة وَهبه لعائشة وجعل له هَوَدجاً من حديد، وجَهز من ماله خَمسمائة فارس بأسلحتهم وأزودتهم. وكان أكثرَ أهل البصرة مالاً. وكان عليّ بن أبي طالب يقول: بُليت بأنَضّ الناس وأنطق الناس وأطوع الناس في الناس. يُريد بأنَض الناس: يَعلَى بن مُنْية، وكان أكثرَ الناس ناضا ، ويريد بأنطق الناس: طَلحة بن عُبيد الله ، وأطوع الناس في الناس عائشةَ أم المؤمنين .

تُعد معارضة يعلى لخلافة علي وتجهيزه جيش عائشة يوم الجمل من الثوابت التاريخية التي ذكرتها اغلب المصادر [٤] ، الا ان العبارة التي وردت في رواية الخشني والتي نصها : " وكان أكثرَ أهل البصرة مالاً " ، هذا ما لا يوافقهُ عليهِ احدُ ، فالمعروف ان يعلى كان من اهل مكة [٥] ، وكانَ عاملاً لعمر بن الخطاب على نجران ثمَ لعثمان على اليمن فمتى كان من اهلِ البصرة حتى نُسِبَ اليها ؟ .

اما الشطر الثاني من الرواية وهو قول علي بن ابي طالب " بُليت بأنَضّ[٦] الناس وأنطق الناس ... " ، فهيَ رواية ذكرتها بعض المصادر ولكن بنصوص مختلفة . فقد ذكرَ البلاذري رواية عن ابي مخنف قال [٧] : " وكان علي يقول: منيت بفارس العرب - يعني الزبير - وبأيسر العرب -

(١) هو يعلى بن أمية بن أبي بن عبيدة بن همام بن الحارث بن بكر بن زيد بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وأمه منية بنت جابر بن وهيب بن نسيب بن زيد بن مالك بن الحارث بن عوف بن مازن بن منصور. وكان يعلى بن أمية حليفا لبني نوفل بن عبد مناف. وأسلم هو وأبوه أمية وأخوه سلمة بن أمية. وشهد يعلى وسلمة ابنا أمية مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، تبوك. وروى يعلى عن عمر. اسلم امية وولداه بعد الفتح وهو الذي يقال لهُ يعلى بن منية وهيَ امهُ او ام ابيه . قُتِلَ بصفين معَ علي بن ابي طالب . ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ١١ ؛ خليفة ، طبقات ، ١ / ٩٢ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ١ / ١٠٦ ؛ ابن حجر ، الاصابة ، ٦ / ٥٣٩ .

(٢) العِقد ، ٤ / ٣١٠ .

(٣) من الرواة المُبهمين . ينظر :جدول رقم (٣)

(٤) ينظر: خليفة ، تاريخ خليفة ، ١ / ١٧٩ ؛ البلاذري ، انساب ، ٢ / ٢٣٦ ؛؛ الطبري ، تاريخ ، ٤ / ٤٤٣ ؛ المسعودي ، مروج ، ٢ / ٢٨٨ ؛ ابن حبان ، السيرة ، ٢ / ٥٣٢ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ١٥٨٧/٤ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٢٥ / ١١٠ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٥ / ٨٠ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ٥٧١ و أسد الغابة ، ١٢٧٣ ؛ ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، ١١ / ٢٠٥ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ٢ / ٦٠٧ .

(٥) ذكرهُ ابن حبان فقال : " وكان في عداد أهل مكة " . ينظر : الثقات ، ٣ / ٤٤١ .

(٦) اي اكثر الناس مالاً ، لان أهل الحجاز يسمون الدراهم والدنانير النضّ والناضّ " . ينظر : الفارابي ، الصحاح تاج اللغة ، ٣ / ١١٠٧ .

(٧) انساب ، ٢ / ٢٣٧ - ٢٣٨ .

يعني يعلى بن منية التميمي - وبفياض العرب - يعني طلحة - وبأطوع الناس في الناس - يعني عائشة " . أما ابن عبد البر فقد اوردَ رواية غير مسندة ذكرَ فيها خطبة علي بن ابي طالب فقال [١] : " ... وإني بليت بأربعة أدهى الناس وأسخاهم طلحة وأشجع الناس الزبير وأطوع الناس في الناس عائشة وأسرع الناس إلى فتنة يعلى بن أمية ... " . في حين اوردها العجلي [٢] بقوله: " بليت بأربعة اطوع الناس في الناس عائشة أم المؤمنين وأشد الناس الزبير واعبد الناس محمد بن طلحة بن عبيد الله واسخى الناس يعلى بن منية ... " .اما الذهبي فقد اورد ذلك بسنده عن الليث بن سعد ، فقال [٣] : " قال علي (رض): حاربني اربعة : أطوع الناس في الناس عائشة ، وأشجع الناس الزبير، وأمكر الناس طلحة بن عبيد الله ، وأعطى الناس يعلى بن منية ... " .وعلى الرغم من اتفاق هذه الروايات الاربع مع رواية ابن عبد ربه في موقف الخليفة علي بن ابي طالب من يعلي بن منية ، الا انها اختلفت فيما بينها في النسق والمعنى ، كما انها جاءت جميعها بلا سندٍ سوى رواية الذهبي ، الا انها رواية مرسلة اذ لم يشهد الليث بن سعد الجمل .

لذا يمكن القول ان رواية ابن عبد ربه هذهِ ما هيَ الا روايتان مستقلتان ، الاولى هيَ التي تحدثَ بها عن دور يعلى بن منية في تجهيزهِ جيش عائشة . والثانية هيَ حديث علي بن ابي طالب عن بلواه ، وما فعلهُ ابن عبد ربه هوَ دمج الروايتان برواية واحدة وحذفِ سندهما معاً ثمَ شذّبهما حسب الضرورة لكي يبدوان كأنهما رواية واحدة ، كما قدمّ اسم ابن منية على باقي الاسماء التي ذكرتها الرواية وحذفَ اسم الزبير منها اذ اجمعت جميع الروايات على ذكر اسمهُ فيها وهذا دليلُ قاطع على انتقائية المؤلف الذي تلاعبَ بالنص لكي يلائم حديثهُ الذي ساقهُ عن يعلى . وبالمحّصلة النهائية لم تكن جميع مرويات ابن عبد ربه عن حركة اصحاب الجمل متقنة فضلاً عن كونها لم تضف شيئاً جديداً ذا قيمة تاريخية عنها ، وانما ركزت على شخصيات معينة كانت في تلك الفتنة مصدراً للإثارة وجذب اهتمام الناس ورغبتهم المتصاعدة في معرفة مصيرها وهذا ما شجّع المؤلف على تلبية تلك الرغبات على حساب الحقيقة التاريخية .

(١) الاستيعاب ، ٢ / ٧٦٧ .

(٢) معرفة الثقات من رجال العلم والحديث من الضعفاء وذكر مذاهبهم واخبارهم ، ١ / ٢٨٠ .

(٣) تاريخ الاسلام ، ١ / ٤٥٧ .

المبحث الثاني

حركة معارضة معاوية بن ابي سفيان (٣٦-٤٠هـ/٦٥٦-٦٦١م)

كان لانتصار الخليفة علي بن ابي طالب في الجمل ودخوله البصرة ، ثمَ خروجهِ منها الى الكوفة التي اتخذ منها مقراً لحكومتهِ اثراً كبيراً في استقرار حكومتهِ و تفريق عمالهِ على الامصار ، ولم يبقَ امامهُ الا معاوية بن ابي سفيان الذي استقرَ على ولاية الشام منذُ زمنٍ بعيد ، فبدا موقفهُ مريباً بالنسبةِ للخليفة علي الذي حرصَ على اقناعهِ بالتخلي عن معارضتهِ التي اوشكت على البداية ، فارسل اليهِ جرير بن عبد الله البجلي[١] "يدعوه الى الدخولِ فيما دخل فيهِ المهاجرون والانصار من طاعته " [٢] . الا ان معاوية ماطلهُ في الجواب ، ثم اظهرَ معارضته التي انتهت بالصدام العسكري بينهُ وبينَ الخليفةِ في صفين والذي افضى الى مسالة التحكيم الشهيرة .

اورد ابن عبد ربه روايات عدة عن معارضة معاوية لخلافة علي ، فكانت اولى رواياتهِ غير مسندة ذكرَ فيها كتاب علي الى جرير بن عبد الله البجلي فقال ما نصه [٣] : " كتب عليّ بن أبي طالب إلى جرير بن عبد الله، وكان وجهّه إلى مُعاوية في أخذ بيعته، فأقام عنده ثلاثة أشهر يُماطله بالبيعة، فكتب إليه عليّ: سلام عليك، فإذا أتاك كتابي هذا فَاحمل مُعاوية على الفَصل، وخَيَره بين حرب مَجْلية، أو سَلم مَحظية. فإن اختار الحربَ فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يُحب الخائنين، وإن اختار السلم فخُذ بَيعته وأقبل إلي " .

ان مسالة ارسال الخليفة علي جرير البجلي الى معاوية بالشام لأخذ البيعةِ منهُ ، لهو امرُ اكدتهُ اغلب المصادر التاريخية [٤]. اما فيما يخص المراسلات التي جرت بين الخليفة علي ومعاوية

---

(١) هو جرير بن عبد الله بن جابر وهو السليل بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عويف بن خزيمة بن حرب بن علي بن مالك ، وكنيته ابو عمرو البجلي احد ساكني الكوفة وتحولَ الى قرقيسيا وبها مات سنة احدى وخمسين ، اسلم قبل وفاة النبي (صلّى الله عليه وسلّم) بأربعين يوماً ، كانَ عمر بن الخطاب يقول عنه : جرير بن عبد الله يوسف هذهِ الأمة ، يعني في حسنه . روى عن النبي وعن كبار الصحابة وروى عنهُ انس بن مالك وقيس بن ابي حازم و همام بن الحارث والشعبي و اخرون . ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ٥ / ١٣٢ ؛ خليفة ، طبقات ، ١ / ١٩٦ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ١ / ٢٤٠ .

(٢) الطبري ، تاريخ ، ٤ / ٥٦١ .

(٣) العِقد ، ٤ / ٣١٥ - ٣١٦ .

(٤) ينظر: ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ١ / ١١٤ ؛ البلاذري ، انساب ، ٢ / ٢٧٥ ؛ الدينوري ، الاخبار الطوال ، ١ / ١٥٦ ؛ المبرد ، الكامل في اللغة والادب ، ١ /٢٥٧ ؛ اليعقوبي ،تاريخ ، ٢ / ١٨٤ ؛ الطبري تاريخ، ٤ / ٥٦١ المسعودي ، مروج ، ٢ / ٤٤٦ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ١ / ٢٣٩ ؛ ابن=

، فقد اوردَ ابن عبد ربه رواية غير مسندة ذكرَ فيها اول تلكَ الرسائل فقال ما نصه [١] : " وكتب عليّ إلى معاوية بعد وقعة الجمل: سلام عليك. أما بعد. فإن بَيعتي بالمدينة لزمتْك وأنت بالشام، لأنه بايعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليه. فلم يكن للشاهد أنْ يختار ولا للغائب أن يردّ، وإنما الشُورى للمهاجرين والأنصار، فإذا اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان ذلك لله رضاً، وإن خَرج عن أمرهم خارجٌ ردّوه إلى ما خَرج عنه ، فإن أبى قاتلوه على أتباعه غيرَ سبيل المؤمنين، وولّاه الله ما تولّى وأصلاه جهنم وساءت مَصيراً. وإن طلحةَ والزُبير بايعاني ثم نَقضا بيعتهما، وكانَ نَقضُهما كردَّتهما، فجاهدتُهما بعد ما أعذرت إليهما، حتى جاء الحقُّ وظَهر أمرُ الله وهم كارهون. فادخُل فيما دَخل فيه المسلمون، فإنَ أحب الأمور إليّ قَبولُك العافية. وقد أكثرتَ في قتلة عثمان، فإن أنت رجعتَ عن رأيك وخلافك ودخلتَ فيما دخل فيه المسلمون، ثم حاكَمت القوْمَ إلي ، حملتُك وإياهم على كتاب الله. وأما تلك التي تُريدها فهي خُدعة الصّبي عن اللبن. ولَعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنَي أبرأ قُريش من دم عثمان. واعلم أنك من الطُّلقاء الذين لا تَحل لهم الخلافة ولا يدخلون في الشُّورى، وقد بعثتُ إليك وإلى مَن قبلك جَريرَ بن عبد الله، وهو من أهل الإيمان والهِجرة، فبايعْه ولا قُوة إلا بالله " .

تتماشى هذهِ الرسالة مع طبيعة الاحداث المعقّدة التي صارت اليها الدولةُ الاسلامية آنذاك ، فقد اشارَ فيها الخليفة علي الى طريقةِ بيعته ومن بايعهُ ومن نقضَ بيعته ، الا انها تذكر عبارة " وقد اكثرتَ في قتلِ عثمان " و"اما تلك التي تريدها فهي خدعة الصبي عن اللبن "، وهي عبارات توحي بان بعض ادعاءات معاوية - وهي القصاص من قتلةِ عثمان – قد نمَ الى علي عن طريق رسالة من معاوية او ان يكون مما تناقلتهُ الالسن ، الا ان ابن عبد ربه اوردَ هذهِ الرسالة على انها اولُ ما كتبَ علي الى معاوية بُعيد انتصاره في وقعة الجمل ، لكن مضمونها يوحي بان هناكَ مراسلات جرت بينَ الطرفين قبلَ ذلكَ . كما ان بعض المصادر [٢] ذكرت تلكَ الرسالة على انها الرسالة الثانية وليست الاولى .

=الجوزي ، المنتظم ، ٥ / ٩٧ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ٦٩٢ ؛ ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢ / ٨٨ .

(١) العِقد ، ٤ / ٣١٦ .

(٢) ينظر: ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ١ / ١١٣ - ١١٤ ؛ الدينوري ، الاخبار الطوال ، ١ / ١٥٧ ؛ المبرد ، الكامل في اللغة والادب ، ١ / ٢٥٨ ؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ٢ /٤٩٤ ؛ ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٣ / ٧٥ – ٧٦ .

ثم اورد ابن عبد ربه رد معاوية على رسالة الخليفة علي بما نصه [١] : " فكَتب إليه معاوية: سلام عليك. أما بعد، فلَعمري لو بايعك الذين ذكرتَ وأنت بريء من دم عثمان لكنتَ كأبي بكر وعمر وعثمان، ولكنَك أغريتَ بدم عثمان وخَذلت الأنصار، فأطاعك الجاهلُ، وقوي بك الضعيف. وقد أبي أهلُ الشام إلا قتالَك حتى تَدفع إليهم قتلَة عثمان، فإن فعلتَ كانت شورى بين المسلمين. وإنما كان الحجازيون هم الحكام على الناس والحق فيهم، فلما فارقوه كان الحُكَام على الناس أهلُ الشام. ولَعمري مَا حُجَّتك على أهل الشام كحجتك على أهل البَصرة، ولا حُجَّتك عليّ كحُجتك على طلحة والزُّبير، إن كانا بايعاك فلم أبايعك أنا. فأما فضلك في الإسلام وقرابتُك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلسْتُ أدفعه " .

تحملُ هذه الرسالة في طياتها جواباً لكلِ فقرة ذكرها الخليفة علي في رسالتهِ الى معاوية ، وقد ردَ معاوية عليها بحذقٍ أي انهُ ظل متمسكاً على الطلب بدمِ عثمان ، وهذا امرُ تعجيزيُ بالنسبة للخليفة علي ، ولكن بالرغمَ من ذلك فان ابن عبد ربه لم يذكر من توجهَ الى الكوفة بحمل تلكَ الرسالة . وعلى اي حال اتفقت بعض المصادر [٢] على ايراد نفس النص الذي ذكرهُ المؤلف – وان كان فيه بعض التقديم او التأخير او الاضافة - الا انها زادت عليها باستشهاد معاوية بأبيات شعرية لكعب بن جعيل [٣] اراد منها تجهُز اهل الشام للطلب بدمِ الخليفة المقتول ، كما انها اتفقت معهُ في عدم تسمية من حمل جواب معاوية الى الخليفة علي ولم يخالفهم في ذلكَ الا ابن ابي الحديد الذي ذكرَ انهُ جرير بن عبد الله البجلي . اما المنقري [٤] فقد اختلفَ مع الجميع في ايرادهِ رواية عن صالح بن صدقة [٥] قال فيها ما نصه : " ... فلما بايعَ اهل الشام معاوية قال : يا جرير الحق بصاحبكَ وكتبَ اليه بالحرب وكتبَ في اسفل كتابهِ بشعر كعب بن جعيل " . لذا فعلى الرغم من اتفاق المنقري مع ابن ابي الحديد في كون الذي حملَ الرسالة هو جرير ، الا انهُ اختلفَ عنهُ وعن باقي المصادر في عدم ذكر نص تلكَ الرسالة وانما اكتفى بقولهِ : " وكتبَ اليهِ بالحرب " .

---

(١) العِقد ، ٤ / ٣١٧ .

(٢) ينظر: ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ١ / ١٢١ ؛ المبرد ، الكامل في اللغة والادب ، ١ / ٢٥٨ ؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ٢ / ٢٦٥ ؛ ابن ابي الحديد ، شرح النهج ، ٢ / ٨٨.

(٣) هو كعب بن جعيل بن قمير بن عجرة بن ثعلبة بن عوف بن مالك التغلبي ، احد الشعراء المفلقين المخضرمين ، وهو شاعر معاوية ،و شهد معهُ واهل الشام صفين فمدحهم ورثا قتلاهم .ينظر : الامدي ، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم ، ٢ / ١٣١ ؛ المرزباني ، معجم الشعراء ، ١ / ٣١ .

(٤) وقعة صفين ، ١ / ٥٦ .

(٥) لم اعثر لهُ على ترجمة فيما تيسر لي من مصادر .

اسهبَ ابن عبد ربه في ذكرَ عدد الرسائل المتبادلة بينَ الطرفين فأورد الرسالة الثانية [١] التي بعثها معاوية للخليفة علي مع ابي مسلم الخولاني فقال ما نصّه :" وكتب معاوية [مع ابي مسلم الخولاني] إلى علي بن أبي طالب : أما بعد. فإن الله اصطفى محمداً وجعله الأمين علَى وحيه، والرسول إلى خَلقه، واختار له من المسلمين أعواناً أيّده بهم، وكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائِلهم في الإسلام، فكان أفضلَهم في الإسلام وأنصحَهم لله ولرسوله الخليفةُ، وخليفةُ الخليفة، والخليَفة الثالث، فكلّهم حسدْتَ، وعلى كُلهم بَغيتَ. عَرفنا ذلك في نظرك الشَزْر، وتنفُسك الصُعداء، وإبطائك على الخُلفاء، وأنت في كل ذلك تُقاد كما يُقاد البعير المَخْشوش [٢] ، حتى تُبايع وأنت كاره. ولم تكن لأحد منهم أشدَّ حسداً منك لابن عمك عثمان، وكان أحقَّهم أن لا تفعل ذلك في قَرابته وصِهْره. فقطعتَ رحمه، وقبَّحت محاسنه، وألَّبت عليه الناس، حتى ضُربت إليه آباطُ الإبل، وشُهر عليه السلاح في حَرم الرسول، فقُتل معك في المحلّة وأنت تسمعِ في داره الهائعة، لا تُؤَدّي عن نفسك في أمره بقَوْلِ ولا فعل برّ. أقسم قسماً صادقاً لو قصتَ في أمره مقاماً واحداً تنهينّ الناس عنه ما عَدل بك ممن قَبلنا من الناس أحد ولمَحا ذلك عنك ما كانوا يَعرفونك به من المجانبة لعثمان، فهم بطانتك وعَضدك وأنصارك. فقد بَلغني أنك تَنتفي من دمه، فإن كنت صادقاً فادفع إلينا قتلَته نَقتلهم به، ثم نحن أسرعُ الناس إليك، وإلا فليس لك ولا لأصحابك عندنا إلا السيف. والذي نفسُ معاوية بيده لأطلبنَّ قتلةَ عثمان في الجبال والرّمال والبَرّ والبَحر حتى نقتلهم أو تَلحقَ أرواحُنا بالله".

ومن خلال هذا النص يمكن تمييز عبارات معاوية الذي صعدّ من لهجة كلامه ، فضلاً عن كيلهِ التهم على الخليفة كيلاً ، كما انهُ تمسّكَ بطلبهِ بدمِ عثمان ثمَ ختمَ رسالتهُ بالتهديد والوعيد . ورغم اتفاق بعض المصادر [٣] على ايراد هذهِ الرسالة الا انها اختلفت فيما بينها بطريقة السند فقد اوردها المنقري عن سيف بن عمر [٤] المشكوك بروايته ، بينما كانت رواية البلاذري عن الليث بن سعد مرسلة ، في حين لم يعتمد ابن اعثم السند في منهجيته التاريخية من الاصل .

ثم اورد ابن عبد ربه جواب الخليفة علي فيما نصه [٥] : " أما بعد. فإنّ أخا خَوْلان قَدِم علي بكتاب منك تَذكر فيه محمداً صلى الله عليه وسلم وما أنعم الله به عليه من الهُدى والوَحْي. فالحمدُ للهّ

(١) العِقد ، ٤ / ٣١٨ .

(٢) خششت البعير: جعلت في انفه الخشاش ليقاد منه .ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ،١٨٤/١٧.

(٣) ينظر: المنقري ، وقعة صفين ، ٨٦/١؛البلاذري ، أنساب ، ٣ / ١٣٢؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ٢ / ٢٧٣ .

(٤) هو سيف بن عمر التميمي الضبي ، اصلهُ من الكوفة وتوفي ببغداد . وهو اكثر من وقع عليه الطعن بوضعهِ للحديث ، كما اتهم بالزندقة . ينظر : ابن حبان ، الثقات، ٢ / ١١٥ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ١ / ٥٦٦ ،وينظر ايضا :عبد الحميد ، صائب ، علم التاريخ ومناهج المؤرخين ،٨٧.

(٥) العِقد ، ٤ / ٣١٨ - ٣١٩ .

الذي صَدقه الوعد، وتَمَّم له النصر، ومكّنه في البلاد، وأظهره على الأعادي من قومه، الذين أظهروا له التَّكذيب، ونابذوه بالعداوة، وظاهروا على إخراجه وإخراج أصحابه، وألَبوا عليه العرب، وحَزّبوا الأحزاب، حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون. وذكرتَ أن اللهّ اختار من المسلمين أعوانَاً أيّده بهم، فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام، فكان أفضلَهم في الإسلام وأنصحَه لله ولرسوله الخليفةُ من بعده. ولعمري إن كان مكانُهما في الإسلام لعظيما، وإن كان المُصاب بهما لجُرْحا في الإسلام شديداً، فرحمهما الله وغَفر لهما. وذكرتَ أن عثمان كان في الفَضل ثالثاً، فإنْ كان مُحسناً فسيلقي رباً شكوراً يُضاعف له الحسنات ويَجزيه الثوابَ العظيم، وإن يك مُسيئاً فسيلقى رباً غفوراً، لا يَتعاظمه ذنبٌ يغفره. ولعمري إني لأرجو إذا الله أعطى الأسْهم أن يكون سَهْمُنا أهلَ البيت أوفَر نصيب. وايم الله، ما رأيتُ ولا سمعتُ بأحد كان أنصحَ لله ورسوله، ولا أنصحَ لرسول اللهّ في طاعة الله، ولا أصبر على البلاء والأذى في مواطن الخوف، مِن هؤلاء النفر من أهل بيته، الذي قُتلوا في طاعة اللهّ: عُبيدة بن الحارث يوم بدر، وحمزة بن عبد المطلب يوم أُحد، وجعفر وزيد يوم مُؤتة. وفي المهاجرين خير كثير، جزاهم الله بأحسن أعمالهم. وذكرتَ إبطائي عن الخلفاء وحسدي إياهم والبَغي عليهم. فأما البغي، فمعاذَ الله أن يكون. وأما الكَراهة لهم، فوالله ما اعتذر للناس من ذلك. وذكرتَ بَغْيي على عثمان وقَطْعي رحمه، فقد عمل عثمان بما قد علمتَ، وعَمل به الناسُ ما قد بلغك. فقد علمتَ أني كنتُ من أمره في عُزلة ، إلا أن تتجنَّى، فتجنَ ما شئتَ وأما ذِكْرك قَتلةَ عثمان وما سألتَ من دفعهم إليك، فإني نظرتُ في هذا الأمر وضربت أنفَه وعَينَه، فلم يَسعني دَفْعهُم إليك ولا إلى غيرك، وإن لم تَنْزع عن غَيك لنعرفنك عما قليل يطلبونك ولا يكلفونك أن تَطلبهم في سَهل ولا جَبل، ولا بَرّ ولا بحر. وقد كان أبوك أبو سفيان أتاني حين قُبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال. ابسط يدَك أبايعك، فأنت أحقُّ الناس بهذا الأمر. فكنتُ أنا الذي أبيت عليه مخافةَ الفُرقة بين المسلمين، لقُرب عهد الناس بالكفر. فأبوك كان أعلَمَ بحقَي منك، وإن تعرف من حقَي ما كان أبوك يعرفه تُصِب رشْدك، وإلا فنَستعين الله عليك " .

ومن خلال هذا النص نستطيع القول ان الخليفة علي بن ابي طالب اراد بجوابه هذا حل جميع الإشكاليات التي طرحها معاوية وغرضهُ من ذلك سد المنافذ عليه ورد ادعاءاته بالحجج الدامغة والمنطق القويم مما لا يدع مجالاً للشك عند المنصف من المطلعين عليها ان للخليفة يد في كلما نسبه اليه معاوية .

وبالعودة الى تلك الرسائل التي تمت مناقشتها نجد ان فيها ثغرة كبيرة الى الدرجة التي تمنعنا من الوثوق ببعضها ، فمن جهة السند كان معظمها غير مسند ، ذلك ان كتاب الامامة والسياسة لأبن قتيبة وكتاب الفتوح لابن اعثم يتبعان منهجية غير منهجية السند ، وينطبق ذلك ايضاً على كتاب الاخبار الطوال للدينوري الذي ذكرَ بعض هذهِ المراسلات بنفس الطريقة . في حين استعان

المنقري بكتابه وقعة صفين بروايات مبهمة السند ، اذ اوردَها جميعاً عن الجرجاني[١] ولم يكمل سنده ، كما انهُ لم يذكر نص رسالة معاوية الى الخليفة علي ، وقد اتبعَ البلاذري الشيء نفسهُ لما اوردَ رد معاوية على رسالة الخليفة علي الذي حملهُ ابو مسلم الخولاني فقد اوردها برواية الكلبي وهي الاخرى رواية مرسلة . اما بخصوص ما ذُكِرَ في المصادر الاخرى فعلى الرغم من ذكر هذهِ المراسلات من قبل بعضها [٢] ، الا انها لم تذكر نصوص معينة لتلك الرسائل او حتى مضموناً لها .

بقي لنا ان نذكر كتاب شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ، فكما هو معروف ان هذا الكتاب يضم بين دفتيه سيرة الامام علي بن ابي طالب وخطبهِ ووصاياه وكل ما هو مأثور عنه ، ولكنه جُمِعَ في عصر متأخر عن حياة الامام ، كما ان النصوص التي يتضمنها تحتوي طرق اسنادية قلقة مرّة ومضطربة مرّة اخرى ، بل انهُ ذكر قسماً من مواضيعهِ بإسناده عن كتب الادب كـ (الكامل) و(العقد) ، لِذا فان موضوع المراسلات التي ذكرها ابن ابي الحديد والتي دارت بين الخليفة علي بن ابي طالب و معاوية لا يمكن الاخذ بها بالجملة لكونها جاءت غير مسندة من جهة ، واضطراب ما اسند منها من جهةٍ اخرى مما يجعله لا يختلف كثيراً عما تم الحكم عليه من المصادر الاخرى .

وارى كباحث ان هذهِ المراسلات التي جرت بين الطرفين لا يمكن باي حال ان ترقى الى هذا العدد ، ولكن نفيها امر فيه نظر ، فمن الثابت تاريخياً ان الخليفة علي بن ابي طالب بعثَ جرير بن عبد الله البجلي الى معاوية لأخذ البيعة منهُ واخبارهِ بنهاية تمرد طلحة والزبير ، ومن المرجح انهُ بعث بكتاب معهُ الى معاوية ، وهذا ما جرت عليه العادة ، اما معاوية فقد ارجعَ جرير ومعهُ كتاب مختوم لكنهُ فارغ ، وهذا دليل على ان معاوية ماضٍ في امرهِ ولا يجيب على كتب الخليفة لكون ذلكَ - بالنسبة اليه – اقوى في مخاصمة الخلافة ، فإذا كان الامر على ذلك الحال فمن العبث - بالنسبة للطرفين – الاستمرار باتباع هذا الاسلوب . وعلى أي حال لم تفلح تلك الطريقة في ايقاع الصلح بين الخليفة علي ومعاوية ، فبات الحل العسكري هو الخيار الوحيد بيد السلطة لاسترجاع الشام من قبضة معاوية ، لذا عبأ كل طرفٍ منهما جيشه وسارا للقاء بعضهما في صفين[٣] .

---

(١) لم اعثر له على ترجمة فيما تيسر لي من مصادر .

(٢) ينظر: اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ١٨٨ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٤ / ٥٧٣ ؛ المسعودي ، مروج ، ٢ / ٣٠٣ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ١ / ٥٣٨ .

(٣) صفين قرية قديمة من بناء الروم وما يليها غيضة ملتفة ذات بزور طولها نحو فرسخين ليس فيهما طريقاً الى الماء الا واحداً مفروشاً بالحجارة . ينظر : القزويني ، اثار البلاد واخبار العباد ، ١ / ٢١٤ ؛ الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ٢٣٢ .

كان لضراوة تلك الحرب من جهة وتحرج بعض الجماعات في استمرار سفك دماء اهل القبلة من جهة اخرى اثراً كبيراً في تقبّل السلطة على مضضٍ فكرة التحكيم التي دعا لها اهل الشام على الرغم من كونها تعطي اسعافاً لمعاوية الذي باتت هزيمته وشيكة .

اورد ابن عبد ربه رواية عن المدائني [١] ذكر فيها ان استعار الحرب و اشتدادها على جند الشام دفعت معاوية الى التفكير بالفرار فامر بان يقربوا له فرسه ثم التفت الى عمرو بن العاص وقال له ما عندك ؟ فقال تأمر بالمصاحف فترفع على اطراف الرماح ويقال هذا كتاب الله يحكم بيننا وبينكم ، فلما نظر اهل العراق الى المصاحف ارتدوا واختلفوا وقال بعضهم نحاكمهم الى كتاب الله. وقال بعضهم لا نحاكمهم لانا على يقين من امرنا ولسنا على شك . ثم اجمع رايهم على التحكيم . فهم علي ان يقدم ابا الاسود الدؤلي ، فأبى الناس الا ان يقدموا ابا موسى الاشعري ،وقالو لا نرضى بغيره .

كان الحاح اهل العراق على الخليفة علي بقبول دعوة اهل الشام القائمة على اساس التحكيم بعد رفضه لها ، ثم إصرارهم مرة اخرى على اختيار ابا موسى الاشعري ممثلاً عنهم بدلاً من ابي الاسود الدؤلي الذي اختاره الخليفة يُعدُ بداية تشقق كتلتهم العسكرية ، فقد عدّ جماعة (وهم الخوارج) ذلك التصرف بمثابة الذنب الذي وقعت فيه السلطة ، ولا بدَ لها من التوبةِ منه والاقلاع عنه ومعاودة قتال اهل الشام ، بينما انتظر الباقون نتيجة التحكيم . يُعد اصرار اهل العراق على تعيين ابي موسى الاشعري خطئاً فادحاً ارتكبوه ، ذلكَ ان ابا موسى كان قد امتنعَ عن بيعة علي بالخلافة اول الامر وثبطَ الناس عنهُ في يوم الجمل ، وهذا دليلُ على انه كان لا يرغب بخلافة علي من اساسها ، ولم يكن موقفه من معاوية افضل حالاً من موقفه من علي ، اما اهل الشام فقد وافقوا على اختيار معاوية لعمرو بن العاص الذي طابقَه على رأيهِ منذُ بداية تلك الفتنة.

ان انشقاق المسلمين في هذه المرحلة المبكّرة مع وجود قائد لديه ايماناً مطلقاً بالإسلام مع صبره وبصيرته يعد أمراً في غاية الغرابة ، والذي يُزيد تلك الغرابة ان هذا الشخص تحوّل بعد مُدّة وجيزة من وفاته الى رمزاً لكل صفةٍ حميدة لدى اهل العراق بشكلٍ عام واهل الكوفة بشكلٍ خاص ،إذاً ما سر هذا التناقض العجيب ؟ . على اي حال فقد اسفرت عملية التحكيم بعد مفاوضات حثيثة جرت بين الطرفين عن تنازع الحكمين واتهام بعضهما البعض بالغدر والفجور بعد ان اتفقوا على خلع طرفي النزاع علي ومعاوية وارجاع الامر شورى بين المسلمين [٢] .ولم تختلف المادة التي قدّمها ابن عبد ربه عن اسباب لجوء الطرفين الى التحكيم عما هو مشهور ، كما انهُ تمكن من اعطاء

(١) العِقد ، ٤ / ٣٢٨ .

(٢) اشارت بعض المصادر الى عدم توصل الحكمين الى اتفاق معين فقد افترق الحكمان دون الاتفاق على شيء. ينظر :خليفة ، تاريخ ،١١٦/١؛ البلاذري ، انساب ،٣٦٧/٢؛المسعودي ، مروج، ٢ / ٤٤٤ .

صورة عن تلك المرحلة المضطربة التي مرّت بها الخلافة الراشدة ، الا انهُ قام باختصار مادته اختصاراً كبيراً ، فضلاً عن انهُ لم يذكر تاريخاً محدداً للتحكيم . ان الذي يهمنا من شأن التحكيم امران ، الاول هو خروج معاوية بن ابي سفيان ظافراً منه فقد اقرَ الحكمان ان عثمان قُتِلَ مظلوماً ، وان معاوية اولى الناس في المطالبة بدمهِ ، مما اعطاه ذلكَ عذراً – في نظر اتباعه – في استمرارية معارضته للسلطة ولكن بشكلٍ اكثر مشروعية ، والثاني هو انشقاق كتلة من معسكر علي بن ابي طالب وتحديهم لسلطته في العراق ، الامر الذي جعلهُ يؤجل صراعه مع معاوية والمباشرة بحسمِ امرهم قبلَ ان يستفحل .

ومن المناسب هنا ان نذكر ان الذي دخلَ الى جانب معاوية في معارضته لسلطة الخليفة علي هو عمرو بن العاص ، فقد عُرف عنهُ انه من دهاة العرب ، كما ان دهائه ومكره جعلا من معاوية يحتاجه بشدة في مشروعه القائم على اساس الطلبِ بدم عثمان لابتزاز السلطة من الخليفة علي ورغم اختلاف المصادر في الطريقة التي قدم بها عمرو ابن العاص على معاوية فمنهم من ذكر انهُ قدم على معاوية لمّا عرف ان معاوية قد امتنع عن الخليفة علي ، فكان معاوية احب اليه من علي[١]. ومنهم ما ذكر ان معاوية قد كتب الى عمرو كتاباً يستحثّه به لمؤازرته للقيام معه ضد السلطة [٢] . ورغم الاختلاف الكبير بين الخبرين الا ان الثاني منهما اكثر قبولا من الاول ، كون معاوية قد كتب الى العديد من الصحابة بالقدوم اليه والغرض من ذلك هو تقوية جبهته بالمهاجرين والانصار لكي يكون على قدم المساواة مع الخليفة علي الذي مال اليه عامتهم ، وقد ذكر ابن عبد ربه بعض تلك الكتب ككتاب معاوية الى سعد بن ابي وقاص [٣] ، وكتابه الى قيس بن سعد ابن عبادة [٤] ، وعلى الرغم من ان المؤلف قد ذكر موضوعاً مستقلاً عن علاقة عمر بن العاص بمعاوية الا انه لم يذكر الطريقة التي قدم عمرو ابن العاص على معاوية وبدلا عن ذلك ذكر رواية[٥] عن سفيان ابن عيينة[١] قال فيها ما نصّه : " أخبرني أبو موسى الاشعري قال أخبرني

(١) ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ٧ / ٣٤٢ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٤ / ٥٦٠ ؛ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٤٦ / ١٦٦ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٥ / ١٠٠ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ٦٢٨ ، و اسد الغابة ، ٩٤٤ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ٢ / ٦٢٥ ؛ ابن حجر ، الاصابة ، ٤ / ٥٤٠.

(٢) ينظر : ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ١ / ١١٥ ؛ البلاذري ، انساب ، ٢ / ٢٨٣ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ١٨٤ ؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ٢ / ٥١٠ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٣ / ١١٨٨ ؛ ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١ / ٢٧٠ .

(٣) العِقد ، ٤ / ٣٢٠ .

(٤) م . ن. ، ٤ / ٣٢١ .

(٥) م . ن. ، ٤ / ٣٢٧ .

الحسن قال : علم معاوية والله ان لم يبايعه عمرو لن يتم له امر فقال له : يا عمرو اتبعني . قال : لماذا ؟ للأخرة ! فو الله ما معك اخرة ام الدنيا ؟ فو الله لا كان حتى اكون شريكك فيها قال فانت شريكي فيها . قال فاكتب لي مصر وكورها . فكتب له مصر وكورها وكتب في اخر الكتاب : وعلى عمرو السمع والطاعة . قال عمرو : واكتب : ان السمع والطاعة لا ينقصان من شرطه شيئا . قال معاوية : لا ينظر الناس الى هذه . قال عمرو : حتى تكتب . قال : فكتب ، والله ما يجد بد من كتابتها".

ثم روى المؤلف رواية اخرى غير مسندة متممة للرواية التي قبلها فقال [٢]: "ودخل عتبة ابن ابي سفيان على معاوية وهو يكلم عمراً في مصر وعمرو يقول له : انما ابيعك بها ديني . فقال عتبة : ائتمن الرجل بدينه فانه صاحب من اصحابي محمد (صلى الله عليه وسلم) " .

ثم روى ابيات شعرية كتبها عمرو الى معاوية في رواية مستقلة وهي [٣] :

معاوي لا أعطيك ديني ولم انل به منك دنيا فانظر كيف تصنع ؟
ومـــا الديـن والدنيا سواءٌ وانني لآخذ مـــا تعطي وراســـي مقنع
ان تعطي مصراً فاربح صفقة أخذت بهـا شيخاً يضـــر وينفع .

وكذلك أورد رواية رابعة غير مسندة ايضاً قال فيها [٤] " لما قدم عمرو ابن العاص على معاوية وقامَ معهُ بعدَ ان جعلَ لهُ مصر طعمة ... " .

ولا شك ان الروايات الاربع تتفق على ان عمرو ابن العاص قد أخذ مصر طعمة على اتعابه التي اسداها الى معاوية ، ولكن هذه الروايات لا تخبر بتوقيت ذلك هل كان قبل التحكيم ام

(١) هو سفيان بن عيينة بن ابي عمران ميمون ابو محمد الهلالي الكوفي ثم المكي، الامام المشهور ولِدَ في النصف من شعبان سنة سبعُ ومائة هجرية ، روى عن عمرو بن دينار والزهري و محمد بن المنكدر وخلق ، وعنهُ الشافعي وابن المديني وابن معين وغيرهم كثر . كان مولى لأمرأه من بني هلال وقيلَ مولى لبني هاشم ، ذكرهُ ابن سعد وعدهُ في الطبقة الخامسة من مكة .توفي بمكة ودُفِنَ بالحجون سنة ثمان وتسعون ومائة. ينظر: ابن سعد، الطبقات ، ٥ /٤٩٧ ؛ابن الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء ، ١ / ٣٠٨ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٣٩١/٢.

(٢)العِقد ، ٤ / ٣٢٧ .

(٣) م . ن ، ٤ / ٣٢٧ .

(٤) م . ن ، ٤ / ٣٢٧ .

بعده ؟ ، الا ان بعض المصادر [١] لم تغفل مثل هذا الخبر فذكروا ان اشتراط عمرو ابن العاص مصر كطعمة له اذا قام بالأمر مع معاوية من بدايته و هذا دليل على ان ذلك انما كان قبل التحكيم ، كما ان هذا الشرط يعطينا دليلاً اضافياً على ان قدوم عمرو ابن العاص على معاوية انما كان بطلب من معاوية و الا كيف يصح ان يطلب عمرو مصر من معاوية وهو الذي قدم عليه برجله .

اورد ابن عبد ربه روايتين بيّن فيهما دور عمرو ابن العاص في الفتنة بين الخليفة علي و معاوية قال في الاولى : " يروى عن عمرو ابن العاص انه قال لمعاوية حين اراد ان يستنصر اهل الشام اخرج لهم قميص عثمان رضوان الله عليه الذي قتل فيه . ففعل معاوية فأقبلوا يبكون . فعندها قال عمرو : حَرِّك لها حوارها تحن"[٢]. وهذه الرواية ذكرها ابن الاثير فقط فقال [٣] : " كان معاوية يعلق قميص عثمان وفيه الاصابع [أصابع نائلة] فاذا رأى ذلك أهل الشام ازدادوا غيضاً وجداً في أمرهم ثم يرفعهم فاذا احس منهم فتور يقول له عمرو ابن العاص حرّك لها حوارها تحن " . وتشير هذه الرواية الى ان الفكرة كانت فكرة معاوية وما عمرو منها الا قائل مثل لذا فأنها تختلف عن رواية ابن عبد ربه اختلافاً جذرياً حيث نسب ابن عبد ربه الفكرة برمتها الى عمرو .

اما الرواية الثانية للمؤلف فقد اوردها عن ابي الحسن الذي قال [٤]: " لما كان يوم الهرير وهو اعظم يوم بصفين زحف اهل العراق على اهل الشام فأزالوهم عن مراكزهم حتى انتهوا الى سرادق معاوية فدعى بالفرس وهم بالهزيمة ثم التفت الى عمرو ابن العاص وقال له ما عندك ؟ قال لا: تأمر بالمصاحف فترفع في اطراف الرماح ، ويقال هذا كتاب الله يحكم بينكم " .

ثم أورد ابن عبد ربه رواية اخرى عن العتبي والتي ضّمنها جواب معاوية لعمر ابن الخطاب بشأن عمرو ابن العاص فقال [٥] : " ... ان ابي امرني ألا أقضي أمراً دونه ... " . وهذه الرواية تدلل على ان هنالك علاقة قديمة تربط بين عمرو و معاوية الذي اوصاه والده بأخذ رأي عمرو اذا ما المّت به مصيبة ، الا ان انفراد ابن عبد ربه في ذكرها يجعلنا نجزم بانه بالغ كثيراً في شخصية عمرو ابن العاص حتى جعل معاوية لا يبرم أمراً دونه ، فلم يكن معاوية أقل دهاء من عمرو ، و لكنه أراد باستمالته ان يضيف رأياً الى رأيه ، ولعمري ما كان هذا منه الا لحرصه على

(١) ينظر: ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ١ / ١٢١ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ١٨٦/٢ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٥ / ٩٨ ؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ٢ / ٥١١ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ٧٠٦ ؛ ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢ / ٦٥ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ٢ / ٦٤٢ .

(٢) العِقد ، ١ / ١٧٦ .

(٣) الكامل ، ٢ / ٥٥٥ .

(٤) العِقد ، ٤ / ٣٢٨ .

(٥) م .ن . ، ١ / ٤١ .

ان لا يُغلب ، وبالعودة الى ابن عبد ربه فقد كانت مبالغته المفرطة في شخصية عمرو سبباً في ضياع جزء من الحقيقة التاريخية التي يبدو انه لا يعبئ بها بقدر ما يهمه تحقيق الاثارة في روايته بغض النظر عما اذا كانت صحيحة تاريخياً ام لا ، و لكن رغم ذلك فقد اتفق مع باقي المصادر من ان الدافع الذي حرّك عمرو ابن العاص في اظهاره المعارضة على الخليفة علي ابن ابي طالب كان دافعاً شخصياً هدفه تحقيق المنفعة المادية الشخصية لا غير ، مع عدم الانكار من ان تلك المعارضة كانت على قدر بالغ من الاهمية كونها اضافت الى رصيد معاوية شخصاً احوذياً اريباً كان لمشورته اثراً كبيراً في ما آلت اليه الاحداث فيما بعد .

وبنفس المنهجية التي طرحَ المؤلف فيها معارضة عمرو بن العاص تناول معارضة اخرى لا تختلف عنها ، ولكنّها اقرب الى الانشقاق منها الى المعارضة وهي معارضة عبد الله بن عباس حيث تناولها بطريقة أكثر تجريحاً فقدمها بمادة مستقلة اسماها (خروج عبد الله بن عباس على علي) حاول من خلالها رسم صورة لشخصية عبد الله بن عباس قبل وبعد خلافة علي ، فابتدأ بإيراده رواية عن ابي بكر بن شيبة قال فيها ما نصّه(١) : " كان عبدُ الله بن عباس مِن أحبّ الناس إلى عمر بن الخطاب، وكان يُقدّمه على الأكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يَستعمله قط، فقال له يوماً: كِدت استعملك ولكن أخشى أن تستحل الفيء على التأويل. فلما صار الأمرُ إلى عليّ استعمله على البصرة. فاستحل الفيء على تأويل قول الله تعالى " وَاعْلَمُوا أنّ ما غنِمْتُمْ مِنْ شيءَ فأن لِلّهِ خُمْسَه وللرسولِ وَلِذِي القُرْبى " واستحلّه من قَرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم " .

حاولَ ابن عبد ربه في روايته هذه تمهيد الكلام عن عبد الله بن عباس الذي تفرس فيه الخليفة عمر بن الخطاب استحلالهُ للفيء على التأويل اذا ما استلم عملاً ، فكانَ ذلكَ سبباً في حجب الثقة عنهُ وعدم استعمالهِ لهُ على الرغمِ من تقديمهِ لهُ على الاكابر من اصحاب النبي (ﷺ) ، ورغم انفراد المؤلف في ايراد هذه الرواية الا انهُ اراد القول ان علياً قد أخطأ في تسميتهِ عبد الله بن عباس لولاية البصرة ، لكونهِ ليس موضع ثقةٍ لمن كان قبله .

ثم اورد المؤلف عن ابي مخنف[٢] رواية[١] مطوّلة احتوت في مضمونها جميع تفاصيل الخلاف المزعوم بين عبد الله بن عباس و الخليفة علي بن ابي طالب فقال : "مَرَّ ابن عباس على

(١) العِقد، ٤ / ٣٣٥ .

(٢) هو لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي الكوفي . جدهُ (مخنف) لهُ صحبةٍ ورواية. نزلَ الكوفة واستقر بها فاستعملهُ الخليفة علي بن ابي طالب على اصفهان وشهَد معهُ صفين وكانت معهُ راية الازد . ذكرهُ ابن النديم فقال : قامَ ابو مخنف بأمر العراق وأخبارهُ وفتوحه بما يزيد عن غيره . ولهُ تصانيف كثيرة وكتبُ جمة . وثقهُ البعض واتهمهُ الاخر بالوضع . توفيَ في سنة واحدُ وخمسونَ ومائة وقيل سبعُ وخمسون ومائة

أبي الأسود الدُؤلي فقال له: لو كنتَ من البهائم لكنتَ جَملاً، ولو كنتَ راعياً ما بلغت المَرعى" . فكَتب أبو الأسود إلى علي ذاكراً ان ابن عباس اختلس مالاً من بيت مال البصرة . فكتب الخليفة علي الى ابن عباس يوبخهُ ويعظم عليهِ ذنبهُ ، ثم ان ابن عباس حمل مال البصرة وقدره ستةُ الاف الف وارتحل عنها بحماية اخواله من بني هلال فاسترابت بعض القبائل الاخرى من ذلك وتبعوه الى خارج البصرة واحاطوا بموكبه مع اخواله فكادت الفتنة ان تقع ويستحر القتل بينهم الا انهم تراجعوا عنهُ باتفاق مع زعمائهم فرجعوا الى البصرة ، ثم ذكر ابو مخنف مصير ابن عباس فقال : " ومَضى ابن عباس ومعه ناسٌ من قَيس، فيهم الضّحاك بن عبد الله وعبدُ الله بن رَزين، حتى قدموا الحجازَ، فنزل مكةَ، فَجعل راجزٌ لعبد الله بن عبّاس يسوق له في الطريق ويقول:

صَبّحتُ من كاظمةَ القَصرَ الخَرِبْ مع ابن عبّاس بن عبد المُطّلبْ

وجعل ابن عبّاس يرتجز ويقول:

آوِي إلى أهلِك يا رَباب آوِي فقد حان لكِ الإيابُ

وجعلِ أيضاً يرتجز ويقول:

وهُنّ يمشين بنا هميساً إنْ يصْدُق الطَّيرُ نَنِك لَميسَا

فقيل له: أمِثلك يَرْفث في هذا الموضع؟ قال: إنما الرفث ما يقال عند النّساء " .

وفي الحقيقة ان مسالة خلاف ابن عباس مع ابي الاسود – وفق تلك الرواية- لم يكن مقنعاً ليؤدي الى تأزّم العلاقة بين الخليفة وعامله على البصرة فاذا كان ابن عباس قد تهجّم على ابي الاسود فما هو سبب ذلك التهجّم ؟ ثم اذا كان ابن عباس قد اختلس المال فلماذا انتظر ابو الاسود موقفهِ هذا حتى كتب الى الخليفة ليعلمه بالاختلاس؟ .

اورد الطبري [٢] رواية عن ابن شبة لا تختلفُ عن الرواية التي اوردها ابن عبد ربه ، الا ان هناكَ خللُ في اسنادها فقوله " حدثني جماعة عن ابي مخنف" يجعلُ منها رواية مبتورة لا تركن النفسُ اليها ، كما انها لا تختلفُ عن رواية المؤلف في كونها لم تعط سبباً مقنعاً عن خلاف ابن عباس مع ابي الاسود ، اذ ليسَ من المعقول ان يبدر كلام من ابن عباس – وهو العارف بسنة النبي (ﷺ) وخلقه – وفيهِ من التحقير لابي الاسود دون ان يكونَ هناكَ سبباً لذلك ، يضافُ الى ذلك لجوء ابن عباس الى اخوالهِ بني هلال كي يمنعوه الناس ، ولحاق اخماس اهل البصرة بهِ ، وما جرى بينهما حتى كادت الفتنة ان تقع ، وابن عباس مصر على اخذ مال البصرة بأنانية مقيتة مع

.ينظر: ابن النديم ،الفهرست ، ١ /١٢٢ ؛المزي ، تهذيب الكمال في اسماء الرجال ، ٢٧ / ٣٤٧ ؛ بكر ابو زيد ، طبقات النسابين،٣٣/١.

(١) العِقد ، ٤ / ٣٣٥ .

(٢) تاريخ ، ٥ / ١٤٢ - ١٤٣ .

علمهِ التام – وهو حبر الامة - بان ((الفتنة اشد من القتل)) [١]، ناهيك عن ما ضمّنته تلك الرواية من الاساءة الى ابي الاسود من حيث توصيفه بانتهازية الموقف واضماره ذاك الجرم لحين نشوب الخلاف بينه وابن عباس ، ولكن على الرغم من ذلك فقد اخذت بعض المصادر[٢] بهذه الرواية.

اما البلاذري فقد اورد رواية غير مسندة تتفقُ مع رواية ابن عبد ربه الا انهُ لم يحدد كمية المال الذي اخذهُ عبد الله بن عباس ، كما انهُ زادَ عليها بتسميتهِ للإماء التي اشتراها ابن عباس فور وصولهِ مكة فقال [٣] : " ولما قدم ابن عباس مكة ابتاع من حبثر مولى بني كعب من خزاعة ثلاثة مولدات : حوراء و فتون و شادن بثلاث الاف دينار ".

اما اليعقوبي [٤] فعلى الرغم من ذكرهِ تلك الحادثة الا انهُ أختلف عن باقي الروايات كونهُ حددَ كمية المال الذي اخذهُ ابن عباس وهو (عشرة الاف درهم) ، كما انهُ ذكر ان ابن عباس اتعظ بما كتبهُ لهُ الخليفة علي فرد ذلك المال ثم كان يكرر انهُ اكثرُ كلام اتعظَ بهِ ، ولكن ورغم هذا الاختلاف بين رواية اليعقوبي وباقي الروايات الا ان تلك الرواية لا تنفي التهمة عن ابن عباس غير انها خففت بعض الشي من وقعها بسبب ارجاع ابن عباس لذلك المال المختلس .

اختلف ابن اعثم [٥] عن باقي المصادر في تلك الحادثة ، فقد ذكر ان خلاف ابن عباس مع ابي الاسود كان سببهُ هجاء الاخير لزياد بن ابيه في ابيات من الشعر فلما قدم عبد الله بن عباس من الحج اقبل اليهِ زياد فشكا له ابا الاسود ، فقال له ابن عباس :"مالك وللأحرار ... فعل الله بكَ وفعل ". وعلى الرغم من ان هذه الرواية تقارب رواية ابن عبد ربه في اساءة ابن عباس لابي الاسود الا ان ابن اعثم اعطى مبرراً لذلك التهجم وهو هجاء ابي الاسود لزياد بما لا يصح ، فكان هذا سبباً كافياً دفع ابن عباس على الإغلاظ لابي الاسود في القول . وفي الحقيقة ان هذه الرواية في غاية الوهن كون تلك الابيات تشير الى اساءة بدرت من ابن زياد اولاً تجاه ابي الاسود فرد عليها ابي الاسود بما يناسبها ، ثم ان الكلام المزعوم لابن عباس لا يتناسب مع ذلك الجرم . ثم يضيف ابن اعثم على ذلك كتاب ابي الاسود الى الخليفة علي ، وكتاب الخليفة الى ابن عباس ثم قال ما نصه [٦] : " ... ثم اعتزل ابن عباس عمل البصرة وقعد في منزلهِ فكتب اليه علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) بكتاب يعذلهُ فيه على غضبه ويكذب من سعى بهِ واعادهُ الى عمله " . لذا فان رواية ابن اعثم

(١) البقرة /١٣١.
(٢) ينظر: ابن الاثير ، الكامل ، ٣ / ٢٥٢ - ٢٥٣ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ٢ / ٦٤٤ .
(٣) انساب ، ٢ / ٤٠٠ .
(٤) تاريخ ، ٢ / ٢٠٥ .
(٥) الفتوح ، ٢ / ٢٤١ .
(٦) الفتوح ، ٢ / ٢٤٢ .

نفت صحة اتهام ابن عباس باختلاس مال البصرة ، واقتصرت فقط على ما بدر منه من موقف تجاه ابو الاسود .

اما ابن ابي الحديد فقد استعرض الروايات التي اتهمت عبد الله بن عباس بالخيانة ثم قال ما نصّه [١] : " و قال آخرون و هم الأقلون هذا لم يكن و لا فارق عبد الله بن عباس عليا و لا باينه و لا خالفه و لم يزل أميرا على البصرة إلى أن قتل علي " . وأرى بأن القول كما قال ابن ابي الحديد فلعبد الله بن عباس مكانة رفيعة عند النبي (ﷺ) – رغم صغر سنهِ عند وفاة النبي – وكذلك عندَ من جاء بعده من الخلفاء ، ثم ان مكانته هذه ارتفعت اكثر في خلافة علي بن ابي طالب ، فكانَ اشبه بمستشاره الخاص وسفيره الذي اختاره للتحكيم ، اما ما اشيعَ عند ارباب السير فهو امر لا يعتد بهِ ، فكثيرا ما كانت اخبار هؤلاء غير دقيقة وتفتقر الى الصحة ، كما ان ما جاءت بهِ المصادر التاريخية لا يمكن التسليم بصحتهِ لكونهِ منقولاً عنهُا دون سند ، او بسندٍ منقطعٍ او مرسل .اما بالنسبة الى ابن عبد ربه فقد افتتح كلامه عن العلاقة بين ابن عباس وعلي بن ابي طالب بإيراده رواية ابن ابي شيبه وهي رواية انفردَ هو بذكرها والتي اراد منها ان تكون فاتحة كلامهِ عن عبد الله بن عباس ، ولعلهُ ابتغى بإيرادها الطعن بشخصية ابن عباس مستغلاً ما جاء بهِ اصحاب السير من روايات تحدثت عن خيانتهِ ، أي انهُ زاد على تلكَ الروايات رواية انفردَ بذكرها للامعان في التنقيص من شخصية ابن عباس ، ولعلَ سبب ذلك سياسياً بحتاً ، فكما هو معلوم ان العلاقة بين الدولة الاموية في الاندلس – التي يعيش المؤلف في كنفها – وبين الخلافة العباسية كانت في توتر مستمر وقد استباحَ كل طرف منهما صاحبه في كل شيء حتى الطعن على كبار الصحابة من اسلاف الفريقين ، فليسَ من الغريب ان نجدَ ابن عبد ربه يركّز على شخصية ابن عباس الذي هو جد بني العباس فيصفه بالخيانة وسوء السيرة ، ولم يقف عند ذلك الحد بل انهُ انتحلَ شعراً على لسانهِ فيهِ من الفحش ما لا يليق بشخصٍ عالمٍ متعبّد عارفٍ كابنِ عباس ، كما ان الرواية الثانية التي اوردها المؤلف توحي بتقصيرٍ كبير لابي الاسود الدؤلي الذي كتم امر ابن عباس ولم يبح بهِ حتى نشوب الخلاف بينهما ، أي ان الرواية – وبضربه واحدة – قد طعنت في شخصين عُرِف عنهما ولائهما المطلق للخليفة علي ، لذا فلا استبعد ان الهدف من هذهِ الرواية هو الطعن في جبهة علي بن ابي طالب واخراجها بالصورة التي لا تليق .

(١) شرح نهج البلاغة ، ١٦ / ١٧١ - ١٧٢ .

المبحث الثالث

حركة معارضة الخوارج (٣٧- ٤٠هـ/٦٥٨- ٦٦١ م)

تختلف معارضة الخوارج عن باقي المعارضات كونها كانت وليدة سياسة الخليفة علي بن ابي طالب وحروبهِ في يومي الجمل وصفين ، تلك السياسة القائمة على اساس الرفق والانصاف بالعدو ، وهذا ما لا يتوافق مع ثقافة الناس في تلك المرحلة من التاريخ ، ومما لاشكَ فيه فقد اضيف موقف الخليفة علي هذا – في نظر الكثير من جندهِ – الى مواقف عثمان بن عفان التي عُدّتْ بدعاً وكانت سبباً في مقتلهِ ، وقد تكون نزعة الخروج كانت كامنة في بعض النفوس بسبب ما آل اليه امر الخلافة على عهد عثمان وما انتهى اليه امر الجماعة الاسلامية بعد مقتله من تفرّق الامة الى فريقين متعارضين متحاربين هذا يقاتل لأجل الدين ، وذاك يقاتل لأسباب الدنيا ، أي الحكم ومغانمه والتطلع الى مركز الرياسة والسلطة ، وقد احسَ بهذا الواقع نفر من غلاة المتشددين في الدين المتمسكين بقشور العقيدة دون ان يسبروا غورها – فليس فيهم مهاجرياً او انصاري - فانتهزوا فرصة التحكيم وكشفوا عما كانَ يغلي في نفوسهم من ثورة على ما الت اليه اوضاع الخلافة والحكم على عهد عثمان ، وفي خلافة علي القصيرة وهذا هو الدافع الحقيقي وراء نشأة الخوارج [١] .

اورد ابن عبد ربه رواية غير مسندة عن بداية معارضة الخوارج للخليفة علي بن ابي طالب فقال [٢] لما خرجت الخوارجُ عَلَى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وكانوا من أصحابه، وكان مِن أمر الحَكمين ما كان، واختِداع عمرو لأبي مُوسى الأشعريّ ، قالوا: لا حُكْم إلا للهّ. فلما سمع عليٌ رضي اللهّ عنه نِداءهم، قال: كلمة حق يراد بها باطل، وإنما مَذْهبهم أن لا يكون أمير، ولا بُدَ من أمير بَرًّا كان أو فاجرًا. وقالوا لعليّ: شككتَ في أمرك، وحكَّمت عدوّك في نَفْسك. وخرجوا إلى حَرُوراء، وخرج إليهم عليٌ رضي الله عنه، فخَطَبهم متوكِّئاً على قوْسه، وقال: هذا مَقام مَن فلج فيه فلج يومَ القيامة، أنْشُدكم اللهّ، هل عَلِمتم أنّ أحداً كان أكرَه للحكومة منِّي؟ قالوا: اللهم لا ، قال: أفعلتم أنكم أكرهتموني عليها حتِى قبِلْتُها؟ قالوا: اللهم نعم ، قال: فعلامَ خالفتُموني ونابذتموني؟ قالوا: إنَّا أتينا ذنباً عظيما فتُبْنا إلى اللهّ منه، فتُب إلى اللهّ منه، وأستغفره نُعدْ إليك. فقال عليٌ: إني أستغفر الله من كلّ ذنب، فرَجَعوا معه وهم في ستّة آلاف. فلما استقرُّوا بالكوفة أشاعُوا أن عليَاً رَجع عن

(١) فلهاوزن ، يوليوس ، احزاب المعارضة السياسية في صدر الاسلام ، ١١ .

(٢) العِقد ، ٢ / ٣٢٩ .

التحكيم، وتاب منه، ورآه ضلالاً. فأتى الأشعثُ بن قيس عليَاً رضي اللهّ عنه ، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ الناس قد تحدثوا أنك رأيتَ الحكومة ضلالاً والإقامة عليها كُفْراً وتُبْت. فخطب عليٌ الناس فقال: مَن زَعم أني رجعتُ عن الحكومة فقد كذَب، ومَن رآها ضلالاً فهو أضلّ منها. فخرجت الخوارج من المسجد فحكّمت، فقيل لعليّ: إنهم خارجون عليك ، فقال: لا أقاتلهم حتى يقاتلوني، وسيَفعلون . ان هذه الرواية فيها من التناقض ما لا يحسن السكوت عنه ، فقوله ان الخوارج خرجوا على الخليفة علي بعدَ انقضاء امر التحكيم ثم اعتزالهم في حروراء ، ومسير الخليفة لهم لمناظرتهم ثم عودتهم الى الكوفة واعلانهم عداوته ، كلها امور خالفَ فيها المؤتلف المشهور عن تلكَ الاخبار.

اوردَ المبَرّد [١] رواية مطابقة لرواية ابن عبد ربه الا انهُ اضاف عليها بان علياً دعا صعصعة بن صوحان [٢] وابن عمه عبد الله بن عباس وزياد بن النضر الحارثي[٣] فأرسلهم الى الخوارج ، ولكنهُ لا يذكر كيف كانت مناظرتهم لهم التي انتهت على ما يبدو دون نتيجة ، الامر الذي حملَهُ الى ان يدخل معسكرهم في حروراء بنفسه ويكلمهم فيرجعون اليه ، ويدخلونَ معهُ الكوفة وكان عددهم ستةُ الاف . كما ان رواية المبَرّد تشير الى ان الخوارج كانوا قد فارقوا الخليفة علي بعدَ قبولهِ امر التحكيم وهذا خلاف ما ذكرهُ ابن عبد ربه من انهم فارقوا علياً بعدَ انتهاء امر التحكيم وانخداع ابي موسى من قبل عمرو بن العاص ، أي ان رواية المبَرّد اعطت بعداً اخر لخروج الخوارج عليه وهو قبول الخليفة علي بالتحكيم قبلَ ان يتفق الحكمان ابو موسى وعمرو على أي شيء ، وهذا ما يتفقُ مع الواقع فنزول الخوارج حروراء تزامنَ مع دخول الخليفة علي الى الكوفة أي قبل ان يخرج الحكمان بنتيجة ذلكَ التحكيم ، لذا فقد جاءت رواية المبَرّد بتفصيلٍ ادق من رواية ابن عبد ربه .

(١) الكامل في اللغة والادب ، ٣ / ١٥٥ .

(٢) هو صعصعة بن صوحان بن الحارث بن الهجرس بن صبرة بن حدرجان بن ليث بن حداد بن ظالم بن عبد القيس بن ربيعة . كنيتهُ ابو طلحة . كان من اصحاب الخطط بالكوفة وكان خطيباً مفوهاً . من شيعة علي بن ابي طالب وشهدَ معهُ الجمل ، ثم شهدَ صفين والنهروان . حدثَ عن علي بن ابي طالب وعبد الله بن عباس وكان ثقة قليل الحديث . توفي بالكوفة في خلافة معاوية . ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٢٤٦ ؛ البلاذري ، انساب ، ٥ / ١٠٣ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٣ / ٥٢٨.

(٣) لم اعثر لهُ على ترجمة وافية في كتب التراجم المتوفرة لدي ، ولكن ذكرهُ الطبري في تاريخه فقال : كان على مقدمة جيش الخليفة علي يومَ صفين . ينظر :تاريخ ، ٤ / ٥٦٥ .

اما الطبري[١] فقد اوردَ رواية عن ابي مخنف تتفق مع رواية المُبَرّد بخصوص بداية امر الخوارج بعد قبول علي - على مضض - امر التحكيم ، وهي فترة مبكرة بالنسبة للروايات المتقدمة ، كما انها تترتب عليها احكام اخرى فاذا كان الامر كذلك ، فهذا يعني ان الخوارج لم يكونوا جميعهم في عداد من ارغم الخليفة على القبول بأمرِ التحكيم لما رُفِعَت المصاحف بدليل ان عددهم في تلكَ المرحلة لا يتجاوز الستةُ الاف على اكثر التقادير ، وهذا عددُ قليل اذا ما قورنَ بجيش الخليفةِ علي الذي بلغَ تسعينَ الفاً ، لذا وطبقاً لهذهِ الرواية فانَ نية الخوارج كانت صادقة في قتال معاوية فلما كانَ التحكيم انقلبوا ضدَ الخليفة علي ، كما ان هناكَ دليلُ اخر يؤكد صحةَ هذا الرأي وهوَ كتابة الخليفة علي لهم يحثهم بالّحاق بهِ لما تجهّزَ لاستئناف قتال معاوية بعدَ بطلان امر التحكيم ، فلو كانَ يعلم تقلب رأيهم بمعاوية وأهل الشام لما كتبَ لهم ولما استحثهم لقتاله . وعلى ايةِ حال تعد هذهِ الرواية - منسجمة الى حدٍ بعيد – مع حالة الفوضى والاضطراب التي اصابت معسكر الخليفة علي حتى صار لكل جماعة رأي تريد ان تفرضهُ على السلطة ، الا انها مع ذلك لم تسمِ من كانَ رأساً للخوارج في تلكَ المرحلة ، وهذا يعني ان تلكَ الحركة كانت في طور التكوين اي لم يكن لها برنامجاً معينا ولا منهجاً ثابتاً ولا زعيما محددا يأتمرون بأمره . ولعل هذا ما دفع اليعقوبي [٢] الى القول : " ... ورئيسهم عبد الله بن وهب الراسبي وابن الكوا و شبث بن ربعي " وعلى اية حال فقد اخذَ بهذهِ الرواية مجموعة من المصادر [٣] ، اما ابن كثير[٤] فعلى الرغم من اتفاقه مع الطبري في تحديد المدة التي خرجَ بها الخوارج على الخليفة علي ، وهيَ بعدَ قبولهِ للتحكيم ، الا انهُ قالَ بانهم فارقوا جيش الخليفة علي بن ابي طالب بعدَ رجوعهِ من صفين ، ولم ينزلوا معهُ الكوفة ابداً وانما نزلوا حروراء [٥] .

(١) تاريخ ، ٥ / ٦٦ .

(٢) تاريخ ، ٢ / ١٩١ .

(٣) ينظر: البلاذري ، انساب ، ٢ / ٣٤٢ ؛ المسعودي ، مروج ، ٢ / ٣٢٤ ؛ ابن حبان ، السيرة ، ٢ / ٥٤٥ - ٥٤٦ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ٦٨٤ ؛ ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢ / ٢٦٨ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ٢ / ٦٣٧ .

(٤) البداية والنهاية ، ١٠ / ٥٦٠ - ٥٦١ .

(٥) حروراء : قرية بظاهر الكوفة على مسافة ميلين منها من جهة الشرق تقع بينها وبين واسط . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ٢٤٥ .

اما بخصوص انتخاب الخوارج لعبد الله بن وهب الراسبي[١] اميراً عليهم فقد اوردَ الدينوري ذلك بقوله [٢] : ثم عرضوها الامرة على عبد الله ابن وهب الراسبي ، فقال: هاتوها، فوالله ما أقبلها رغبة في الدنيا، ولا فرارا من الموت، ولكن أقبلها لما أرجو فيها من عظيم الأجر ، ثم مد يده، فقاموا إليه، فبايعوه . وفي الحقيقة ان هذهِ الرواية فيها من المنطقيةِ الشيء الكثير فقد شابهت طريقة البيعة هذهِ طريقة عرض الخلافة على الصحابة في المدينة ، أي ان الخوارج ارادوا بهذا الامر محاكاة تجربه عقد الخلافة التي اختص بها كبار المهاجرين والانصار .

استمر ابن عبد ربه [٣] في سرد روايتهِ فذكرَ ان الخليفة علي وَجّه إليهمِ عبدَ الله بن عبّاس ، فلما سار إليهم رحَّبوا به وأكرموه ، ثم دخلَ معهم في مناظرة عن اشياء انكروها على الخليفة فرد ابن عباس على تلك الشبهات التي تدور بشكلٍ عام حولَ التحكيم واشكالياته ، وقد انتهت هذهِ المناظرة بانشقاق الخوارج ، فعادَ منهم الفان الى طاعة الخلافة وبقيَ منهم اربع . علماً ان المبَرّد اوردَ رواية مطابقة [٤] لرواية ابن عبد ربه ، الا انها اعطت انطباعاً من خلال تسلسل احداثها ان ابن عباس أُرسِلَ الى الخوارج مرتان ، الاولى كانت برفقة صعصعة بن صوحان وزياد بن النظر ، والثانية كانَ فيها بمفرده ، وكانت كلتاهما قبل خروج الخوارج الى النهروان ، وهذا مالم يأتِ بهِ أحد.

اورد البلاذري [٥] رواية عن عبد الله بن صالح عن رجل تشابهت كثيراً مع رواية ابن عبد ربه ، الا ان هذهِ الرواية مبهمة السند ، كما انها ذكرت في نهايتها معارضة جماعة من الخوارج للخليفة علي بن ابي طالب في توجيههِ ابا موسى الاشعري لإمضاء القضية ، وهذا يعني ان توجه

(١) هو عبد الله بن وهب من بني راسب بن مالك بن ميدعان بن مالك بن النظر بن الأزدي . شهدَ فتوح العراق معَ سعد بن ابي وقاص ، ثمَ كانَ مع الخليفة علي فشهدَ معهُ حروبهُ وفارقهُ بعدَ التحكيم منحرفاً عنه فكان مع الذينَ نزلوا حروراء فأجمعوا على بيعتهِ بالأمرة . كان عجباً في كثرة العبادة حتى لُقِبَ بذي الثفنات لما في يديه وركبتيه من ثفناتٍ كثفنات البعير . قُتِلَ في النهروان سنة ثمانٌ وثلاثون . ينظر : ابن الاثير ، اسد الغابة ، ٥ / ٧٨ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٣ / ١٤٤ ؛ العيني ، مغاني الاخبار في شرح اسامي رجال المعاني والاثار ، ٣ / ٤٠٩.

(٢) الاخبار الطوال ، ١ / ٢٠٢ .

(٣) العِقد ، ٢ / ٢٣٣ .

(٤) الكامل في اللغة ، ٣ / ١٥٦ .

(٥) انساب ، ٢ / ٣٤٤ - ٣٤٥ .

ابن عباس لمناظرة الخوارج انما كانَ قبل دخول الخليفة علي الى الكوفة ، أي حين اعتزلَ الخوارج في حروراء قبلَ ان يقصدهم الخليفة بنفسه ، بمعنى ان هذهِ الرواية تقترب من رواية المُبَرّد في ان الخليفة علي ارسلَ عبد الله بن عباس للخوارج بعد اعتزالهم في حروراء الا انها تختلفُ عنها في نتيجة تلكَ المناظرة ففي رواية المُبَرّد لم تفظِ المناظرة الى شيء ، وهذا ما أكدتهُ بعض المصادر [١] في حين ذكرت رواية البلاذري انهُ تمكنَ من اقناعِ الفين عادَ بهم الى حضيرة الخلافةِ في الكوفة ، وهذا ما يتوافق مع رواية ابن عبد ربه .

اما اليعقوبي[٢] فقد اتفقَ مع المبرد بأنَ ابن عباس تم ارسالهُ مرتينِ الى الخوارج ، فالأولى كانت لما اعتزلَ الخوارج جيش الخليفةِ علي حين رجعوا من صفين وعسكروا بحروراء والتي انتهت برجوعِهم الى الكوفة . والثانية كانت قبل قتال الخليفة لهم في النهروان. وقد اختلف اليعقوبي مع ابن عبد ربه والمُبَرّد في كون هذهِ المناظرة جرت بحضور الخليفة علي ، فكان دور ابن عباس منحصراً في عرضِ شبهات الخوارج على الخليفةِ علي الذي أجابَ عليها بنفسه .

اما ابن ابي الحديد [٣] فلم يبينِ متى وجهَ الخليفة علي ابن عباس لمناظرة الخوارج ، وهل كان الى حروراء ام الى النهروان ، فضلاً عن كون روايتهِ غير مسندة ، كما اختلف مضمونها اختلافاً كبيراً عن رواية ابن عبد ربه ، فذكر ان تلك المناظرة انتهت دون جدوى كونها لم تذكر من فاءَ من الخوارج الى الخليفةِ علي.

اذاً فقد وجه الخليفة علي بن ابي طالب عبد الله بن عباس للقاء الخوارج مرتين ، مرة الى حروراء والاخرى الى النهروان ، فأما المرة الاولى فقد انتهت دونَ جدوى كون الخليفة علي قد دخلَ معسكر الخوارج في حروراء وناظرهم فثابوا اليه وهم قرابة ستة الاف ، وهذا ما ذكرهُ المؤلف . واما المرة الثانية فلم يذكرها سوى ابن عبد ربه والمُبَرّد واليعقوبي ، فضلاً عن بعض المصادر المتأخرة . فأما ابن عبد ربه والمُبَرّد فذكرا ان ابن عباس سار الى الخوارج قبلَ ان يخرجوا الى النهروان ، وهذا مالم تذكره معظم المصادر التاريخية ، واما اليعقوبي فذكر ان ارسال الخليفة علي لابن عباس كان الى النهروان الا انهُ سَمِعَ من الخوارج ولم يجبهم بشيء بل اجابَ الخليفة علي بدلاً عنهُ . وارى كوني باحثاً ان الخليفة علي ارسلَ أبن عباس لمناظرة الخوارج مرةَ

(١) ينظر: الطبري ، تاريخ ، ٥ / ٧٣ ؛ ابن اعثم ، الفتوح،٢٥١/٢ - ٢٥٣؛ابن الاثير ، الكامل ،٦٧٩/٢.

(٢) تاريخ ، ٢ / ١٩٢ - ١٩٣ .

(٣) شرح نهج البلاغة ، ٢ / ٢٧٣ .

واحدة لما كان الخوارج قد نزلوا حروراء ، وليسَ مرتان بدليلِ ورود ذلكَ في العديد من المصادر [١] من جهة ، ومن جهةٍ اخرى ان تلكَ المناظرة لم تفضِ عن شيءٍ ذي بال ، فلم يفيء مع عبد الله بن عباس احد ، لذا فمن العبث ارسالهُ مرةً اخرى بعدَ ان فشل في اقناعهم بالمرة الاولى ، كما ان تمرد الخوارج واقبالهم على قتلِ عبد الله بن خباب بن الارت [٢] ومن معهُ من النسوة دليلُ على ان تمردهم قَد وصلَ الى مرحلة أللاعودة ، فكيفَ يبعث الخليفة علي بعبد الله بن عباس اليهم وهم على هذهِ الحال ؟ ! .

ثم اكمل ابن عبد ربه [٣] روايته فذكر في الجزء الاخير منها تأمير الخوارج لعبد الله بن وهب الراسبي الذي جرى بعد رجوع الخليفة علي برفقتهم الى الكوفة ، فما كان من امرهم الا ان اخرجهم ابن وهب الى النهروان حتى اتبعهم الخليفة علي فأوقعَ بهم هناك . اما عن عددهم فقد ذكرَ المؤلف بانه كان ستة الاف ، وقد رجعَ منهم الفان معَ ابن عباس وان الخليفة علي قتلَ منهم فيها الفان وستمئة ، ولكن لم يذكر مصير البقية الباقية ؟! ،فعلى الرغم من التفوق العددي الذي كان لجيش الخليفة علي [٤] الا ان ذلكَ لا يعطي المؤلف عذراً في عدم تقديم تفاصيل عن العدد الدقيق لمن صُرِعَ من الخوارج في تلكَ المعركة.

---

(١) ينظر: ابن سعد ، الطبقات ، ٣ / ٢٣ ؛ ابن ابي شيبة ، المصنف في الاحاديث والآثار ، ٧ / ٥٥٦ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٥ / ٧٣ ؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ٢٥١/٢ - ٢٥٣ ؛ المقدسي ، البدء والتاريخ ، ٥ / ١٦٣ ؛ الحاكم ، المستدرك ، ١٦٥/٢ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٤٢ / ٤٦٧ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ٦٧٩ ؛ ابن منظور ، مختصر ، ١٨ / ٥٣ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ٢ / ٦٣٤ – ٦٣٥ ؛ ابن حجر ، لسان الميزان ، ٣ / ٣٣٠.

(٢) هو عبد الله بن خباب بن الارت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب من بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، اصاب خباباً سباءً في الجاهلية فصار الى امن انمار بنت سباع الخزاعية حلفاء بني زهرة بن كلاب فاعتقتهُ ، اما عبد الله ابنه فقد ولدَ زمن النبي (ص) فسماه عبد الله وكناه ابوه بابي عبد الله ، قيل انهُ وعبد الله بن الزبير اول من ولدا من المسلمين في المدينة بعد الهجرة اليها . ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ٥ / ٢٤٤ ؛ الفسوي ، المعرفة والتاريخ ، ٣ / ١٦٧ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٣ / ٨٩٤ .

(٣) العِقد ، ٢ / ٣٣١ .

(٤) ذكرت اغلب المصادر ان الخليفةُ علي كانَ قد عبأ جيشهُ وعسكرَ بالنخيلة منتظراً المدد من اهل الامصار بعد ان كتبَ لهم بذلك ، وكان ينوي معاودة الكرة على معاوية وجندهِ بعدَ ان فشلَ التحكيم ، ولكنَ اخلال الخوارجِ بالأمن ، وقطعهم الطريق على السابلة ، وتعريضهم حياة المسلمين للخطر اجبرهُ على تأجيل هذا المشروع والعدول الى النهروان لوضع حدٍ لتصرفات الخوارج المقلقة في المنطقة ، فسارَ الى النهروان ، فلما ادركهم عمدَ الى معاودةِ المناظرة معهم حتى لا تبقى لهم حجةُ في ذلك ، ففاءَ لهُ بعضُ منهم وتركَ القتال بعض ، ولم يبقَ منهم الا اربعة الاف ، فاخبر الخليفة علي اصحابهُ بما سيؤول اليهِ امرهم فقال : سيقتل منكم اقل العشرة=

اما ما يخص كلامهِ عن قتل الخوارج لعبد الله بن الخباب بن الارت ، فقد قدم ابن عبد ربه صورة مطابقة لما ذكرتهُ المصادر بل انهُ زاد عليها في اعطاءهِ وصفاً دقيقاً لحالهِ لما نحره الخوارج فوصفَ دمهُ بكلمةِ ((إمذقّر)) [١] حتى خالطَ ماء النهر ، وهذا عين ما ذكرتهُ الاخبار ، ولم يشذ عن ذلك الا ابن اعثم [٢] الذي ذكر ان الخوارج ضربوا ام راسهِ بعمود فمات ، ثم دخلوا بيتهُ وفتكوا بعياله ، و انتهبوا ما كانَ فيهِ من متاع .وعلى الرغم من دقة ابن عبد ربه في اعطاء وصفا لقتل خباب الا انهُ لم يعطِ تفصيلاً عمن قامَ بهذا العمل الشنيع وهل كان من خوارج الكوفة ام البصرة؟ .

ذكر البلاذري [٣]ان الذي اقدم على قتل خباب هم خوارج البصرة بعد ان التحقوا بأخوتهم خوارج الكوفة لما عسكروا في النهروان ، وقد طابقهُ على ذلك جملة من المصادر[٤] ، ثم ان رواية ابن عبد ربه قدّمت حادثة قتل عبد الله بن خباب على اشكالية الخوارج في مساومتهم النصراني على ثمن جني نخلة ، وهذا ايضاً مما خالفَ بهِ المشهور ، فقد ذكرت المصادر الآنفة بانهم قتلوا خنزيراً لنصرانيٍ واكل احدهم تمرةً سقطت من نخلة لا يعرف مالكها ، فأشكلوا في ذلك ، فكيفَ اقدمَ ابن عبد ربه على قلب ذلك الخبر؟! ، وما هذا – برأيي – الا تلاعباً بالنص ليسَ الا .

= وينجو منهم اقل العشرة . فلما اصطفت الصفوف وتعبات الكتائب اشتبكَ الطرفان فما كانت الا ساعة ، ثم حسم الامر فكان قتلى جيش الخلافة اقل من عشرة ومن نجا من الخوارج اقل من عشرة ، ثم كر الخليفة راجعاً الى معسكرهُ بالنخيلة يريد التجهيز الى الشام . ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ٣ / ٢٣ ؛ ابن ابي شيبة ، المصنف ، ٧ / ٥٥٨ ؛ خليفة ، تاريخ ، ١ / ١٩٧ ؛ ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ١ / ١٦٩ ؛ الفسوي ، المعرفة والتاريخ ، ٣ / ٣١٥ ؛ البلاذري ، انساب ، ٢ / ٣٦٢ ؛ الدينوري ، الاخبار الطوال ، ١ / ٢٧ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ١٩٣ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٥ / ٨ -٨٨ ؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ٢ / ٢٥٤ - ٢٥٥ ؛ البيهقي ، دلائل النبوة ، ٦ / ٤٢٥ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٤٢ / ٤٦٩ - ٤٧٠ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ٦٩٥ ؛ ابن الطقطقي ، الفخري ، ١ / ١٠٠ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ٢ / ٦٤٠ .

(١) إمذقّر : سالَ وامتزجَ بالماء . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ١٦٤٥ ؛ ابن سلام ، الغريب المصنف ، ٤ / ٣٩٥ .

(٢) الفتوح ، ٣ / ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٣) انساب ، ٢ / ٣٦٧ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات ، ٥ / ٢٤٥ ؛ خليفة بن خياط ، طبقات ، ١ / ١٩٧ ؛ ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ١ / ١٦٧ ؛ الفسوي ، المعرفة والتاريخ ، ٣ / ١٦٧ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ١٩١ ؛ الطبري ، تاريخ ، ١٦٧/٥.

وبالعودة الى مصير الخوارج بعد تلك المعركة فلم يكن الانتصار الساحق الذي حققهُ الخليفة علي عليهم كافياً لاستئصالهم والقضاء على فكرهم الذي خالفوا بهِ جماعة المسلمين ، فقد احدثت تلك المعركة شرخاً عميقاً بين الخليفة واهل العراق[١] ، فلم يكن نسيان من قُتِلَ منهم في تلك المعركة امراً هيناً بالنسبة الى البقية الباقية من اتباعهم فضلاً عمن تجمعهم بهم صلة القرابة ممن خالفهم في الراي والتزم جانب الخليفة علي.

اذاً فقد جاء النصر بنتائج عكسية حيث اظهر جند علي من اهل الكوفة تواكلهم في قتال معاوية بعد معركتهم مع الخوارج فلم يعودوا تواقين الى قتال جديد . اما بالنسبة الى الخوارج فقد كانت معركة النهروان سبباً مباشراً في وضع حدٍ لحياة الخليفة علي بعد ان اقدم احدهم وهو عبد الرحمن بن ملجم المرادي[٢] على قتلهِ غيلة في يوم التاسع عشر من رمضان من سنة اربعين عند ادائه لصلاة الفجر في مسجد الكوفة.

أختلفَ الخليفة علي بن ابي طالب عمّن سبقه في تعاملهِ مع مفهوم المعارضة اذ تعاملَ معها بمنطقٍ انساني بحت بوصفها حالة واقعية في الدولة الاسلامية خلفتها التراكمات الزمنية السابقة وعززتها الظروف الانية ، وقد تجلى هذا الاختلاف بحرصهِ على اسلوب المحاورة والمقارعة بالحجج لمعارضيه وسد المنافذ على ابواب الفتنة قبل حدوثها وبقدر المستطاع الا ان الامور كانت تسير بمنحى اخر حتى وضعت حداً لحياته . اما بالنسبة الى ابن عبد ربه فلم تكن مروياته - رغم كثرتها – لتضيف شيئاً جديداً يختلف عما موجود في المصادر الاخرى وعلاوةً على ذلك كان اغلبها غير منطقياً ولا يتفق مع ما موجود في تلك المصادر . اما ما يخص خلافة الحسن بن علي التي انتقلت اليه بعد مبايعة اهل الكوفة له بعد استشهاد والده فلم يتطرق المؤلف الى ذكر اي شيء بخصوصها وانما اكتفى بذكر خبر تنازل الحسن عن السلطة لمعاوية بن ابي سفيان سنة واحد

(١) البكاي ، لطيفة ، حركة الخوارج نشأتها وتطورها الى نهاية العهد الاموي ، ٤٨ .

(٢) هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي التدؤلي أحد بني تدؤل وفارسهم بمصر . شهدَ فتح مصر واختطَ بها مع الاشراف وكان ممن قرأ القرآن وتفقه بهِ . ادركَ الجاهلية وهاجر في خلافة عمر . قرا على معاذ بن جبل وكان من العباد . كانت دارهُ الى جانب عبد الرحمن بن عديس البلوي بمصر ، ثم هاجر الى الكوفة وشهدَ مع علي صفين ، وكان ممن خرجَ عليه بعدها ، ثم وثبَ عليه وقتله . قتلهُ الحسن بن علي بأبيه سنة اربعين للهجرة وهو عند الخوارج من فواضل الائمة . ينظر : ابن يونس ، تاريخ ابن يونس ، ١ / ٣١٤ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٢ / ٦٦ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ١ / ٢٨٧ .

واربعون . حيث قال ما نصهُ [1]: " ثم اجتمعَ الحسن بن علي ومعاوية بمسكن من ارض السواد من ناحية الانبار واصطلحا وسلّم الحسن الامر لمعاوية " . وبهذا يكون المؤلف قد اسدل الستار عن معارضة معاوية والخوارج المستمرتان رغم انتقال السلطة من علي لولده الحسن ، وهذا ما يترك مرة اخرى انطباعاً من ان المادة التي قدّمها المؤلف عن حركات المعارضة تلك هي مادة مبتورة وغير متصلة بما بعدها رغم اتساقها في الزمان والمكان حتى استلام معاوية السلطة من الحسن بن علي .

(١) العِقد ، ٤ / ٣٤٢ .

الفصل الثالث

حركات المعارضة من سنة

(٤١-٦٤هـ / ٦٦٢-٦٨٤م)

المبحث الاول – حركات المعارضة في خلافة

معاوية بن ابي سفيان (٤١ – ٦٠ هـ/

٦٦٢ – ٦٨٠م)

المبحث الثاني – حركات المعارضة في خلافة يزيد (حركة الحسين

بن علي – ٦٠ – ٦١هـ/ ٦٨٠ – ٦٨١ م)

المبحث الثالث – حركات المعارضة من سنة (٦٢ – ٦٤هـ)

المبحث الأول
حركات المعارضة في خلافة
معاوية بن ابي سفيان(٤١-٦٠هـ/٦٦٢-٦٨٠م)

تمكن معاوية من الاستحواذ على الخلافة بعد ان ركب الصعبَ والذلول لتحقيق هذا الهدف مستخدماً السيف تارة و المكر والحيلة تارة اخرى ، ومسخّراً ما عُرفَ به من دهاء ومكيدة وتدبير الامور بليل ومراقبة الاحداث وتحويل مجراها لمصلحته وهذا ما عـُرِفَ عنهُ من خلال نظرته للإسلام في اطار مصالحهِ الخاصة [١].

ويمكن القول ان خلافة معاوية تميّزت بهدوءٍ نسبي بدا غير مستقراً في بعض الامصار كالكوفة والبصرة ، الا انهُ اخذَ يميلُ الى الهدوء والسكينة ، ولا شكَ ان الفضل في ذلكَ يعود الى معاوية نفسه الذي استطاع ان يوطّد دعائم ملكه ويبعد عنهُ جميع ما يُعكّر صفوها ، الا ان هذا الاستقرار لم يكن مطلقاً فقد ظهر خلال تلك المرحلة حركات معارضة اثبتت عدم جاهزية بعض الجهات لتقبُّلِ فكرة خلافتهِ ، فقادت مجموعة حركات كان ابرزها.

أ- حركة حِجر بن عدي الكندي [٢] سنة (٥٠-٥١ هـ/٦٧٠ - ٦٧١ م)

يعد حجر بن عدي من ابرز الشخصيات الكوفية الموالية لعلي بن ابي طالب والمتحمسين لنهجه في السلطة ، ولولدهِ الحسن من بعده ، كما انهُ يعدُ شخصاً ذا ثقل اجتماعي كبير ، فمن المعروف ان حجر لم يكن شخصاً عادياً ، اذ كان من ابرز رجالات كندة وهذا يعني ان أي امرٍ يبرمه يمكن ان يتبعهُ فيه افراد قبيلته ، أي بالإمكان تحوّل حركتهُ المناوئة للسلطة – في خلافة معاوية - من حركةٍ فردية الى حركةٍ جماعية ينخرطُ فيها العديد من افراد قبيلة كندة القوية[٣] ، كما انها قد تتحول الى مركز تجمعٍ جماهيري يؤدي الى فوضى تصيب النسيج الاجتماعي للكوفة وهذا

(1) Nicholoson , A.Reynold : Literary History of The Arabs , p 139.

(٢) هو حجر بن عدي بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة الكندي. وهو المعروف بحجر الخير، وهو ابن الأدبر، وإنما قيل لأبيه: عدي الأدبر؛ لأنه طعن على أليته مولياً، فسمي الأدبر ، كما كان يعرف بحجر الخير تمييزاً لهُ عن ابن عمٍ لهُ كان قد التزمَ جانب معاوية في صفين . وفد على النبي صلى الله عليه وسلم هو وأخوه هانئ، كما شهد القادسية، سمعَ من علي بن ابي طالب وشهدَ معهُ مشاهدهُ كلها ، كما عُرفَ عنهُ الصلاح والتقوى ، وكان مجاب الدعوة . ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٢٣٩ ؛ خليفة ، طبقات ، ١ / ١٤٦ ؛ ابن الاثير ، اسد الغابة ، ١ / ٦٩٧ ؛ الذهبي ، سيرأعلام النبلاء ، ٣ / ٤٦٣ .

(٣) الحريزي ، فارس رزاق ، حجر بن عدي ، ١٣ .

ما لا تريدهُ السلطة ، اما الظروف التي خرجَ عليها حجر ما هيَ الا جزءُ من ازمة الانتهاكات الممنهجة التي سارت عليها السلطة من اجل خنق الروح النضالية لدى مجتمع الكوفة آنذاك [١] .

أظهرَ ابن عبد ربه تقصيراً واضحاً تجاه هذهِ الحركة بإيراده روايتان غير مسندتان ولا يشتملان على اي تفاصيل لتلك الحركة حيث ذكر في الرواية الاولى [٢]ما نصه : " ولما أمر معاوية بقتل حِجْر بن الأدْبَر وأصحابه، بَعث إليهم أكفانهم وأمر بأن تُفْتح قبورهم ويُقْتلوا عليها. فلما قُدِّم حِجْر بن الأدبر إلى السيف جزعِ جزَعاً شديداً، فقيل له: أمثْلُك يَجزعِ من الموت؟ فقال: وكيف لا أجزع وأرى سيفاً مشهوراً، وكفناً منشوراً، وقَبْراً مَحفوراً". ان الذي يُفهم من هذهِ الرواية ان المؤلف اراد بها ذكر شدة الموت على ابنِ ادم وهول مطلعه ، لا ذكر معارضة حجر بن عدي والحديث عن تفاصيلها ، فقد ذكر هذهِ الرواية في سياق حديثهِ عن (الجزع عندَ الموت) و لا شيء غير ذلك.

اما الرواية الاخرى فهيَ كذلك غير مسندة اوردها في معرض حديثهِ عن بطون كندة حيث قال ما نصه [٣]: " ... ومنهم حِجر بن عدي الادبر صاحب علي وهو الذي قتلهُ معاوية صبراً " ، وهذه الرواية كأختها لا تشير الى معارضة حجرٍ لا من قريبٍ ولا من بعيد ، لذا يمكن القول بان ابن عبد ربه أعرض عن ذكر تفاصيل تلك الحركة رغم ورودها في اغلب المصادر التاريخية ، اذاً فما هو سبب هذا التقصير؟. ارى ان هنالكَ عدة اسباب دفعَت ابن عبد ربه الى فعل ذلك وهيَ :-

أولاً :- المنهجية التي اتبعها المؤلف والقائمة على اساس الاختصار الشديد للعديد من الاحداث التاريخية ، فكأنهُ اراد ذكر حادثة مقتل حجرٍ فقط دون ان يذكر الاحداث التي رافقت مقتلهُ ، أي انهُ يذكر الحدث لا فهام القارئ او السامع بانهُ احاط خبراً بها ثم يترك لهُ حرية الاستزادة من أي مصدرٍ شاء.

ثانياً :- ابتعاد المؤلف من ذكر أي حدثٍ من شانه ان يشوّه الصورة التي رسمها لمعاوية واصفاً اياه بالحلم والدهاء والمداراة تارة والمداهنة والمكر تارةَ أُخرى ، فمن الطبيعي ان تكون حادثة مقتل حجر بن عدي بعيدة كل البعد عن تلك الصفات ، بل انها لو ذُكِرتْ نسفتها من الاساس ولم تُبقِ منها شيئاً فقد كان بإمكان معاوية ان يعالج امر حجر بواحدة من تلك

(١) فوزي ، محمد ، حجر بن عدي الثائر الشهيد ، ٢٣ .

(٢) العقد ، ٣ / ١٧٥ .

(٣) انساب ، ٣ / ٣٣٤ .

الصفات ، اذاً فلا حلم ولا مداراة بل كيد وضلال لو ادرجه المؤلف في ثنايا كتابه لاتسعَ الفتق على الراتق .

ثالثاً :- تُعدُ حركة حجر حركة غير مسلحة ، او على حدِ تعبير احد الباحثين حركة ذات طابع مدني [١] ، أي انها لم تفض الى صدام عسكري مع السلطة ، وانما انتهت بقرار اعدام قائدها في طريق ترحيلهِ الى دمشق للقاء الخليفة وهذا الخبر يفتقر الى عنصر الاثارة الذي يبحثُ عنهُ المؤلف من اجلِ امتاع قارئيه وسامعيه على حدٍ سواء ، أي انهُ ضحّى بالحقيقة التاريخية من اجلِ بلوغ غايتهُ الادبية .

رابعاً :- وقوع تلكَ الحركة زمانياً بين حركات اكبر منها ، كحركات الخوارج و كحركة الحسين بن علي ، وحركة ابن الزبير اللتانِ ابتدأ امرهما باعتراض الاثنان على تنصيب معاوية ولده يزيد وليّاً للعهد من بعده وهذا ما ذكره المؤلف واهتم به وما حدث بعد ذلك من اشهار الاثنان معارضتهما لخلافة يزيد فيما بعد وما رافق ذلك من احداث ، فضلاً عن حركة اهل المدينة التي وقعت في خلافة يزيد بن معاوية، والتي خصّص المؤلف لها مساحة واسعة جداً اذا ما قورِنتْ مع الحركات التي سبقتها ، وهذا كفيل بصرف نظر القراء والسامعين نحو تلك الحركات التي خطفت الاضواء وطغت على غيرها من الحركات التي تقاربت معها في الزمان .

خامساً :- ابتعاد ابن عبد ربه عن كل شيء يعكّر العلاقة بين الدولة الاموية – في الاندلس والتي يعيش في كنفها – مع رعاياها من العرب ، فمن المعلوم ان العديد من القبائل العربية نزلت وحلّت بالأندلس منذُ فتحها وجل هذهِ القبائل يمانية ، لذا فقد ابتعدَ المؤلف عن التطرّق لهذهِ الحركة لمّا آلت اليه من نهاية مؤلمة بحق كندة احدى اكبر القبائل اليمانية التي لم تتمكن من انقاذ احد ابنائها من براثن السلطة ، ولم تشفع لها خدمتها الجليلة التي اسدتها لمعاوية في ذلك ، خاصّةً وان الزمان الذي الّف فيهِ المؤلف كتابهُ كان مشحوناً بالصراعات القبلية بينَ القبائل القيسية واليمانية التي انتقلت الى الاندلس عن المشرق ، فكان ابن عبد ربه لا يريد فتح هذا الجرح الذي قد يؤدي الى الوقوع في العديد من المشاكل التي تعاقب عليها السلطة .

(١) دهش ، علي ، الرواية السياسية عن الدولة الاموية في كتاب الاغاني لأبي الفرج الاصفهاني ، ١١٣.

ب- حركات معارضة الخوارج (٤١-٦٠ هـ / ٦٢٢-٦٨٠م):

لم تكن عملية انتقال السلطة من الحسن بن علي الى معاوية بن ابي سفيان لتشكل فارقاً لدى الخوارج فقد كانَ الاثنان في نظرهم خارجين عن الدين وتجبُ محاربتهم [١] ، لذا فقد واصلَ الخوارج تحديهم للسلطة الجديدة [٢] بعد ان تعافوا من الضربة الموجعة التي تلقوها على يد الخليفة علي بن ابي طالب في النهروان . تمكن ابن عبد ربه من رصد ثلاث من تلكَ الحركات وهما حركة حوثرة بن وداع الاسدي و حركة قريب بن مرة و زحاف بن زحر الطائي وحركة مرداس بن حدير الربعي .

١- حركة حوثرة بن وداع الاسدي [٣] (٤١ هـ / ٦٦٢ م).

ذكر ابن عبد ربه في رواية لهُ غير مسندة تلكَ الحركة فقال عنها [٤] بانها اول حركة للخوارج بعد مقتل علي بن ابي طالب قام بها حوثرة الاقطع الذي خرجَ الى النخيلة فاجتمع لهُ جماعة من الخوارج ، وصادفَ ان معاوية كانَ حينها بالكوفة وقد بايعهُ الحسن والحسين وقيس بن سعد بن عبادة ، فطلبَ معاوية من الحسن قتالهم فردَ عليهِ الحسن : " والله لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين، وما أحسب ذلك يسعني، فكيف أن أقاتل قوماً أنت أولى بالقتال منهم؟ " ، فلما رجعَ الجواب الى معاوية قال لأبي حوثرة : انت اولى بقتال ابنكَ ، فخرج ابو حوثرة بجمع ولما اصطفَ الطرفان للقتال كلمَ ابنه فلم يفلح في استمالتهِ فرجعَ الى معاوية فوجهَ غيرهُ لقتاله ، فلما اقتربَ الجمعان ناداهم حوثرة : " يا أعداء الله، أنتم بالأمس تقاتلون معاوية لتهدّوا سلطانه، واليوم تقاتلون معه لتشدّوا سلطانه" ، ثم جعل يقاتلهم فشد عليه رجل من طيء فقتله، فرأى أثر السجود قد لوّح جبهته، فندم على قتله.

والملاحظ ان هذهِ الرواية ذكرت امر حوثرة هكذا من دون مقدمات ، فكيفَ تجمّعَ الخوارج من بعدِ هزيمة النهروان ؟ ، ومن كانَ عليهم ؟ ، وكيفَ تعاملت السلطة معهم بادئ الامر ؟ ، كل

---

(1) Cook, David : Martyrdom in Islam , pp. 54–55.

(٢) الشرفة ، علي خليل ابراهيم ، دور حركات المعارضة في عرقلة تطبيق الدولة الاموية لحقوق الانسان ، ١١ .

(٣) هو حوثرة بن وداع بن مسعود الاسدي كان من اتباع الخليفة علي بن ابي طالب لكنه فارقه بعد التحكيم ثم تحالف مع حابس الطائي على قتال معاوية اجتمع الاثنان في النخيلة قرب الكوفة فجهّز لهم معاوية جيشا جلّه من اهل الكوفة تمكن به من قتل حوثرة وهزيمة اتباعه . ينظر : المبرد ، الكامل في اللغة،٣ /١٧٥ ؛ ابن الاثير، الكامل ،٢٨٨/٣.

(٤) العقد ، ١ / ٢٢١ .

تلك التفاصيل الهامة اختفت من الرواية ، الا انها مع ذلكَ اعطت المكان الذي جرى فيهِ النزال ، كما ذكرت – ضمناً – السنة لكونها توافقت مع دخول معاوية الى الكوفة وهيَ سنة ٤١ هـ .

اوردَ المبرد [١] رواية مطابقة لرواية ابن عبد ربه هذهِ وقد يكون هون مورد المؤلف الذي استقى منه روايته ، الا انه اختلف معهُ في ذكر المكان الذي خرجَ اليهِ حوثرة وهو البندنيجين [٢] ، كما انهُ اضافَ عليها ان معاوية بعد هذهِ الوقعة خرجَ من الكوفة الى دمشق بعدَ ان ولّى عليها المغيرة بن شعبة ، وهذا يقودنا الى الاعتقاد بأنَ تلكَ الحركة كانت على جانبٍ كبيرٍ من الخطورة حتى اضطرّت معاوية الى انتظار النتيجة التي ستؤول اليها ، وبعدَ تأكّدهِ من قمعها عادَ الى دمشق .

اما البلاذري [٣] فقد ذهب الى ابعد من ذلكَ في روايةٍ له غير مسندة ذكرَ فيها ان حوثرة كانَ في جيش علي بن ابي طالب ، ولكنّهُ اعتزلَ عنهُ بعدَ التحكيم وكانَ معهُ مئتي رجلٍ فنزلَ في براز الروز [٤] من السواد ، ثمَ سارَ بمئةٍ وخمسين رجلاً حتى قدمَ النخيلة فالتحقَ بهِ فلّ ابن الحوساء[٥] الذي كانَ قد اشتبكَ بمعركة معَ جند الشام قربَ الكوفةِ لمّا كانَ معاويةُ فيها ، الا انهُ قُتِلَ في تلكَ المعركة وتبددَ جمعهُ ، ثمَ انهُ يكمل نفس الرواية التي ساقها المبرد ، وقد طابقهُ في ذلكَ ابن الاثير [٦] الذي اوردَها ايضاً بنفس التفاصيل ، في حين ذكرَ خليفة [٧] مقتل حوثرةٍ فقط دونَ اعطاء تفصيلاً عن حركته وقد ادرجها في سياقِ حديثه عن احداث سنة واحدُ واربعونَ للهجرة . لذا يمكن القول ان ابن عبد ربه قدمَ رواية مطابقة لما موجود في بعض المصادر ولعلَ سبب ذلكَ هو اطلاعه على رواية المبرد معَ تشذيبه البسيط لها بما يتوافق معَ منهجيته العامة التي كانت مقتصرة على ذكرِ الحدث الابرز فقط .

(١) الكامل في اللغة ، ٣ / ١٧٥ .

(٢) البندنيجين : بلدة مشهورة بطرف النهروان من ناحية الجبل من اعمال بغداد ، وهي مدينة مندلي الحالية . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ٤٩٩ ؛ سليم ، فاطمة ، مندلي تاريخها واثارها ، ٧ .

(٣) انساب ، ٥ / ١٦٥ .

(٤) براز الروز : من طساسيج السواد ببغداد تقع في جانبها الشرقي ،. ينظر : ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ١ / ٦ ؛ الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ٣٦٤ .

(٥) لم اعثر له على ترجمة فيما تيسر لي من مصادر .

(٦) الكامل ، ٣ / ١٠ .

(٧) تاريخ ، ١ / ٢٠٤ .

٢- حركة قريب بن مرة و زحاف بن زحر الطائي (٥٠ هـ / ٦٧١ م) .

اورد ابن عبد ربه رواية واحدة غير مسندة عن تلكَ الحركة ذكرَ فيها [١] ان قريب بن مرة وزحاف قد خرجا بالبصرة وكانا مجتهدين في ايام زياد فاعترضا الناس وقطعا الطريق واخافا السّابلة ، وبلغَ ابا بلال [٢] خبرهما وكانَ على دينِ الخوارج ولكنهُ لا يرى اعتراض الناس فقال : قريبُ لا قرّبهُ الله من الخير وزحافُ لا عفا الله عنه فلقد ركباها عشواءَ مظلمة . ثم جعلا لا يمرّان بقبيلة الا قتلا من وجدا فيها ، حتى مرّا ببني علي بن سود من الأزد ، وكان فيهم مئة يجيدون الرمي فرموهم رمياً شديداً ، فصاحوا : يا بني سود البقيا لا دماء بيننا فلم يلتفتوا لهم ،وقال قائل من بني علي :

لا شيء للقومِ سوى السهامِ ... مشحوذةُ في غلس الظلام

فهربت عنهم الخوارج واشتقوا مقبرة بني يشكر حتى خرجوا الى مزينة ، ثمَ استقبلهم الناس فقتلوهم عن اخرهم ، فعاد الناس الى زياد فقال : الا ينهى كل قوم سفهائهم ، فكانت القبائل اذا احسّت بخارجي فيهم اوثقوه واتوا بهِ زياد فمنهم من يحبسه ومنهم من يقتله.

اشارت هذهِ الرواية الى خروج شخصيتين بارزتين من الخوارج معاً وهما قريب و زحاف ، لكنها لم توضح من كان منهما زعيماً للأخر ؟ وهل كان بينهما صلةُ قرابة ؟ وفي اي سنةٍ خرجا ؟ وكم كانَ عددُ اتباعهم ؟ الا ان المبرد [٣] اورد رواية مطابقة لرواية ابن عبد ربه وضّحَ فيها بعض التفاصيل التي اختفت من رواية المؤلف فذكر ان الناس اختلفوا بينهما ايهما كانَ الرئيس ، وهذا دليلُ على ان الاثنان كانَ لهما نفس المكانة بينَ اتباعهما الذينَ بلغوا ثمانونَ رجلاً ، ثم ذكرَ ان بني ضاحية بن سود وقبائل مزينة وغيرها هم من اجتمعوا على الخوارج حتى افنوهم عن اخرهم .

اما الطبري [٤] فقد ذكر هذا الخبر في احداث سنة خمسين للهجرة وأوردهُ برواية زهير بن حرب بسنده عمن شهد ذلك الخروج فقال ان خروجهما كانَ بالبصرةِ وعليها آنذاك سمرة بن جندب ، وزياد بالكوفة وكانَ عددهم سبعونَ رجلاً فنزلوا في بني راسب فرموهم بالنبل ثم ضفروا بالبقية

(١) العقد ، ١ / ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٢) هو مرداس بن حدير من بني ربيعة بن حنظلة ، كان مجتهداً تعظمهُ الخوارج كثيراً لكثرةِ ورعهِ وتقواه وصواب لفظهِ ، خرجَ زمن عبيد الله بن زياد فقتل في نواحي الاهواز سنة واحد وستين . ينظر : المبرد ، الكامل في اللغة ، ٣ / ١٨١ .

(٣) م . ن . ، ٣ / ١٨٠ .

(٤) تاريخ ، ٥ / ٢٣٨ .

فقتلوهم عن اخرهم ن واقبلَ زيادٍ من الكوفة فقال : يا معشر بني ضاحية لولا انكم اصبتم لنفيتكم الى السجن والله لئن افلتَ منهم رجلاً لا تأخذونَ العام من عطائكم درهماً . قال فثار الناس بهم فقتلوهم .

وهذه الرواية فيها من المنطقية ما يجعلها اكثر الروايات اقناعاً ذلكَ لكونها جاءت مسندة وتنتهي بسندها الى شاهد عيان من جهة ، ومن جهة اخرى ذكرت السنة التي ظهرت بها تلك الحركة ، كما بيّنت تهديد زيادٍ بحرمان القبائل من عطائها ان لم يقضيا على اتباع تلكَ الحركات ، فكانَ هذا دافعاً قوياً للقبائل بتسليم زياد كل من اتُهِمَ بذلك ، وقد اتفق مع الطبري بعض المصادر [١].

اما خليفة [٢] فرغمَ ذكرهِ لهذهِ الرواية عن وهب بن جريرٍ ايضاً ، الا انهُ ذكرَ ان قريبٍ وزحاف كانا ابناء خالة ، كما انهُ ذكرَ ان خروجهما كانَ سنة ثلاثُ وخمسين .

١٧- حركة مرداس بن حدير الربعي (٦١ هـ / ٦٨١ م) .

اورد ابن عبد ربه رواية غير مسندة [٣] عن خروج مرداس ابي بلال فذكرَ انهُ شهدَ صفين مع علي بن ابي طالب ، وانكرَ التحكيم وشهدَ النهروان ولكنهُ نجا مع القلّة التي نجت ، وقد حبسهُ ابن زياد ولما أطلقهُ رأى شدّة الطلب للشراة فعزمَ على الخروج قائلاً لأصحابه : " والله إن الصبر على هذا لعظيم، وإن تجريد السيف وإخافة السبيل لشديد، ولكنا ننتبذ عنهم ولا نجرّد سيفاً ولا نقاتل إلا من قاتلنا . فأجتمعَ اليهِ زهاء ثلاثينَ نفراً ، ثم مضى حتى نزل اسك [٤] في الاهواز ، فمرَ بهِ مالُ يُحمل الى ابن زياد وقد بلغَ اصحابه الاربعينَ رجلاً فحطَ ذلكَ المال وأخذَ منهُ عطائه واعطيات اصحابه وتركَ ما بقيَ وقال قولوا لصاحبكم انما اخذنا اعطياتنا ، فقال لهُ اصحابه : ولماذا نترك الباقي ؟ . فقالَ : انهم يقسمون المال كما يقيمون الصلاة فلا تقاتلوهم ما داموا على الصلاة .

فوجهَ اليهم ابن زياد اسلم بن زرعة الكلابي في الفين ، فهزموه وقتلوا اصحابه ، ثم وجهَ اليهم عبّاد بن علقمة المازني ، فقاتلهم يومَ الجمعة حتى كانَ وقتُ الصلاة فناداهم ابو بلال : " يا قوم، هذا وقت الصلاة فوادعونا حتى نصلي. فوادعوهم، فلما دخلوا في الصلاة شدّوا عليهم فقتلوهم، وهم بين راكع وساجد وقائم في الصلاة وقاعد. فقال عمران بن حطان يرثي أبا بلال:

يا عين بكّي لمرداس ومصرعه ... يا رب مرداس اجعلني كمرداسِ

(١) ينظر : البلاذري ، ٥ / ١٧٦ ؛ ابن الاثير ، ٣ / ٦١ .

(٢) تاريخ ، ١ / ٢١٩ .

(٣) العقد ، ١ / ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٤) هي بلدة من نواحي الاهواز قرب ارجان تقع بين ارجان و رامهرمز ،وهي بلدة ذات نخيل ومياه وايوان عال في الصحراء ، قيل ان الملك قباذ هو من بناها . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ١ / ٥٣ .

أبقيتني هائماً أبكي لمرزئتي ... في منزل موحش من بعد إيناسِ
أنكرت بعدك ما قد كنت أعرفهُ ... ما الناس بعدك يا مرداس بالناسِ
إما شربت بكأس دار أولها ... على القرون فذاقوا جرعة الكاسِ
فكل من لم يذقها شارب عجلاً ... منها بأنفاس ورد بعد أنفاسِ .

اشارت هذهِ الرواية الى حركة ابي بلال الخارجي الذي يعد اكثر الخوارج استقامةً لتحرّجهِ من دماء الناس واموالهم ، ولكنَ ذلكَ لم يكن ليرضي السلطة التي سعت جاهدةً الى التخلص منهُ باي طريقة .

اوردَ المبرد [١] رواية مطابقة لرواية ابن عبد ربه ، الا انهُ ذكرَ فيها ان ابن زياد بعثَ لهُ شرطة البصرة ، لكنهم انصرفوا عن ابي بلال واتباعهِ دونَ ان يكون بينهم قتال ، فبعثَ لهم اسلم بن زرعة الكلابي في الفي رجلٍ وكان معَ مرداس اربعون رجلاً فدار بينهم جدالُ لم يفضِ الى شيء ، ثمَ انَ اتباع ابي بلال حملوا على اسلم واتباعه حملةَ رجلٍ واحد فانهزمَ جنده من غير قتال وعادَ لابن زيادٍ فعيرهُ بذلك ، ثم ندبَ لهُ عبّاد بن علقمة [٢] في اربعة الاف ففتكَ بابي بلال واصحابهِ وهم داخلونَ في صلاة العصر .اما البلاذري [٣] فرغمَ اتفاقهِ مع المبرد في ايراد نفسِ الرواية الا انهُ زادَ عليها بانَ عبّاد واتباعهِ انفتلوا عن صلاتهم أو قطعوها فحملوا سلاحهم واجهزوا على ابي بلال واتباعه وهم بينَ ساجدُ وراكع وقائمُ وقاعد ، وقد اتفقَ معه ابن الاثير[٤] في ايراد نفس هذهِ الرواية ، في حين ان الطبري [٥] اوردَ رواية عن ابي مخنف ذكرَ فيها ان عبيد الله بن زياد بعثَ عبّاد بن علقمة في ثلاثةِ الاف فالتقى بابي بلال في توج [٦] فاقتتلوا فلم ينجِ منهم احد وكانَ ذلكَ سنة واحدُ وستون للهجرة ، وقد اوردَ خليفة [٧] نفس هذهِ الرواية ولكن باختصار شديد.

(١) الكامل في اللغة ، ٣ / ١٨٥ - ١٨٦ .
(٢) هو عباد بن علقمة بن عباد بن صيفي بن حزابة التميمي . احد امراء الجند في البصرة قتلهُ الخوارج ثاراً لأبي بلال قربَ مسجد البصرة سنة اثنان وستين .ينظر : البلاذري ، انساب ، ٥ / ١٨٦ .
(٣) انساب ، ٥ / ٤٧١ .
(٤) الكامل ، ٣ / ١١١ .
(٥) تاريخ ، ٥ / ٤٦٧ .
(٦) مدينة بفارس تقع قرب كازرون وهي شديدة الحر لأنها في غور من الارض وبها نخل وبنائها باللبن . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ،٥٦/٢ .
(٧) تاريخ ، ١ / ٢٥٤ .

وبإيراد ابن عبد ربه تلك الروايات عن حركات المعارضة في خلافة معاوية –رغم ان الاخيرة منها قد امتدت الى عهد ولده يزيد – يكون قد انهى حديثهُ عن تلك الحركات ليبدأ بذكر ابرز حركات المعارضة التي حدثت في عهد ولده يزيد بن معاوية. اذاً فقد استمرت حركات الخوارج في خلافة يزيد بن معاوية رغم بطش السلطة وجبروتها ، الا انها تركّزت بشكلٍ اساس في العراق بمصريه الكوفة والبصرة ، فضلاً عن الاهواز التي كانت قريبة من البصرة وسبب ذلك هو ان تلك الحركات لازالت في بدايتها اذ لم تتأثر بأفكارها باقي اقاليم الدولة ، اما بالنسبة الى ابن عبد ربه فقد تمكن من اعطاء صورة لا بأس بها عن تلكَ الحركات والتي لا تختلفُ كثيراً عما وردَ في بعض المصادر التاريخية ، ولعلَ السبب في ذلك هو اطلاعه عليها في كتاب المبرد الادرى بالخوارج وثوراتهم من المصادر الاخرى.

المبحث الثاني
حركات المعارضة في عهد يزيد بن معاوية (حركة الحسين بن علي٦٠-٦١هـ /٦٨٠-٦٨١ م)

افتتح ابن عبد ربه حديثهُ عن خلافة يزيد بن معاوية بإيراده رواية عن الهيثم بن عدي[١] ذكر فيها وصية معاوية لولدهِ يزيد فقال ما نصه [٢] : " لما حضرَت مُعاويةَ الوفاةُ ويزيد غائب، دعا بمُسلم ابن عُقبة المُري [٣] والضحَّاك بن قيس الفَهريّ [٤] ، وقال لهما: أبلغا عني يزيد وقولا له: انظر أهل الحجاز، فهم عصابُتك وعترتك، فمن أتاك منهم فأكرمه، ومَن قعَدَ عنك فتعاهده؟ وانظُر أهل العراق، فإن سألوك عَزْل عامل في كل يوم، فأعزلهُ عنهم، فإن عزل عامل واحد أهونُ عليك من

(١) هو الهيثم بن عدي بن زيد بن أسيد بن جابر بن عبد الرحمن الطائي الثعلبي البحتري الكوفي . أمهُ من سبي منبج . ولِدَ بالكوفة وبها نشأ ، ثم انتقلَ الى بغداد فسكنها ، كان راوية اخبارياً نقلَ الكثير من كلام العرب واشعارها ولغتها ، لكنهُ كانَ يتعرض لمثالب الناس ويورد معاييهم فكُرِهَ لأجلِ ذلك ونقلَ عن العباس شيئاً فحبسهً الرشيد وقيلَ انهُ نقلَ عنهُ زوراً . كان يرى رأي الخوارج . قال ابن معين وابن داود كذاب ، وقال النسائي وغيره متروك الحديث ، وقل ما روى في المسند ، لهُ علمُ بالتاريخ ومعرفة الرجال ، ولم يكن في الحديث بالقوي ولهُ العديد من الكتب توفيَ سنة سبعُ ومائتين . ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد، ١٤ / ٥٣ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان، ٦ / ٢٥٤ - ٢٥٦ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١ / ٢٩٦ و ٧ / ٤٣٦.

(٢) العقد ، ٤ / ١٧٥ .

(٣) هو مسلم بن رباح بن عقبة بن اسعد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن يربوع بن غيض بن مرة بن عوف المري ابو عقبة ، ادركَ النبي (صلى الله عليه وسلم) وشهدَ صفين مع معاوية وكان على الرجالة ، امرهُ يزيد بن معاوية على الجيش الذي غزا المدينة يوم الحرة وكان مسلم شيخ قد بلغ بضعُ وتسعينَ سنة فافحش مسلم القول والفعل باهل المدينة واسرفَ في قتل الكبير والصغير حتى سموه مسرفاً واباحَ المدينة ثلاثُة اياٍم والعسكر ينهبون ويقتلون ويفّجرون ، ثمَ رفعَ القتل وبايع من بقيَ على انهم عبيدُ ليزيد بن معاوية ثم توجهَ بعسكرهِ الى مكة لقتال ابن الزبير ولكنهُ عوجلَ بالموت في الطريق وذلكَ سنة ثلاثُ وستين للهجرة . ينظر : ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٥٨ / ١٠٢ ؛ ابن حجر ، الاصابة ، ٦ / ٢٣٢ .

(٤) هو الضحاك بن قيس بن خالد الاكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر القرشي ، وكنيتهُ ابو انيس وقيلَ ابو عبد الرحمن ، قيل انهُ ولدَ بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) بسبع سنين ولم يسمع منه . كان على شرطة معاوية ثم صار عاملاً لهُ على الكوفة بعدَ زياد ، ثمَ عزلهُ وضمهُ الى الشام وكان معهُ الى ان مات فصلى عليه وقامَ بخلافته حتى قدمَ يزيد بن معاوية فكان معهُ وابنهُ معاوية الى ان ماتا فتحول ولائه لابن الزبير ودعا لهُ ، فتحاربَ مع مروان بن الحكم في مرج راهط وبها قُتِلَ سنة اربع وستين . ينظر : خليفة ، طبقات ، ١ / ٦٦ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٢ / ٧٤٥ .

سَلّ مائة ألف سيف، ثم لا تدري عَلام أنت عليه منهم ؟ ثم انظُر أهلَ الشام فاجعلهم الشِّعار دون الدَثار، فإنْ رابك من عدو رَيب فارْمه بهم، فإن أظفرك اللهّ فأردد أهل الشام إلى بلادهم، لا يُقيموا في غير بلادهم فيتأدّبوا بغير أدابهم. ولست أخاف عليك غير عبد الله بن عمر، وعَبدِ الله بن الزبير، والحُسين بن علي. فأما عبد الله بن عمر، فرجل قد وَقَذَه الوَرع وأما الحُسين، فأرجو أن يَكفيكه اللهّ بمنِ قَتلِ أباه، وخَذَل أخاه؛ وأما ابن الزُّبير، فإنه خَبّ ضَبّ. فإنْ ظَفِرْت به فقطعه إرْباً إرْباً ... " .

ادرج ابن عبد ربه هذهِ الرواية ضمن مجموعة خطب لمعاوية ، لكن خلال معاينة النص والتمعن بهِ نجد انهُ اقرب الى الوصية منهُ الى الخطبة ، فذكر الرواية قول معاوية لمسلم بن عقبة ، والضحاك بن قيس ومخاطبتهِ لهما بشكلٍ مباشر بقولهِ : أبلغا عني يزيد وقولا له " دليلُ على انها وصية وليست خطبة ، ولكنها مع ذلك اشارت الى ان معاوية كانَ على دراية بما سيؤول اليهِ امر ولده يزيد ، فبدأ برسم منهاجاً لهُ حدد فيه سياستهُ في كل مصر من الامصار ، ثم ركّز على شخصياتٍ ثلاث وهم عبد الله بن عمر والحسين بن علي و عبد الله بن الزبير ، وقد جاءَ تقييمهُ لكل فردٍ منهم بما تطابقَ معهُ مستقبله ، لذا فلا نعدو الصواب اذا قلنا ان معاوية كانَ فعلاً من دهاة العرب . اما بالنسبة الى نص الوصية وتحديداً الفقرة التي ركّز فيها معاوية على من سيخالف يزيد فقد ذكرَ ابو الفداء [١] نصاً مطابقاً للنص الذي ذكرهُ ابن عبد ربه ، ولعله نقله عنه، بينما خالفته مجموعة من المصادر الاخرى في ذلك.

اورد الطبري رواية [٢] عن عبد الملك بن نوفل ذكرَ فيها ان يزيد كان حاضراً وفاة والده كما انه اوصاه بأن يحذر من اربعة وهم نفس الذينَ اشار لهم المؤلف في روايتهِ ، الا ان ابن نوفل اضاف لهم عبد الرحمن بن ابي بكر ، ورغم اتفاق العديد من المصادر [٣] مع الطبري في ايراد نفس هذهِ الرواية ، الا انها اختلفت معهُ في أمر حضور يزيد لوفاة والده ، لذا فقد خالف ابن نوفل بروايته هذه المشهور، اما الاختلاف الثاني فهو ان رواية الهيثم ذكرت ثلاث من ابناء الصحابة ممن كان معاوية يحسب لهم حساب بينما اضافت باقي المصادر عبد الرحمن بن ابي بكر [٤] فيكون

(١) المختصر في اخبار البشر ، ١ / ١٨٧ .

(٢) تاريخ ، ٥ / ٢٢٢ .

(٣) ينظر: الدينوري ، الاخبار الطوال ، ١ / ٢٢٦ ؛ ابن اعثم ،الفتوح ، ٤ / ٣٤٩ - ٣٥٠ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٥ / ٣٢٠ ؛ابن الاثير ، الكامل ، ٣ / ١٢٠ ؛ ابن الطقطقي ، الفخري ، ١ / ١١٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١١ / ٣٩١ ؛ ابن خلدون ،تاريخ،٣ /٢٣-٢٤ .

(٤) هو عبد الرحمن بن ابي بكر بن ابي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم . امهُ ام رومان بنت الحارث بن الحويرث من بني فراس بن غنم بن كنانة بن خزيمة ، وكنيتهُ ابو محمد ، شهدَ بدراً واحداً كافراً مع قومه ثم هاجر الى النبي مع نفرٍ من قومه فاسلمَ وبقيَ حتى شهدَ الجمل مع اخته عائشة وقدمَ على ابن =

المجموع اربعة لا ثلاثة ، الا ان عبد الرحمن توفيَ قبل وفات معاوية بكثير ، ولعلَ اسمهُ اضيفَ الى الرواية من قبل اصحاب الاخبار والسير لكونهِ يوازي في المكانة الشخصيات الثلاث الآنفة الذكر ، لذلك ارى ان الرواية التي اوردها ابن عبد ربه ادق من الرواية التي اوردها الطبري ومن طابقهُ عليها من باقي المصادر ، وعلى اية حال فقد تسلّم يزيد بن معاوية الخلافة بعدَ وفاة ابيه في رجب سنة (٦٠ هـ / ٦٨٠ م) ، ولكن خبر تلكَ الوفاة ما ان انتشرَ حتى ظهرت العديد من اشكال المعارضة التي بانَ اثرها في اجزاء متفرقة من الدولة والتي كشفت الى حدٍ بعيد حجم الاحتقان الذي كانت تعانيه بعض الشخصيات من السياسة التي اتبعها معاوية ضدها وخصوصاً بدعة ولاية العهد ، يضاف الى ذلك اعتراض البعض الاخر على شخص يزيد الذي لم يكن مؤهلاً للخلافة[١] .

كان من ابرز حركات المعارضة التي انطلقت ضد حكم يزيد هي حركة الحسين بن علي التي غطت على حركتي اهل المدينة وعبد الله بن الزبير لعمقها ولشخصية قائدها فهي في الحقيقة انتفاضة وثورةُ كاملة لا مجرد حركة تنتهي بانتهاء احداثها الانية [٢] ، وعلى الرغم من اهمية هذهِ الحركة ومدى تأثيرها على مجريات الاحداث اللاحقة ، الا اننا نجد ان ابن عبد ربه لم يعطها اهتماماً مثلما تستحق ، فقد اوردَ عنها روايات محدودة بخلاف ما جاءت بهِ المصادر التاريخية الاخرى التي امتاز بعضها بإيراد روايات متنوعة غطت جميع تفاصيلها .

يُعد الطبري من ابرز المصادر التاريخية التي اعطت مادة ممتازة استوعبت جميع الاطراف التي شاركت في تلكَ الحركة ، يليه في ذلكَ الاصفهاني في كتابهِ مقاتل الطالبين الذي جاءَ بمادة جيدة عنها الا انها اقل تفصيلاً وتقصّياً من مادة الطبري ، ثم يليهما ابن اعثم الكوفي الذي ينتمي الى نفس المرحلة الزمنية بالنسبة الى المؤرخين السابقين ، كما ان كوفيتهُ تجعل من مادته التاريخية ذات اهمية خاصة ، لكونها تمثل وجهة النظر الخاصة بالجانب الاخر (الشيعة) التي قد يكون المؤرخان السابقان قد اغفلاها عن قصد او دون قصد ، لذا فسوف اعتمد تلك المصادر الثلاث ومقارنتها مع مادة ابن عبد ربه لمعرفة مدى تمكن الاخير من اعطاء مادة تاريخية عن تلك الحركة ، علماً انني لن اغفل باقي المصادر التي تحدثت عن الموضوع نفسه .

=عامر البصرة . توفي سنة ثلاث وخمسين للهجرة . ينظر : خليفة ، رجال ، ١ / ٤٨ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٢ / ٨٢٤ ؛ ابن حجر ، الاصابة ، ١٨ / ٣٩١ .

(1) Holland, Tom : In the Shadow of the Sword The Battle for Global Empire and the End of the Ancient World , p. 409.

(٢) شمس الدين ، محمد مهدي ، ثورة الامام الحسين في الوجدان الشعبي ، ٧ .

بدأ ابن عبد ربه حديثهُ عن حركة الحسين بن علي بإيراده رواية [١]عن علي بن عبد العزيز[٢] ذكر فيها ان والي المدينة الوليدُ بن عُتبة عمدَ فور وصول نبأ وفاة معاوية الى المدينة بالأرسال الى الحُسين بن عليّ وعبدِ الله بن الزُّبير يدعوهما الى البيعة ليزيد ، فطلبا ان يمهلهما الى اليوم التالي ، ثم خرجا من فورهما الى مكة فركب الحسين رواحلَ وتوجهَ الى مكة على الطريق الاكبر ، بينما ركبَ ابن الزبير برذوناً وقصدها من طريقٍ ملتوية ، وفي الطريق صادف الحسين عبد الله بن مطيع[٣] وهو على بئر له فسأل الحسين عن وجهته فاخبرهُ بانهُ يريد الذهاب الى العراق فسألهُ عن السبب فقال لهُ الحسين : " مات معاوية وجاءني اكثر من حمل صحف " ، فنهاه ابن مطيع عن تلكَ الوجهة مذكّراً اياه بمواقف اهل العراق مع ابيه واخيه ثم قال له : " والله لئن قُتِلتْ لا بقيت حرمةَ بعدكَ الا استُحِلّتْ " ، ثم اكمل الحسين طريقهُ حتى دخل مكة ، فأقام بها هو وابن الزبير .

يشير هذا الجزء من الرواية بوضوح على ان هنالك ضغطاً حاولت السلطة ممارسته على الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير فور وصول خبر وفاة معاوية ، كونهما ابرز شخصيتان في المجتمع المدني آنذاك ، فضلاً على انهما لم يوافقا على ولاية عهد يزيد التي عقدها لهُ ابوه معاوية مما حملَ الاثنان على الخروج من المدينةِ والتوجهِ الى مكة التي صادف فيها بداية اجتماع الناس لموسم الحج ، الا ان طريقة هذا الخروج من المدينة اختلف بين الحسين بن علي و ابن الزبير ، فقد سلكَ الحسين الطريق الرئيسي الى مكة وهو ما عبر عنه ابن عبد العزيز في روايتهِ بـ (المنهاج الاكبر) ، بينما اخذَ ابن الزبير طريقاً اخرى ملتوية للتمويه على السلطة وتضليلها من ان تدركه ، وهذا دليلُ على ان الحسين بن علي قد اشهرَ معارضتهُ للسلطة دونَ خشيتهِ من ان تصيبهُ بمكروهٍ يحول دون تحقيقه مشروعه في الخروج عليها ، وعلى الرغم من ان هذهِ الرواية اشارت الى تركيز السلطة على بيعة الحسين بن علي وابن الزبير - بسبب الموقف السلبي الذي اتخذاه من مسألة ولاية العهد ليزيد - الا انها لا تعطي سبباً منطقياً يحمل الحسين بن علي على الرحيل الى العراق سوى

(١) العِقد ، ٤ / ٣٥٦ .

(٢) من الرواة المبهمين . ينظر: جدول رقم (٣) .

(٣) هو عبد الله بن مطيع بن الأسود بن حارثة بن نضلة بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب القرشي العدوي ، ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فحنكهُ ودعا له . تابعي روى عن ابيه وعن كبار الصحابة . روى عنهُ ابناه ابراهيم و محمد ، كما روى عنهُ الشعبي و عيسى بن طلحة و محمد بن ابي موسى . التزمَ جانب عبد الله بن الزبير وظلَ موالياً لهُ حتى قُتِلَ معهُ في مكة اول سنة ثلاث و سبعين . ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ٥ / ١٠٩ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٣ / ٩٩٤ ؛ ابن حجر ، الاصابة ، ٤ /٢٠٤.

مكاتبة اهل الكوفة لهُ وبيعتهم لشخصه ، فمالَ لهم غير مكترثٍ بنصيحة عبد الله بن مطيع الذي لم يوافقهُ على ذلك .

اورد الطبري رواية [١] عن ابي مخنف تطابقت مع رواية ابن عبد ربه ، الا ان ابا مخنف اعطى تفصيلاً اكثر عن خروج الحسين من المدينة الى مكة فذكرَ ان الذي اشارَ على الحسين بالتنكّب عن الطريق العام هم اهل بيته لكن الحسين امتنع عن ذلك ، كما انه لم يذكر مكاتبة اهل الكوفةِ للحسين وانما كانَ كلام ابن مطيع من باب التحذير والنصيحةِ لا غير .اما ابن اعثم [٢] فقد اعطى هو الاخر تفصيلاً دقيقاً عن خروج الحسين من المدينة الى مكة لكنهُ ذكرَ ان الحسين قبل خروجهِ الى مكة زارَ قبر جده وبات عندهُ ، ثم زار في الليلة التالية قبر امهِ فاطمة واخيه الحسن ثم ذكر ان الحسين كان يسير ويقرأ هذه الآية ((فخرجَ منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين) " . وهذا دليل واضح على انهُ كان مطارداً من قبل السلطة ، كما انه اتفق مع ابي مخنف من ان الحسين في تلك المرحلة لم تصلهُ كتب اهل الكوفة وانما خرج خوفاً على نفسهِ لما امتنع عن البيعة ، اما الذي اشار عليه بالتنكّب عن الطريق فقد ذكر ابن اعثم انهُ مسلم بن عقيل .

اما الاصفهاني [٣] فلم يشر البته الى الكيفية التي خرجَ بها الحسين من المدينة ولم يذكر من صادفهُ في الطريق بينَها وبنَ مكة واكتفى بذكرهِ ان الحسين امتنعَ عن بيعة يزيد وانهُ خرجَ من المينة الى مكة بسببِ ذلكَ الامتناع.

واما قول الراوي عن الحسين : "... مات معاوية وجاءني اكثر من حمل صحف ..." فيتفقُ هذا الجزء من الرواية مع رواية اخرى اوردها المؤلف عن الشعبي قال[٤] ان الذي اعترض الحسين لمّا خرجَ من المدينة الى مكة كان عبد الله بن عمر، اما سبب اصرار الحسين على الخروج الى العراق فهو مكاتبة اهل الكوفة له ، لذا فقد كان ابن عبد ربه مؤمناً من ان خروج الحسين الى العراق انما كان بسبب ما كتبهُ لهُ اهل العراق ، وما ايراده للرواية الثانية الا توكيداً على ذلك ، وهذا تجريد واضح لتلكَ الحركة عن دافعها الديني القائم على اساس الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

اسهب ابن عبد ربه بروايته فذكر [٥] ان الوليد بن عُتبة عُزِلَ عن المدينة وعيّنت السلطة عمرو بن سعيد [١] بدلاً عنه فقدمها قبل التروية بيوم فالتقى بالحسين وقد اجتمع الناس بالحرم

(١) تاريخ ، ٥ / ٣٥١ .
(٢) الفتوح ، ٥ / ٢٢ - ٢٣ .
(٣) مقاتل الطالبيين ، ١ / ٩٩ .
(٤) العِقد ، ٤ / ٣٦٣ - ٣٦٤ .
(٥)العِقد، ٤ / ٣٥٧.

للصلاة وطلبوا منهُ ان يؤمهم لكنهُ رفض فأذن المؤذّن وتقدم عمرو بن سعيد فأقام الصلاة فقيل للحسين اخرج يا ابا عبد الله ، لكنهُ رفض ثم صلى ، فلما انصرف عمرو بن سعيد عن الصلاة بلغهُ ان الحسين قد خرج فارسل في طلبهِ قائلاً : "اطلبوه، اركبوا كل بعير بين السماء والأرض فاطلُبوه" ،لكنهم لم يدركوه.

اما الطبري فقد اورد رواية عن ابي مخنف [٢] توافقَت مع رواية ابن عبد ربه في كون الحسين بن علي كان مطارداً من قبل السلطة لما خرجَ من مكة ، لكن تلكَ المطاردة لم تكن جادّة لانَ الحسين بن علي لما ادركهُ الطلب على مسافة من مكة امتنعَ عن تسليم نفسه فمضى في سبيلهِ ورجعَ اتباع عمرو بن سعيد الى مكة .

في حين ذكر ابن اعثم [٣] ان والي المدينة عمرو بن سعيد كتب الى الحسين بن علي وهو بمكة يعزّيه بخبر قتل مسلم بن عقيل ويعرض عليه الامان والصلة ، وقد بعث ابنهُ ليكون مصدّقاً بكلامه غير مخادع فردَ الحسين عليه بكتابٍ يشكرهُ فيهِ على نصيحته ، ثم يذكر ان الحسين طافَ بالبيت وسعى بينَ الصفا والمروة ، ثمَ جهَّز عياله وخرج . وفي الحقيقة ان هذهِ الرواية لا تقارب الواقع لا من قريب ولا من بعيد ، ذلكَ ان الاسلوب الذي اتبعهُ ابن سعيد لا يتماشى مع طبيعة الموقف المتأزّم ، كما انهُ يظهر السلطة بمظهر المتحرّج من قتل الحسين ، او ان الحسين هو من اجبرها على فعل ذلك ، وهذا امرُ بعيدُ جداً عن الواقع ، بل ان من الغريب ان يروي ابن اعثم مثل هذهِ الرواية وهو الموصوف بشيعيته .

أستمر ابن عبد ربه في سرد روايته فذكر [٤] ان الحسين ارسلَ مسلم بن عقيل الى الكوفة لأخذ البيعة له وكان على الكوفة النعمان بن بشير الانصاري الذي تركَ الناس يموجون في امرهم دون ان يفعل شيئاً ، فبلغَ ذلكَ يزيد فاستشار خاصته فأشاروا عليه بعبيد الله بن زياد الذي كان صكَ امارتهِ قد كتبهُ معاوية في الديوان قبلَ وفاتهِ بأيام ، فاستعملهُ عليهم ، فلما قدم ابن زياد الى الكوفة كان مسلم بن عقيل في ثلاثين الفاً من اهلها مما حدا بابن زياد الى التنكر اثناء دخوله الكوفة حتى دخلَ قصر الامارة .

---

(١) ستأتي ترجمته لاحقاً بالحديث عن حركة معارضته .

(٢) تاريخ ، ٥ / ٣٥٨ .

(٣) الفتوح ، ٥ / ٢٤ .

(٤) العِقد ، ٤ / ٣٥٩ - ٣٦٠ .

اما الطبري فقد اوردَ رواية [١] عن عمار الدهني ذكرَ فيها بان الذي اشار على يزيد بعزل النعمان بن بشير وتولية عبيد الله بن زياد مكانه هو سرجون كبير مستشاريه . في حين اوردَ الاصفهاني روايتين [٢] : الاولى عن يونس بن ابي اسحاق ، والثانية عن عمر بن سعد ، وقد اعطت رواية يونس تفصيلاً ادق عن اهل الكوفة الذينَ وفدوا على الحسين في مكة واقنعوه بالشخوص اليهم ، ثمَ انهُ ذكرَ اسماء ذلكَ الوفد ، اما الرواية الثانية فقد ذكرت اسماء من خرجوا مع ابن زياد من البصرة الا انها اغفلت سبب عزل النعمان بن بشير عن الكوفة وجمعها مع البصرة لأبن زياد .

اما ابن اعثم [٣] فقد ذكر ان اهل الكوفة كتبوا كتابين للحسين الواحد تلو الاخر وذكر نص هذين الكتابين ، كما سمّى اسماء من وفد منهم على الحسين ، ثم ذكر ان الحسين بعثَ مسلم الى الكوفة وقد عرجَ في طريقهِ على المدينة ، فأستأجرَ دليلينِ من قيس عيلان يدلانهُ على الطريق اليها على غير الجادّة ، الا انهما اضلا الطريق فهلكا عطشاً ، ولم يصل مسلم الى الكوفةِ الا بمشقةٍ كبيرة ، كما انهُ أعطى تفصيلاً عن حالة النعمان بن بشير (والي الكوفة) الذي خطبَ الناس محذّرهم الفتنة بعد سماعهِ خبر دخول مسلم الا انهُ لم يتخذ اجراءً رادعاً بحقهِ وبحق اتباعه ، كما انها تذكر ان جماعة من بني امية وشيعتهم راسلوا يزيد بن معاوية يعلمونهُ عن حال النعمان هذهِ أي انهُ اجتمعَ لديه اكثر من كتاب بخصوص ذلكَ ، وهذا مالم يذكره الطبري ولا الاصفهاني ، كما ان هذهِ الرواية تذكر نصوص تلكَ الكتبِ وكتبٍ اخرى بعثَ بها يزيد الى عبيد الله بن زياد وهو في البصرة وهذهِ تفاصيل دقيقة جداً ، ولا ادري كيفَ تمكنَ ابن اعثم من الاطلاع عليها ! الا انها – على كل حال – جاءت مطابقة لطبيعة الاحداث السائدة آنذاك ، كما ان الرواية جاءت متطابقة مع رواية الطبري في خبر خروج مسلم بن عقيل من المدينة الى الكوفة .

استطردَ ابن عبد ربه في سرد روايتهِ [٤] فذكر كيف تمكن عبيد الله بن زياد في تفريق اصحاب مسلم حتى انهم كانوا ينسلّون عنهُ عند كل زقاق حتى بقى في شرذمة قليلة فالتجأ الى دار هانئ بن عروة المرادي الذي اقبلَ عليه واتفق معهُ على ان يدّعي المرض ، فاذا جاء ابن زياد يعودهُ فعلى مسلم ان يفتكَ بهِ والاشارة على ذلك كلمة (اسقوني) . ولما حضر ابن زياد الى دار هانئ وقال الاخير كلمته لم يخرج مسلم وقيلَ أُخِذَ بقلبه فخرجَ ابن زياد وهو شاك في امرِ هانئ .

(١) تاريخ ، ٥ / ٣٤٧ - ٣٤٨ .
(٢) مقاتل الطالبيين ، ١ / ٩٩ .
(٣) الفتوح ، ٥ / ٢٧ - ٢٨ و ٢٩ – ٣٠ .
(٤) العِقد ، ٤ / ٣٥٨ .

اختلف هذا الجزء من الرواية عما اورده الطبري [١] من رواية ابي مخنف التي ذكرت ان مسلماً بن عقيل تحوّل من دار المختار بن ابي عبيد الى دار هانئ الذي كان كارهاً لجوء مسلم اليه ، ثم ان شخصاً اخر اسمهُ شُريك [٢] وكان قد دخل الكوفة مع عبيد الله بن زياد وهواه معَ الحسين قد مرض فاعدّ خطةً لاغتيال ابن زياد اذا ما جاء يعودهُ في بيت هانئ ، لكن هانئ اعترض على تلك الخطة ، وبعد وفات شريك مرض هانئ فاتفق مع مسلم على اغتيال ابن زياد بنفس الطريقة الا ان مسلم لم يستطع تنفيذ تلكَ الخطة. ورغم وضوح هذه الرواية وتسلسلها الزمني الصحيح الا ان هناك اضطراب في جزئها الاخير ، فاذا كان هانئ قد اعترضَ على اغتيال عبيد الله في دارهِ اول الامر لمّا مرضَ شريك ، فلماذا يكرر نفس الخطة ، هل وجد فيها من الحبكة والاتقان اللذان يخلصانهما من ابن زياد ام ان هناك تطورات حصلت اغفلتها المصادر ، ولم تختلف رواية الاصفهاني [٣] التي اوردها عن عمر بن سعد من تلك الرواية التي اوردها الطبري الا ان الاصفهاني ذكرَ مرض شريك فقط ، ولم يذكر مرض هانئ ، كما انهُ ذكرَ ان مسلم برّر موقفهِ لشريك بحديثٍ سمعهُ عن عمه علي بن ابي طالب ، ولم يذكر لهُ كراهة هانئ بذلك .

وعلى الرغم من ايراد ابن اعثم [٤] رواية قريبة من الروايتين السابقتين الا انهُ اختلف عنهما في مواطن ، فقد ذكرَ ان قبيلة هانئ هي مذحج وليست مراد التي ذكرها ابو مخنف في روايته – وهو الثابت المشهور - ، كما انهُ ذكر ان زيارة عبيد الله بن زياد كانت عندَ الصباح بينما ذكر ابو مخنف انها كانت ليلاً ، اما عدد من كان مع مسلم فانهُ ذكر بانهم نيفُ وعشرين الف ، بينما ذكر ابو مخنف انهم اثنا عشرَ الفاً فقط ، الا انهُ مع ذلك ذكرَ ان الذي مرضَ وعادهُ عبيد الله بن زياد هو شريكُ فقط وليسَ هانئ . ، ولم يذكر اعتراض هانئ على تلك الخطة .

اذاً فقد كانت الاحداث تتطور بشكلٍ سريع ، كما كانت كفة الميزان تميل – على ما يبدو - لصالح السلطة فوصول عبيد الله بن زياد الى الكوفة من شانه ان يقضي على مشروع مسلم بن عقيل ،بل انه تمكنَ فعلاً من اجهاض الثورة قبل ان تولد.

---

(١) تاريخ ، ٥ / ٣٦٢ - ٣٦٣ .

(٢) هو شريك بن الاعور الحارثي من اصحاب الامام علي شهد معه صفين والنهروان ، كان من سادات قومه ومقدميهم بالبصرة حاول معاوية كسبه لصالحه غير مرة وله معه اخبار مشهورة . توفي سنة واحد وستين في الكوفة . ينظر الخوئي ، معجم رجال الحديث ،١٥٦/١ .

(٣) مقاتل الطالبيين ، ١/ ١٠١ - ١٠٢ .

(٤) الفتوح ، ٥ / ٤٠ - ٤٣ .

ثم ذكر ابن عبد ربه [١] ان ابن زياد امر بإحضار هانئ بن عروة الى قصر الامارة ثم عدى عليهِ بالضرب والحبس ، اما مسلم فقد خرج متكلاً على سيفهِ يقاتل بهِ من اجتمعَ عليه من اتباع ابن زياد ، ولما اعياه ذلكَ واصابتهِ بجراحٍ متعددة تمكنَوا على اثرها من اسرهِ وتقديمه الى ابن زياد الذي امر بضرب عنقه ، فطلب منهُ ان يوصي احداً من قريش ، واخذ يتصفح الوجوه حتى وقع بصرهُ على عمر بن سعد فطلب منهُ ان يحمل رسالة الى الحسين قائلاً فيها : " ان حسيناً ومن معهُ وهم تسعون انساناً بين رجلٍ وامرأة في الطريق فأرددهم واكتب لهم ما اصابني " ، ثم ضُربتْ عنقه .

لم تتحدث تلك الرواية عن هانئ بن عروة ومسلم بن عقيل اكثر من ذلك ، ولكن الحقيقة لا تجاري هذا الكلام فمن المعروف ان هانئ بن عروة كانَ زعيماً قبلياً ، وقبيلتهُ تقطنُ معهُ في الكوفة فكيفَ يصح ان تمرر السلطة مثلَ هكذا عمل دونَ ان يكون لقبيلةِ هانئ أي دورٍ في ذلك [٢] ، اما مسلم فقد كان رسولاً لابن عمه الحسين بن علي صاحب الثورة ، وهو رجلُ هاشميُ غريب في الكوفة وبعيداً عن موطنهِ وقبيلته والمفروض ان السلطة تبقى محتفظة بهِ او تحاول ان تنتزع منهُ اعترافاً – على اقل تقدير لكونه لا يشكل خطراً عليها – بخصوص تلكَ الثورة ومن شأن هذهِ الحوار ان يجرَ كلامُ طويل ينتهي بقتلهِ ، ولكن شيئاً من هذا لم يُذكر ، كما ان نهاية مسلم لم تكن بهذهِ الطريقة التي اوردها المؤلف [٣] الذي اضاف[٤] ان ابن زياد قال لعمر بن سعد :أما والله إذ دَللتَ عليه لا يُقاتله أحد غيرك ، ثم بعث معه جَيْشاً، وقد جاء حسيناً الخبرُ وهم بشَرَاف[٥] ، فهمّ بأن يرجعِ ومعه خمسةٌ من بني عَقيل، فقالوا: تَرجع وقد قُتل أخونا وقد جاءك من الكُتب ما نثق به! فقال

(١) العِقد ، ٤ / ٣٥٨ .

(٢) احاطت قبيلة هانئ بقصر الامارة لما علمت ان ابن زياد قد حبسهُ هناك ، ولكن الاخير قد تمكن من تفريق جمعهم بعد ان اخرجَ لهم القاضي شريح الذي اقسم لهم ان هانئ لايزال حياً معافى وان الامير يريد ان يستعلم منه عن خبر مسلم . ينظر : الدينوري ، الاخبار الطوال ، ٢٣٨ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٢٤٣ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٥ / ٣٦٠ - ٣٦١ ؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ٥ / ٥٢ ؛ المسعودي ، مروج ، ٣ / ٥٣ ؛ الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ١ / ١٠٤ .

(٣) كان مسلم بعد خروجهِ من بيت هانئ افضى بهِ الطريق الى بيت امرأة تدعى طوعة وهي ام ولدٍ للأشعث فاعتقها فتزوجت اسيد الحضرمي فولدت لهُ بلال الذي ابلغ ابن زياد عن مكان مسلم فبعثَ لهُ جماعة فيهم محمد بن الاشعث بن قيس واسماء بن خارجة وجماعة من الشرط فاشتبكَ معهم بقتال انتهى باسره . ينظر : الدينوري ، الاخبار الطوال ، ٢٤٠ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٢٤٣ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٥ / ٣٧٣ ؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ٥ / ٤٦ - ٤٨ ؛ المسعودي ، مروج ، ٥٥/٣ ؛ الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ١ / ١٠٩.

(٤) العِقد ، ٤ / ٣٥٩ .

(٥) هو ماء لبني وهب بنجد على مقربة من الاحساء . ينظر الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ٣٣١ .

الحسينُ لبعض أَصحابه: والله مالي على هؤلاء من صَبر. قال: فلقيه الجيشُ على خُيولهم وقد نزلوا بكَرْبلاء. فقال حسين: أي أرض هذه؟ قالوا: كَرْبلاء، قال: أرض كَرْب وبلاء. وأحاطت بهم الخَيل .

اشتمل هذا الجزء على مطلبان :الاول اجبار عبيد الله بن زياد لعمر بن سعد على قتال الحسين . والآخر نزول الحسين في ارض كربلاء ،فبالنسبة الى المطلب الاول فقد اورد الطبري رواية عن عمار الدهني [١] ذكر فيها ان اختيار ابن زياد لعمر بن سعد لحرب الحسين انما هو جزءُ من صفقة لتولية الاخير على الري ، ويبدو ان عمر بن سعد كان متردداً في ذلكَ العرض حتى انهُ طلبَ من ابن زياد ان يمهلهُ ليلتهُ ، الا انهُ وافقَ في اليوم التالي على طلب الامير فسار الى حرب الحسين ، وقد وافقه الاصفهاني حين اورد رواية عن ابي مخنف [٢] تدور في المعنى نفسه . في حين ذكرَ ابن اعثم [٣] ان ابن زياد هددَ عمر بن سعد بالقتل ان لم يخرج لحرب الحسين وهذهِ الرواية ان صحّت فإنما تدل على احجام الناس عن حرب الحسين ، كما انها توحي بخلو الكوفةِ من جند الشام فلو كانَ فيها منهم احد لما تكلفَ ابن زياد عناء اقناع ابن سعد ولا هددهُ بالقتل اذ ان اهل الشام لم يرعوا لأهل البيت حقُ لشدة ما غررَ بهم معاوية .

اما المطلب الآخر وهو ما يخص نزول الحسين بكربلاء الذي اشارَ اليه ابن عبد ربه بقولهِ: فلقيهُ الجيش على خيولهم وقد نزلوا بكربلاء فقال حسينُ : أي ارضٍ هذهِ ؟ قالوا : كربلاء . قال : ارض كربٍ وبلاء واحاطت بهم الخيل . فلم يعطِ ابن عبد ربه تفصيلاً دقيقاً لما صادفهُ الحسين بن علي في طريقهِ من الحجاز الى العراق ، فمن المعلوم ان السلطة كانت على علمٍ بهِ لما وصلَ ركبهِ الى على مقربة من القادسية ، فأرسلت لهُ كتيبة منعتهُ من اكمال طريقهِ الى الكوفة واجبارهِ على حرف مسارهِ الى الصحراء – كربلاء – للقضاء عليه هناك ، ولكنَ شيئاً من هذا لم يُذكر في رواية المؤلف الا ان بعض المصادرِ [٤] ذكرت ما جرى بالتفصيل ، لذا فقد اكتفى ابن عبد ربه بقولهِ : " فلقيهُ الجيش على خيولهم وقد نزلوا كربلاء " ، وهذا دليلُ على انَ هذهِ الرواية شَذّبت الى حدٍ بعيد

(١) تاريخ ، ٥ / ٣٨٩ .

(٢) مقاتل الطالبيين ، ١/ ١١٢ .

(٣) الفتوح ، ٥ / ٨٥ - ٨٦ .

(٤) كان عبيد الله بن زياد قد ارسلَ الحر بن يزيد الرياحي في الف فارس لملازمة الحسين والجعجعة بهِ حتى يخرجه الى الصحراء بعيداً عن الكوفة أو اجباره بالنزول على حكم ابن زياد في الكوفةِ ، ولكنَ الحسين امتنعَ عن ذلكَ واصرَ على مواصلة المسير مما جعلَ نهاية طريقهِ الى ارضٍ تقع على شمال غرب الكوفةِ تعرف بـ (كربلاء) حيثُ كانَ فيها مصرعهُ ومصرع ال بيتهِ وصحبه : الدينوري ، الاخبار ، ٢٥٦ ؛ اليعقوبي ، تاريخ، ٢٤٣/٢ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٥ / ٣٨٩ ؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ٥ / ٧٦ – ٧٨ ؛ الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ١ / ١١١ – ١١٣ .

الخبر الذي قد يؤدي ذكرهُ الى عدم تقارب المعنى وترابطه ، ومن ثمَ يكون الخبر مطوّلاً – حسب رأي المؤلف - في الحديث عن تلكَ الحركة .

ثم اكملَ ابن عبد ربه روايتهِ فذكرَ ان الحسين خيّرَ ابن سعد بين ثلاث خِصال قائلاً [١] : " إما أن تتركني أرجع كما جئتُ، وإما أن تُسيّرني إلى يزيد فأضع يدي في يده، وإمّا أن تسيّرني إلى الترك أقاتلهم حتى أموت " . فأرسل ابن سعد إلى ابن زياد بذلك، فهمّ أن يُسيره إلى يزيد. فقال له شَمِر بن ذي الجَوْشن: أمكنك الله من عدوّك فتسيّره! إلّا أن ينزل في حُكمك " . فأرسل إليه بذلك. فقال الحسين: أنا أنزل على حُكم ابن مَرْجانة! والله لا أفعل ذلك أبداً .

ينطوي هذا الجزء من الرواية على اهم ما اشتملت عليه تلكَ الحركة ، بل ان خطورة الحركة او خلودها يعتمدُ الى حدٍ بعيد على النتيجة التي آلت اليها في تلكَ المرحلة ، فاذا كانت هذهِ الحركة قد اشتهرت في بعضِ امصار الدولة الاسلامية (الحجاز و العراق) وعرفَ بأمرها الناس ، وسار لأجلها الحسين الى العراق بمالهِ وعياله ، وما قدمَ من تضحياتٍ حتى ذلكَ الحين كقتلِ مسلم بن عقيل وهانئ وبعض الخُلّص من اتباعه ، فكيفَ يؤول بهِ الامر الى التسليم بخلافةِ يزيد بن معاوية واستعدادهُ على الصفقِ بيدهِ لمبايعتهِ ؟! ، لا بل الانكى من ذلكَ ان الرواية اشارت الى امتناع الحسين عن النزول على حكمِ ابن زياد واستعدادهِ على النزول على حكمِ يزيدٍ في الشام ، وكأن الحسين قالَ ذلكَ استكباراً منهُ واستصغارهِ لأمر ابن زياد أي ان الحركة تحولت في اهدافها من الهدفِ العام الى هدفٍ اني شخصي سمتهُ استكبار الحسين واستعلائه ! .

اما الطبري [٢] فقد اورد رواية عن ابي مخنف جاءت بتفصيلِ ادق عن خيارات الحسين – المزعومة – التي عرضها على ابن سعد ، كما ان هذهِ الخيارات جاءت على ما يبدو نتيجةً لمفاوضات حثيثة ولقاءات متكررة جمعت بين الحسين وعمر الذي عرضها بدورهِ على السلطة ، ثم ان عبيد الله بن زياد – كما ذكرت الرواية – وافقَ على هذا العرض ، بل انهُ فرحَ بهِ ، ولكنَ شمر بن ذي الجوشن [٣] تمكنَ من تغيير رأي ابن زياد ، مخّوفاً اياه بقوة الحسين اذا ما رجعَ الى بلده ،

(١) العِقد ، ٤ / ٣٥٩ .

(٢) تاريخ ، ٥ / ٤١٤ .

(٣) هو شمر بن ذي الجوشن الضبابي ، وقد أختـلِفَ في اسمه فقيلَ اسمهُ أوس بن الاعور وقيلَ شرحبيل بن الاعور بن عمرو بن معاوية ، وقد سميَ ابوه بـذي الجوشن لأنَ صدرهُ كان ناتئاً ، وكانت لهُ صحبة ، اما شمر فقد كانَ تابعياً ، وهوَ ممن قاتلَ الحسين من اهل الكوفةِ ، وباشرَ بحزِ رأسهِ بنفسهِ ثمَ حملَ عياله ووفدَ بهم على يزيد في الشام ، قتلهُ المختار بن ابي عبيد سنة ست وستين هـ . ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٤٦ - ٤٧ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ٢ / ٣١١ ؛ الذهبي ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، ٢ / ٢٨٠.

ولعلَ شمراً كانَ قد علِمَ بتردد عمر بن سعد وتحرّجه من قتال الحسين ومحاولتهِ ايقاع الصلح بينهُ وبين ابن زياد بأي طريقة ، فكانَ ذلكَ اشبه بالثغرة التي قد يستفاد منها شمر في اقناع الامير برفضِ طلب عمر بن سعد وحملهُ على قتال الحسين الذي لا يطيقه ، فيترك بذلكَ فرصةُ للشمر ليحل محل ابن سعد في تلكً المهمة وربما يكونُ احقُ منهُ في نظرِ السلطة بحكم الري .

اما الاصفهاني [١] فقد اورد رواية عن المدائني جاءت قريبة من رواية الطبري ، الا انها نفت ان يكون هنالك أي دورٍ لشمر بن ذي الجوشن الذي جعلت رواية الطبري لهُ رأيُ في ذلك ، كما انها لم تتطرق الى (المفاوضات) التي جرت بينَ الحسين وابن سعد ، ورغمَ هذا الخلاف بين الروايتين الا اننا نجد ان كلاهما كانَ مصدرهما ابا مخنف ، لذا يمكن القول ان الاصفهاني شذّب روايتهِ حتى ظهرت بهذهِ الصورة . وقد اتفق معهُ ابن اعثم [٢] في ذلك .

ثم ذكر ابن عبد ربه [٣] ان مع عمر بن سعد ثلاثون رجلاً من أهل الكوفة، فقالوا: يَعرض عليكم ابنُ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثَ خصال فلا تَقْبلون منها شيئاً ! فتحَولوا مع الحُسين، فقاتلوا .

انفرد ابن عبد ربه في ذكر تلك الرواية فقد ذكرت بعض المصادر [٤] ان الحر بن يزيد الرياحي [٥] كان الشخص الوحيد الذي فاء الى الحسين من معسكر عمر بن سعد ، ثم ان رواية ابن عبد ربه تنتهي عند بداية المعركة ، اذ انهُ لم يذكر فيها ما آلت اليهِ الامور بعد ذلك اي انها لم تتطرق الى استشهاد الحسين او اي احدٍ من صحبه ، لذا فأننا نستطيع القول ان هذهِ الرواية كانت بعيدة كل البعد عما وردَ من روايات في تلكَ المصادر ، ليسَ هذا وحسب ، بل انها جاءت بمعلومات غير دقيقة عما دارَ من احداث منذُ خروج الحسين من المدينةِ حتى مقدمهِ الى كربلاء واستشهادهُ فيها ، كما انها كانت رواية مختصرة الى الحد الذي لم تترك للقارئ او السامع أي فائدةُ تاريخيةُ تجنى منها ، ولم تضف شيئاً جديداً يختلف عّما هو مألوف في المصادر الاخرى لذا وبعدَ هذهِ المقارنة الخاطفة نستطيع القول ان المادة التاريخية التي قدمها ابن عبد ربه عن حركة الحسين بن

(١) مقاتل الطالبيين ، ١ / ١١٤ .

(٢) الفتوح ، ٥ / ٩٢ .

(٣) العِقد ، ٤ / ٣٥٩ .

(٤) ينظر: الطبري ، تاريخ ، ٥ / ٤٢٢ ؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ٥ / ١٠١ ؛ المسعودي ، مروج ، ٣ / ٥٤ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٣ / ١٦٨.

(٥) هو الحر بن يزيد التميمي اليربوعي الرياحي ، من اشراف تميم ، بعثهُ ابن زياد لحبس الحسين عن دخولِ الكوفةِ والجعجعة بهِ . قُتِلَ مع الحسين سنة احدى وستون . ينظر : ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ١٥٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١١ / ٥٣٦ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ٢ / ١٧٢.

علي كانت مادة مضطربة وغير دقيقة الى الدرجة التي فقدت فيها قيمتها التاريخية ، يضاف الى ذلك اعتقاد المؤلف بان الهدف من وراء هذهِ الحركة هو كتابة اهل الكوفة للحسين بن علي التي ترجمها الحسين كخطوة عملية باتجاه نيل السلطة وهذا الاعتقاد يقارب ما ذكرهُ المؤرخ هالم [1] بان احد اهم اسباب حركة الامام الحسين هو نقض معاهدة الصلح المبرمة بين الحسن بن علي ومعاوية التي نصت في بنودها على عدم تعيين معاوية لأي احد كولي للعهد وارجاع الامر بالاختيار الى الامة ، فضلاً عن دعوة اهل الكوفة لهُ من اجل ارجاع الخلافة الى البيت العلوي وهذا تجريد واضح للحركة من بعدها الديني .

(1) Janet and Hill , Marian : Shi' Ism , p.213.

المبحث الثالث

حركات المعارضة في عهد يزيد بن معاوية (٦٢-٦٤هـ /٦٨٢-٦٨٤ م)

أ- حركة اهل المدينة (٦٢- ٦٤ هـ /٦٨٢- ٦٨٤ م)

اوردَ ابن عبد ربه رواية [١] واحدة عن معارضة اهل المدينة وهي رواية ابي اليقظان[٢] التي ذكرَ فيها وصيّة معاوية الى ولدهِ يزيد قبل وفاته – التي ناقشناها مسبقاً – وكان من ضمنها انهُ اوصاه بأهل المدينة قائلاً : "... ان لك من اهل المدينة يوماً فاذا فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فانهُ رجلُ قد عرفنا نصيحته ..." ، ثم ان الرواية تحدّثت عن عزلَ يزيد لوالي المدينة الوليد بن عتبة واستبدالهِ بعثمان بن محمد [٣] ، الا انها لم تبين سبب ذلكَ العزل [٤] ، كما انها لا تعطي سبباً مقنعاً لبداية معارضة اهل المدينة [٥] الذين كانوا غير راضين منذ البداية باختيار يزيد لولاية العهد[٦] ، ولا

(١) العِقد ، ٥ / ١٣٦ - ١٣٧ .

(٢) من الرواة المُبهمين . ينظر: جدول رقم (٣).

(٣) ذكر ابن عساكر ترجمتهُ فقال : هو عثمان بن محمد بن صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي ، امهُ ام عثمان بنت اسيد بن الاخنس بن شريق . ولم اعثر لهُ على ترجمة وافية غير تلك حيث يكاد ان يختفي خبره بعد وفاة يزيد . ينظر : تاريخ دمشق ، ٤٠ /٢٣.

(٤) ذكرَ الطبري رواية عن ابي مخنفٍ لبدايةِ تلكَ الاحداث بعزلِ يزيد للوليد بن عتبة والي المدينة وتوليتهِ عثمان بن محمد بن ابي سفيان ، وذكر ان سبب ذلكَ العزل هوَ احتيال عبد الله بن الزبير عليه الذي كتبَ لهُ بخصوص والي المدينة الوليد يصفه بانهُ رجلا أخرق لا يتجه لأمر رشد ولا يرعوى لعظة الحكيم ولو انهُ بعثت إليهم رجلا سهل الخلق لين الكتف لرجوا أن يسهل من الامور ما استوعر منها وأن يجتمع ما تفرق فبعث يزيد بن معاوية إلى الوليد فعزله وبعث عثمان بن محمد بن أبى سفيان . ينظر : تاريخ ، ٥ / ٤٧٩.

(٥) كانَ سبب توتّر العلاقة بينَ الوالي الجديد واهل المدينة هو قيام احدُ موظفي الدولة بجمعِ حاصل المدينة من القمحِ والتمر من اراضِ الصوافي – اراضي الدولة – جرياً على العادة التي استنها معاوية ، فاعترضهُ اهل المدينة ومنعوه من ذلك ، فارسلَ لهم الوالي عثمان وكلّمهم بكلامٍ غليظ ، فردوا عليه بمثلهِ ، وعمدوا الى انتهابِ ذلكَ الحاصل ، ثم تطوّرَ الموقف بينَ الطرفين . وهذهِ الرواية ان صحّت فهذا دليلُ على ان الدولة كانت تسعى الى اغراق سوق الشام بتلكَ المنتجات مما يؤدي الى خفض اسعارها ، ولكنها في الوقتِ نفسه تعمل على خلقِ ازمة في سوق المدينة من خلال تجريدهِ من هذهِ السلع فتفسح المجال الى ملاك بني امية لطرحِ سلعهم من نفس الصنف في السوق بالسعر الذي يرغبونه . ينظر : ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ١ / ٢٢٧ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ،٢٥٠/٢ .

(6) Dunn, John : The Spread of Islam , p. 51.

كيفَ انتهت تلك المعارضة ، وما هي الحالة التي أُخرِجَ عليها بنو امية من المدينة ، وما هيَ علاقتهم بعبد الله بن الزبير في مكة وامور اخرى كثيرة غير تلك.

وفي اطار الموضوع نفسه ذكر ابن عبد ربه ان الوالي الجديد بعثَ وفداً الى يزيد فيهم عبد الله بن حنظلةَ غسيل الملائكة [١] ومعهُ ثمانية من ولده ، فأكرمهم يزيد غاية الاكرام ، ثمَ سرَّحهم الى المدينة ، ولعل سبب هذهِ الوفادة محاولة اهل المدينة التعرّف عن كثب على حال الخليفة الجديد الذي قيلَ عنهُ بانهُ يرتكب افعال الفسق والخلاعةُ بما لا يليقُ بذلكَ المنصب ، وعلى أي حال فقد استغلَ الخليفةَ يزيد تلك الوفادة فأفاض عليهم بالكرم محاولا بذلكَ جذب القلوبِ اليه بعدما شوهت حادثةُ كربلاء صورته ، الا ان ذلكَ الكرم لم يمنع من انقلاب اعضاء الوفدِ عليه فور وصولهم الى المدينة مؤكّدينَ للناسِ فيها صحةَ ما أُشيعَ عليه وانَ جهادهُ واجب ، وعلى الرغم من تعقّد الموقف واسهاب المصادر في سردِ رواياتٍ عنه ، الا ان ابن عبد ربه لم يشر الى جميع ذلكَ ، وانما اكتفى بذكرِ هذهِ الرواية التي شذّبت الاحداث واختصرتها الى حدٍ بعيد .

ثم ذكر ابن عبد ربه ان عثمان بن محمد كتبَ الى الخليفة يزيد بالتطورات الاخيرة التي جرت بعد عودةِ الوفد اليها ، فكتبَ لهُ الخليفة – رداً على كتابهِ – بكتاب يتهددُ فيهِ اهل المدينة ويتوعدهم ، ولكنَ ذلكَ الكتاب جاءَ بنتائج عكسية ، إذ زادت حماسة الناس في المدينة مما حدا بالأنصار الى تأمير عبد الله بن حنظلة الانصاري ، اما قريش فقد أمّروا عبد الله بن مطيع ، ثمَ وثبوا على عامل يزيد في المدينة ومن معهُ من بني امية فأخرجوهم منها فلحقوا بدار مروان .

ذكرَ ابن قتيبة [٢] بأن اخراج اهل المدينة لعامل يزيد ومعهُ بني امية عنها انما كانَ بعدَ ورود كتاب يزيدٍ اليهم يحذّرهم فيهِ من مغبّة خلعَ طاعتهِ ، أي انهُ اتفقَ معَ ابن عبد ربه في ذلكَ ، ولكنهُ ذكرَ تفاصيلاً كثيرة عن ذلك لم يذكرها ابن عبد ربه في روايته . اما بقية المصادر فلم تذكر هذهِ الرواية وانما ذكرت روايات اخرى تختلفُ كليّاً عمّا ذكرهُ ابن عبد ربه وابن قتيبة .

(١) هو عبد الله بن حنظلة الغسيل بن ابي عامر الراهب واسمهُ عبد عمرو بن صيفي بن النعمان بن مالك بن ضبيعة بن زيد من الاوس وامهُ جميلة بنت عبد الله بن ابي سلول من بلجي . وكان حنظلة لما ارادَ الخروج الى احد وقعَ على امرأتهُ جميلة فعلقت منهُ بعبد الله وقُتِلَ حنظلةَ يومئذٍ شهيداً فغسلتهُ الملائكة فيقال لولدهِ ابن غسيل الملائكة ، وولدَ عبد الله بن حنظلة بعدَ ذلكَ بتسعة اشهر فقُبِضَ رسول الله (ص) وهو ابن سبعُ سنين . ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ٤٨/٥ - ٤٩ ؛ خليفة ، طبقات ، ١/ ٤١٣ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٣ / ٨٩٢ .

(٢) الامامة والسياسة ، ٢ / ١٣ .

حيث اوردَ الطبري رواية عن ابي مخنف [١] ذكر فيها : ان يزيد بن معاوية بعثَ النعمان بن بشير الانصاري [٢] قائلاً لهُ : " ات الناس وقومك فأفثأهم عما يريدون فانهم ان لم ينهضوا في هذا الامر لم يجترئ الناس على خلافي " ، ثم ذكر ابو مخنف ان النعمان بن بشير التقى بعبد الله بن حنظلة و عبد الله بن مطيع معاً ، فحاول اقناعهما على ترك الفتنة والرجوع الى الجماعة ، كما حذّر الناس مغبة ذلكَ الامر وجرى جدالُ بينهُ وبين ابن مطيع انتهى بفشل تلك الوفادة ، لذا فالمفهوم من هذهِ الرواية ان يزيد لم يبعث كتاباً لأهل المدينة كما ذكر ابن عبد ربه وانما اكتفى بوفادة النعمان لهم ، وفي الحقيقة ان هذهِ الرواية تنسجمُ مع الواقع بشكلٍ كبير، فاذا كان اهل المدينة قد انتفضوا على الخليفة ، واخرجوا عاملهُ منها ومعه اقاربه ، فلمن يكتب الخليفة كتابه ؟! ، فلأبلغ في تلكَ الظروف ان يكون هناك وفدُ مُرسل يسمعُ ويرى ، ثمَ ان ذلكَ الوفد يجب ان يكون على علاقة كبيرة بالطرفين حتى يظهر لهم بمظهر الناصح ويكون موضع ثقةٍ لديهم ، لذا فأن اختيار الخليفة يزيد للنعمان بن بشير الانصاري يعد اختياراً صائباً الى حدٍ بعيد ، ولكن وعلى الرغم من ذلك فانَ اهل المدينة لم يلتفتوا لما جاءَ بهِ ابن بشير من نصحٍ مما ادى الى فشلِه في تحقيقِ ما أنيطَ بهِ . علماً ان بعض المصادر [٣] اتفقت مع الطبري في ايرادِ هذهِ الرواية نفسها.

اما الاصفهاني [٤] فقد اورد رواية عن المدائني تحدّث بها عن معارضة اهل المدينة ، الا انهُ لم يذكر ان يزيد قد بعث بكتاب الى عاملهُ عليها ، كما انهُ لم يذكر فيها وفادة النعمان بن بشير ، وانما ذكر ان اهل المدينة قد خلعوا الطاعة فارسل لهم يزيد جند الشام وعليهم عقبة بن مسلم ، لذا فأنَني استبعد هذهِ الرواية في كل الاحوال .

وارى ان كلتا الروايتين (روايتا ابي اليقظان و ابي مخنف) صحيحة، أي ان الخليفة يزيد كتبَ الى عاملهِ كتاب يتهدد فيه اهل المدينة ويتوعدهم لمّا كان الامر في المدينة لم يخرج عن

---

(١) تاريخ ، ٥ / ٤٨١ .

(٢) هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد بن مالك بن الاغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج . امهُ عمرة بنت رواحة بن ثعلبة ، اخت عبد الله بن رواحة ، ويكنى ابو عبد الله ، وكانَ اولُ مولودٍ من الانصار ولدَ بالمدينةِ بعدَ هجرة النبي (صلى الله عليه وسلم) وقيلَ غيرُ ذلك ، وليَ الكوفة لمعاوية ، وكانَ عثمانياً ، ثمَ عزلهُ معاوية فصارَ الى الشام ، فلما ماتَ يزيد دعا لابن الزبير وكانَ عاملاً على حمص ، فلما ظهرَ مروان على ابن الزبير هرب النعمان من حمص فطلبهُ اهل حمص ، فلما ادركوه قتلوه سنة اربع وستين . ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ١٢٢ - ١٢٣ ؛ خليفة ، طبقات ، ١/ ١٦٤ ؛ ؛ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٤ / ١٤١٦ .

(٣) ينظر : البلاذري ، انساب ، ٥ / ٣٠٧ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢/ ٢٠٤ ؛ ؛ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١١ / ٦٠٩ - ٦١٠ .

(٤) الاغاني ، ٧ / ١٩١ .

السيطرة بعد ، فلما حدثَ ما حدث وخلعَ اهل المدينة يد الطاعة حاولَ الخليفة تجنب اراقة الدماء فبعثَ النعمان بن بشير ، ولعلَ ذلكَ جرى بطلبٍ من النعمان نفسه لما كانَ يتمتع بهِ من حظوةٍ لدى يزيد ولكون جلَ اهل المدينة من الانصار وهم قومه ، ولكن ذلك لم يغير من نتيجة الاحداث التي كانت تتجهُ بشكلٍ عام الى التصعيد و الصدام العسكري الذي تحققَ فعلاً في واقعة الحرة .

ثم ذكر ابن عبد ربه ان اهل المدينة بعد اخراجهم بني امية عنها تجهزّوا للحرب فأمّروا عليهم اميرين عبد الله بن حنظلة على الانصار و عبد الله ابن مطيع على قريش اي ان ذلكَ الجيش لم تكن لهُ قيادة مركزية موحدة مما حدا بعبد الله بن عباس بعد سماعهِ بذلكَ الى القول : " اميران ! هلكَ القوم " ، الا ان باقي المصادر اختلفت في ذكر ذلك فقد ذكر ابن قتيبة [١] ان الامرة كانت لعبد الله بن حنظلة وحده اما عبد الله بن مطيع فقد كان على قريشٍ ويعود في امره الى عبد الله بن حنظلة وطابقهُ على هذا الرأي الدينوري [٢] والبلاذري [٣] . اما ابن أعثم [٤] فقد ذكر ان عبد الله بن حنظلة كانَ والياً على المدينةِ لعبد الله بن الزبير ، في حين ذكر ابن كثير[٥] ان اهل المدينة لما خلعوا يزيد ولّوا على قريش عبد الله بن مطيع ، وعلى الانصار عبد الله بن حنظلة ، وعلى قبائل المهاجرين معقل بن سنان الاشجعي [٦].

وارى ان رواية ابن قتيبة هي الادق كونها تتفق مع مجريات الاحداث ، فقد كان امير الوفد الذي خرجَ من المدينة هو عبد الله بن حنظلة ، كما انهُ اولَ شخص جهرَ بفسق الخليفة وعدم صلاحيتهِ للخلافة ، ثم انهُ تنازلَ عمّا اعطاه الخليفة يزيد من اموال فجهزَ بها جيش المدينة لقتال اهل الشام ، اما عبد الله بن مطيع فقد كانَ اميراً في المدينة على قريشٍ فقط ، كما انهُ قد يكون حلقة الوصل بينَ عبد الله بن حنظلة و عبد الله بن الزبير في مكة ، او لربما عيناً لابن الزبير على المدينة ليرقب تطورات الاحداث فيها والذي يدعونا لاعتقاد ذلك هو هربهِ في بداية المعركة ولحاقهِ بابن الزبير في مكة .

---

(١) الامامة والسياسة ، ٢ / ٢٣٠ .

(٢)الاخبار الطوال ، ٢٦٥ .

(٣) انساب ، ٥ / ٣٢٠ .

(٤) الفتوح ، ٥ / ١٥٦ .

(٥) البداية والنهاية ، ١١ / ٦٠٩ .

(٦) هو معقل بن سنان بن مظهر بن عركي بن فتيان بن سبيع بن بكر بن اشجع ، شهد الفتح مع النبي (ص) ، وروى عنه وعن كبار الصحابة ، وبقيَ الى يوم الحرة فقتلهُ مسلم بن عقبة صبراً . ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ٣ / ١١٧ ؛ الدينوري ، الاخبار الطوال ، ٢٦٦.

استمرَ ابن عبد ربه في حديثِهِ عن تلكَ المعارضة فذكر [١] ان يزيد استعدَ للحرب فجعلَ على جيشهِ مسلم بن عقبة – رغمَ مرضهِ وكبرِ سنه – الذي توجّهَ من فورهِ الى المدينة ، فاستعدَ اهلها لهُ فغيضوا الابار التي تقع على الطريق الى المدينة في محاولةٍ منهم للضغطِ على جيش الشام ، ولكنَ الله امطرَ السماء عليهم فلم يكونوا بحاجةٍ الى الماء ، ثمَ نزلَ مسلم بجيشهِ الى المدينة وتقابلَ مع اهلها وارسلَ كتيبة من الخيالة لاقتحام المدينة من الجهة الاخرى ، فما كانت الا ساعة حتى انكسرَ جندها انكسارة راحَ ضحيتها عبد الله بن حنظلة وبنيه وجمعُ غفير من اهل المدينة .

اختصرت هذهِ الرواية الاحداث التي رافقت مسلم وجنده فورَ وصولهِ المدينة ، فعلى الرغم من كون الرواية اخبرت باستعداد اهل المدينة للقاء جندِ الشام الا انها لا تعطي تفاصيل لما جرى عن كيفية اختيار الخليفة يزيد لعقبة بن مسلم المري ، او ما جرى من لقاء بين مسلم بن عقبة وبني امية المنفيين عن المدينة رغم ان هؤلاء قد شكلّوا المفتاح الحقيقي لنصر مسلم على اهل المدينة ، وهنا يدور سؤال هو : لماذا اغفلت هذهِ الرواية هذا الدور الذي لعبهُ بني امية وعلى رأسهم مروان وولده عبد الملك على نحو ما ذكرت المصادر الاخرى [٢] ؟ ، ثم ان الرواية لم تذكر مراسلة بني امية للخليفة يزيد حين تم طردهم من المدينة ، لذا وعلى الرغم من كون هذهِ الرواية قد تحدثت عن واقعة الحرة الا انها لم تفها حقّها من التفصيل .

---

(١) العِقد ، ٤ / ٣٦٧ – ٣٦٨ .

(٢) ذكرت بعض المصادر ان بني امية كتبوا الى يزيد يخبروه بما هم عليه من الحصر والاهانة والجوع والعطش ، فلما وصلَ الكتاب الى يزيد وعرفَ استفحال أمر اهل المدينة وما جرى لأقاربه من بني امية على ايديهم من تنكيلٍ وتقريع ارسَلَ لهم جيش الشام بقيادةِ مسلم بن عقبة المري ، فلما كان على مقربة من المدينة وثبَ اهل المدينة على بني امية وضيّقوا عليهم الحصار، ثمَ افرجوا عنهم على شرط ان لا يدلّوا مسلم على عورات المدينة حتى لا يأتيهم منها ، وعاهدهم بني امية على ذلك ، فلما اتصلَ بنو امية بعقبة بوادي القرى، اخذَ مسلم يستعلم منهم واحداً تلو الاخر عن امر المدينة وما تخفيهِ طبيعتها من اسرارٍ قد تُسرِع في حسم المعركة، فبعثَ مروان ولدهُ عبد الملك فأخبرَ مسلم بأن ينزل على الجانب الشرقي لها في حرة وان يقيم ثم يبعث كتيبة تقتحم الجانب الغربي من عورة كانت هناك ، فاخذَ مسلم بنصيحة عبد الملك ، وبعدَ ساعاتٍ قليلة تمكنَ من حسم المعركة لصالحهِ . وهذه الرواية ان صحّت فانها تدلل على ان الفضل في حسم عقبة لتلك المعركة انما يعود لمروان لا الى ولده عبد الملك كما اتفقت عليه المصادر. ينظر: ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ٢ / ٢٣٢ ؛ البلاذري ، انساب ، ٥ / ٣٢٣ – ٣٢٥ ؛ الدينوري ، الاخبار الطوال ، ٢٦٥ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٢٥٠ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٥ / ٤٨٢ - ٤٨٤ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٣ / ٢٠٤ – ٢٠٦ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١١ / ٦١٨ - ٦١٩ .

ثم ان الرواية اخبرت ان جميع ما جرى من تلكَ الاحداث كانت سنة ثلاث وستين للهجرة ، هكذا دون تفصيل ، بينما ذكرت المصادر السالفة ان عزل يزيد للوليد بن عتبة كان سنةَ اثنتين وستين ، وفي نفس السنة اقدمَ اهل المدينة على اظهار امرهم ، فلما كانت سنة ثلاثُ وستون عمدوا على طرد واليها منها ومعهُ بني امية ، ثم توالت الاحداث حتى انتهت بواقعة الحرة في نهاية سنة ثلاث وستون ، وهذا ما لم تفصّلهُ رواية ابن عبد ربه . فضلاً عن كونها لم تعط تفصيلاً مقنعاً لما جرى من تطوراتٍ في المدينة مثلَ سببِ عزل الخليفة للوليد بن عتبة واستبدالهِ بعثمان بن محمد ، ولا بحال بني امية وهم في الحصر ، وكذلكَ علاقتهم بمسلم بن عقبة الذي نزلَ على مقربةٍ من المدينةِ ، وغير ذلكَ من تفاصيل دقيقة مما ذكرتهُ المصادر الاخرى ، لذا لا يسعنا الا القول ان هذهِ الرواية مختصرة الى الدرجة التي تجعل من معارضة اهل المدينة معارضةً مبهمة غير واضحة الملامح ولا دقيقة التفاصيل فضلاً عن كونها لم تضف شيئاً جديداً عن تلك الحركة.

ب- حركة عبد الله بن الزبير (٦٠- ٦٤هـ / ٦٨٠-٦٨٤م).

استقبلَ عبد الله بن الزبير حياتهِ وروح المعارضة تتردد بينَ جنبيه ، فقد كانَ ابوه الزبير وصاحبهُ طلحة من اشد المعارضين لخلافة عثمان ، ثم لعلي بن ابي طالب من بعده ، الا انَ موقفهُ قد تغير من خلافة علي فصارَ متبوعاً لا تابعاً فأليهِ كان يرجع ابوه الزبير في ابرام امره وبكلامه انخدعت خالتهُ عائشة ، لذا فقد كانت جميع مؤشراته الشخصية تشير الى انهُ كانَ يحدّث نفسهُ بشيء عظيم [١] .

لم يخفِ عن معاوية بن ابي سفيان ما كانَ يطمح اليه ابن الزبير ، لذا فقد خصَهُ بوصيتهِ الى ولدهِ يزيد والتي اوردها ابن عبد ربه برواية[٢] الهيثم بن عدي بوصفهِ بانهُ (خب ضب) [٣]، ثم نصحَ ولدهُ - طبقاً للرواية – ان لا يتوانى في امره ، بل اوصاه – حرفياً – ان ظفرَ بهِ ان يقطعهُ أرباً أرباً .

حاولَ ابن عبد ربه ان يربط بينَ معارضة ابن الزبير و معارضة الحسين بن علي بأن ذكرهما برواية واحدة [٤] وهي رواية علي بن عبد العزيز التي تحدّث فيها عن خروجهما معاً من

(1) Nicholoson : Literary History of The Arabs, p 141 .

(٢) العِقد ، ٤ / ٣٥٣ .

(٣) خب ضب ، مثلٌ يطلق في الرجل المراوغ الخداع . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ،٣٤١/١.

(٤) العِقد ، ٤ / ٣٥٦.

المدينة الى مكة بعد ان حاول الوالي الوليد بن عتبة اجبارهما على بيعة يزيد ، ثم استمر المؤلف في سرد روايته عن تلك المعارضة فذكر ان والي المدينة الجديد عمرو بن سعيد ارسلَ الى ابن الزبير ليأتيهُ فأبى وامتنعَ برجالٍ من قريش وغيرهم في مكة ، فضرب عمرو على اهل الديوان البعث وهم كارهون الخروج وقد امّر على الجيش عمرو بن الزبير [١] ، الا ان ذلكَ الجيش انهزم وأُسِر قائده فحبسهُ اخوه عبد الله فيما بعد بسجن عارم .

ومن خلال استعراض تلكَ الرواية بالكامل ، نجدُ ان الراوي لم يخصصها للحديث عن ابن الزبير ومعارضتهِ ، بل خصصها للحديث عن معارضة الحسين بن علي ، وانما عرّج على ذكر ابن الزبير لأن الرجلين قد اتفقت حركتهما في الزمان والمكان نفسه ، كما ان ابن الزبير– حسب الرواية – كان خامل الذكر مع وجود الحسين بن علي .

اذاً فقد كان اقتصار ابن عبد ربه على ذكر رواية واحدة لمعارضة عبد الله بن الزبير وهي بالأساس رواية تتحدث عن حركة الحسين بن علي لا عبد الله بن الزبير يُعد تقصيراً واضحاً في عدم ذكرهِ تفاصيل تلكَ الحركة كما جاء في بعض المصادر [٢] ، الا انهُ تعمدَ على عدم ذكرِ أي شيء يخص حركة ابن الزبير تلك لأنهُ عقدَ لها عنواناً ارفدهُ بالعديد من الروايات التي تناولت

(١) هو عمرو بن الزبير بن العوام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى . وامهُ ام خالد امة بنت خالد بن سعيد بن العاص . ولِدَ سنة اثني عشر للهجرة وقيل سنة خمسة عشر للهجرة وكان مقرباً من الأمويين في المدينة بسبب صلة القربى الخاصة بينهم ، توفيّ في سجن اخيه عبد الله سنة ثلاث وستين للهجرة ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ٥ / ١٤١ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٤٦/ ٥ .

(٢) كان يزيد بن معاوية قد وجّهَ كتاباً الى عاملهِ على المدينة عمرو بن سعيد بأن يوجّه جنداً لابن الزبير حتى يجبرهُ على البيعة ، فولى عمرو بن سعيد على شرطتهِ عمرو بن الزبير وكان يبغضُ اخاهُ بغضاً كبيراً، فتتبعَ اصحاب اخيهِ بالمدينةِ فضربهم ضرباً شديداً ، ثم وجههُ بعدها بجندٍ – اختلفت المصادر في عدتهم – وامرهُ في ان يحملَ اليه عبد الله اخاه وفي يدهِ الجامعة من فضة ، وقيلَ من ذهب على ان يخفيها تحتَ برنسهِ فلا يُسمع الا صوتها ، ولما اقتربَ عمرو بن الزبير من مكة ارسلَ لهُ اخوه سرية بقيادة عبد الله بن صفوان فالتقى الاثنان ودارت المعركة التي انهزم فيها اتباع عمرو بن الزبير واجهزَ جند اخيه على الجريح والمدبر ، وهربَ عمرو الى دار ابن علقمة فأجارهُ اخوه عبيدة بن الزبير، ولكنَ عبد الله بن الزبير رفض تلكَ الاجارة ثم اقام عمرو بن الزبير للناس كي يقتصوا منه ، فضربوه بالسياط حتى هلك ، وقيل بل مات في سجن اخيه . ينظر: ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ١٢٢ ؛ ابن شبة ، تاريخ المدينة ، ١ / ٢٤٣ ؛ البلاذري ، انساب ، ٣١١/٥ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٢٤٧ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٥ / ٣٤٧ ؛ المسعودي ، مروج ، ٣ / ٦٧ ؛ العسكري ، الاوائل ، ١ / ١٠٢ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٥ ٣٢٤ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٣ / ١٣١ ؛ ابو الفداء ، المختصر ، ١ / ١٨٩ ؛ الذهبي ، تاريخ ، ١ / ١٠٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١١ / ٤٧١ - ٤٧٢ .

صراع ابن الزبير معَ عبد الملك بن مروان على السلطة ، أي انهُ اجّل الحديث عن فتنة ابن الزبير الى موضوعٍ لاحق .

اورد ابن عبد ربه رواية ثانية مطوّلة على ما آل اليهِ امر ابن الزبير في مكة ، وهوَ يرويها عن الراوي نفسه علي بن عبد العزيز الذي ذكر [١] انهُ لما مات مُسلم بن عُقبة سار حُصين بن نُمير حتى أتى مكة، وابنُ الزبير بها ، فدعاهم إلى الطاعة، فلم يُجيبوه، فقاتلهم وقاتله ابن الزبير. فقُتل المُنذرُ بن الزُبير يومئذ ورجلان من إخوته، ومُصعب بن عبد الرحمن بن عوف، والمسور بن مخرمة. وكان حُصين بن نُمير قد نَصب المجانيق على أبي قُبيس و قُعيْقعان[٢]، فلم يكن أحدٌ يقدر أن يطوف بالبيت. فأسند ابنُ الزبير ألواحاً من ساجٍ على البيت، وألقى عليها الفُرشَ والقطائف، فكان إذا وَقع عليها الحجر نبا عن البيت. فكانوا يطوفون تحت الألواح ، فإذا سمعوا صوتَ الحَجر حين يقع على الفرش والقطائف كَبَروا .

لم تبين رواية ابن عبد ربه طبيعة الاحداث التي سبقت المقاومة التي ابداها ابن الزبير ضد جيش الشام ، كما لم تذكر اي من المصادر الاخرى نوع الجيش الذي شكّلهُ ابن الزبير في مكة ومن أي فئة كان ، ولكن الضرف الذي جرى آنذاك فرض عليه ان يخرج الجميع للقتال ، غيران ذلكَ لا يعود عليهِ بالنفع ، فهناكَ فرقُ كبير بينَ حامل السيف والضارب بهِ ، وهذا ما يفسّر انسحاب ابن الزبير بجيشه الى داخل مكة بعد مناوشات خفيفة جرت بينهُ وبين جند الشام ، ناهيكَ عن الفرق الكبير بين الطرفين من حيث العدد والعدة .

ثم اكمل ابن عبد ربه روايتهِ فذكرَ ان ابن الزبير ضربَ فسطاطاً في ناحية من الحرم فجاء رجلُ من اهل الشام بنارٍ في طرف سنانهِ فاشعل الفسطاط فتمزّق ووقعت النار على الكعبة فاحترق الخشب والسقف وانصدع الركن واحترقت الاستار وتساقطت الى الارض .اعطى هذا الجزء من الرواية تفصيلاً مجملاً عما جرى لابن الزبير بعد دخول جند الشام الى مكة ، وهوَ بشكلٍ عام لا يختلف عمّا ذكرتهُ المصادر السالفة الذكر ، الا انها اختلفت معها في اعطائها سبباً مختلفاً لاحتراق الكعبة ، فحسب الرواية ان سبب الاحتراق هو ان رجلاً من اهل الشام حملَ في سنان رمحهِ ناراً فأحرقَ بهِ الفسطاط الذي نصبهُ ابن الزبير في الحرم لمداواة الجرحى ، فاحترقَ ذلكَ الفسطاط وطارت شرارة الى استار الكعبة فاحترقت ، أي ان هذهِ الرواية تُحمّل جند الشام مسؤولية ذلكَ

(١) العِقد ، ٤ / ٣٧٠ – ٣٧١ .

(٢) من اشهر جبال مكة يقع الاول شرقها والثاني غربها .ينظر : الحموي ،معجم البلدان،٨٠/١ .

الحدث وقد اتفق مع هذهِ الرواية العديد من المصادر [١] ، الا انهم اختلفوا في الطريقة التي احترقت بها الكعبة .

اما الازرقي فقد خالفَ ذلكَ الرأي ، اذ اوردَ رواية عن ابي عون قال فيها[٢] ما كان احتراق الكعبة إلا منّا ، وذلك أن رجلا منّا ، وهو مسلم بن أبي خليفة المذحجي ، كان هو وأصحابه يوقدون في خصاص لهم حول البيت ، فأخذ نارا في زج رمحه في النفط ، وكان يوم ريح ، فطارت منها شرارة ، فاحترقت الكعبة حتى صارت إلى الخشب ، فقلنا لهم : هذا عملكم ، رميتم بيت الله عز وجل بالنفط والنار ، فأنكروا ذلك .

أي ان هذهِ الرواية تشير بوضوح الى ان المسؤول عن ذلكَ العمل هو عبد الله بن الزبير وجنده – سواء عن قصد او بدون قصد – رغم انهم اتهموا جند الشام بذلك ، والسبب هو استغلال الحادثة دعائياً لكسب الرأي العام ، وعلى أي حال فقد اتفقَ مع الازرقي بعض المصادر [٣] .

اما المؤرخون الذين وقفوا على الحياد فهم ابن الاثير [٤] ، وابن كثير [٥] حيثُ ذكر الاثنان الروايتين ولم يرجحا اي منها ، وبالعودةِ الى رواية ابن عبد العزيز التي اوردها ابن عبد ربه ، فرغمَ اتهامها جند الشام بحرقِ البيت الا انها لا تعطي تفصيلاً منطقياً لذلك ، فقد نصّت الرواية على ان رجلاً من جند الشام قد حمل ناراً على رأس رمحهِ فأحرقَ بهِ فسطاط ابن الزبير الذي كانَ قد اعدّهُ لمداواة الجرحى فشبت بهِ النار ، ثم انتقلت الى استار الكعبة ، وهذا امر يبعث على الشك فاذا كان الحصين بن نمير يتموضع على جبال مكة ، وقد نصّب مجانيقه عليها ليرمي ابن الزبير الذي تحصّن بالكعبة وما حولها في بطنِ ذلك الوادي ، اي انَ عمل الحصين هذا ناتج عن مقاومة عنيفة قادها ابن الزبير حملتهُ على اتخاذ تلكَ المراكز للقتال وهذا ما اكّدتهُ المصادر ، فاذا كان الوضعُ كذلك ، فكيفَ تمكنَ هذا الجندي من النزول الى بطنِ الوادي واحراق فسطاط الجرحى الذي كانَ مكانهِ في البؤرة التي تجمّع فيها ابن الزبير وصحبهِ ؟! . لذا فعلى الرغم من ان الرواية حمّلت جند الشام مسؤولية ما حدث ، الا انها لم تعطِ سبباً مقنعاً لذلك الاتهام .

(١) ينظر : ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ٢ / ١٩ ؛ اليعقوبي ،تاريخ ، ٢ / ٢٥٢ ؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ٥ / ١٦٤ ؛ المسعودي ، مروج ، ٣ / ٦٤ ؛ ابن الطقطقي ، الفخري ، ١ / ١٢٠ .

(٢) اخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ١ / ٦٥ .

(٣) ينظر: البلاذري ، انساب ، ٥ / ٣٤٨ ؛ الطبري ،تاريخ ، ٥ / ٤٩٩ ؛ الاصفهاني ، الاغاني ، ٨٢/٥.

(٤) الكامل ، ٣ / ٢٢٢ .

(٥) البداية والنهاية ، ١١/ ٦٣٤ .

اكملَ ابن عبد ربه سردَ روايتهِ فذكرَ [١] ان القتال استمر اياماً بعد حريق الكعبة حتى مات يزيد بن معاوية فتوقفَ جند الشام ثم طلب قائدهم الحصين بن نمير ان يلتقي بابن الزبير في تلك الليلة ، وتم اللقاء فعلا بين الطرفين وعرض فيه ابن نمير اخذ البيعة لابن الزبير شرط ان يخرج معهُ من مكة الى الشام الا ان الاخير رفض ذلك العرض ، فانسحب ابن نمير بجيشهِ وعاد راجعاً الى الشام . ولا يختلف هذا الجزء من الرواية عمّا ذكرتهُ باقي المصادر المتقدمة. اذاً فقد كانت معارضة ابن الزبير لخلافة يزيد بن معاوية ذات اهداف سياسية بحتة ، مما جعلها تختلف عن معارضة الحسين بن علي واهل المدينة اللتان ركزتا على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبسبب ذلكَ تمكنَ ابن الزبير بعد وفاة يزيد من النجاح اذ كانت الفرصة مواتية في اعلان نفسهِ خليفة على المسلمين فبايعتهُ معظم الامصار الاسلامية . وبذا تكون حركتهِ قد تحولت من مجرد اعتراض على شخص الخليفة الى ان يكون هو الخليفة الشرعي وما بنو امية الا خارجين عن سلطته ، اما رواية ابن عبد ربه فإنها لم تكن بالمستوى الذي يجعل منها رواية تاريخية ، حيث انها شذّبت تلك الحركة بشكل كبير ، كما انها لم تعط اسباباً منطقيّةً لحيثياتها . وقد يكون السبب وراء ذلك هو تركيز ابن عبد ربه على دور ابن الزبير في المرحلة التاريخية اللاحقة اي صراعه على السلطة مع مروان ثم من بعده ولده عبد الملك .

(١) العِقد ، ٤ / ٣٧٠ - ٣٧١ .

الفصل الرابع

حركات المعارضة من سنة (٦٤-١٣٢هـ / ٦٨٤-٧٥٠م)

المبحث الاول – حركات المعارضة من سنة (٦٤– ٦٥هـ/٦٨٤-٦٨٥م) .

المبحث الثاني– حركات المعارضة من سنة (٦٥– ٧٠هـ/٦٨٥– ٦٩٠م) .

المبحث الثالث–حركات المعارضة من سنة (٧٠– ٨٠هـ/ ٦٩٠– ٧٠٠م) .

المبحث الرابع– حركات معارضة الخوارج .

المبحث الخامس– حركات المعارضة من سنة (٨١ هـ/٧٠٠م– حتى نهاية الدولة الاموية)

المبحث الاول
حركات المعارضة من سنة (٦٤ – ٦٥ هـ/ ٦٨٤-٦٨٥م)
(حركة الضحاك بن قيس الفهري).

بعد موت يزيد الغامض سنة ٦٤هـ / ٦٨٤م وتنازل ولدهُ معاوية عن الخلافة بعد مدة يسيرة من توليّها انتقلت السلطة داخل البيت الاموي من الفرع السفياني الى الفرع المرواني بتولّي مروان بن الحكم الخلافة في السنة نفسها ، وفي الحقيقة ان هذا الانتقال لازال الغموض يكتنف بعض جوانبه فضلاً عن كونه تم بشكلٍ ارتجالي من بعض رجالات البيت الاموي في الشام [١] ، الا ان ذلك الانتقال لم يكن باستطاعته انقاذ ذلك البيت من التصدّع في بعض جوانبه حيث قطع ابن الزبير الطريق امامه بإعلان نفسه خليفة فبايعته اغلب الامصار الاسلامية ، لذا فقد جرى تحوّل في تلكَ الحركة من حركة معارضة موجهة ضد سلطة يزيد – باعتراضه على شخصه - الى سلطة جديدة خرجت عليها العديد من الحركات ، لكنّ مرويات ابن عبد ربه لم تكن كافية لإعطاء صورة واضحة عن خلافة ابن الزبير حتى انهُ لم يورد اي رواية عن طبيعة خلافته وطريقتهُ في ادارة الدولة بثوبها الجديد ، وجلّ ما ذكرهُ يدور في فّلك نزاعه مع مروان بن الحكم وولدهُ عبد الملك من بعده ، فضلاً عن المختار الثقفي ، وبعض الخوارج .

وعلى اية حال كان هناك صراع جدّي على السلطة بين ابن الزبير من جهة والامويين الذينَ يمثّلهم مروان بن الحكم من جهة اخرى وهذا الصراع ذكره ابن عبد ربه في روايته التي رواها عن المدائني عن اول صدام عسكري جرى بينَ الضحاك بن قيس الفهري ومروان بن الحكم في الشام وهي معركة مرج راهط [٢] ، حيث ذكر ابن عبد ربه [٣] ان عبيد الله بن زياد الذي وصل الى دمشق قادماً من البصرة فانحاز لهُ بنو امية فيها وخرجَ الضحاك بن قيس الى مرج راهط فعسكرَ فيه وارسلَ الى امراء الاجناد من قيس فاتوه ، ثم ان مروان دعا الى نفسهِ فبايعتهُ بنو امية وكلب وغسان والسكاسك وطيء ، فعسكرَ في خمسة الاف ، ثم مدّهُ عباد بن يزيد من حوران في الفين من مواليه وغلبَ يزيد بن ابي انيس على دمشق فأخرجَ منها عامل الضحاك وامدَّ مروان برجال وسلاح

(١) حسن ، ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ١ / ٢٨٩ .

(٢) اسم موضع بالغوطة من دمشق يقع في شرقيّها . ينظر: الحموي ، معجم البلدان ،٣ /٢١.

(٣) العِقد ، ٤ / ٣٧٣ - ٣٧٤ .

كثير ، ثم قدم زفر بن الحارث [١] من قنسرين الى الضحاك ، كما امدّهُ النعمان بن بشير بشرحبيل بن ذي الكلاع [٢] باهلِ حمص فكان مع الضحاك ستون الفاً ومعَ مروان ثلاثة عشر الفاً واكثر اصحاب الضحاك ركباناً ، فاقتتلوا يوماً ثم ان عبيد الله بن زياد قال لمروان : " إنّك على حق وابن الزبير ومن دعا إليه على الباطل، وهم أكثر منّا عَدداً وعُدةً ، ومع الضحاك فُرسان قيس، واعلم أنّك لا تنال منهم ما تريد إلا بمكيدة، وإنما الحرب خدعة، فادعهم إلى الموادعة، فإذا أمنوا وكَفّوا عن القتال، فكُرّ عليهم " . فبعثَ مروان سفرائهِ الى الضحاك يدعوه الى الموادعة ، فكفّت القيسية عن القتال واعدَّ مروان اتباعهُ ، فلم يشعر الا والخيل قد شدّت عليهم ، فقاتلَ الناس دون راياتهم فَقُتِلَ الضحاك واغلب فرسان قيس وتفرق الباقون ، فدخلَ مروان دمشق ونزلَ دار معاوية بن ابي سفيان ، ثم اتته بيعة الاجناد .

لم تعطِ رواية المدائني التي ذكرها ابن عبد ربه سبباً لخروج الضحاك من دمشق وعسكرتهُ في مرج راهط الا ان بعض المصادر لم يفتها ذكر ذلك ، فقد ذكر ابن سعد روايةً [٣] عن موسى بن اسماعيل ان الضحاك خرجَ من دمشق عملاً بنصيحة عبيد الله بن زياد الذي اشارَ عليهِ بالخروج . وقد اخذَ ابن كثير[٤] بهذهِ الرواية واضاف اليها ان عبيد الله بن زياد اغرى الضحاك بطلب الخلافة ، اما الطبري فقد اوردَ رواية[٥] عن ابي مخنف ذكر فيها ان سبب خروج الضحاك عن دمشق هو توجّه مروان لهُ بمن تبعهُ من اليمانية بعد انتخابهِ خليفة في الجابية وهو ما اكّدتهُ بعض المصادر[٦].

(١) هو زفر بن الحارث بن معاذ بن يزيد الكلابي سيد قيس كان ينزل مع قبيلته في البصرة البصرة ايام الفتنة على عثمان ثم كاتب معاوية فرحّب به وبقومه فاقطعهم قرقيسياء وصار من رجاله المخلصين ، شهد معه صفين وكان رسوله الى عائشة ، وبعد اضطراب الامر على بني امية في الشام حوّل ولائه الى ابن الزبير وصار داعيته بقنسرين فشهد مرج راهط الا انه فرّ من المعركة بعد هزيمة الضحاك ، وقد قتل له فيها اولاداً ثلاثة فلحق بقنسرين وتحصّن بها وضلّ هناك حتى عفا عنه عبد الملك بن مروان قُبيل تمكّنه من مصعب بن الزبير. ينظر: البلاذري ، انساب ، ٥ / ٤٦٤ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ،٢٨/ ٢٣٠-٢٣٣ .

(٢) قيل ان اسمه اسميفع وكنيته ابو زرعة الحميري ، له ذكر في اهل حمص ، قُتِل ابوه بصفين مع معاوية ، فصار شرحبيل بعدها من كبار امراء الشام وله دور بارز بقضائه على التوابين في عين الوردة ، تذبذب ولائه بين ابن الزبير وبني امية ، قُتِل في الخازر مع عبيد الله بن زياد . ينظر: ابن حبيب ، المحبّر ، ١/ ٤٩١ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٤٢٨/٥٥٦ .

(٣) الطبقات ، ٥ / ٣١ .

(٤) البداية والنهاية ، ١١ / ٦٧٤ .

(٥) تاريخ ،٥ / ٥٣٤ .

(٦) ينظر: اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٢٦٥ ؛ المسعودي ، مروج ، ٣ / ٧٥ – ٧٦ .

ولو استرجعنا ملابسات الاحداث التي جرت في تلكَ المرحلة نجد ان رواية الطبري اقرب الى الواقع من رواية ابن سعد ، ذلك لان الضحاك كان قد عقد على اخذ البيعة لابن الزبير سرّاً اول امره في دمشق ، ثم وبعد اجتماع الناس عليه جهرَ بذلك وغلبَ على دمشق وتمكن من اسكات معارضيهِ فيها بالقوة ، وهذا ما يفسّر اختفاء يزيد بن ابي النمس[١] في دمشق وعدم حضورهِ الجابية ، فلما خرجَ الضحاك عنها وثبَ ومعهُ العبيد والسوقة على عامل الضحاك فيها فطردوه عنها ، وهذا دليلُ اخر على ان عامة اهل دمشق طابقوا الضحاك على رأيهِ حتى ان ابن ابي النمس لم يجد من ينهض معهُ سوى العبيد والسوقة ، اما رواية ابن سعد فقد صوّرت الضحاك بانهُ رجل قليل الخبرة لا يتقن من امور السياسة والحرب شيء حتى تمكّن عبيد الله بن زياد من خِداعه – مرتين – بسهولة.

وعلى اي حال فقد اختفت تلك التفاصيل من رواية المدائني التي ساقها ابن عبد ربه ، الا انها مع ذلك اوحت بان خروج الضحاك من دمشق كان من تلقاء نفسه لا عملاً بمشورة عبيد الله بن زياد ، حسبما ذكرت رواية ابن سعد ، كما ان التكتيك العسكري في تلك المرحلة التاريخية يقضي بالخروج بالجند الى خارج المدن لإقامة ثكنة عسكرية موقّتة يلتحقُ بها الاجناد القادمون من الاقاليم البعيدة وهذا ما حدث فعلاً ، لذا فتكون رواية المدائني مقاربة للرواية التي اوردها الطبري الا انها اقل تفصيلاً منها ، وهكذا التقى طرفا النزاع عند مرج راهط ، ولكن الفارق في العدد والعدة كان كبيراً ، وقد بالغ المدائني كثيراً في تعداد جند الضحاك بروايتهِ فذكرَ بانهم كانوا ستين الفاً ، وهذا رقم كبير جداً اذا ما قارناه بالجيش الذي جمعهُ معاوية لعلي بن ابي طالب في صفين الذي بلغ بضعاً وثمانين الفاً اذا ما أخذنا بنظر الاعتباراتساق الامر لمعاوية في الشام واختلافه على الضحاك بن قيس ، بينما كان جيش مروان لا يتعدى الثلاثة عشر الفاً ، وقد ذكر ابن اعثم [٢] ان الضحاك نزل في مرج راهط بنيفٍ وعشرينَ الفاً ثم كتب الى النعمان بن بشر فأمدّهُ بألفين عليهم ابن ذي الكلاع الحميري فصار لديه ثلاثةٌ وعشرون الفاً ، بينما ذكر ابن سعد [٣] ان جيش الضحاك بلغ ثلاثين الفاً ، وفي اقل التقديرات فانهُ اكبر من جيش مروان بكثير ، فضلاً على اشتماله على نخبةٍ كبيرة من

(١) أخفقت رواية المدائني بتسميته يزيد بن ابي أُنيس فقد اتفقت بعض المصادر على تسميته بيزيد بن ابي النمس الغساني ، كان على غسان الاردن ثم تحوّل الى دمشق ايام فتنة ابن الزبير فكان له عظيم الاثر بأرجاع دمشق الى نفوذ مروان ، وقد حفظ له مروان ومن بعده عبد الملك ذلك له فكانا اثيران به عظيم الحظوة لديهما . ينظر خليفة ، تاريخ ، ٤٦/١؛ الطبري ، تاريخ ، ٤ /٤١١ و ٤١٥ ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق ،٥٠/٤١ ،الذهبي ، تاريخ الاسلام ،٨٩/٢.

(٢) الفتوح ، ٥ / ١٧١ .

(٣) الطبقات ، ٥ / ٣١ .

مقاتلة قيس لذا لم يكن امام مروان سوى استعمال الخدعة التي املاها عليه عبيد الله بن زياد حسبما ذكرت بعض المصادر [١] ، الا انها مع ذلك لم تتطرق الى تفاصيل تلك الخدعة بينما اعطت رواية المدائني تفصيلاً كاملاً لها وهو ان يتظاهر مروان وجنده بطلب الموادعة و الصلح من الضحاك فرحّب الضحاك بهذهِ الفكرة املاً ان بني امية قد فقدوا اي املٍ لهم بالنصر ،وانهم قبلوا ببيعة ابن الزبير ، ففتروا عن القتال ووضعوا اسلحتهم ، فانتهز مروان الفرصة وامر جندهِ ان يقتحموا على الضحاك وجنده الذين كُشِفوا بسرعة عن مواقعهم وصاروا هدفاً للسهام والرماح حتى قُتِلَ منهم مقتلة عظيمة بمن فيهم الضحاك نفسه.

إذا تعد رواية المدائني هذه في غاية الاهمية اذ انها اعطت سبباً مقنعاً جداً لانتصار بني امية في مرج راهط رغم قلّة عددهم وعدّتهم ، وهذا امر لم تذكره باقي المصادر المتقدمة باستثناء ابن قتيبة [٢] الذي اوردَ رواية مطابقة الى حدٍ بعيد لتلك التي اوردها ابن عبد ربه ، وعلى اي حال فقد كان انتصار بني امية وعلى رأسهم مروان في معركة مرج راهط بدايةً لفتح الشام الذي اقبل اهله بالعودة الى طاعة بني امية الذين طالما جرّبوا مُلكهم وانتفعوا بهِ ، كما ان هذا النصر كانت لهُ نتائج كبيرة لا على ابن الزبير فحسب ، وانما على التركيبة الاجتماعية للدولة الاموية برمّتها ، اذ ان تلك المعركة عمّقت جذور الخلاف بينَ القيسيين واليمانيين حتى كانا سبباً في ارهاق الدولة بنزاعاتهم المزمنة ومن ثم صارا من اسباب سقوطها فيما بعد ، والغريب ان ابن عبد ربه لم يورد اي رواية بخصوص هذا العداء كما انه لم يترك من الرواية شيء يوحي بذلك ،اللهم الا اذا كان ذلك يُستشف من السياق العام لها، اذاً ما سبب كل هذا التمويه ؟ هل كان بفعل تركيزه على اعطاء خلاصة تلك المعركة فقط دون الالتفات لما تركته من نتائج ، ام ان هناك سبباً اخر منعه من ذكر ذلك ؟.

ارى ان المؤلف ابتعد كثيراً عن كل ما يُعمّق أُسس الخلاف بين قبائل المجتمع الاسلامي وهذا جزءً من منهجيته السرديّة العامة التي اتبعها مع جميع مروياته التي لم يُبقيها على حالها وانما تناولها بالتشذيب تارة والاختصار تارةً اخرى ، حيث ان تلك الاخبار – وباللأخصّ تلك المعركة التي عدّتها قبيلة قيس ذنبٌ لا يُكفّر عنه الا بالثّأر- من شئنها ان تُلهب تلك القبائل بفوضى من الصعب اخمادها ، اذ ان العصبية القبلية انتقلت الى الاندلس مع انتقال القبائل العربية اليها ، لذا فمن الحكمة عدم الخوض بتلك الاحداث مادام الاعراض عنها لا يؤُثّر بسلامة النص .

(١) ينظر: الذهبي ، تاريخ الاسلام، ٢ / ٥٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١١ / ٦٥٥.

(٢) الامامة والسياسة ، ٢ / ٢٢ .

اما بالنسبة الى مروان بن الحكم فقد مهّد لهُ النصر في مرج راهط من بسط نفوذهِ على الشام كلّه ، ذلك النفوذ الذي كاد ان يزول عنه وعن بني امية لصالح ابن الزبير، لذا يمكن عدّ تلك المعركة وما افرزته من نتائج بأنها بداية الفتح لبني امية بشكل عام ولمروان بشكلٍ خاص الذي عمد الى مصر وبها عبد الرحمن بن جحدم القرشي [١] فانتزعها منهُ وبذا تكونُ مصر وما تبعها من بلاد المغرب قد وقعت بيد الخليفة الاموي الجديد مروان بن الحكم الذي تمكّنَ من تسخير اموالها لمواصلةِ حربهِ مع ابن الزبير التي بدت وكأنها حربُ طويلة الامد .

لم يُكتَب لمروان بن الحكم ان يتمتّع بنصرهِ طويلاً ، فقد ادركهُ الموت في وقتٍ مبكّرٍ من خلافته[٢] ، فخلفهُ على المُلك ولدهُ عبد الملك بن مروان ، الذي جعلهُ على ولاية العهد بدلا من عمرو بن سعيد الاشدق و خالد بن يزيد بن معاوية ،اللذين كانا سيليان مروان بالخلافة بحسب مقررات مؤتمر الجابية.

(١) هو عبد الرحمن بن جحدم الفهري ،احد المُتحمّسين لابن الزبير ومُريديه في مصر،بدأ دعايته لابن الزبير هناك بُعيد وصول نبأ وفاة يزيد بن معاوية فأقرّه ابن الزبير عليها .ينظر : الطبري ،٤١٧/٤ .

(٢) اختلفت المصادر في مدة خلافته وهي بينَ تسعة – عشرة اشهر . للمقارنة ينظر : الدينوري ، الاخبار الطوال ، ٢٨٥ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢/ ٢٥٧ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٥ / ٦١١ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٣ / ١٣٩٨ ؛ المسعودي ، مروج ، ٣/ ٧٧ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٥٧ / ٢٢٥ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٣ / ٢٧٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٧١٤/١١.

المبحث الثاني
حركات المعارضة من سنة (٦٥ – ٧٠ هـ/ ٦٨٥-٦٩٠م)

استلمَ عبد الملك الخلافة بعد وفاة ابيه سنة ٦٥ هـ / ٦٨٤ م في جوٍ مضطرب اذ كان الحجاز والعراق في قبضة عبد الله ابن الزبير ، وثار المختار بن ابي عبيد الثقفي في الكوفة فاستولى عليها مخالفاً بذلكَ ابن الزبير كما سعى اهل دمشق الى مبايعة عمرو بن سعيد الاشدق ، يضاف الى ذلك مهاجمة امبراطور بيزنطة ثغور بلاد الشام جاعلاً من وضع الخليفة عبد الملك اكثر تعقيداً ، ثم ان الخوارج وجدوا فسحة في تلك الاحوال المضطربة جميعها فاخضعوا بعض اقاليم الدولة لنفوذهم المطلق ، لذا واجهَ عبد الملك خلال سنوات حكمه الاحدى والعشرين سلسلة من الثورات والفتن ربما كان اكثرها خطورةً حركة عبد الله بن الزبير الذي اعلنَ نفسهُ خليفةً بعدَ موت يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ / ٦٨٣ م .

لم يذكر ابن عبد ربه جميع تلكَ الاحداث وانما اكتفى بذكر بعضها دون البعض كما ان ما ذكره عناه بدرجات متفاوتة من الاهتمام والتركيز، وفي نفس الوقت فان اهتمامه هذا لم يكن مطلقاً بل كان في كثير من الاحيان يشوبه التشذيب لذا سأعملُ على ذكر جميع الحركات التي ذكرها المؤلف بحسب التسلسل الزمني لكلٍ منها وهي :-

أ- حركة المختار بن ابي عبيد الثقفي(٦٤-٦٧هـ /٦٨٤-٦٨٧م).

تختلف حركة المختار الثقفي عن باقي حركات المعارضة التي حدثت في القرن الاول الهجري كونها قامت على اساس استثمار الشعور بالذنب لدى اهل الكوفة تجاه ال النبي (ﷺ) ، وما واجهوا من مصير مأساوي في كربلاء ، لذا فقد اسهمت هذهِ الحركة الى حدٍ بعيد في تطور الشيعة كفرقة دينية وسياسية فيما بعد [١] ، بل ان هناك من يقول ان افكاراً جديدة اثّرت في نفوس الشيعة وقد ظهرت منذُ ايام المختار [٢] يضاف الى ذلك ان هذهِ الحركة كانت موجهة ضدَ سلطتين في آنٍ

(١) دكسن ، عبد الامير ، الخلافة الاموية ، ٥٣ .

(٢)فان فلوتن ، السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني امية ، ٧٥ .

واحد الاموية في الشام و الزبيرية في الحجاز لذا فقد تناولت جميع المصادر التاريخية تلكَ الحركة بدون استثناء .

خصص ابن عبد ربه لهذه الحركة روايات لابأس بها في محاولة منهُ لرسم صورة عنها والعلاقات التي ربطتها بالدولتين الاموية والزبيرية ، لكنّهُ ركّز بشكلٍ كبير على علاقة المختار بابن الزبير ، ربما لكونهِ يعد من رجالات ابن الزبير قبل انشقاقهِ عنه ، لذا فقد ذكر المؤلف في رواية له غير مسندة [١] الطريقة التي صار فيها المختار اميراً على الكوفة فقال ما نصّه : " ارسل عبد الله بن الزبير ابراهيم بن محمد بن طلحة اميراً على الكوفة ثم عزلهُ وارسلَ المختار بن ابي عبيد " ، لذا ووفقاً لهذهِ الرواية فان المختار كان مُرسلاً من ابن الزبير من مكة ليحلّ محلّ ابراهيم بن محمد بن طلحة[٢]، ورغم اتفاق هذه الرواية مع رواية اوردها ابن قتيبة [٣]، الا ان الاخير ذكر ان ابن الزبير بعث المختار ليحل محل ابن مطيع لا ابراهيم بن محمد ، اما البلاذري [٤] فقد اورد رواية عن المدائني تختلفُ اختلافاً كلياً عن الرواية التي اوردها ابن عبد ربه فقد ذكر ان اهل الكوفة اصطلحوا على عامر بن مسعود [٥] بعد فرار عبيد الله بن زياد منها ، فكان عامر يصلي بالناس ويدعو الى ابن الزبير ، ثم عزلهُ الاخير وولى عبد الله بن يزيد الخطمي وعلى الخراج ابراهيم بن محمد بن طلحة ، ثم عزلهُ وولى عبد الله بن مطيع ، فوثبَ عليه المختار وانتزعَ الكوفة منه بعد مناوشات انتهت بهروب ابن مطيع ولحاقهِ بابن الزبير في الحجاز ، وقد اوردَ الطبري رواية عن ابي مخنف [٦] جاءت بالمعنى نفسه ، كما وردَ ذكر تلك الرواية في العديد من المصادر[٧]مع اختلاف بسيط

(١) العِقد ، ٤ / ٣٨١ .

(٢) هو ابراهيم بن محمد بن طلحة عبيد الله التيمي كنيتهُ ابو اسحاق ، وليّ خراج الكوفة لابن الزبير ، ثم قدم على عبد الملك بعد مقتل ابن الزبير وبعدها وفدَ على هشام بن عبد الملك ، توفيَ سنة مئة وعشر . ينظر : خليفة ، طبقات ، ١ / ٤٤٥ ؛ البلاذري ، انساب ، ٦ / ٣٦٧.

(٣) الامامة والسياسة ، ٢ / ٢٨ .

(٤) انساب ، ٦ / ٣٤٤ .

(٥) هو عامر بن مسعود بن امية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب ، كان يقال لهُ دحروجة الجعل لقصره ، روى الكثير من الاحاديث المرسلة عن عائشة وعن طاووس . ينظر : البلاذري ، انساب ، ٦ / ٣٤٤ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ١٤ / ٧٥.

(٦) الطبري ، تاريخ ، ٦ / ١٠ - ١٩ .

(٧) قارن : ابن سعد ، الطبقات ، ٥ / ١١٢ ، خليفة ، تاريخ ، ١ / ٢٦٣ ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ١ / ٣٥٦ ؛ الدينوري ، الاخبار الطوال ، ٢٨٨ ؛ ابن اعثم ، الفتوح، ٦ / ٢٣٩ ؛ المقدسي ، البدء والتاريخ ، ٦ / ٢٠ الاصفهاني ، الاغاني ،٣ / ٣٢١ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٦ / ٢٦ ؛ ابن الطقطقي ، الفخري ،١ / ١٢٢ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١١ / ٦٨٥ .

فيما بينها ، اما ابن الاثير [١] فقد ذكرَ الروايتين معاً معللاً اختيار ابن الزبير للمختار ليكون والياً على الكوفة لضبط شيعة الكوفة واستثمارهم في قتال جند الشام ، وهي وجهة نظر جيدة ولكن ليس هناك ما يؤيدها من الروايات .

ومن خلال مناقشة تلك الروايات نجد ان رواية المدائني التي اوردها البلاذري اقرب للواقع من رواية ابن عبد ربه لسببين ، الاول هو ان ابرهيم بن محمد بن طلحة الذي كان قد ارسلهُ ابن الزبير والياً على الكوفة وفق رواية ابن عبد ربه لم يؤيدها اي مصدر، والصحيح هو انهُ بعثهُ لضبط خراج الكوفة لولاتها الذينَ بدّلهم مراراً وتكراراً ، والآخر هو ان رواية المدائني توافقت مع رواية ابي مخنف (الراوية العراقي الكوفي الشيعي) ، فهو بلا شك الاقرب للحدث مكانياً ، كما ان رواياتهِ كانت غالباً ما تنتهي بشهودٍ عيان . يضاف الى ذلك وجود بعض الشواهد التي تؤّيد تلك الرواية فقد ذكر الذهبي [٢] ان المختار لما استولى على الكوفة بعد تمكنهِ من طرد ابن مطيع منها ، بعثَ بكتابٍ الى ابن الزبير يعيب فيه ابن مطيع قال فيه ما نصّه : " اني رأيتُ عاملكَ مداهناً لبني امية ، فلم يسعني ان اقرّه " ، وفي الوقت نفسه بعث بفروض الطاعة له ، ودعا لهُ في صلاة الجمعة ، فانخدعَ لهُ ابن الزبير واقرّهُ في عمله ، وهذا دليل على انه لم يكن معيّناً له .

ثم ذكر ابن عبد ربه في رواية اخرى غير مسندة [٣] ان المختار بعثَ بكتاب الى ابن الزبير ، وبعثَ في نفس الوقت رسالة شفوية لمحمد بن الحنفية [٤] كبير ال علي بن ابي طالب [سناً] يسالهُ فيه الاذن ليتحرك تحت لوائه ، والذي يهمنا هنا هو الكتاب الذي بعثهُ المختار لابن الزبير ، فعلى الرغم من ذكر المؤلف له الا انهُ لا يذكر نصّه ، فاذا كان يقصد ان ذلكَ الكتاب هو اعتذارهُ لابن الزبير فقد بطلت روايتهُ الاولى التي ذكرَ فيها ان ابن الزبير هو من ارسلَ المختار ليكون اميراً على الكوفة ، ولكن ابن عبد ربه لم يركّز على هذا الكتاب في روايتهِ تلك ، وانما ركّز على محاولة المختار الحصول على تأييد محمد بن الحنفية بأرسال رسالة شفوية قال فيها لمن ارسله ما نصّه : "

(١) الكامل ، ٣ / ٢٩١.

(٢) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٣/ ٥٤١ .

(٣) العِقد ، ٤ / ٣٨١ – ٣٨٢ .

(٤) هو محمد بن علي بن ابي طالب القرشي الهاشمي وكنيتهُ ابو القاسم . امهُ خولة بنت جعفر الحنفية ، وقد نسب اليها تمييزاً لهُ عن اخويه الحسن والحسين ابناء فاطمة ، ولد سنة احدى وعشرين للهجرة وهو احد الابطال الاشداء كما عُرفَ عنهُ فقههُ بالدين ، توفيَ سنة احدى وثمانين واختلفَ في مكان دفنهِ ، فبعضهم ذكر انهُ دُفِنَ بين مكة والمدينة ، وبعضهم قال في الطائف ، بينما ذكر البعض انهُ دفِنَ بالبقيع . ينظر : الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤ / ١١٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ / ٣١٣ .

إذا جئت مكة فدفَعتَ كتابي إلى ابن الزبير فأتِ المهديّ - يعني محمدَ بن الحنفية - فاقرأ عليه السلام وقل له: يقول لك أبو إسحاق: إني أحبك وأحب أهل بيتك. قال: فأتاه، فقال له ذلك. فقال: كذبتَ وكذب أبو إسحاق، وكيف يُحبني ويُحب أهل بيتي وهو يُجلس عمر بن سعد عَلَى وسائده وقد قتل الحُسين ! " .

اذاً فقد خصص ابن عبد ربه هذه الرواية للحديث عن علاقة المختار بابن الحنفية لا بابن الزبير ، ولكن مع ذلك فانهُ لم يحدد طبيعة العلاقة وكيف تعكّرت بين ابن الزبير والمختار بعد مدّة من سيطرة الاخير على الكوفة ، هذا من جانب ، ومن جانب اخر حاول المؤلف ان يصف العلاقة التي جمعت المختار بابن الحنفية الذي كان حانقاً عليه لكونهِ لم يأخذ بثأر الحسين ممن ادناهم من مجلسهِ مع ادعائهِ محبة اهل البيت ، الا انهُ مع ذلك لم يوضّح كيف كانت تلكَ العلاقة ومتى بدأت ، علماً انه ذكرَ في موضعٍ اخر ان محمد بن الحنفية كتب للمختار ان يبعث لهُ من يُخلّصهُ من ابن الزبير الذي حبسهُ مع نفرٍ من قومهِ في سجنِ عارم فذكر ما نصه[١] : " ولما توطَّد لابن الزُبير أمرُه ومَلك الحرمين والعراقين أظهر بعضُ بني هاشم الطعنَ عليه، وذلك بعد موت الحسن والحسين، فدعا عبدَ الله بن عبّاس ومحمدَ بن الحنفية وجماعةً من بني هاشم إلى بيعته، فأبَوْا عليه، فجعل يَشْتمهم ويَتناولهم على المِنبر ... ثم قال: لتبايعُنَ أو لأحرقنكم بالنار. فأبوا عليه، فحبَس محمدَ بن الحنفية في خمسةَ عشر من بني هاشم في السجن، وكان السجنُ الذي حَبسهم فيه يقال له سِجن عارم. فقال في ذلك كُثير عَزَّة، وكان ابنُ الزُبير يُدعى العائذ، لأنه عاذ بالبيت:

تخبَرُ مَن لاقيتَ أنك عائذ ... بل العائذ المَظلوم في سِجْن عارِم

سَميُّ النبيّ المصطفى وابنُ عمه ... وفَكّاكُ أغلالٍ وقاضي مَغارم

... ثم إن المختار بن أبي عُبيد وجّه رجالاً يثق بهم من الشّيعة ، يَكْمنون النهارَ ويسيرون الليل، حتى كسروا سجنَ عارم واستخرجوا منه بني هاشم، ثم ساروا بهم إلى مأمنهم " .ورغم اشارة العديد من المصادر[٢] الى تلك الحادثة الا اننا نبحث عن علاقة المختار بابن الحنفية متى بدأت ؟ . لم يحدد ابن عبد ربه تلكَ البداية ولا غيرهُ من باقي المصادر ، الا ان احد الباحثين [٣] يرى بأن المدّة التي مكثها المختار في مكة مع ابن الزبير كانت كافية للقاء بينهُ وبين محمد بن الحنفية الذي اخبرهُ انهُ

(١) العِقد ، ٤ / ٣٨٩ ــ ٣٩٠ .

(٢) ينظر: ابن سعد ، الطبقات ، ٥ / ١١٣ - ١١٦ ؛ الدينوري ، الاخبار الطوال ، ٢٨٨ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ١٩٨ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٦ / ١٢ - ١٦ ؛ ابن اعثم ، الفتوح، ٦ / ٢٤٤ - ٢٤٦ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٣ / ٢٩٧ ؛ ابن الطقطقي ، الفخري ،١ / ١٢٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١١ / ٦٩٨ .

(٣) دكسن ، الخلافة الاموية ، ٦٣ .

ذاهب الى الكوفة للأخذ بثأر الحسين بن علي ، لذا فقد ترسّخَ في ذهن ابن الحنفية ان مهمة المختار الاولى في الكوفة هي القصاص من قتلة الحسين بن علي ، الا ان المهمة لم تكن بهذا اليسر فقد كان المتورطون في دم الحسين اناسُ كُثر ينتمون الى قبائل شتى ، كما ان خطر الامويين في الشام كان على الابواب اذ وصلت الكوفة انباءُ تشير الى توجه عبيد الله بن زياد على راس جيش كبير الى العراق ، لذا فلم يكن من الحكمة والحال كهذهِ المخاطرة بأثارة تلكَ القبائل عليه بمعاقبتهِ ابنائها ممن تورطوا بقتل الحسين ، فبدأ المختار بالتفرّغ لقتال جند الشام الذين قادهم ابن زياد المسؤول الاول عن تلك المجزرة الرهيبة.

اورد ابن عبد ربه روايتين عن تلكَ المعركة الاولى غير مسندة ذكر فيها ما نصه [١] : " ثم أرسل عبدُ الله بن الزبير إبراهيمَ بن محمد بن طلحة أميراً عَلَى الكوفة، ثم عزله وأرسل المختار بن أبي عُبيد. وأرسل عبدَ الملك عبيدَ الله بن زياد إلى الكوفة. فبلغ المختارَ إقبالُ عبيد الله بن زياد، فوجّه إليهم إبراهيم بن الأشتر في جيش، فالتقوا بالجازِر، وقُتِل عبيدَ الله بن زياد وحُصين بن نمير و ابن ذي الكَلاع وعامّة من كان معهم. وبعث برؤوسهم إلى عبد الله بن الزبير " .

لم تعط هذه الرواية سبباً منطقياً لقتال المختار لجند الشام ، بل انها ذكرت ان المختار خاض تلك المعركة باسم ابن الزبير ، وهذا ما ناقض فيه العديد من المصادر الاخرى [٢]التي ذكرت ان الدافع الذي كان وراء دخول جند المختار وعلى راسهم قائدهم ابراهيم بن الاشتر انما كان الثأر من ابن زياد ، وهذا ما يُفسّر انتصار ابراهيم في تلكَ المعركة رغم الفارق الكبير بين الجيشين في العدد والعدة [٣] .

اما الرواية الثانية [٤] فقد اوردها ابن عبد ربه برواية ابي بكر بن ابي شيبة التي لا تختلفُ كثيراً عن الرواية الاولى ، سوى ذكره ان رأس عبيد الله بن زياد بعثهُ المختار الى علي بن الحسين في المدينة ، بينما ذكرَ في روايتهِ الاولى انهُ بعثَ بهِ الى عبد الله بن الزبير .

---

(١) العِقد ، ٤ / ٣٨١ .

(٢) ينظر : البلاذري ، انساب ، ٢ / ٣١٨ - ٣٢٤ ؛ الدينوري ، الاخبار الطوال ، ٢٩١ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٢٠٢ ؛ ابن اعثم ، الفتوح، ٦ / ٢٦٤ - ٢٦٩ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٣/٣٢٧- ٣٢٨ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ / ٤٥ - ٤٧ .

(٣) ذكر ابن اعثم ان جيش ابراهيم بن مالك بلغ سبعةَ عشر الف بينما كان جيش عبيد الله ثمانينَ الفاً ، ورغم المبالغة المفرطة في ذلك الا ان الامر يقودنا بالتسليم بان جيش ابن زياد كان اكثر عدداً من جيش ابن الاشتر . للاستزادة ينظر : الفتوح ، ٦ / ٢٦٨.

(٤) العِقد ، ٤ / ٣٨١ .

ان خبر معركة الخازر التي جرت بين جيش عبيد الله بن زياد وجند الكوفة بأمرة ابراهيم بن الاشتر جرى ذكره في المصادر المتقدّمة بتفصيل ادق مما اوردهُ ابن عبد ربه الذي شذّبها الى حدٍ بعيد ، بل انهُ لم يذكر تاريخ تلكَ المعركة ولم يتقن اسمها في الرواية الاولى فأسماها (جازر) ، ثم انهُ ذكر ان رأس عبيد الله بن زياد بعث به المختار الى عبد الله بن الزبير في مكة ، بينما ذكرَ في الرواية الثانية انهُ بعثهُ الى علي بن الحسين في المدينة ، وهذا اختلاف كبير ما بين الروايتين .

لقد حاولَ ابن عبد ربه ان يركّز على حقيقة مقتل عبيد الله بن زياد ، لذا فقد جعل ذلك الحدث هو المحور الرئيسي الذي تدور عليه روايتاه بغض النظرعن ذكرهِ للتفاصيل الاخرى والسبب في ذلك هو انهُ حمّلهُ وحده مسؤولية مقتل الحسين بن علي مع ال بيته وانصاره بطريقة منكرة ، وبالعودة الى العلاقة بين محمد بن الحنفية والمختار ، فقد ذكرنا في مكان سابق ان ابن الحنفية كان حانقاً على المختار بسبب تقريبهِ عمر بن سعد من مجلسه ، لذا وبعد الانتصار الذي حققهُ ابراهيم بن الاشتر على جند الشام صار بإمكان المختار البر بالوعد الذي قطعهُ لا بن الحنفية في اخذهِ بثأر ابن بنت رسول الله (ﷺ) فتتبعَ جميع من شارك في جيش عمر بن سعد ، ولم ينج منه الا من تمكن من الهرب الى البصرة او الى مكان اخر.

لم يذكر ابن عبد ربه اية رواية بخصوص انتقام المختار ممن شاركوا بقتل الحسين باستثناء قتلهِ عمر بن سعد الذي عدّهُ المسؤول الثاني بعد ابن زياد عن تلكَ المجزرة فذكرهُ في روايته التي ذكر فيها رسالته الى محمد بن الحنفية [١] ، اي انهُ ربط بينَ خبر قتلهِ عمر بن سعد وبين علاقة المختار بابن الحنفية ، وهي طريقةٌ ذكية تمكّنَ خلالها اختصار تلك الاحداث الشائكة التي فاضت بها بعض المصادر التاريخية [٢] ، ورغم اتفاقه معها بان المختار كادَ لعمر بن سعد حتى قتلهُ ، ثم قتلَ ابنه الذي كان جالساً بحضرته ، الا انهُ تميّز عنها بإيراده خلاصة تلك الحادثة دون الولوج بما جرى بينَ الاثنين من احداث منذُ دخول المختار الى الكوفة حتى ذلكَ اليوم ، ويكمن السر وراء ذلكَ الاختصار هو عدم رغبة المؤلف بالإطالة التي تدفع السامع او القارئ الى الضجر من تلكَ المادة ، كما ان تلكَ الاحداث تعد احداثاً ثانوية اذا ما قورنت بأخبار نهاية عبد الله بن الزبير على يد عبد الملك بن مروان التي خصص لها المؤلف روايات عدّة ، اي ان حركة المختار بجملتها تندرج ضمن حركة ابن الزبير ، لذا فلم يركّز على تفاصيل تلكَ الحركة بما في ذلك نهاية المختار على يد مصعب .

---

(١) العِقد ، ٤ / ٣٨١ – ٣٨٢ .

(٢) ينظر: ابن سعد ، الطبقات ، ٥ / ١١٣ ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ١ / ٢٤٣ ؛ البلاذري ، انساب ، ٦ / ٤٠٦ ؛ الدينوري ، الاخبار الطوال، ٣٠١ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٦ / ٦١ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٦ / ٥٨ .

كان لتنامي قوة الامويين في الشام وبسط سيطرتهم المطلقة عليه وانهاء اي وجود لابن الزبير فيه سبباً مباشراً دفعَ ابن الزبير على تشديد قبضته على العراق الذي بدا وكأنهُ هو ساحة الصراع الزبيري – المرواني القادمة ، لذا عمد ابن الزبير الى حسم امر المختار بن ابي عبيد الثقفي ، فوجّهَ اليه اخيه مصعب الذي تمكن بعد معارك عدّة ان يضع حداً للمختار بقتله ومن تبعهُ من الموالي .

ذكر ابن عبد ربه رواية واحدة عن تلك النهاية بسنده عن علي بن عبد العزيز ونصّها [١] : " لما بَعث مُصعبٌ برأس المختار إلى عبد الله بن الزُّبير فوُضع بين يديه، قال: ما مِن شيء حَدَّثنيه كعبُ الأحبار إلا قد رأيتُه، غيرَ هذا، فإنه قال لي: يَقتلك شاب من ثقيف، فأراني قد قتلتُه. وقال محمد بن سيرين، لما بلغه هذا الحديث: لم يعلم ابنُ الزبير أنّ أبا محمد قد خبئ له " .

وفي الحقيقة ان هذهِ الرواية لم تشر الى تفاصيل مقتل المختار بقدر ما اشارت الى رأي عبد الله بن الزبير فيه الذي كان يتخوّف منه لحديث حدّثهُ فيهِ كعب الاحبار حول قتلهِ على يدِ شاب من ثقيف ، فكان ابن الزبير يشك في كونهِ المختار ، واذا شئنا تجاهل الطبيعة التنبؤية لمعرفة الاحداث الغيبية عند كعب الاحبار التي كررها ابن عبد ربه بين الفينة والاخرى فاني ارى ان هذا الحديث غير ثابت لسببين : الاول هو ان بعض المصادر [٢] ذكرت ان رأس المختار أُدخِلَ على ابن الزبير وهو يتنفّل بالليل فلم يلتفت اليه ، ولما طلبَ حامل الرأس جائزة منهُ اجابهُ بأن الراس هو جائزته ، وهذا يشير الى ان ابن الزبير كان واثقاً كل الثقة بالنصر على المختار ، لذا لم يلتفت الى من بشّرهُ بذلك ، والآخر هو ان ابن عبد ربه ذكرَ في اولى رواياتهِ عن المختار ان عبد الله بن الزبير هو من بعثهُ اميراً على الكوفة بدلاً من ابراهيم بن محمد بن طلحة ، فاذا كان ابن الزبير يتوجّس في نفسه خيفةً من المختار، فلماذا يوليُّهِ على هذا المصر الحسّاس ؟!.اما بالنسبة الى من قتلهم مُصعب مع المختار فقد ذكر ابن عبد ربه في رواية له غير مسندة [٣] ان مصعب قتل من اصحاب المختار ثلاثة آلاف رجل ، الا انه لم يحدد ما اذا كان هؤلاء من العرب ام من الموالي ، كما انه لم يبيّن طريقة ذلك القتل فضلاً على ان هذا العدد لم يكن دقيقاً كفاية بشكل يتقارب فيه مع ما اجمعت عليه المصادر

(١) العِقد ، ٤ / ٣٨١ – ٣٨٢ .

(٢) ينظر: ابن سعد ، الطبقات ، ٥ / ١٤٠ ؛ البلاذري ، انساب ، ٦ / ٤٤٤ ؛ الدينوري، الاخبار الطوال ، ٣٠٨ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ / ٦٧ .

(٣) العِقد ، ٤ / ٣٨٣ .

[١] التي اتفقت على ان مصعب امر بقتلهم صبراً وهم أُسارى وكانت عدّتهم كبيرة وهم بين الستة والثمانية الاف ، فكيفَ اهملت رواية ابن عبد ربه ذلك؟ بل انها قلّصت العدد الى اقل من النصف !.

على اية حال لم يتطرق ابن عبد ربه الى الاحداث جميعها التي جمعت بينَ المختار و مصعب ولا الى الحروب التي دارت رحاها بينهما ، ولا الى الحصار الذي ضربهُ مصعب على المختار في قصر الامارة بالكوفة الذي انتهى بمقتل المختار ونهاية حركتهِ ، ولا الى من قُتل بعده من الموالي ، لذا ارى ان ابن عبد ربه لم يعطِ مادة تاريخية جيدة عن هذهِ الحركة ، و الذي ذكرهُ كان فيهِ خلطُ كبير ، كما انهُ لم يذكر تاريخاً محدداً لكل حدث مرّت بهِ تلكَ الحركة منذُ بدايتها حتى انتهائها ، وما ذكرهُ كانَ مجرد اخبار ركّز فيها على الجانب العاطفي فقط كقتلِ عبيد الله بن زياد والحصين بن نمير وعمر بن سعد اللذين يعدون المسؤولين عن الممارسات البشعة التي ارتُكِبت بحق مقدّسات المسلمين ابان حكم يزيد بن معاوية ، لذا فان الانفس تواقة لما ال اليهِ امرهم بشكلٍ سريعٍ وخاطف دون انتظار الدقة من روايات التاريخ ، وهذا ما لبّاه ابن عبد ربه فرواه اولاً بلا سند ثم شذّبه حتى يُبقي على تركيز السامع او القارئ مشدوداً معه دون تشتيته بذكره تفاصيلاً قد تُميت ذلك التركيز او تحمله الى موضوعاً آخر بعيداً عن ذلك الحدث .

ب-حركة معارضة عمرو بن سعيد الاشدق (٧٠هـ/٦٩٠م).

لم يكن عمرو بن سعيد ((الاشدق)) [٢] شخصيّةً أمويّةً طارئةً ظهرت فجأة بوجه عبد الملك بن مروان تريد ابتزاز السلطة منه ، فقد كان ابوه احد ابرز عمّال الخليفة عثمان ، كما ان عمرو عملَ والياً ليزيد بن معاوية على المدينة قبل اضطراب امرها ، ثم انهُ كان ممن اشاروا على مروان بالبقاء بالشام وادعاء الخلافة ، كما كان على ميمنة مروان بن الحكم في معركتهِ بمرج راهط واليهِ يرجع الفضل بالاستيلاء على فلسطين بعد ان تمنّع بها ناتل بن قيس الجذامي الذي كان مؤيداً لعبد الله بن الزبير ، كما هزم مصعب بالشام واجبرهُ على العودةِ الى العراق ، لذا فقد كان عمرو بن سعيد من ابرز الشخصيات التي وطّدت الامر لمروان في تلكَ الظروف المضطربة ، كما انهُ كان

(١) قارن : ابن قتيبة ، الامامة ، ٢ / ٣٢ ؛ البلاذري ، انساب ، ٦/ ٤٤٣ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢/ ٢٦٣ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٦ / ١١٦ ؛ المسعودي ، مروج ، ٣ / ٨٥ .

(٢) الاشدق ، صفة قيل انها تطلق على من في وجههِ فوّةُ او شتر ، كما قيل انهُا صفة لمن يتشادق بالكلام . ينظر : الجاحظ ، البيان والتبيين ، ١ / ٢٥٨ .

من ابرز الشخصيات الاموية بعد مروان لذا لم يكن انتخابه في الجابية لولاية العهد بعد خالد بن يزيد يأتي من عبث ، بل من باب رد الجميل للخدمات الجليلة التي اسداها للبيت الاموي بشكلٍ عام ، ولمروان بن الحكم بشكلٍ خاص.

اورد ابن عبد ربه رواية[١] واحدة عن حركة معارضة عمر بن سعيد الاشدق ، وهي رواية ابو عبيدة[٢] عن حجاج عن ابي معشر ذكر فيها ان عبد الملك خرج يريد قتال مصعب ، فلما كانَ من دمشق على ثلاث مراحل اغلقَ عمرو بن سعيد الاشدق ابواب دمشق ، فأشار امراء عبد الملك عليهِ بالعودة الى دمشق ، فرجعَ وحاصرَ عمرو فيها حتى صالحهُ على انهُ الخليفة بعده ، وكان بيده بيت المال فطلبَ منهُ عبد الملك ان يعطي الحرس ارزاقهم فأجابهُ مُعترضَاً على ذلك لكنه وافق بعدها ، ثم ان عبد الملك بعثَ لهُ يوماً في نصف النهار فخرجَ عمرو للقائهِ فاعترضتهُ امرأة له قائلةً لهُ لا تذهب اليه فانّي اتخوّف عليكَ منه ، فضربها بقائم سيفهِ حتى شجّها ، ثم خرج ومعهُ اربعة الاف من جنده وعليهم السلاح فاحدقوا بخضراء دمشق وفيها عبد الملك وقالوا له : يا أبا أُميّة ان رابكَ شيء فاسمعنا صوتك ، ثم خلا بهِ عبد الملك واخذَ يوبّخهُ على ما بدر منه حتى علت اصواتهما ، فامر عبد الملك حرسهُ بان يوثقوه وقال لهُ انّي اقسمت ان امكنني الله منك ان اجعل في عنقك جامعة ، وهذه جامعة من فِضَّة أريد أن أبِرّ بها قَسمي، فجعل في رقبته الجامعة، ثم طَرحه إلى الأرض بيده. فانكسرت ثنيَته، فجعل عبدُ الملك ينظر إليه. فقال عمرو: لا عليك يا أمير المؤمنين، عَظْم انكسر. قال: وجاء المُؤذنون فقالوا: الصلاة يا أمير المؤمنين، لصلاة الظهر، فقال لعبد العزيز بن مروان: اقتله حتى أرجع إليك من الصلاة. فلما أراد عبدُ العزيز أن يَضرب عُنقه، قال له عمرو: نشدتُك بالرّحم يا عبد العزيز أن لا تَقْتلني من بينهم، فجاء عبدُ الملك فراه جالساً، فقال: مالك لم تقتله ! لَعنك اللهّ ولعن أمًّا ولدتك . ثم قال: قَدِّموه إليّ، فأخذ الحَرْبة بيده، فقال عمرو: فعلتها يا بن الزَرقاء! فقال له عبدُ الملك: إني لو علمتُ أنك تَبقى ويَصْلح لي ملكي لفديتُك بدم النَّاظر. ولكن قلّما اجتمع فَحلان في ذَوْد إلا عدا أحدُهما على الآخر، ثم رفع إليه الحربة فقتله. وقعد عبدُ الملك يُرْعَد، ثم أمر به فأدرج في بساط وأدخل تحت السَرير. وأرُسل إلى قَبيصة بن ذُؤيب الخُزاعيّ[٣] ، فدخل عليه، فقال: كيف رأيك في عَمرو بن سعيد الأشدق؟ قال: وأبصر قبيصةُ رجلَ عمرو تحت السرير، فقال: اضرب عنقه يا أمير المؤمنين. قال: جَزاك الله خيراً، أما علمتُ إنك لموفّق. قال قبيصة: اطْرح رأسه وانثُر على الناس الدَّنانير يَتشاغلون بها. ففعل، و وتفرّق الناس.

(١) العِقد ، ٥ / ١٥٦ ــ ١٥٧ .

(٢) من الرواة المُبهمين . ينظر: جدول رقم (٣).

(٣) لم أعثر له على ترجمة فيما اطلعت عليه من مصادر .

اعطت رواية ابي عبيد هذهِ تفصيلاً دقيقاً لما دار من احداث بينَ عبد الملك بن مروان وعمرو بن سعيد بعد رجوع الاخير الى دمشق ومفاوضتهِ مع عمرو بن سعيد ، ثم المكيدة لهُ وقتله ، وهذهِ الرواية جاءت مطابقة تماماً لما ذكرهُ ابن قتيبة [١] من خبر عن نهاية الاشدق ، لذا قد يكون هو مورد ابن عبد ربه في تلك الرواية ، ولكن رواية ابو عبيد لم تذكر السنة التي حدثت فيها تلك الحادثة ، كما انها ذكرت ان عمرو بن سعيد لم يرافق عبد الملك في حملتهِ على العراق ، وهذا امر يخالف المنطق رغم ذكره في بعض المصادر [٢] ، اذ ان معارضة عمرو بن سعيد لخلافة عبد الملك كانت مشهورة لدرجة انهُ امتنعَ عن بيعته بادئ الامر[٣] ، بل ان بعض المصادر[٤] ذكر انهُ كان بين الطرفين عتب كبير واتهامات متبادلة بالغدر والخيانة ، فاذا كان الامر كذلك فكيفَ يأمنُ عبد الملك جانب اهل دمشق من الركون للأشدق ؟ ، لذا فلا يصح هذا الجزء من الرواية بأي حال ، والصحيح هو ان عبد الملك كان قد اصطحب عمرو بن سعيد معهُ في خروجه عن دمشق لقتال مصعب حسبما ذكرت الرواية ، اما بالنسبة الى السنة التي جرت فيها تلك الحادثة فقد ذكرت بعض المصادر [٥] انها حدثت سنة سبعين للهجرة .

اما بالنسبة الى الطريقة التي تم بها قتل عمرو بن سعيد الاشدق ، فقد اختلفت المصادر كثيراً في ذلك ، ولعل هذا الاختلاف هو الذي حملَ المسعودي على القول ما نصّه [٦]:"وقد تنازعَ اهل السير في كيفية قتل عبد الملك لعمرو بن سعيد " ، الا ان هنالك ثلاث روايات رئيسة تحدّثت عن ذلك وهي رواية الواقدي التي اوردها ابن سعد [٧] ، ورواية ابي مخنف التي اوردها البلاذري [٨] ، ورواية عوانة بن الحكم التي اوردها الطبري [٩] ، ورغم الاختلاف الكبير بين تلك الروايات الا ان كل رواية نظرت من زاوية معينة لتلكَ الحادثة ، لذا فلا أعدو الصواب اذا قلت ان مجموع تلك الروايات يساوي حادثة مقتل عمرو بن سعيد الاشدق بشكلٍ قريبٍ جداً للمنطق والسبب في ذلك يعود

(١) الامامة والسياسة ، ٢ / ٣٣ .
(٢) ينظر: الطبري ، تاريخ ، ٦ / ١٤٠ ؛ المسعودي ، مروج ، ٣ / ٨٨ .
(٣) ينظر: الدينوري ، الاخبار الطوال ، ٢٨٩ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٢٥٨ .
(٤) قارن: الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٣ / ٣٠٢ ؛ المسعودي ، مروج ، ٣ / ٨٧ .
(٥) ينظر: ابن سعد ، الطبقات ، ٥ / ١٧٥ ؛ خليفة ، تاريخ ، ١ / ٢٦٦ ؛ الطبري ، تاريخ ، ١٤٠/٦ ؛ المسعودي ، مروج ، ٣ / ٨٨ .
(٦) مروج ، ٣ / ٨٩ .
(٧) الطبقات ، ٥ / ١٧٥ - ١٧٦ .
(٨) انساب ، ٥ / ٤٤٣ - ٤٤٥ .
(٩) تاريخ ، ٦ / ١٤٠ .

للمادة التاريخية التي قدّمتها كل رواية ، ففي حين تتحدث رواية الواقدي عن الطريقة التي تمكن فيها عمرو بن سعيد من الرجوع الى دمشق والتحصن بها ، نجد ان رواية ابي مخنف التي ذكرت تفصيلاً لبنود الاتفاق الذي جرى بين عمرو بن سعيد وعبد الملك لما اراد الاخير دخول دمشق بعد ان تحصّن بها عمرو ، اما عن رواية عوانة بن الحكم فقد ذكرت طريقة قتل عمرو بن سعيد في قصر الخضراء بطريقة دراماتيكيّة مفصّلة ، ورغم اقتراب رواية عوانة بن الحكم من رواية ابي عبيد التي اوردها ابن عبد ربه حتى تكاد في بعض اجزائها ان تصل الى درجة التطابق ، الا انها اختلفت عنها في عدد اتباع عمرو بن سعيد الذين احضرهم معهُ الى الخضراء فقد ذكرت رواية ابي عبيد ان عددهم كانَ اربعة الاف بينما حدد عوانة عددهم بقوله : "كانوا الفاً من عبيد عمرو وناس بعد من اصحابه " ، كما ان رواية ابي عبيد اضافت فقرة هي استشارة عبد الملك لأحد المقربين اليه وهو قبيصة بن ذؤيب الخزاعي ، لذا فان ابن عبد ربه رغم كونه قد جاء بمادة جيدة عن تلكَ الحركة الا انه لم يضف شيئاً جديداً يختلف عما موجود في المصادر التاريخية الاخرى . وبالمحصّلة النهائية يمكننا القول بان المادة التاريخية التي قدّمها المؤلف عن حركات المعارضة التي تخللت تلك المرحلة التاريخيّة الحرجة رغم التباين الشديد فيما بينها من حيث الشمولية والدّقة الا انها لم تعط صورة كافية عنها بما تتفق مع ما موجود في المصادر التاريخية الاخرى ولعلّ السبب في ذلك يعود الى تركيز المؤلّف على الحركات الرئيسيّة التي وقعت ضمن نفس المُدّة كحركة ابن الزبير ونهايتها التي أولاها عناية خاصة.

المبحث الثالث
حركات المعارضة (٧٠ – ٨٠ هـ/٦٩٠- ٧٠٠ م)
(نهاية حركة عبد الله بن الزبير)

بعد فراغ عبد الملك من المشاكل التي واجهتهُ مُنذ بداية تسلّمهِ الخلافة أعدَّ حملة وتقدّم بها نحو العراق لوضع نهاية لتمرد ابن الزبير هناك [١] ، وفي الوقت نفسه فقد استتبَ امر العراق وخضعَ باسرهِ لسيادة ابن الزبير بعد قضائهِ على حركة المختار الثقفي ، وتأكيداً على تلك السيادة حمل مصعب بن الزبير معهُ بعض وجوه اهل العراق لما قَدِم مكة حاجاً في سنتهِ الاولى بعد نصرهِ على المختار ودخلَ بهم على اخيه عبد الله ، وقد تمكنَ ابن عبد ربه من تغطية ذلكَ الحدث بإيراده رواية غير مسندة قال فيها ما نصّه [٢] : " لما قتل مصعب بن الزبير المختار بن ابي عبيد خرج حاجّاً ، فقدم على أخيه عبد الله بن الزبير بمكة، ومعه وجوه أهل العراق، فقال له: يا أمير المؤمنين، جئتُك بوجوه أهل العراق، لم أدع لهم بها نظيراً، لتعطيهم من هذا المال قال: جئتني بعبيد أهل العراق لأعطيهم مال الله ! والله لا فعلت. فلما دخلوا عليه وأخذوا مجالسهم، قال لهم: يا أهل الكوفة ، وددت والله أن لي بكم من أهل الشام صرف الدينار والدرهم، بل لكل عشرة رجلاً. قال عبيد الله بن ظبيان: أتدري يا أمير المؤمنين ما مثلنا ومثلك فيما ذكرت؟ قال: وما ذلك؟ قال: فإن مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام، كما قال أعشى بكر بن وائل:

علَّقتها عرضاً وعلّقت رجلاً ... غيري وعلّق أخرى غيرها الرجل .

أحببناك نحن، وأحببت أنت أهل الشام، وأحب أهل الشام عبد الملك. ثم انصرف القوم من عنده خائبين، فكاتبوا عبد الملك بن مروان وغدروا بمصعب بن الزبير " .

اعطت هذهِ الرواية سبباً مهماً من اسباب خذلان اهل العراق لمصعب بن الزبير وتسليمه الى عدوه عبد الملك بن مروان ، وهو بحق سببُ جوهري لم تذكره اغلب المصادر التاريخية التي يعتدُ بها ، فقد كان حرص عبد الله بن الزبير وبخله الشديد وتقّتيره كفيل بأن يجعل الناس تنّفض عنهُ وتتحول بولائها الى خصمهِ عبد الملك بن مروان الذي استطاع الاستفادة من خطأ ابن الزبير فاغدقَ على اهل العراق حتى كسبهم الى صفهِ .

(١) دكسن ، الخلافة الاموية ٦٥ ـ ٨٥ هـ ، ٢٠٢ .

(٢) العِقد ، ٢ / ٨٠ .

اوردَ ابن قتيبة [١] رواية مطابقة الى رواية ابن عبد ربه هذهِ ، ولكن دون ان يذكر البيت الذي استشهدَ بهِ احد افراد الوفد ، كما انهُ لم يُسمِ من ردّ التهمة على عبد الله بن الزبير ، وانما اكتفى بقولهِ (فقام اليهِ رجل) ولكنّهُ في كتابٍ لهُ اخر [٢] ذكر ان من ردَّ على ابن الزبير هو ابو حاضر الاسدي [٣] وقد اتفق معهُ ابن كثير [٤] في ذلك . اما ابن عساكر [٥] فقد ذكر وفادة اهل العراق وفيهم ابراهيم بن الاشتر على عبد الله بن الزبير برواية ابي بكر محمد بن عبد الباقي ، وهي رواية مطوّلة ذكر فيها ان عبد الله بن الزبير لمّا علمَ ان ابراهيم بن الاشتر زعيم الوفد قال لأخيه مصعب "أتريدني ان احب الاشتر؟ " ، ثم كشفَ له قميصهُ واخرج اثر سيف الاشتر على عاتقه ، فطلبَ مصعب منه ان يُسمّي الجائزة وهو يعطيهم من مال العراق اذا رجع فرفضَ عبد الله ذلك ، وعزلَ مصعب عن البصرة وولى عليها ابنهُ حمزة بدلاً عنهُ ، اما الجاحظ [٦] فرغم ايرادهِ لهذهِ الحادثة الا انهُ اختلف عن المصادر المتقدمة بقولهِ ان وفد العراق وفدَ على عبد الله بن الزبير في المدينة بزعامة الاحنف بن قيس لا مصعب ، اي ان الوفد كان يضم اهل البصرةِ فقط ، لا اهل الكوفة . وفي الحقيقة ان معرفة هوية الوفد ومن تزعّمهُ تعدُ امراً بالغ الاهمية لكونِ هذهِ الرواية – ان صحّت – تعطينا توقيتاً دقيقاً و سبباً مقنعاً لمفارقةِ اهل العراق لمصعب ، وبالعودة الى الرواية التي اوردها ابن عبد ربه فقد كان سبب مقدم اهل العراق على عبد الله بن الزبير ومعهم اخيه مصب هو قضاء مصعب على المختار الثقفي الذي تحصّن بالكوفةِ ، لذا يجب ان يكون الوفد من اهل الكوفة لكي يُقدّموا ولاءهم لعبد الله بن الزبير ، اذ ان البصرة كانت قد دخلت منذ زمن تحت سيادة ابن الزبير ، واذا كان الوفد من اهل الكوفة فان هناك احتمال قوي ان يكون ابراهيم بن الاشتر من ضمنهم ، لكونه انضوى تحت لواء مصعب بعد قضائه على المختار ، الا ان هناك مشكلة تتضح في كون الرواية التي اوردها ابن عبد ربه ذكرت ان الذي جادل عبد الله بن الزبير هو عبيد الله بن زياد بن ضبيان [٧] ، بينما ذكرت بعض المصادر ابا حاضر الاسدي ، والملاحظ ان كلا الرجلين كانا بصريين وهذا احتمال على ان هوية الوفد كانت بصرية لا كوفية .

(١) الامامة والسياسة ، ٢ / ٣٢ .

(٢) عيون الاخبار ، ٣ / ١٢ - ١٣ .

(٣) لم اعثر لهُ على ترجمة ، ولكن جعله ابن قتيبة في عداد اهل البصرة .ينظر :عيون الاخبار١٢/٣

(٤) البداية والنهاية ، ١٢ / ٦٦ .

(٥) تاريخ دمشق ، ٥٨ / ٢٣٩ .

(٦) البيان والتبيين ، ١ / ٢٤٨ .

(٧) هو عبيد الله بن زياد بن ظبيان اخو بني تيم اللات من بني ثعلبة وكنيتهُ ابو مطر ، فارس من فتاك العرب ، كان في جيش مصعب بن الزبير اول امره ، ولكنهُ تحول الى عبد الملك بعد ان قتل صاحب شرطة مصعب =

ذكر البلاذري [١] رواية عن الهيثم بن عدي يمكن ان تعطيناً حلاً لهذهِ المعضلة ، فقد روى ان مصعب وفدَ على اخيهِ عبد الله ثلاث مرات ، الاولى وفد معهُ اهل البصرة ، والثانية لما قتل المختار بن عبيد الثقفي والثالثة كان فيها بمفرده يريد مراجعة اخيه عبد الله في امر عبد الملك ، لكنهُ لم يذكر امر تلك الحادثة ، وارى ان هوية الوفد كانت بصرية لا كوفية بدليل ان عبد الله بن الزبير قام بعدها بعزل اخيه مصعب عن البصرة وتولية ولدهِ حمزة بدلاً عنه ، وهذا من الثوابت التاريخية ، وقد يكون سبب عزل عبد الله لأخيه مصعب هو اتهامه لأخيه بالتبذير [٢] ، اما وفود مصعب على اخيهِ عبد الله بعد قتلهِ المختار فتلكَ حادثةُ اخرى غير هذهِ ، ولكن ابن عبد ربه دمجَ بينَ الحادثتين وتعاملَ معهما على انهما حادثةُ واحدة ، ثم خرج بنتيجة بجعلِ ذلكَ سبباً في مكاتبةِ اهل العراق لعبد الملك ، ورغم اتفاقي مع المؤلف من ان ذلكَ كانَ من ابرز الاسباب التي ادّت الى خذلان اهل العراق لمصعب ، ولكنني اختلفُ معهُ على هوية الوفد الذي لم تحدد رواية ابن عبد ربه ماهيته ، لذا وبالرغم من اعطاء تلكَ الرواية سبباً مقنعاً لخذلان اهل العراق لمصعب بن الزبير الا انها لم تكن دقيقة كفاية حتى تعطي تاريخ تلكَ الوفادة وهوية من وفد فيها .

اورد ابن عبد ربه رواية مسهبة عن مقتل مصعب بن الزبير ذكر فيها [٣] ان عبد الملك بن مروان لما أراد الخُروج إلى مُصعب بن الزبير، جعل يَستنفر أهل الشام فيُبطئون عليه، فقال له الحجاجُ بن يوسف: سَلّطني عليهم، فوالله لأخرجنَّهم معك. قال له: قد سَلّطتك عليهم. فكان الحجَّاج لا يَمر على باب رجل منِ أهل الشام قد تخّلف عن الخروج إلا أحرق عليه دارَه. فلما رأى ذلك أهلُ الشام خرجوا، وسار عبدُ الملك حتى دنا من العراق. وخرج مصعب بأهل البصرة والكوفة، فالتقوا بين الشام والعراق. وقد كان عبد الملك كتب كُتباً إلى رجال مصعب من وجوه أهل العراق يدعوهم فيها إلى نَفسه ويَجعل لهم الأموال، وكتب إلى إبراهيم بن الأشتر بمثل ذلك، على أن يَخْذلوا مُصعبا إذا التقَوْا. فقال إبراهيم بن الأشتر لمُصعب: إن عبد الملك قد كتب إليّ هذا الكتاب، وقد كتب إلى أصحابي بمثل ذلك، فادعُهم الساعةَ فاضرب أعناقَهم قال : ما كنت لأفعل ذلك حتى يَستبين لي

=اخيه بسبب قطعهِ الطريق وإخافة السابلة ، وقيلَ هو من حز رأس مصعب واتى بهِ عبد الملك الذي سجدَ شكراً لذلك . ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ٥ / ٢٢٨ ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ١ / ٢١٣ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٥٨/ ٢٣٢ .

(١) انساب ،٦ / ٤٤٤ – ٤٤٥ .

(٢) ذكر الطبري ان سبب عزل عبد الله بن الزبير لأخيهِ مصعب عن البصرة وتولية ولدهُ حمزة عليها هو ادعاء عبد الله بانهُ ارادَ التأسّي بعثمان الذي عزلَ ابا موسى عنها وولى عبد الله بن عامر بدلاً عنه . ينظر : تاريخ ، ٦ / ١١٧ .

(٣) العِقد ، ٤ / ٣٨٦ – ٣٨٧ .

أمرهم. قال: فأخرى . قال: ما هي؟ قال: احبِسْهم حتى يَستبين لك ذلك. قال : ما كُنت لأفعل . قال: فعليك السلام ، واللهِ لا تَراني بعدُ في مجلسك هذا أبداً. ثم قال له: دَعْني أدعو أهلَ الكوفة بما شرطه الله فقال: لا والله، قتلتهُم أمس واستنصر بهم اليوم ! قال: فما هو إلا أن التَقوا فحوّلوا وُجوههم وصاروا إلى عبد الملك. وبقي مُصعب في شِرْذمة قليلة. فجاءه عُبيد الله بن زياد بن ظَبيان، وكان مع مُصعب ، فقال: أين الناس أيها الأمير؟ فقال: قد غدرتم يا أهل العراق! فرفع عُبيد الله السيفَ ليضرب مُصعبا، فبدره مُصعب فضربه بالسيف على البَيضة، فنَشِب السيفُ في البَيضة، فجاء غلامُ لعُبيد الله ابن زياد بن ظَبيان، فضرب مُصعبا بالسيف فقَتله. ثم جاء عُبيدُ الله برأسه إلى عبد الملك بن مروان .

وقبل الخوض بتفاصيل هذهِ الرواية التي اوردها ابن عبد ربه دون اسناد نستطيع ان نقسّمها على ثلاثة محاور ، الاول هو قيام الحجاج بن يوسف بإجبار اهل الشام على الخروج مع عبد الملك بن مروان الذي انتدبهم الى حرب مصعب ، والثاني هو اخبار ابراهيم بن الاشتر لمصعب على الكتاب الذي ارسلهُ اليه عبد الملك يُغريه بالمال من اجل خذلان مصعب ، والثالث هو الانقلاب المفاجئ لعبيد الله بن زياد بن ظبيان على مصعب ثم قتلهِ اياه وحمل رأسه الى عبد الملك .

فبالنسبة الى المحور الاول فقد ذكرت الرواية ان عبد الملك بن مروان استنّفرَ اهل الشام لقتال مصعب فيبطئون عليه ، دون ان تذكر سبباً لذلكَ الابطاء ، هل هو خوفهم من مصعب واهل العراق ، ام كان بسبب قيام عبد الملك بالإطاحة بعمرو بن سعيد الاشدق الذي تمرّد فقضى عليه وعلى من خالف معهُ قبيل ان ينتدبهم لقتال مصعب ؟ وهل اثّر ذلكَ فيهم حتى حملهم على الابطاء عن دعوة عبد الملك ؟.

اوردَ الطبري رواية عن عروة بن المغيرة بن شعبة قال فيها [١] ان عبد الملك بن مروان لما خطب اهل الشام – بعد قضائهِ على تمرّد عمرو الاشدق ووضع السيف في من خالفه – وامرهم بالتهيؤ الى قتال مصعب فاختلفَ عليهِ رؤساء اهل الشام من غير خلاف لما يريده ، ولكنهم احبوا ان يقيم ويقدم الجيوش فان ظفروا فذاك وان لم يظفروا امدّهم بالجيوش خشيةً عليه من ان يصيب فلم يكن وراءهُ ملك ولكنهُ رفضَ ذلك ، أي ان اهل الشام لم يختلفوا مع عبد الملك في المسير الى العراق لقتال مصعب ، وانما اختلفوا معهُ في رفقته لهم خوفاً عليه من ان يصيبهُ مكروه وهذهِ هي غاية الطاعة وليس شيءُ اخر ، ولكنهُ رفض ذلك وأصر بالأشراف على المعركة بنفسه ، وهذا دليل على ان تلك المعركة كانت تعني لهُ الكثير ، كما ان اصرارهُ هذا يوحي بان هناك خطة ارادَ ابرامها

(١) تاريخ ، ٦ / ١٥٦ .

، ولولا حضورهِ لم تنجح وهيَ مكاتبتهُ اهل العراق ووعدهِ اياهم بالأموال والمناصب ، فلو لم يحضر عبد الملك لما كان موقف اهل العراق مضموناً .

اما ابن كثير فقد اضاف سبباً اخر لحضور عبد الملك فقال ما نصّه [١] : " فقال عبد الملك لـعـّلي ابعثُ رجلاً شجاعاً لا راي له أو من لهُ رأي ولا شجاعة له واني اجدُ في نفسي بصراً بالحرب وشجاعة " . في حين ذهب ابن الاثير [٢] الى ابعد من ذلك اذ انهُ سمّى من اعترضَ على عبد الملك واشار عليه بغير ذلك ، وفي الحقيقة هناك نوع من التناقض في رواية ابن عبد ربه فبعدَ ان بسط عبد الملك يدهُ على الشام كلّه ومصر كانَ هو الآمر الناهي في تلك البقاع وهو الخليفة عليها فكيفَ يصح ان يتثاقل عليه اهل الشام بعد ان انتدبهم لقتال مصعب – وهم المعروفون بولائهم المطلق لبني امية ! .

قد يكون سبب المبالغة تلك هو تضخيم دور الحجاج الذي طلبَ من عبد الملك ان يسلّطه على اهل الشام لمّا ابطئوا عنهُ ، ولكن المعروف ان شخص الحجاج قد برز وسطع نجمه بعد خروجه لقتال عبد الله بن الزبير لا مصعب فقد كان في الحرب على مصعب على مؤخرة جيش الشام حسبما ذكر المسعودي [٣] ، وهذا دليل على انهُ كان اميراً غير بارز في نظر عبد الملك ، كما اضاف الدينوري [٤] ان عبد الملك انتدبَ جماعة لحرب عبد الله بن الزبير فكرهوا ذلك ثم اوكلَ هذهِ المهمة بالحجاج الذي بدا مُتلهّفاً لها . وهذا يشير الى ان الرواية قد اقحمت اسم الحجاج بن يوسف في النص اقحاماً لا لشيء سوى لشخصيته الدموية المؤثرة في نفوس سامعيه ، وهذا خطأ كبير وقع فيه ابن عبد ربه .

اما المحور الثاني من الرواية وهو معرفة ابراهيم بن الاشتر بخيانة اهل العراق لمصعب وابلاغه مصعب بذلك وعدم اتخاذ مصعب بحقّهم اي اجراء مما ادى الى ترك ابراهيم مجالسة مصعب ورجوعه الى موقعه من المعركة وذلك بقوله (والله لا تراني بعد في مجلسك هذا ابداً) فهذا ما ايّدته المصادر [٥] فمن المعروف ان ابراهيم اقبل على مصعب وبيدهِ رسالة عبد الملك وهو

(١) البداية والنهاية ، ١٢ / ١٣٦ .

(٢) كان ممن اشار على عبد الملك بعدم الخروج بشخصه الى قتال مصعب جماعة من ذويه فيهم يحيى بن ابي الحكم بن العاص عمهُ ، ومحمد بن مروان اخوه ، وبعض رجالات البيت الاموي . ينظر : الكامل ، ٣ / ٣٧٧

(٣) مروج ، ٣ / ٩٠ .

(٤) الاخبار الطوال ، ٣١٤ .

(٥) ينظر: ابن سعد ، الطبقات ، ٥ / ١٧٦ ؛ الامامة والسياسة ، ٢ / ٢٣٦ ؛ البلاذري ، انساب ، ٧ / ٩١ ؛ الدينوري ، الاخبار الطوال ، ٣١٣ ؛ الطبري، تاريخ ، ٦ / ١٥٨ ؛ ابن اعثم ، الفتوح ،٥ / ٣٣٣ ؛ =

يُمنّيه العراق ان خذلَ مصعب فأعطى الرسالة الى مصعب قائلاً لهُ ان غيري وصلتهم نفس هذهِ الرسالة فأحذرهم ثم اشارَ عليهِ بقتلهم او حبسهم حتى يستبين امرهم ، فلمّا لم يأخذ مصعب بمشورته تركهُ وعاد الى موقعهِ من الجيش فكان فيه حتى قُتِلَ ، لذا فقد توافق هذا المحور من الرواية مع ما جاءت به المصادر التاريخية الاخرى .

اما مسألة انقلاب عبيد الله بن زياد بن ظبيان التي تناولها المحور الثالث فقد ذكرت الرواية ان عبيد الله كان في جيش مصعب ، فلما رأى الناس انفضّت عنهُ انقلبَ عليهِ فجأة وبادر الى قتلهِ وحز رأسه ثم حمله الى عبد الملك بن مروان . وفي الحقيقة أن مسألة عبيد الله بن زياد بن ظبيان اختلفَ فيها المؤرخون فقد ذكرَ المسعودي [١] انهُ كان حتى يوم المعركة في جيش مصعب وكان ممن كاتبوا عبد الملك وكاتبهم اذ كانَ - حسب رأي المسعودي- من سادات ربيعة وزعماء بكر بن وائل ، بينما ذكر الطبري غير ذلك اذ اورد رواية عن عمر بن شبه [٢] ذكر فيها ان عبد الملك وجهَّ خالداً بن عبد الله بن خالد بن اسيد الى البصرة فأوقع بأطرافها القتل ، فلما عصت عليه امدهُ بعبيد الله بن زياد بن ظبيان ، وهذا يعني ان عبيد الله كان من الاصل في معسكر عبد الملك ، فما سرّ ذلك التناقض ؟

في الحقيقة ان رواية ابن شبه التي اوردها الطبري اقرب للواقع من رواية المسعودي ، ذلكَ لانَ عبيد الله كان من اهل البصرة وفي معسكر مصعب الا ان مصعب بعث مطرف بن سيدان الباهلي على شرطته فأتى بالنابئ بن زياد اخو عبيد الله بن زياد ومعهُ رجل من بني نمير وقد قطعا الطريق فأمرَ بالنابئ فَقُتِلَ وقام بجلد النميري مئة جلدة ، وقد كان قتل النابئ اخي عبيد الله سبباً كافياً ليجعل عبيد الله يحنق على مصعب ويتحين بهِ الفرص خاصةَ وقد عُرِفَ عنهُ انهُ من فُتّاك العرب [٣] ، فمال الى عبد الملك بن مروان عدو مصعب فاستعان بهِ الاخير على حرب مصعب ، اما مسألة ميلهِ يوم الحرب برايات ربيعة قبيلته فهذا غير صحيح ، فلو كان فعلاً من زعماء ربيعة وساداتها لما عُرِفَ عنه الفتك وعن اخيهِ النابئ قطع الطريق اذ لا يصح ذلك في المعايير القبلية بأي شكلٍ كان ان يكون زعيم القبيلة فاتكاً او قاطع طريق ، وبالعودة الى رواية ابن عبد ربه فرغم

=المسعودي ، مروج ، ٣ / ٩١ ؛ مسكويه ، تجارب الامم ، ٢ / ٢٣٦ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٥٨ / ٢٣١ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٣ / ٣٧٩ ؛ الذهبي، تاريخ الاسلام ، ٢ / ١٢٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ / ١٣٧ ؛ ابن خلدون ، مروج ، ٣ / ٤٤ .

(١) مروج ، ٣ / ٩١.

(٢) تاريخ المدينة ، ٦ / ١٥٣.

(٣) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٥٨ / ٢٣٢.

رسمها صورة لنهاية مصعب وغدر اهل العراق بهِ الا ان هذهِ الصورة لم يكن فيها من الدقّة التاريخية ما يجعلها مادة يعّتد بها ، لذا لا يمكن باي حال من الاحوال الركون الى هذهِ الرواية .

وعلى اي حال فقد كان قتل مصعب ذو وقعٍ كبير على اخيهِ عبد الله بن الزبير ، فقد ذكر ابن عبد ربه رواية غير مسندة بيّن فيها حال عبد الله لمّا وصله نبأ مقتل اخيه مصعب فقال ما نصّه[١] : " ولمّا بلغ عبد الله بن الزبير قتلُ مصعب صَعِد المنبر فجلس عليه، ثم سكت، فجعل لونُه يحمرّ مرّة ويصفرّ مرّة، فقال رجل من قُريش لرجل إلى جنبه : ماله لا يتكلم! فو الله إنه لَلخطيب اللَّبيب. فقال له الرجل: لعلّه يريد أن يَذْكر مَقتل سيّد العرب فيشتدّ ذلك عليه ، وغير ملوم " . ثم تكلّم فحمد الله واثنى عليه ثم ذكر مقتل اخيه مصعب مادحاً اياه ذامّاً اهل العراق الذين اسلموه بزعمه ، كما ذمّ بني مروان مظهراً زهده في الدنيا وادباره عنها .

وعلى الرغم من ايراد ابن عبد ربه تلك الرواية دون اسناد الا انها لم تكن لتختلف كثيراً عما موجود في باقي المصادر [٢] ، وفي الوقت نفسه اوردَ الزبير بن بكار [٣] رواية عن المدائني مطابقة لرواية ابن عبد ربه ، لكنّهُ زاد عليها ان عبد الله بن الزبير كانَ قد اخفى خبر قتل مصعب ايّاماً حتى تحدّثت بهِ اماء مكة وعبيدها في الطرقات ، ثم صعد المنبر وخطبَ خطبتهُ ، وبشكلٍ عام تدور هذهِ الخطبة حول محورين الاول هو حزنهُ الشديد على اخيهِ مصعب الذي يعد رمزاً لشجاعة ال الزبير والثاني هو ذمّ من اسلمهُ من اهل العراق وكذلك بني مروان ، ثم ذيّلها بزهدهِ في الدنيا وادبارهُ عنها .

ومن خلال التمعّن بهذه الخطبة نجد ان عبد الله بن الزبير تكلّم فيها بلسان الرجل المهزوم الذي يحاول تبرير نهايته القادمة بأحجامه عن الدنيا وزينتها ، وهذا خلاف ما عُرِفَ عنه ، لذا تعد هذهِ الرواية على درجة عالية من الاهمية لكونها اعطت صورة نادرة لانكسار عبد الله بن الزبير وتضعضع حركته وهو امر حاول عدم التكلم بهِ – وفق رواية المدائني – رغم انتشارهِ في مكة حتى تحدثت بهِ الاماء والعبيد في ازقتها ، والسبب في ذلك هو ان الجميع يعلم ان قتل مصعب وخسارة العراق هي بداية النهاية لحركة معارضة ابن الزبير التي استمرت سنوات عدة ، فما هي اذاً الا مسألة وقت حتى ينتهي امرها في الحجاز كما انتهى في باقي اطراف الدولة .

---

(١) العِقد ، ٤ / ١٦٠.

(٢) ينظر: ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٥ / ٢٤٠ ، المبرد ، الكامل في اللغة ، ١ / ٢٨٣ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٦ / ١٦٦ ؛ المسعودي ، مروج ، ٣ / ٩٤ - ٩٥ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٣ / ٣٨٧ .

(٣) الاخبار الموفقيات ، ١ / ٢٠٦.

كان من الواضح ان عبد الملك بن مروان بعد تمكنه من القضاء على مصعب واخضاع العراق مّرة اخرى الى السلطة الاموية سيكمل مشروعهُ بالزحف على الحجاز المعقل الاخير لعبد الله بن الزبير للقضاء عليهِ هناك ، وهذا ما تمّ فعلاً ، فبعد دخول الخليفة عبد الملك الى الكوفة بادر للتخطيط بالزحف الى الحجاز لقتال عبد الله بن الزبير ووضع نهاية لتمرّده .

حاول ابن عبد ربه اعطاء صورة لنهاية عبد الله بن الزبير على يدِ عبد الملك ، فأوردَ ثلاث روايات ، الرواية الاولى وهي رواية مطوّلة اوردها عن ابي عبيد [١]، ثم رواية ثانية وهي رواية غير مسندة ، تليها رواية محمد بن سعيد [٢]. كانت الرواية الاولى هي رواية ابي عبيد مطابقة تماماً لما ذكرهُ ابن قتيبة [٣] ، لذا فاننا لا نعدو الصواب اذا قلنا انهُ هو المورد الذي استقى منهُ روايته ، اما الروايتان الاخيرتان فانهما اقصر بكثير من الرواية الاولى ، كما انهما ركّزتا على مصرع عبد الله بن الزبير فقط دون التطرق الى ما سبقَ ذلكَ من احداث ، ومن المهم هنا ان نذكر ان اهم الروايات التي تحدّثت عن مقتل عبد الله بن الزبير واخذت بها اغلب المصادر التاريخية هما روايتا الواقدي التي اوردها البلاذري [٤] ، ورواية محمد بن عمر التي اخذ بها كلٌّ من الطبري [٥] ، ثم ابن الاثير [٦] ، وابن كثير [٧] .

وعلى الرغم من اشتمال الروايات التي اوردها ابن عبد ربه على تفاصيل جيّدة عن مقتل عبد الله بن الزبير ، الا انها اذا ما قورنت مع غيرها من الروايات التي ذكرتها المصادر الاخرى نجدُ انها تخلو من تفاصيل كان يجب ان تحتوي عليها لكي تكون ذات قيمة تاريخية ، لذا فلابد من مقارنة هذهِ الروايات مع ما تمّ ذكرهُ في تلك المصادر وبشكلٍ دقيق حتى يتسنّى لنا الحكم لها أو عليها .

فبالنسبة الى رواية ابي عبيد التي اوردها ابن عبد ربه بالحديث عن بيعة اهل الكوفة لعبد الملك بن مروان لمّا دخلها ضافراً بعد مقتل مصعب بن الزبير والتي نصّها [٨] : " لما بايع الناسُ

(١) من الرواة المبهمين . ينظر جدول رقم (٣) .
(٢) من الرواة المبهمين . ينظر جدول رقم (٣) .
(٣) الامامة والسياسة ، ٢ / ٣٧ - ٣٩ .
(٤) انساب ، ٧ / ١١٣ - ١١٧ .
(٥) تاريخ ، ٦ / ١٨٧ - ١٩٢ .
(٦) الكامل ، ٣ / ٣٩٩ - ٤٠٥ .
(٧) البداية والنهاية ، ١٢ / ١٤٥ .
(٨) العِقد ، ٤ / ٣٩١ .

عبدَ الملك بن مروان بعد قَتْل مُصعب بن الزبير ودخل الكوفة، قال له الحجّاج: إني رأيتُ في المَنام كأني أسْلُخ ابنَ الزُّبير من رأسه إلى قَدميه. فقال له عبدُ الملك: أنت له، فاخرج إليه ... " .

بدأت هذهِ الرواية بالحديث عن طلب الحجاج المفاجئ من عبد الملك بالمسير الى عبد الله بن الزبير ، ذلك الطلب الذي بدا غير منطقياً او ان في الرواية حلقة مفقودة تشير الى تسلسل منطقي جعل من الحجاج يطلب من عبد الملك ذلك ، والا كيفَ نفسّر تجرّأ الحجاج – وهو الموصوف بولائهِ المطلق – على طلبِ مثل هذا الامر من سيّده فقد يكون عبد الملك لا يرغب في قتال ابن الزبير في الوقت الحاضر على الاقل .

ذكر الدينوري [١] ان عبد الملك بن مروان لما اراد التجهُّز لقتال عبد الله بن الزبير انتدبَ لهُ قدامة بن مظعون [٢] ، الا ان قدامة اظهر عدم جديّتهُ في ذلك مما دفعَ عبد الملك الى عزلهِ عن تلك الحملة وعندها تقدّم الحجاج الى عبد الملك طالباً منهُ المسير الى عبد الله بن الزبير مدّعياً تلكَ الرؤيا فقبلَ منهُ عبد الملك ذلك .

وعلى اي حال فقد بعثَ عبد الملك الحجاج على رأس جيش اختلفت المصادر في عدّته ، فذكرت رواية ابن عبد ربه ان عدده الف وخمسمائة ، بينما ذكر الواقدي[٣] ، ان عددهُ بينَ الثلاثة والخمسة الاف ، والى نفس هذا العدد ذهبت بعض المصادر الاخرى [٤] ، بينما ذكرَ ابن اعثم [٥] ان عددهُ بلغَ ستة الاف ، اربعة الاف من اهل الشام ، والفان من اهل مصر ركبوا البحر ، ومن الغريب ان نجد ان اليعقوبي[٦] يرفع العدد الى العشرين الفاً ، ولعلّهُ قصدَ بذلك عامّة الجيش الذي اخذَ عبد الملك يمد بهِ الحجاج ، وهذا ما ذكرتهُ رواية ابي عبيد بقوله : " وجعل عبدً الملك يُرسل إليه الجيوش رَسَلا بعد رَسَل، حتى تَوافي إليه الناسُ قدرَ ما يظن أنه يَقْوى على قتال ابن الزبير " ، ولعمري ان هذا اسلوباً ذكياً جداً اتبعهُ الراوي ، فقد تركَ عدد ذلكَ الجيش مفتوحاً ليستوعب جميع الروايات ، كما انهُ ينسجم مع طبيعة تفكير عبد الملك الذي يتحتم عليه ارسال جيش يكون عددهُ اكبر من جيش ابن الزبير حتى يحقق النصر عليه .

---

(١) الاخبار الطوال ، ٣١٤ .

(٢) قدامة بن مظعون ، لم اعثر لهُ على ترجمة ، وهو غير قدامة بن مظعون الصحابي المشهور المتوفي سنة ستة وثلاثين للهجرة ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ٣ / ٣٠٦ .

(٣) انساب ، ٧ / ١١٥ .

(٤) ينظر: ابن الاثير ، الكامل ، ٣ / ٣٩٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ / ١٧٧ .

(٥) الفتوح، ٥ / ٣٨٨ .

(٦) تاريخ ، ٤ / ٢٦٦ .

استمر ابن عبد ربه في سردِ روايتهِ فذكر ان تلك الحملة سارت باتجاه الطائف مباشرة دون المرور بالمدينة ، ورغم اسهاب المؤرخين في تعليل ذلكَ بعدم التعرّض الى المدينةِ وقدسيتها ، الا ان ذلكَ غير صحيح بدليل ان عبد الملك بعثَ بجيش طارق بن عمرو مولى عثمان بن عفان وامرهُ ان ينتزع المدينة من ابن الزبير ، لذا فقد كان هناك سبباً اخر وراءَ ذلكَ التكتيك الناجح ، وهو ان سلطة ابن الزبير في الطائف كانت ضعيفة ، وهذا ما يُفسّر سبب لجوء عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية وبقية بني هاشم اليها لمّا أضطهدهم ابن الزبير في مكة والمدينة ، كما ان نزول جيش الشام في الطائف هو تكتيك عسكري لعلّهُ لم يخطر على بال ابن الزبير بسبب الطبيعة الجغرافية لإقليم الحجاز الذي تقع فيه المدينة ثم مكة فالطائف مرتبة على التتابع من الشمال الى الجنوب مع انحراف الطائف الى جهة الشرق قليلاً مما يسمح لها بالاتصال بالعراق بطريقٍ مباشر دون المرور بالمدينتين اللتين تقعان الى شمالها ، يضاف الى ذلك سبباً مهماّ جداً بان الطائف موطن ثقيف ومعقلها وهم قبيلة الحجاج واهله وتربطهم ببني امية علاقات مصاهرة منذ قبل الاسلام ، وقد يكون للحجاج تأثير في ابنائها ، فاقنعهم بعدم الركون لابن الزبير ، او قد يكونوا انابوا اليه ، طمعاً فيما لدى السلطة من هبات ومناصب ، كما ان ابن الزبير قد وتر هذه القبيلة بقتله المختار بن ابي عبيد الثقفي وزوجتهِ من بعده ، وهذا الامر الشنيع كافياً لتعكير العلاقة بين ثقيف وابن الزبير .

على اي حال فقد نهض الحجاج الى مكة فور نزوله الطائف وهو بصدد تلقّي المدد من الشام والعراق وباقي اقاليم الدولة فحصرَ ابن الزبير في الكعبة ونصبَ الات الحرب على جبال مكة ، لذا فقد كانت الامور العسكرية تسير على غير مصلحة ابن الزبير ، كما ان الحجاج اقدم على خطوة اخطر من ذلك وهو اقامة الحج للناس في تلك السنة ، وهذا يعني من الناحية الشرعية ان السلطة الاموية في الشام قد عادت الى بسط نفوذها على الديار المقدّسة في الحجاز وهو ما يدلل على الطعن بشرعية سلطة ابن الزبير ، وقد ذكر ابن عبد ربه ذلكَ في روايتهِ قائلاً ما نصّه [١] : " فسار الحجاج من الطائف حتى نزل منى فحجَ بالناس وابن الزبير محصور" اذاً وطبقاً لهذهِ الرواية فان الحجاج تمكّنَ بسهولة من انتزاع اطراف مكة من ابن الزبير ماعدا الكعبة وما حولها من مسجدٍ الذي تحصّن ابن الزبير فيها ، ولكن كيف تمكن الحجاج من الحج بالناس وابن الزبير متحصّنُ بالكعبة ؟ فمن المعروف ان للحج شعائر ومنها الطواف حول الكعبة والسعي بين الصفا والمروة ، فهل تمكن الحجاج من اداء جميع ذلك ؟ وبصورة اخرى هل سمح ابن الزبير للحجاج بالقيام بهذهِ الشعائر ؟ ، لم تبين الرواية التي اوردها ابن عبد ربه حقيقة ذلك ، بينما ذكر الواقدي [٢] ذكرَ في

(١) العِقد ، ٤ / ٣٩١ .

(٢) البلاذري ، انساب ، ٧ / ١١٩ .

روايته ان الحجاج سالَ ابن الزبير ان يطوف بالبيت فلم يأذن لهُ ، لكونهِ لم يأذن لأبن الزبير في حضور عرفة وقد اكدَ ذلكَ العديد من المصادر [١] .

وبعد نهاية موسم الحج استأنف الحجاج قتالهُ لأبن الزبير ، فقد ذكر ابن عبد ربه في روايته الثانية عن مقتل عبد الله بن الزبير ان الحجاج عاد بعد نهاية موسم الحج الى رمي مكة بالحجارة ، ولكنَ جند الشام احجموا عن ذلك ، فقد ذكر كلُ من الواقدي[٢] و محمد بن عمر [٣] ان صاعقة نزلت على بعض جبال مكة فأحرقت جماعة منهم وبذلكَ امتنعوا عن مواصلة الرمي ، وهذهِ الرواية قد اعتمدت في العديد من المصادر الاخرى [٤] ، الا ان رواية ابن عبد ربه لم تذكر ذلك وذكرت بدلاً عنهُ ما نصّهُ [٥] : " لما نَصب الحجاج المجانيق لقتال عبد الله بن الزُبير أظلتهم سحابة فأرعدت وأبرقت وأرسلت الصواعق، ففزع الناس وامسكوا عن القتال. فقام فيهم الحجاجُ فقال: أيها الناس، لا يهولونكم هذا، فإني أنا الحجاج بن يوسف وقد أصحرتُ لربّي، فلو ركبنا عظيماً لحال بيننا وبينه. ولكنها جبال تهامة لم تزل الصواعقُ تنزل بها. ثم أمر بكُرسيّ، فطُرح له، ثم قال: يا أهل الشام، قاتلوا على أعطيات أمير المؤمنين " ، وبذا يكون الحجاج قد تمكّن من اقناع جند الشام في مواصلة رميهم الحجارة ، وذلكَ ان رمي مكة بالحجارة يعد بذاتهِ عملاً مشؤوماً من غير ان تنزل صاعقة على جماعة منهم فتقتلهم حتى يكفّوا عن ذلك ، ولكن بعد تصدّي الحجاج لذلك الحرج الذي اصاب الجند ثم تهديده لهم بعطائهم جعل منهم يواصلوا رمي البيت، ولعمري ان هذا السبب اكثر اقناعاً مما ذكرته روايتي الواقدي و محمد بن عمر .

اذاً فقد كانت شراسة الحجاج في قتالهِ ابن الزبير من جهة ، وتفوّق جيشه على جيش ابن الزبير بالعدد والعدة ونجاح الحصار الذي فرضهُ على مكة من جهةٍ اخرى جعل من مواجهة ابن الزبير له شبه مستحيلة في نظر الكثير من اتباعه ، لذا فقد مال اليه أغلبهم بعد ان اعطاهم الحجاج الامان وفق رواية ابن عمر[٦] التي اخذت بها بعض المصادر [٧] ، و هذا نفس ما ذكرهُ ابن عبد

(١) ينظر: خليفة ، تاريخ ، ١ / ٢٦٩ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٦ / ١٨٥ ؛ المسعودي ، مروج ،٣ / ٩٥ ؛ مسكويه ، تجارب الامم ، ٢٤٤/٢ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٣ / ٣٩٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ / ١٧٧ .

(٢) البلاذري ، انساب ، ٧ / ١٢١ .

(٣) الطبري ، تاريخ ، ٦ / ١٨٧ .

(٤) ينظر: مسكويه ، تجارب الامم ، ٢٤٤/٢ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ،٥ / ٦٤ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٣ / ٤٠٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ / ١٧٩ .

(٥) العِقد ، ٤ / ٣٩٣.

(٦) الطبري ، تاريخ ، ٦ / ١٨٨ .

(٧) البلاذري ، أنساب ، ٧ / ١٢٤ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٣ / ٤٠١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ / ١٧٩ .

ربه في روايته الثالثة [١] ، لكنهُ ذكر مع ذلكَ ان الحجاج عرضَ الامان على ابن الزبير حيث قال ما نصّه [٢]" فلما رأى ذلك ابن الزُّبير خرج إليهم بسيفه ، فقاتلهم حيناً. فناداه الحجّاج : ويلك يا بن ذات النَطاقين ! اقْبل الأمان وادْخل في طاعة أمير المؤمنين. فدخل على أمه أسماء، فقال لها: سمعتِ - رحمك الله - ما يقول القومُ وما يَدْعونني إليه من الأمان؟ قالت : سمعتُهم لعنهم الله ! فقال عبد الله: الحمد لله حمداً كثيراً، فما تأمريني به ، فإنهم قد أعْطوني الأمان ؟ قالت : أرى أن تموت كريماً ولا تتَّبع فاسقاً لئيماً ، وأن يكون آخر نهارك أكرمَ من أوله ".

تتفقُ هذهِ الرواية مع ما ذكرهُ ابن اعثم [٣] من ان عبد الملك بن مروان كتب كتاباً للحجاج يأمرهُ فيه ان يعرض على ابن الزبير الامان إن دخلَ في الطاعة وارى ان ابن الزبير رفضَ ذلك الامان لا بسبب معارضة امه ، وانما بسبب ما شاع عن عبد الملك من غدرهِ بأبن عمه عمرو بن سعيد الاشدق بعدَ ان اعطاه الامان ، لذا فان امان عبد الملك لا قيمة لهُ ، ومهما يكن من امر فقد بقيَ ابن الزبير في ثُلّةٍ قليلةٍ من اتباعه اذ سرعان ما تهاووا تحت ضربات جند الشام الذين اخذوا بجميع ابواب مكة فانهار بذلك خط الدفاع الاخير الذي اقامه ابن الزبير بإقامته المسالح على تلكَ الابواب

ذكرَ ابن عبد ربه في روايته الثانية ان ابن الزبير بعد ان خرج من عند امهِ اسماء اعتلى المنبر فخطبَ بمن كانَ معهُ خطبة اوصى بها اتباعه بأن يوطّنوا انفسهم للموت قتلاً على يدِ جند الشام ، ثم اوصاهم بأن يصون كل رجلٍ منهم سلاحهُ لقاتل بهِ حتى النهاية ، لذا فأن هذهِ الخطبة تعد بمثابة اقرار من ابن الزبير بنهايتهِ ، وقد اوردَت مجموعة من المصادر [٤] هذه الخطبة برواية محمد بن عمر الا انهُ ذكر في مقدمتها قول ابن الزبير (يا ال الزبير) ، وهذهِ اشارة الى ان اكثر من بقيَ معهُ كانَ من اهلهِ ثم انهُ نهضَ بهم الى القتال وكان ذلك بعد ادائهم لصلاة الصبح .

لم تتطرق روايات ابن عبد ربه الثلاث الى عدد من كان مع ابن الزبير في يومهِ الاخير ، ولكنَ ابن اعثم لم يغفل ذلك فذكرَ عدد اصحابه في اليوم الذي قُتِلَ فيه فقد كانوا ثلاثمائة رجلاً ، ثم صاروا سبعين ثم صاروا ثلاثين عند قتله ، اما طريقة قتلهِ فقد اختلفت روايات ابن عبد ربه الثلاث في كيفية ذلك ، ففي روايته الاولى ذكر ان حجراً من حجارة المنجنيق اصابت قفاه فسقط ، ولم يعرف جند الشام بذلكَ حتى ندبتهُ احدى جواريه ، بينما ذكرت الرواية الثانية انهُ سقطَ لما اعيتهُ

(١) العِقد ، ٤ / ٣٩٣ .

(٢) م . ن ، ٤ / ٣٩٥ .

(٣) الفتوح ، ٥ / ٣٣٩ .

(٤) ينظر: الطبري ، تاريخ ، ٦ / ١٩١ ؛ مسكويه ، تجارب الامم ، ٢ / ٢٤٧ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٤٠٤/٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ / ١٨٣ .

جراحاته ، فوقفَ عليهِ الحجاج فدعا بسيفهِ واحتزَ رأسهِ ، اما الرواية الثالثة[١] فقد ذكر فيها انهُ قاتلَ حتى قُتِلَ ، اما رواية الواقدي [٢] فقد ذكرت ان رجلاً رمى عبد الله بن الزبير بحجرٍ فأصاب جبينه فخر الى الارض ، ثم وثبَ عليهِ جند الشام فقتلوه وحزوا راسه ومضوا بهِ الى الحجاج ، وهذهِ الرواية قريبة جداً الى الواقع ، وقد اخذت بها العديد من المصادر [٣] .

من جهة اخرى لم تشر روايات ابن عبد ربه الثلاث الى اليوم الذي قُتِلَ فيه عبد الله بن الزبير ، ولكن بعض المصادر[٤] ذكرت انهُ كان يوم الثلاثاء في السابع عشر من شهر جمادي الاول سنة ثلاث وسبعون ، الا ان هناك من أعطي تاريخاً اخر لذلك [٥] ، وعلى اي حال ، فبعدَ تمكن الحجاج من القضاء على ابن الزبير بعثَ برأسهِ الى عبد الملك بن مروان مع رؤوس بعض اصحابه وهذا ما اشارت اليه العديد من المصادر [٦] ، الا ان ابن عبد ربه ذكر ان الحجاج لمّا تمكّن من ابن الزبير بعثَ برأسهِ ورأس عبد الله بن صفوان الى المدينة فنصّبوها للناس وجعلوا يقرّبون رأس عبد الله بن صفوان الى رأس ابن الزبير كأنهُ يسارّه ويلعبون بذلك ، ثم بعثَ برؤوسهم الى عبد الملك بن مروان ، ورغمَ انفراد ابن عبد ربه في ذكر ذلك الا انهُ جاء منسجماً جداً مع واقع الاحداث واطراف النزاع حينها فمن البديهي ان يقوم المنتصر بفعل اي شيء بعدوّهِ بعدَ ظفره بهِ ، وما دام ابن الزبير اعيا الحجاج كثيراً في الحرب ، ولم يتمكن منهُ الا بعد حصار ضربهُ على مكة دامَ شهوراً عدّة ، فهذا كافياً جداً لأن يقوم بأي عملٍ يكون الغرض منهُ التشفّي من ابن الزبير ، يضاف الى ذلك ان ابن

---

(١) العِقد ، ٤ / ٣٩٥ .

(٢) البلاذري ، انساب ٧ / ١٢٨ .

(٣) ينظر: ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ٢ / ٣٩ ؛ الدينوري ، الاخبار الطوال ، ٣١٥ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٢٦٧ ؛ ابن اعثم ، الفتوح،٥ / ٣٤٢ ؛ المسعودي ، مروج ، ٣ / ٤٣ ؛ مسكويه ، تجارب الامم ، ٢ / ٢٤٨ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٦ / ١٢٧ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٣ / ٤٠٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٤٨/١٢ .

(٤) ينظر: الطبري ، تاريخ ، ٦ / ١٩٣ ؛ مسكويه ، تجارب الامم، ٢ / ٢٤٨ ؛ ابن الاثير، الكامل،٤٠٥/٣.

(٥) ذكرت بعض المصادر ان قتلهِ كان في الثالث عشر من جمادي الاول سنة ثلاث وسبعين. ينظر : خليفة ، تاريخ ، ١ / ٢٩١ ؛ المسعودي ، مروج ، ٣ / ٤٤ .

(٦) ومن الذين تم حمل رؤوسهم مع رأس عبد الله بن الزبير كل من عبد الله بن صفوان و عمارة بن عمرو بن حزم و عبد الله بن مطيع . ينظر : ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ٢ / ٣٩ ؛ البلاذري ، انساب ، ٧ / ١٢٨ ؛ الدينوري ، الاخبار الطوال ، ٣١٥ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٢٦٧ ؛ الطبري، تاريخ ، ٦ / ١٩٢ ؛ ابن اعثم ، الفتوح،٥ / ٣٤٢ ؛ المسعودي ، مروج ، ٣ / ٤٤ ؛ مسكويه ، تجارب الامم ، ٢ / ٢٤٨ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٦ / ١٢٧ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٣ / ٤٠٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ / ١٤٨ .

الزبير كان في نظر الحجاج خارجاً عن السلطة وتلك الطريقة تُعد بنظره متماشية مع طبيعة الفعل الذي اقدم عليه ابن الزبير حتى يُعامل بتلك الطرقة .

انهى ابن عبد ربه حديثه عن حركة ابن الزبير بإيراده رواية [١]عن هشام بن عروة [٢]قال فيها ما نصّه :" قال عبد الله بن عباس للجائز به : جنّبني خشبة ابن الزبير . فلم يشعر ليلةً حتى عثر فيها فقال ما هذا ؟ فقال: خشبة ابن الزبير . فوقف ودعا له وقال : لئن علتك رجلاك لطالما وقفت عليهما في صلاتك . ثم قال لأصحابه : أما والله ما عرفتهُ الا صوّاماً قوّاماً ، ولكنني ما زلتُ أخاف عليه منذ رأيته ان تعجبهُ بغلات معاوية الشهب . قال : وكان معاوية قد حجّ فدخل المدينة وخلفه خمس عشرة بغلةٌ شهباء عليها رحائل الأُرجوان ، فيها الجواري عليهنّ الجلابيب و المعصفرات ، ففُتن الناس " . وهذه الرواية تشير بوضوح الى ان امر ابن الزبير كان مُفتضحاً ولعّل هذا ما يفسّر تفرّق الناس عنه بسرعة بمجرّد ان لاحت في الافق هزيمته ، وقد جرى ذكر هذه الرواية في العديد من المصادر[٣]، ولكن بطريقة اخرى ، فقد ذكرت تلك المصادر رواية عن عوانة بن الحكم قال فيها ما نصّه :" مر عبد الله بن عمر حين اخبر بصلب ابن الزبير فجعلت ناقته تحتك بخشبته أو قال بجذعه ورائحة المسك تسطع منه فقال : رحمك الله ابا خبيب والله لقد كنت صوّاماً قوّاماً ولكنك رفعت الدنيا فوق قدرها واعظمتها ولم تكن لذلك باهل ، وان قوماً انت من شرارهم لقوم صدقٍ اخيار " اما عبد الله بن عباس الذي زعم ابن عبد ربه [٤] انه وقف على جثة ابن الزبير فقد اتفقت

(١) العِقد ، ٤ / ٣٩٦ .

(٢) هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشي الاسدي ، كنيته ابا المنذر ، ولد بالمدينة سنة واحد وستون للهجرة وقيل انه ولد في الليلة التي قُتل في صبيحتها الحسين بن علي ، امه ام ولد كان ثقةً ثبتاً كثير الحديث وهو احد تابعي المدينة المشهورين المُكثرين في الحديث المعدودين من اكابر العلماء وجلّتهم وهو معدود في الطبقة الرابعة ، سمع عمّه عبد الله بن الزبير وابن عمر وجابر الانصاري وانس بن مالك وغيرهم واخذ عنه سفيان الثوري وابن عيينة والخرّاز وغيرهم كُر، وفد على المنصور ببغداد فاكرمه ومكث هناك حتى توفي سنة ست واربعين ومائة فصلّى عليه المنصور ودُفن في مقبرة الخيزران في الجانب الشرقي من بغداد وقيل في جانبها الغربي . ينظر: ابن سعد ، الطبقات ،٣٧٥/٥ ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ٢٢٣/١؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٨١/٦-٨٢ .

(٣) ينظر : البلاذري ، انساب ، ٧ / ١٢٩ ؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ٥ / ٣٤٣ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٣/ ٤٠٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ / ١٨٥ .

(٤) ارى ان التقصير يطال ابن عبد ربه لا هشام بن عروة ذلك كون الاخير من آل الزبير لذا فهو من اعرف الناس بكل ما يتعلق بتلك الحركة ونتائجها والشخصيات التي اشتركت فيها فمن غير المعقول ان يسقط بهذا الخطأ القاتل وهو الزبيري المكي المدني لذلك ارى ان المؤلف هو من يتحمل هذا التقصير كونه وقع في الكثير من الاخطاء المشابهة التي مرت بنا خلال فصول الدراسة .

اغلب المصادر [١] على انه مات في الطائف لما نفاه ابن الزبير اليها وذلك سنة ثمان وستين لذا تعد هذه الرواية غير دقيقة الى حدٍ بعيد كما انها من المآخذ التي تؤخذ على المؤلف الذي لم يتقن روايته الى الدرجة التي تعارض فيها مع الاجماع والمنطق .

اذاً فقد حاولَ ابن عبد ربه في مروياتهِ جميعها التي اوردها عن عبد الله بن الزبير واخيهِ مصعب ان يظهر بمظهر المؤرخ لا الاديب ، لكونهِ اسهبَ في ذكر تفاصيل هذهِ الحركة ، كما انهُ ركّز على احداثٍ تاريخية بحتة بعيداً عن الشعر الذي تعاطت معهُ مصادر ادبيةٍ اخرى كُتِبت للغرض نفسه ، كالكامل في اللغة للمُبرّد ، والاغاني للأصفهاني ، لذا فقد ابتعدَ المؤلف -في هذا الموضوع كثيراً عن شخصية الاديب ، كما انهُ حاول ايراد اكثر من رواية عن الحدث الواحد لكي يظهر بمظهر المستقصي للحقيقة وهذا ما تميزَ بهِ مؤرخو عصره كالبلاذري والطبري ، الا انهُ مع ذلكَ لم يتمكن من ايراد روايات رصينة تضاهي ما موجود لدى غيرهِ من مؤرخي عصره ، وربما سبب ذلكَ يعود اولاً الى كونهِ اديبُ لا مؤرخ من جهة ، ومن جهةٍ اخرى انهُ لم يغفل غرضهُ الاساس وهو البحث على عنصر الاثارة في رواياتهِ مضحّياً بالحقيقة التاريخية التي يمكن للمتتبع ان يستقيها من اي مصدرٍ اخر.

وارى انهُ بخصوص هذه الحركة فانهُ رغم تعدد روايات المؤلف للحدث الواحد فقد اغفل تعمّداً او سهواً احداثاً مهمة تخلّلتها مثل حركة التوابين التي كانت ذات تأثير مهم في مجمل الصراع ، ثم انهُ لم يحسم امر ابن الزبير بصحة خلافته ام لا ولو على المقاييس التي زعمَ فيها صحة خلافة يزيد بن معاوية كما نلاحظ ان المنهج التاريخي الذي لبس ابن عبد ربه عباءته قد افتقرَ الى اهم ركائزه وهو التاريخ المحدد المعين للواقعة التاريخية ، اما بصورة عامة فقد تناول المؤلف هذه الحركة كما تناول غيرها بالتنبؤات المسبقة وجر الاحداث لما يوافقها وهو امرُ يصاب فيهِ بمقتلٍ حينما لم يذكر مثلاً انباءً ستحدث فيما يلي عصره من احداث ، كذلك لم يستند منهج المؤلف بصورة عامة على التحليل المستقبلي واستنباط الاحداث فلم يذكر مثلاً لماذا لم تترك هذهِ المعارضة اي اثر مستقبلي رغم امتدادها الزمني الطويل ، في حين ترك غيرها من احداث – رغم امتدادها الزمني القصير – اثاراً مفصلية ادت لسقوط الدولة الاموية بمجملها فيما بعد بل اثرت في صياغة الوعي الاسلامي الى الان مثل حركة معارضة الحسين بن علي ، خصوصاً اذا ما علمنا ان ال الزبير بعد

(١) ينظر : خليفة ، طبقات ، ١ / ٥٠٧ ؛ البخاري ، الهداية والارشاد في معرفة اهل الثقة والسداد ، ١ / ٣٨٤ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ٢٠٧/٣ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٢٩ / ٢٨٥ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٦ / ٧٢ ؛ ابن الاثير ، اسد الغابة ، ٦٩٣ – ٦٩٤ .

هذه الحركة ، بل في عهد ابن عبد ربه نفسه يصح ان يقال لهم – قد اتى حين من الدهر كان ال الزبير فيه شيئا مذكورا .

وبعد انتهاء هذهِ الحركة لم يذكر المؤلف اي حركة اخرى حتى سنة (٨١ هـ / ٧٠١ م) ، وهي السنة التي ظهرت بها حركة ابن الاشعث لذا يمكن القول ان المؤلف لم يغطِ الاحداث السياسية جميعها بما فيها حركات المعارضة التي جرت خلال خلافة عبد الملك بن مروان ، وانما اتبع معها منهجية انتقائية بحتة .

المبحث الرابع
حركات معارضة الخوارج

حظيت حركات الخوارج باهتمام الباحثين في التاريخ الاسلامي منذُ سنوات طويلة فقد كانت تلك الحركات بيئة خصبة لاستقبال الكثير من النظريات التي وصفتها بانها حركات اشتراكية تارة وعقائدية تارة اخرى[١] ، لذا فقد اشبع هذا الموضوع بحثاً من جوانبه جميعها ولسنا هنا بصدد تقديم وجهات نظرٍ جديدة بشأن تلك الحركات وانما تقييم المادة التاريخية التي قدمها ابن عبد ربه عنها بشكلٍ مستقل عن باقي موضوعات كتابه .

امتازت المادة التي قدمها ابن عبد ربه عن الحركات الخارجية بميزتين ، الاولى ان اغلب مروياتهِ عن تلك الحركة كانت غير مسندة ، والاخرى هو ان اغلبها كانت تدور حول شخصية معينة وهي اما خارجية او اخرى تمثل جانب السلطة مع اختفاء عنصري الزمان والمكان ، ولكن مع ذلك كان لتلكَ المرويات امتداد في المصادر الاخرى وخاصة عند الطبري الذي اعتمدَ في مروياتهِ بشكلٍ اساس على ابي مخنف والمبرد المعروف بميولهِ الخارجية يضاف الى ذلك العديد من المصادر الاخرى التي جرى فيها ذكر روايات مقاربة .

خصصَ ابن عبد ربه في احدى رواياته للحديث عن فرق الخوارج فقال ما نصه[٢] : " افترقت الخوارج على أربعة أضرب: الإباضية، أصحاب عبد اللهّ بن إباض؟ والصُّفرية، واختلفوا في نَسبهم، فقال قوم: سُمُّوا بابن الصفار، وقال قوم: نهكتهم العبادة فاصفرّت وجوهُهم، ومنهم البَيْهسية ، وهم أصحاب ابن بَيْهس؟ ومنهم الأزارقة أصحاب نافع بن الأزرق الحنفي، وكانوا قبلُ على رَأْيٍ واحد لا يختلفون إلا في الشيء الشاذّ " .

اشارت هذه الرواية الى ابرز فرق الخوارج التي ظهرت في القرن الاول الهجري مع ذكر اسماء قادة تلك الفرق التي تسمّت بأسمائهم ، لكنها في الوقت نفسه لم تعطِ سبباً لهذا الافتراق ، كما انها لم تحدد ما اذا كان قد جرى في وقتٍ واحد ام في اوقاتٍ متباينة ، علماً ان المبرد [٣] اوردَ رواية مطابقة لهذهِ الرواية لذا فقد يكون هو المورد الذي استقى منهُ ابن عبد ربه روايته .

(١) البكاي ، لطيفة، حركات الخوارج ، ٧ .

(٢) العِقد ، ٢ / ٣٣٢ .

(٣) الكامل في اللغة ، ٣ / ٢٠١ .

تعد رواية ابي مخنف التي اوردها الطبري [١] من ابرز الروايات التي ذكرت اسماء مؤسسي الفرق الخارجية كنافع بن الازرق [٢]، وحنظلة بن بيهس[٣] وعبد الله بن الصفار [٤] و عبد الله بن اباض[٥]، ونجدة بن عامر [٦]، كما ان تلكَ الرواية قد ذكرت ان سبب الانقسام كان تحديد موقف المخالفين من الخوارج والحكم عليهم ان سبب الافتراق كان عقائدياً بحتاً .

اما المبرد [٧] فعلى الرغم من اتفاقهِ مع رواية ابي مخنف في روايتهِ بأنَ سبب الخلاف هو الموقف من المخالفين ، الا انهُ يرى ان هذا الخلاف ادى الى ظهور ثلاث فرقٍ خارجية وهيَ الازارقة والبيهسية و الاباضية ، اما الصفرية والنجدية [٨] فكانوا حتى ذلكَ الوقت يأخذون برأي ابن اباض ، ويتفق الاشعري [٩] مع المبرد في ذلكَ الرأي ، اما البغدادي [١٠] فيضيف الى المجموع المحكمة الاولى ولعلهُ يقصدُ بهم اسلاف الخوارج الذينَ انشقوا عن معسكر علي بن ابي طالب .

(١) تاريخ ، ٥ / ٥٦٦ .

(٢) هو ابو راشد نافع بن الازرق الحنفي من ربيعة ، اول امراء الخوارج ، بايعهُ الخوارج ولقبوه امير المؤمنين ، قُتِلَ في معركة دولاب سنة خمس وستين . ينظر : الشهرستاني ، الملل والنحل ، ١ /١٣٧ ؛ البغدادي ، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، ١ / ٦٤ .

(٣) هو حنظلة بن بيهس بن عمرو ، وقيلَ ان اسمهُ هيضم بن جابر من بني سعد بن ضبيعة بن قيس ، واليهِ تنسب الفرقة البيهسية . ينظر : ابن قتيبة ، المعارف ، ١ /٦٢٢ ؛ الشهرستاني ، الملل والنحل ، ١ /١٢٤ .

(٤) وقيلَ زياد بن الصفار . لم اعثر له على ترجمة في كتب التراجم ، كما ذكر البعض ان التسمية اطلقت عليهم بسبب اصفرار وجوههم من العبادة . ينظر : ابن قتيبة ، المعارف ، ١ /٥٩٧ ؛ البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ٢٢٢/٣ .

(٥) هو عبد الله بن اباض بن مرة بن عبيد واليه تنسب الفرقة الاباضية . ينظر : المبرد ، الكامل ، ٣ / ٢١١ .

(٦) هو نجدة بن عامر بن عبد الله بن سيار بن المطرح بن ربيعة بن الحرث بن عبد الحارث بن عدي بن حنيفة الخارجي واليه تنسب الفرقة النجدية ، قيل انه ولد سنة ست وثلاثين وبويع سنة ست وستين وهو ابن ثلاثين سنة ، استطاع خلال سنوات معدودة من بسط نفوذه على عمان والبحرين ونجد واجزاء كبيرة من جزيرة العرب ،الا ان حركته اصابها الوهن بعد ان تفرق عنه اتباعه ،الذين انتخبوا ابا فديك بدلاً عنه ، ثم ما لبثوا ان جرّموه وحكموا بجواز قتله ففر منهم الا انهم تمكنوا منه وقتلوه سنة اثنين وسبعين. ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ١/ ٣١٠ ؛ ابن الاثير ، الكامل ،٣٩٥/٣.

(٧) الكامل في اللغة ، ٣ / ٢٠١ .

(٨) هم اتباع نجدة بن عامر .

(٩) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، ١ / ٢٧ - ٢٩ .

(١٠) الفرق بين الفرق ، ١ / ١٠ .

تعد مسألة الظهور المفاجئ لجميع تلكَ الفرق في زمنٍ واحد امراً يبعثُ على الشك اذ لابدَ ان يكون هنالكَ فاصل زمني بينَ فرقةٍ واخرى ، ولعلَ هذا ما دفعَ فلهاوزن[١] الى التشكيك برواية ابي مخنف ، ولكن مع ذلك تتفق اغلب المصادر التاريخية على ان المرحلة التاريخية التي اعقبت وفاة يزيد بن معاوية هي البداية الفعلية لظهور فرقة الازارقة ، وهي من اكثر الفرق الخارجية اتباعاً كما تعد الفرقة الاولى من حيث الظهور ، اما باقي الفرق فقد تلى ظهورها تلكَ الفرقة ، ولكن دون معرفة المرحلة الزمنية لظهور كل فرقة ، ولعل السبب في ذلك يعود الى المصادر التاريخية المتقدمة التي تناولت موضوع الخوارج بالتركيز على نشاطاتهم العسكرية فقط ، اما آراؤهم العقائدية فقد تناولتها كتب الفرق فيما بعد [٢] ، وبالعودة الى رواية ابن عبد ربه فقد انتفت منها تفاصيل كثيرة كان يمكن الاستفادة منها في التعرف على تفاصيل تلكَ الحركات واكتفى المؤلف بذكر اسماء تلك الفرق واسماء اصحابها دون التطرق الى اسباب الافتراق ، او حتى الافكار العقائدية لكلٍ منها .

اما بالنسبة لأشهر حركات الخوارج فلم يذكر ابن عبد ربه الا روايات معدودة على الاصابع كان من بينها رواية عن حصار الخوارج للبصرة ، ورواية اخرى عن حصارهم لأصبهان ، فبالنسبة الى حصار الخوارج للبصرة فقد ذكر ابن عبد ربه في رواية غير مسندة قال فيها ما نصه[٣] : " ولما خرجت الأزارقة على أهل البصرة لاقاهم حارثة بن بدر، وتولى حربهم في أصحابه في فرسانٍ من بني يربوع، حتى أصيب في تلك الحروب. وقال فيه الشاعر:

فلولا ابن بدر للعراقين لم يقم ... لما قام فيه للعراقين إنسانِ

إذا قيل من حامي الحقيقة أو مأت ... إليه معد بالأكف وقحطانِ " .

بالرغم من اشارة هذهِ الرواية الى حصار الخوارج لأهل البصرة – وفق العنوان الذي ذكرهُ ابن عبد ربه على الرواية – الا ان مضمون الرواية لا يوحي بذلكَ فالرواية تتحدث بشكلٍ صريح عن قتالٍ دار بينَ الازارقة وحارثة بن بدر[٤] ومعهُ الجيش الذي بعثهُ عبد الله بن الزبير لقتال

(١)احزاب المعارضة السياسية في صدر الاسلام ، ٦٦ .

(2) E.J. Brill's First Encyclopaedia of Islam , P. 265 .

(٣) العِقد ، ٦ / ٣٨٤ .

(٤) هو حارثة بن بدر بن ربيعة بن بدر بن سيف بن جارية بن سليط بن الحارث بن يربوع التميمي ، كان احد ندماء زياد بن ابيه ولهُ اشعار في الخمر ، قُتِلَ غرقاً في معركةِ دولاب سنة خمس وستين للهجرة . ينظر : البلاذري ، انساب ، ٧ / ١٤٩ .

الخوارج وجلهم من اهل البصرة ، وكانَ اميرهم وفقاً لرواية ابي مخنف [١] هو عمر بن عبيد الله بن معمر الذي بعثَ اخاهُ عثمان في سبعةِ الاف من اهل البصرة فلقيهم بدولاب [٢] فقتلَ عثمان وانهزم جيشه ، ثم خرج من البصرة جيش اخر وتعدادهُ عشرة الاف وعليهم مسلم بن عبيس بن كريز فقُتِلَ ، فخلفهُ ربيع بن عمر الغداني فقُتِلَ ، وعندها اخذَ الراية حارثة بن بدر ، فبينما هوَ يقاتل ويحمي مؤخرة الجيش الذي بدت عليه علامات الهزيمة اذ ابصرَ خيلُ قد اقبلت من جهة اليمامة مدداً للخوارج ، فانهزم حارثة بن بدر وعدلَ الى نهر تيري [٣] وقد غرقَ من جيشهِ خلقُ كثير .

اما المبرد فيذكر ان اهل البصرة خرجوا الى قتال الخوارج في دولاب وعليهم حارثة بن بدر ثم كتبوا لعبد الله بن الزبير في ذلكَ فجعلَ عليهم عمر بن عبيد الله بن معمر الذي بعثَ اخاه عثمان وكانَ مستهزئً بالخوارج رغم تحذير حارثة بن بدرٍ لهُ فقُتِلَ بعد ان انصرف عنهُ حارثة واعتزلَ بقومهِ ، ثم أخذَ حارثة الراية عنهُ ، وبسبب ذلك عزل عبد الله بن الزبير عمر بن عبيد الله وولى الحارث بن عبد الله بن ابي ربيعة المخزومي ، فكتبَ لهُ حارثة بن بدر يسألهُ المدد . وبالرغم من اتفاق بعض المصادر على تلكَ المعلومات الا انها لم تحدد نهاية حارثة ، ولكنَ هناك اشارات وردت في بعض الروايات تحدثت عن موته منها خطبة للمهلب بن ابي صفرة [٤] يحثُ قومه على قتال الخوارج في اقاب تلك المعركة قال فيها [٥] : " قاتلوهم على ما قاتل عليه أولهم علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، فقد لقيهم قبلكم الصابر المحتسب مسلم بن عبيس، والعجل المفرط عثمان بن عبيد الله، والمعصي المخالف حارثة بن بدر، فقتلوا جميعاً وقتلوا " . لذا فان الحارث قُتِلَ في تلكَ المعركة ولكن لم تذكر بقية المصادر الطريقة التي قتل فيها ، وقد يكون حارثة قد غرقَ مع اصحابه عند انسحاب جيشهِ من المعركة .

(١) الطبري ، تاريخ ، ٥ / ٦١٣ - ٦١٤ .

(٢)وهيَ قرية دون سوق الاهواز . ينظر: البلاذري ، انساب ، ٧ / ١٤٩ ؛ الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ٢٦٤.

(٣) هو نهرُ من انهار الاهواز وقيلَ انهُ اكبر انهارها . ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ١ / ٥٨٣ ؛ الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ٦٦ .

(٤) هو المهلب بن ظالم بن سراق الازدي العتكي البصرة ، اسلم ابوه المكنى ابو صفره على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) ولم يفد عليه ووفد على عمر بن الخطاب في عشرة من ولدهِ كان المهلب اصغرهم ، عدهُ جماعة من التابعين . توفيَ في مرو الروذ سنة ثلاثُ وثمانين للهجرة ولهُ ستُ وسبعين سنة . ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٤ /٤٩١.

(٥) المبرد ، الكامل في اللغة والادب ، ٣ / ٣٢٢ .

اما بالنسبة الى رواية ابن عبد ربه فهناكَ تطابقُ كبير بينَ روايتهِ ورواية المبرد ، ولعلهُ اطلعَ عليها لكنهُ مع ذلكَ تحدث عن معركة دولاب لا تفاصيلها ، وانما شذَ بها الى الدرجة التي لم يبقَ منها سوى ذكر الحارثة بن بدر ، وقد فعلَ الشيء نفسه في الابيات الشعرية فقد ذكرها المبرد ، ولكنهُ قدم عليها ثلاثُةَ ابيات قال فيها :

"مضى ابن عبيس صابراً غير عاجز ... وأعقبنا هذا الحجازي عثمانِ
فأرعد من قبل اللقاء ابن معمر ... وأبرق والبرق اليماني خوانِ
فضحت قريشاً غثها وسمينها ... وقيل بنو تيم بن مرة عزلانِ " .

وارى ان ابن عبد ربه حاول بتشذيبهِ هذا تقديم مادةٍ جيدةٍ تخصُ حارثة بن بدر ودورهُ في معركة دولاب ، ذلكَ الدور الذي بدا في باقي المصادر الاخرى غير واضح وتنتابهُ الضبابية والغموض .

اما الرواية الثانية [١] التي ساقها ابن عبد ربه عن تحركات الخوارج العسكرية فهيَ الرواية التي تحدثَ فيها عن حصارهم لأصبهان[٢] ، وهي رواية مطولة ذكرَ فيها ان ذلكَ الحصار دامَ سبعة اشهر ، وكان على اصبهان عتاب بن ورقاء [٣] الذي كان كلَ يوم يخرج اليهم فيقاتلهم ، فلما طالَ الحصار ونفذَ ما عندَ عتاب بن ورقاء من مؤن نادى اصحابه فاجتمعوا عنده ، فخطبهم محبباً لهم الشهادة ، ثم صلى الصبح بأصحابه ونصبَ لهم لواءين الاول لجارية عنده اسمها ياسمين والثاني له ثم قال : من اراد البقاء فليلحق بلواء ياسمين ومن ارادَ الجهاد فليلحق بلوائي ثم خرجَ في الفين وسبعمائة فلم يشعر بهم الخوارج حتى خالطوهم في معسكرهم فاكثروا فيهم القتل حتى قتلوا اميرهم الزبير بن علي [٤] ، ثم انهزمت الخوارج فلم يتبعهم عتاب .

---

(١) العِقد ، ١ / ٢٢٣ – ٢٢٤ .

(٢) اصبهان مدينة كبيرة في بلاد فارس تقع في اقليم الجبل وتعني بالفارسية بلد الفرسان . تضم عدداً كبيراً من الكور المشتهرة ببساتينها التي تنتج الفواكه على مختلف انواعها . ينظر : ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ١/ ١٢١؛ الحموي ، معجم البلدان ، ١/ ٢٠٦ .

(٣) هو عتاب بن ورقاء بن عمرو بن همام التميمي الرياحي . ولاه مصعب على اصبهان ثم عزلهُ فحنقَ عليه ، ثمَ كاتبَ عبد الملك بن مروان واشترطَ عليه ولاية اصبهان ، فلما التقت جموع عبد الملك بجموع ابن الزبير مال بأصحابه وكانَ على خيل الكوفة ن فأقطعهُ عبد الملك اصبهان . قتلهُ شبيب الخارجي سنة واحد وثمانين للهجرة . ينظر : البلاذري ، انساب ،٦٨/٧ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ٢ / ٣٧٩ .

(٤) هو الزبير بن علي بن الماحوز ، تسلمَ امرة الخوارج بعد مقتل نافع بن الازرق في معركة دولاب ، وسلمَ عليهِ الخوارج بأمرة المؤمنين ، قُتِلَ في حصار اصبهان سنة اثنان وسبعين للهجرة . ينظر : الطبري ، تاريخ ، ٦ / ١٢١ – ١٢٧ .

اوردَ الطبري رواية عن ابي مخنف [١] جاءت بتفصيلٍ اكثر من رواية ابن عبد ربه ، فقد ذكر ابو مخنف ان الخوارج الذين حاصروا اصبهان انما هربوا من الكوفة بعدَ ان خرجَ لهم عبد الرحمن بن مخنف في ستة الاف فهبطوا على اصبهان ، فحصروا عتاب بن ورقاء فيها ، وكانت اصبهان يومئذٍ تحت نفوذ ابن الزبير ، كما انهُ ذكرَ ان الخوارجَ بلغوا باب المدينة فكان عتاب يقاتلهم على بابها كلُ يومٍ تقريباً واصحابهُ يرشقونهم من اعلى السور بالسهام والحجارة وقد ذكر خطبة عتاب وتشجيعهُ لأصحابهِ على الجهاد فبكرَ بهم الى معسكر الازارقة مباغتاً لهم فتمكنَ من الفتك بهم وقتل اميرهم الزبير بن علي بن الماحوز ، ثم انهُ غنمَ من عسكرهم واقفل راجعاً الى مدينته ، كما انهُ يكمل روايتهِ عن الخوارج فيذكر ان الخوارج امروا عليهم قطري بن الفجاءة [٢] بعد مقتل ابن الماحوز ، الا ان قطري قرر فجأة التخلي عن اصبهان والنزول الى كرمان .

والحقيقة ان رواية ابي مخنف هذهِ تعد رواية مفصلة الى حدٍ بعيد فقد اعطت سبب مقدم الخوارج الى اصبهان ، كما انها ذكرت اسمَ من تزعمهم بعدَ ابن الماحوز وهذهِ تفاصيل دقيقة لم تذكرها رواية ابن عبد ربه التي اقتصرت على ذكرِ نتيجة ذلكَ الحصار ، وقد اوردت بعض المصادر [٣] نفس رواية ابي مخنف لذا فإني ارى ان رواية ابن عبد ربه جاءت قريبة جداً لرواية ابي مخنف ن الا انها اختلفت عنها في تفاصيل دقيقة كانَ سببها المنهجية التي اتبعها ابن عبد ربه القائمة على اساس الاختصار .

وفي الحقيقة ان مذهب الخوارج رغم كونهِ مذهب سياسي الا انهُ كذلكَ يهدف الى تقويم الفرد وفقاً لأوامر الله ونواهيه بشكلٍ صارم ، كما ان سياستهم ليست موجهة نحو اهداف يمكن تحقيقها ، فضلاً عن كونها منافية للمدنية ، لكونهم حريصين على تطبيق العدالة – من وجهةِ نظرهم – ولو فنيت الدنيا وهو امرُ لم يكونوا يجهلونهُ اذ لم يكونوا يعتقدون بانتصار مبادئهم على الارض ، وانما يرضون بأن يموتوا مجاهدين أي انهم يبيعون حياتهم ويحملون انفسهم على سوقِ ثمن

(١) تاريخ ، ٦ / ١٢٥ – ١٢٧ .

(٢) هو قطري بن الفجاءة ، واسم الفجاءة مازن بن زياد بن يزيد بن حتثر بن حرقوص بن مازن بن مالك التميمي ، ويقال ان اسمهُ جعونة . تسلمَ امرة الخوارج وادعى الخلافة بعدَ مقتل ابن الماحوز ، وظلَ يقاتل عشرين سنة . قُتِلَ زمن الحجاج في حملة سفيان بن الابرد الكلبي سنة ثمانُ وسبعين . ينظر : ابن قتيبة ، المعارف ، ١ / ٤١١ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٦ / ٣٠٨ .

(٣) ينظر : البلاذري ، انساب ، ٧ / ١٦٩ ؛ المبرد ، الكامل في اللغة ، ٣ / ٢٤٣ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٣ / ٣٤٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ / ٧٥ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ١٨٦/٣ .

ارواحهم [١] ، وقد اطلقوا على انفسهم لقب الشراة اي الذين ابتاعوا اروحهم وأنفسهم بأن لهم الجنة حسبما زعموا .

ان الاسباب السابقة الذكر جعلت من قتال الخوارج امرُ ليس بالهين ولا بالبسيط على الاطلاق اذ لابدَ لمن ارادَ هزيمتهم والانتصار عليهم ان يفكرَ ملياً قبل الاقدام على اي خطوةٍ في ذلكَ السبيل ، وهذا ما فعلهُ المهلب الذي اشتهر بقتال الخوارج ، حتى وصفهُ المبرد بقوله [٢] : " كانَ المهلب كثير الحرب معَ الخوارج لا يملُ ولا يضجر حتى انهُ لم يتكل في الحراسة على احد " ، كما ان المهلب لم يتعجل في قتالهم بل كانَ يمكثُ طويلاً حتى يرى فرصةً سانحةً للهجوم فيهجم ، وهو اثناء ذلكَ كله يحاول تقييم وضعهم في كلِ يومٍ مع اتقانهُ اسلوب المكر والخديعة .

اوردَ ابن عبد ربه رواية غير مسندة ذكرَ فيها كتابُ للحجاج بن يوسف الثقفي يحثُ فيها المهلب بن ابي صفرة على حربه للخوارج يقولُ فيها ما نصهُ [٣] :" وكتبَ الحجاج للمهلب يستعجلهُ في حرب الازارقة فكتب المهلب اليهِ ان منَ البلية ان يكون الرأي بينَ من يملكهُ دونَ من يبصره " . وهذهِ الرواية تؤكدُ ما ذكرناه من المهلب كان لا يستعجلُ في حرب الخوارج على العكس من غيرهِ ممن كانوا يمتلكون القرار دونَ رؤيةٍ واضحةٍ لحقيقة الامور في الميدان ، وقد اورد المبرد رواية قريبة من رواية ابن عبد ربه قالَ فيها [٤] : " وجه الحجاج الجراح بن عبد الله إلى المهلب يستبطئه في مناجزة القوم، وكتب إليه: أما بعد، فإنك جبيت الخراج بالعلل، وتحصنت بالخنادق، وطاولت القوم وأنت أعز ناصراً، وأكثر عدداً، وما أظن بك مع هذا معصية ولا جبناً، ولكنك اتخذت أكلاً ، وكان بقاؤهم أيسر عليك من قتالهم، فناجزهم وإلا أنكرتني، والسلام. فقال المهلب للجراح: يا أبا عقبة، والله ما تركت حيلة إلا احتلتها، ولا مكيدة إلا أعملتها، وما العجب من إبطاء النصر وتراخي الظفر، ولكن العجب أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره ! " .

ان التطابق الكبير في الروايتين يدفعني للقول ان ابن عبد ربه قد اطلعَ على هذهِ الرواية فنقلها عن المبرد مع تشذيبٍ يتفقُ معَ المنهجية التي اتبعها في هذا الكتاب .

وبمناسبة الحديث عن الجرأة والشجاعة التي ابداها الخوارج في حروبهم فقد اوردَ ابن عبد ربه روايتين ذكرَ فيهما فرار بعض الامراء من قتالهم ففي الرواية الاولى ذكرَ فرار عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث التي قال فيها ما نصه [٥] : "ومن الفرارين: عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث،

(١) فلهاوزن ، احزاب المعارضة السياسية في صدر الاسلام ، ٣٣ .
(٢) الكامل في اللغة ، ٣ / ٢٦٦ .
(٣) العِقد ، ١ / ١٣٩ .
(٤) الكامل في اللغة ، ٢٦٨/٣ .
(٥) العِقد ، ١ / ١٥٥ .

فر من الأزارقة وكان في عشرة آلاف، وكان قد بعث إليه المهلب: يا بن أخي، خندق على نفسك وعلى أصحابك فإني عالم بأمر الخوارج ولا تغتر. فبعث إليه: أنا أعلم بهم منك، وهم أهون علي من ضرطة الجمل. فبيته قطري صاحب الأزارقة ، فقتل من أصحابه خمسمائة وفر لا يلو على أحد. فقال فيه الشاعر:

تركت ولداننا تدمى نحورهم ... وجئت منهزماً يا ضرطة الجمل".

تحدثت هذهِ الرواية عن فرار عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث [١]من الازارقة بعدَ استخفافهِ بهم وعدم سماعهِ لنصيحة المهلب الذي جربهم وعرفَ طريقةَ قتالهم ، ولكن لا يوجد ما يؤيد هذهِ الرواية في المصادر الاخرى ، فعلى الرغم من ايراد الطبري رواية عن ابي مخنف [٢] ذكرَ فيها ان امر الخوارج قد استفحلَ في الاهواز ن فكتبَ عبد الملك الى عاملهِ على البصرة خالد بن عبد الله بالنهوض اليهم وسرحَ اليه بخمسة الاف رجلٍ ، كما كتبَ الى اخيهِ بشر بن مروان عاملهُ على الكوفةِ ان يبعث عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث في خمسةِ الافٍ ايضاً ، فلما توافد الجمعان في الاهواز مر المهلب بن ابي صفرة على عبد الرحمن بن محمد فوجدهُ في ارضٍ مكشوفة فنصحهُ ان يُخندق على اصحابهِ ، فأجابهُ عبد الرحمن بانهم اهون عليهِ من ضرطة الجمل فوقفَ المهلب مكانهُ وقال : لا ابرح حتى تخندق ففعل ، ثمَ دارت الحرب عشرينَ ليلة حتى انهكت الازارقة كثرة جيوش الخلافة فولوا وهم يدركون ان لا طاقةَ لهم بجيشِ خالد .

وطبقاً لرواية ابي مخنف فلم يكن هناكَ انهزام لجيش الخلافة بل حصلَ العكس اذ انتهت المعركة بانهزام الخوارج ، اما عبد الرحمن فقد خرجَ من الكوفة بخمسة الاف مقاتل لا بعشرة كما ذكر ابن عبد ربه ، كما انهُ ووفقاً لرواية ابي مخنف اخذَ بنصيحة المهلب لكون الاخير رفضَ ان يبرح عن مكانهِ ، الا ان يخندق عبد الرحمن على عسكرهِ ففعلَ عبد الرحمن ، اما بالنسبة الى البيت

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن قيس بن الاشعث بن قيس الكندي الكوفي . أمهُ ام عمران بن سعيد بن قيس الهمداني ، كان ابوه زعيم قبيلة كندة في الكوفة و قتلهُ المختار في معركة المذار سنة سبع وستين ، فتولى عبد ابنهُ عبد الرحمن زعامة كندة ، وقد اشار على مصعب بن الزبير بقتل اسرى الموالي من اتباع المختار والذين كان عددهم ستة الاف ثأراً لأبيه ، لكنهُ بعد ذلك خذلَ مصعب في قتالهِ مع عبد الملك بن مروان في معركة دير الجاثليق فأكرمهُ عبد الملك بجعلهِ اميراً على جند الكوفة الا ان علاقتهُ بوالي الكوفة الحجاج بن يوسف لم تكن على ما يرام فكانت سبباً مباشراً في خروجه على السلطة فدخل بصدامات عسكرية متعددة معها حتى تمكن الحجاج اخيراً من تفريق اتباعه وحاول القاء القبض عليهِ في زابلستان فاقدم على الانتحار سنة خمس وثمانين ، ابن اعثم ، الفتوح ، ٧ / ٧٢ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ /٣٥٦.

(٢) تاريخ ، ٦ / ١٧١ - ١٧٢ .

الشعري فقد ذكر ابو مخنف ان الخوارج لما نمى اليهم قولُ عبد الرحمن يصفهم بـ(ضرطة الجملِ) قال شاعرهم :

يا طالب الحق لا تستهو بالأمل ... فإن من دون ما تهوى مدى الاجل
واعمل لربك واسأله مثوبته ... فان تقواه فاعلم أفضل العمل
واغز المخانيث في الماذى معلمة ... كيما تصبح غدوا ضرطة الجملِ

وعلى الرغم من اشتمال البيت الاخير على محل الشاهد الا ان موضوع الابيات مختلف تماماً عما اوردهُ ابن عبد ربه ، وقد وردَ ذكر هذهِ الرواية في العديد من المصادر [١] ، اما المبرد [٢] فقد ذكر ان تلكَ الحادثة وقعت بينَ المهلب وعبد الرحمن بن مخنف [٣] في معركة كازارون [٤] ، وسبب ذلك ان ابن مخنف لم يخندق على نفسه لما بدا القتال مع الخوارج معللاً ذلكَ بان معهُ فرسان المصر ، كما ان ولدهُ جعفر اجابَ المهلب بقولهِ هم اهون علينا من ضرطة الجملِ ، فباغتهم الخوارج فَقُتِلَ في ذلكَ اليوم عبد الرحمن بن مخنف في سبعين من القراء وتفرق جنده ، فتداركَ المهلب الامر وضمَ الفل الى جنده وكانَ فيهم جعفر بن عبد الرحمن بن مخنف فلقيهم احد البصريين يسخرُ من جعفر فقال :

تركتَ اصحابنا تدمى نحورهمُ ... وجئتَ تسعى الينا خفضةَ الجملِ

وهذهِ الرواية اكثرُ اقناعاً وتطابقاً مع رواية ابن عبد ربه من رواية ابي مخنف لكون ان هنالكَ ما يؤيدها في بعضِ المصادر[٥] ، فقد قُتِلَ ابن مخنف في يومِ كازرون ، كما ان ذلكَ اليوم كانَ فيهِ جولة للخوارج جعلت المهلب يغير خطتهُ فيتخذُ موقفاً دفاعياً اكثرُ منهُ هجومياً ، ولعلَ ابن عبد ربه اطلعَ على هذهِ الرواية فحاولَ ايرادها ولكن التبسَ عليهِ الامر فذكرَ اسم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بدلاً من عبد الرحمن بن مخنف ، وهذا تخليطٌ كبيرُ وقعَ فيهِ المؤلف .

(١) ينظر: البلاذري ، انساب ، ٧ / ٤٢٦ ؛ المبرد ، الكامل في اللغة ، ٣ / ٢٥٠ - ٢٥١ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٣ / ٣٩٤ - ٣٩٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ / ١٩٣ .

(٢) الكامل في اللغة ، ٣ / ٢٦٣ - ٢٦٥ .

(٣) لم اعثر لهُ على ترجمة فيما تيسر لي من مصادر.

(٤) كازرون : مدينة في بلاد فارس بين البحر وشيراز ولها ذكرُ في اخبار الخوارج والمهلب. ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ٤ / ٤٣٠ .

(٥) ينظر: البلاذري ، انساب ، ٧ / ٤٢٦ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٣ / ٣٦٣ – ٣٦٤ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ،٢٧/٣.

اما رواية ابن عبد ربه الثانية فقد خصصها للحديث عن فرار امية بن عبد الله بن خالد بن اسيد [١] فقال فيها ما نصهُ [٢] : " ومن الفرارين امية بن عبد الله ... وفيهِ يقول الشاعر : ا

ذا صوت العصفور طارَ فؤادهُ ... وليثُ حديد الناب عندَ الثرائدِ ".

تشير الرواية الى انكسار مروع تعرضَ لها جيش امية بن عبد الله على يدِ ابي فديك [٣] الخارجي ، وقد اكدت المصادر تلكَ الحادثة ، فقد ذكرَ البلاذري من غير رواية ان زياد استعملهُ على السوس ، ثم على الابلة وكور دجلة ثمَ وجههُ الى ابي فديك بالبحرين ففرَ امية وفي ذلكَ يقول الفرزدق :

جاءوا على الريح او طاروا باجنحةٍ ... ساروا ثلاثاً الى الجلحاء من هجرا

اما الطبري [٤] فيذكرُ تلكَ الحادثة - من غير سندٍ – في مستهلِ حوادث سنة اثنتين وسبعين ، وكذلكَ تمَ ذكرها في بعض المصادر المتأخرة [٥] . وارى ان تلكَ الحادثة مشهورة لدرجة انها لم تحتاج الى سندٍ لدى الطبري ، ولا لدى غيره وقد يكون سبب ذلك هو انها حازت اهتمام الشعراء الذينَ نظموا فيها الاشعار .

(١) هو امية بن خالد بن اسيد وكنيتهُ ابو عبد الله كانَ يعدُ من اجوادِ اهل البصرة زوجهُ زياد بن ابيه من اختهِ رملة وظلَ حتى سنة واحدُ وثمانين للهجرة حيثُ ماتَ بدمشق وصلى عليه عبد الملك بن مروان . ينظر : البلاذري ، انساب ، ٥ / ٤٥٩ .

(٢) العِقد ، ١ / ١٥٥ - ١٥٦ .

(٣) هو ابو محمد عبد الله بن ثور بن سلمة من بني سعد بن قيس بن بكر بن وائل ، خرجَ زمن ابن الزبير في البحرين ، ثمَ بسطَ نفوذهِ على نجدٍ واليمامة قتلِ سنة ثلاث وسبعين . ينظر : ابن سعد، الطبقات،١٣٢/٥.

(٤) تاريخ ، ٦ / ١٧٤ .

(٥) ينظر: ابن الجوزي ، المنتظم ، ٦ / ١١٩ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٣ / ٣٩٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ / ١٦٤ .

المبحث الخامس
حركات المعارضة السياسية من سنة (٨١ /٧٠١ م –حتى نهاية الدولة الاموية)

بالرغم من طول المدة الزمنية التي يغطيها هذا المبحث الا انهُ لا يتضمن الا حركات قلائل من حركات المعارضة ، والسبب في ذلك يعود الى ان المؤلف لم يعطِ –بالجملة- الا مادةٍ قليلة عن تلك المرحلة الزمنية وما اشتملت عليه من حركات معارضة للسلطة التي لم يذكر منها سوى حركات ثلاث هي :-

أ- حركة عبد الرحمن بن الاشعث (٨١ /٧٠١ م).

ما ان كان العراق والاقاليم الشرقية يهدأ من حركة الخوارج حتى دهمتهُ ثورة عنيفة كادت ان تطيح بالدولة الاموية وتقوض نفوذها ، تلك هيَ حركة عبد الرحمن بن الاشعث التي اوصلت الخليفة عبد الملك بن مروان الى الاستعداد لمفاوضة قائدها وعزل عامله المخلص (الحجاج)عن منصبه [١] ، ورغم ان هذهِ الثورة حظيت باهتمام الكثير من المصادر التاريخية فضلاً عن المؤرخين المحدثين الا ان ابن عبد ربه لم يخصص لها مادة تاريخية تتناسب مع حجمها وخطرها ، حيث انه لم يورد بحقها الا رواية واحدة غيرمسندة قال فيها ما نصه[٢]: " هَزم الحجاجُ عبدَ الرحمن بن الأشعث وقتَل أصحابَه وأسرَ بعضهم، كتب إليه عبدُ الملك بن مَرْوان أن يَعْرِض الأسرى على السيف، فمَن أقرَّ منهم بالكفر خلِّى سبيلَه، ومَن أبَى يَقْتله، فأُتي منهم بعامر الشَّعبي ومطرِّف ابن عبد الله بن الشّخّير وسعيد بن جُبَير؟ فأمّا الشعبي ومطرِّف فذَهبا إلى التعريض والكناية ولم يُصرّحا بالكفر، فَقبِل كلامهما وعفا عنهما؟ وأمّا سعيد ابن جُبير فأبى ذلك فقتل " .

والملاحظ ان هذهِ الرواية لم تشر البتة الى تلك الحركة وانما تحدثت عن مصير بعض من اتهمَ بولائهم لأبن الاشعث ، لذا فما سبب هذا الاهمال الذي يرقى الى درجة التقصير تجاه هذهِ الحركة ؟ ، علماً ان المؤلف اوردَ خطبةً [٣] للحجاج القاها في الكوفة بعد انتصاره في معركة دير الجماجم ، وهذا دليلُ على احاطة ابن ربه بتلك الحركة الا انهُ تعمدَ الاحجام عن ذكر تفاصيلها.

(1) Veccia, L. Vaglieri, : Ibn al-Ash'ath, pp. 715–719 .

(٢) العِقد ، ٢ / ٣٩١ .

(٣) وهي خطبة طويلة تكلم فيها الحجاج بذم اهل العراق . ينظر :العِقد ، ٤ / ١١٠ .

وقد يكون وراء اتباع المؤلف لهذهِ المنهجية مع تلك الحركة احتمالين : الاول هو تقليد بعض المصادر التي اخذَ عنها كالمبرد في كتابهِ الكامل في اللغة الذي اتبعَ المنهجية ذاتها ، حيث لم يعط مساحة لتلك الحركة ،او انهُ ببساطة لم يطلع على تفاصيل تلك الحركة. اما الاحتمال الآخر فهو اعراض ابن عبد ربه عن ذكر تلكَ الحركة لكونها تتعلق بأحد كبار زعماء كندة وهو عبد الرحمن بن الاشعث الذي كانت السلطة مسؤولة بشكلٍ مباشر عن قتله[١] ، وهذا ما يذكّرنا الطريقة نفسها التي اتبعها المؤلف مع حركة حجر بن عدي الكندي ، والسببُ في ذلكَ كما ذكرنا هو احجام المؤلف عن اي خبر من شانهِ ان يعكر العلاقة بينَ الدولة الاموية في الاندلس – التي يعيش المؤلف في كنفها – وبينَ رعاياها من باقي القبائل اليمانية

ب-حركة يزيد بن المهلب[٢] (١٠١–١٠٢هـ/٧٢٠–٧٢١م).

ابتدأ عهد يزيد بن عبد الملك (١٠١ – ١٠٥ هـ / ٧٢٠ – ٧٢٤ م) بثورة عارمة في العراق قادها احد ابرز زعماء حزب المعارضة وهوَ يزيد بن المهلب[٣] و تعد تلك الثورة من اشهر حركات المعارضة التي وقعت في العراق بعدَ حركة ابن الاشعث [٤] ، وتأتي خطورة تلك الحركة من الزخم القبلي الذي اعتمدت عليه فقد انضمَت لها كبرى قبائل العراق وهيَ قبائل بكر وربيعة وقيس وتميم فضلاً عن الأزد قبيلة ابن المهلب ، كما انضمَ لها بعض الخوارج والمرجئة[٥] ، لكن

(1) Kennedy N, Hugh : The Prophet and the Age of the Caliphates: The Islamic Near East from the 6th to the 11th Century ، p214.

(٢) هو يزيد بن المهلب بن ظالم سراق بن صبح بن كندي الازدي العتكي البصري . وليَ خراسان خلفاً لأبيه المهلب وهو لا يجاوز الثلاثين سنة فعزلهُ عبد الملك بن مروان عملاً برأي الحجاج وولى بدلهُ قتيبة بن مسلم الباهلي وكان الحجاج يكره يزيد لما بهِ من النجابة فكانَ يقصدهُ بالمكروه حتى لا يثبَ عليه فحبسهُ فهربَ من الحبس ولجأ الى الشام عندَ سليمان بن عبد الملك الذي شفع لهُ عندَ الوليد فعفا عنه ، ثمَ ولاه سليمان خراسان لما افضت اليه الخلافة ، قلما ولي عمر بن عبد العزيز امرَ بحبسه فهربَ من الحبس لما علمَ بمرض عمر ، ثمَ ولي يزيد بن عبد الملك الخلافة بعده ، فصار ليس لهُ همٌ الا ابن المهلب فوجهَ اليهِ جيشاً عليهِ اخوه مسلمة بن عبد الملك فالتقى بجيش يزيد عند العقر فقُتِلَ يزيد وتفرقَ اتباعه سنة اثنتين بعد المئة . ينظر: ابن قتيبة ، المعارف ، ١ / ٣٦٤ ؛ البلاذري ، انساب ، ٨ / ٢٩٨ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٦ / ٢٨٧ .

(٣) محمد عبد الحي شعبان ، الثورة العباسية ، ١٦١.

(4) Hawting , R. Gerald : The First Dynasty of Islam: The Umayyad Caliphate Ad 661-750, pp. 65-66 .

(٥) ينظر : الطبري ، تاريخ ، ٦ / ٥٩٣.

ابرز ما يميز تلك الحركة يتمثلُ في انضمام جماعة من جند الشام[١] المقيمين في العراق لحفظ الامن فيه ، الامر الذي يدفعنا الى الاعتقاد بأن تلك الحركة ماهي الا بداية تفكك جبهة الشام القوية التي طالما عولت عليها الدولة الاموية في تقوية دعائم ملكها .

يعد اجتماع هذا الخليط غير المتجانس تحت راية التمرد التي رفعها ابن المهلب امراً مألوفاً فقد تكررَ ذلكَ المشهد في حركة ابن الاشعث[٢] ، لذا فانَ هنالكَ دوافع متعددة[٣] حملت ذلكَ الجمع على اشهار معارضتهِ التي يمكن حصرها بعنوان رئيس هو معارضة البيت الاموي بشكلٍ عام وخلافة يزيد بن عبد الملك بشكلٍ خاص ، لذا فقد شعرَ الخليفة بحراجة الموقف فدعا اخاه مسلمة بن عبد الملك[٤] وعقدَ لهُ على حملة كبيرة من جند الشام وارسلهُ الى العراق ، وعلى الرغم من تمكن مسلمة من تحقيق مهمتهُ بنجاح بُعيدَ قضائهِ على تلكَ الحركة وقتلِ قائدها ابن المهلب الا ان الخليفة يزيد ابقى مسلمة والياً على العراق وخراسان وهو اجراء يكشف عن محاولة الخليفة بالقضاء على باقي جيوب تلكَ الحركة التي تعاملَ معها بغاية القسوة ،تلك القسوة التي تجاهلها ابن عبد ربه تماماً ، وحتى في الطرف المقابل ايضاً حينما لم يشر الى قيام معاوية بن يزيد بن المهلب بقتل الوالي السابق للبصرة مع مجموعة كبيرة من الاسرى الذين كانوا مودعين لديه في واسط بعد ان بلغهُ مقتل ابيه .

أورد ابن عبد ربه بعض الروايات عن حركة ابن المهلب حاولَ من خلالها اعطاء صورة جزئية عن تلكَ الحركة قال فيها :-

١- " ولما أتى يزيد بن عبد الملك برأس يزيد بن المهلب نال منه بعض جلسائه، فقال له: مه! إن يزيد بن المهلب طلب جسيماً ، وركب عظيماً ، ومات كريماً"[٥].

٢- " ودخل الفرزدق على يزيد بن المهلب في الحبس فأنشده:

صح في قيدك السماحة والجو د وفك العناة والإفضال

(١) شعبان ، الثورة العباسية ، ١٦١.

(٢) الحسيني ، حمدي ، يزيد بن المهلب ، ٧ .

(٣) للتعرف على جميع تلك الدوافع . ينظر : شعبان ، الثورة العباسية ، ١٦٣.

(٤) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم القرشي الاموي . كنيتهُ ابو سعيد و ابو ضرغام . امهُ ام ولد . كان احد شجعان بني امية وصناديدهم ، غزا السند والترك والقسطنطينية و أمم شتى ، وكان اولى بالخلافة من سائر اخوتهِ ، الا انهُ حُجبَ عنها كونهُ ابن أمة . ذكرهُ ابن سميع في الطبقة الرابعة من اهل الشام فحدثَ عن ابيه وابن عمه عمر بن عبد العزيز . تولى العديد من المناصب الادارية والعسكرية على مدار حياته . توفي في المحرم سنة مئة وعشرين وقيلَ مئة و احدى وعشرين . ينظر: ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٥٥ / ٢٨٩ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ٢٧ / ٥٦٤ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٥ / ٢٤١.

(٥) العِقد ، ١ / ٢٨٩.

قال: أتمدحني وأنا في هذه الحال؟ قال: أصبتك رخيصاً فاشتريتك. فأمر له بعشرة آلاف " [١].

٣- "وقال يزيد بن المهلب: ما رأيت أشرف نفساً من الفرزدق، هجاني ملكاً ومدحني سوقة " [٢].

٤- " خطب يزيد بن المهلب فحمد الله وأثْنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: أيها الناس، إني أسْمع قول الرعاع: قد جاء العَبّاس، قد جاء مَسْلمة، قد جاء أهلُ الشام. وما أهل الشام إلاّ تِسْعة أسْيَاف، منها سَبْعة مَعِي، واثنان عَليّ ، وما مَسْلمة إلا جرادة صَفْراء ، وأما العبَّاس، فنسطوس ابن نسطوس، أتاكم في بَرابرة، وصَقالبة وجَرَامقة وأقْباط وأنباط وأخلاط، أقبل إليكم الفَلاّحون والأوباش كأشلاء اللحم، واللهّ ما لَقُوا قطُّ حدًّا كحدّكم، ولا حديداً كحَديدكم. أعيرُوني سواعَدكم ساعةً من نهار، تصفقون بها خراطيمَهم، فإنما هي غَدْوة أو رَوْحة، حتى يحكم اللهّ بيننا وهو خيرُ الحاكمين " [٣].

وعلى الرغم من التجاهل الملحوظ الذي تعاملَ فيهِ المؤلف مع تلكَ الحركة اذ انهُ لم يعطِ تفاصيل وافية عنها [٤] ، الا انهُ مع ذلك عمدَ الى انتقائية متعمدة لعلَ الهدف منها هو عدم تحميل

(١) العِقد ، ١ / ٢٩٩.

(٢) م . ن ، ٢ / ١٥٨.

(٣) م . ن ، ٤ / ١٢٢.

(٤) تولى يزيد بن المهلب ولاية خراسان سنة اثنتين وثمانين هـ بعد وفاة ابيه المهلب بن ابي صفرة ، وكانت تلكَ الولاية براي من الحجاج بن يوسف الا انهُ سرعان ما تغيرَ على يزيد فكتب الى الخليفة عبد الملك بن مروان في عزله فعزله وولى قتيبة بن مسلم الباهلي بدلاً عنه ، ثم ان الحجاج حبسَ يزيد بن المهلب ومعهُ اخوته لكنَ يزيد تمكنَ من الفرار من سجنه واستجار بسليمان بن عبد الملك من الوليد وعامله الحجاج فأجارهُ سليمان وشفعَ لهُ عند الوليد فعفا عنه ، فلمّا آلت الخلافة لسليمان اسندَ ولاية العراق وخراسان ليزيد بن المهلب فحسنت حاله وطارَ صيته وتغنت بكرمه الشعراء فلما توفيَ سليمان ووليَ عمر بن عبد العزيز الخلافة عزلَ يزيد من منصبه وحبسهُ مطالباً اياه بالاموال التي كتبَ بها الى سليمان ، فمكثَ يزيد بن المهلب مدة خلافة عمر بن عبد العزيز في السجن فلما عَلِم في اخرها بمرض عمر واشرافه على الموت واستلام يزيد بن عبد الملك الامور من بعده وكانَ سيء الظن بالـ المهلب هرب يزيد من سجنه واتجهَ الى قبيلته في البصرة واستولى على المدينة وعلى جميع بلاد فارس وكرمان ثمَ سار الى الكوفة فاستولى عليها هي الاخرى وزادَ الناس في اعطياتهم وجمعَ جيشاً قوامهُ مئة الف وكان مستعداً لمناجزة الخليفة يزيد الذي انتدبَ اخاه مسلمة وابن اخيه العباس بن الوليد في جيشٍ كثيف فالتقى الجمعان في العقر على مقربة من الكوفة فانهزمَ جيش ابن المهلب الا انهُ لم يهرب بل ركبَ جواده وتقدمَ يشق الصفوف يريد قتل مسلمة فقُتِلَ مع عشرة من اخوته وتم حمل رؤوسهم الى يزيد بن عبد الملك وفي اذن كل واحدٍ منهم رقعة فيها اسمه اما الجيش الذي جمعهُ ابن المهلب فقد انهار بشكلٍ سريع وصارَ بينَ قتيل و جريح و مدبر . ينظر : ابن سعد، الطبقات ، ٥ / ٢٩٥ و ٧ / ٩٣ =

السلطة المسؤولية الكاملة في قتله وانما حاولَ تمويهِ ذلكَ فاظهرَ الخليفة بمظهر المعظم لأبن المهلب بعدَ تمكنهِ منهُ ، ثمَ انهُ اوردَ رواية عن مصير ال المهلب فقال [١] : " ولما قُتل يزيد بن المهلَّب جمع يزيدُ بن عبد الملك العراقَ لأخيه مَسلمة بن عبد الملك. فبعث هلالَ بن أَحْوز المازنيّ إلى قَندابيل في طلب آل المهلب، فالتقوا، فقُتل المُفضل بن المهلب، وانهزم الناس، وقَتل هلالُ بن أحوز خمسةً من ولد المهلَّب، ولم يفتِّش النساء ولم يَعّرض لهن، وبَعث العيالَ والأسرْى إلى يزيد بن عبد الملك " . ويتضحُ تعمد المؤلف اخفاء الجزء المتمم لهذهِ الرواية الذي تناقلتهُ المصادر انفة الذكر وهوَ ان يزيد بن عبد الملك ارادَ بيع ال المهلب في اسواق العبيد بحلب فاشتراهم الجراح بن عبد الله الحكمي[٢] بمائة الف وأطلقهم ، إذاً فقد حاول المؤلف عدم التطرق لها بشكلٍ متعمد ولعلهُ اعتمدَ معها نفس المنهجية التي اعتمدها مع حركتا حجر بن عدي وعبد الرحمن بن الاشعث حيثُ تركَ للقارئ حرية الاطلاع على تفاصيل تلكَ الحركات من اي مصدرٍ شاء دون الوقوع في خطأ قد تعاقب عليه السلطة.

=؛ خليفة ،تاريخ ،١ / ٣١٣ و ٣٢٢ - ٣٢٥؛ البلاذري ، أنساب ، ٨ / ٢٧٩ - ٢٨٥؛ اليعقوبي، تاريخ ، ٢ / ٣١٠ - ٣١١ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٦ / ٥٦٤ – ٥٦٧ و ٥٧٨ - ٦٠١ ؛ ابن اعثم ،الفتوح ، ٧ / ٢١٢ – ٢١٣ و ٨ / ٢١٧ – ٢٣٠ ؛ المسعودي، مروج ، ٣ / ١٦٤ - ١٦٥ ؛ الاصفهاني، الاغاني ، ٢ / ٢١٠ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٧ / ٦٤ - ٨٠ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٤ / ١٠٤ – ١١٣ و ١٣٠ – ١٣٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية،١٢ / ٦٦٥ – ٦٧١و ٧٢١ – ٧٢٥ ؛ ابن خلدون، تاريخ ،٣/ ٩٦-١٠٠.

(١) العِقد ، ٤ / ٤١٧.

(٢) هو الجراح بن عبد الله بن جلعد بن افلح بن الحارث بن درة بن خليد الحكمي . شامي الاصل حمصي المقام كانَ والياً على خراسان ثم البصرة من جهة يزيد بن المهلب ثم ولاه هشام ارمينية واذربيجان ثم عزلهُ وولى بدلاً عنه اخاه مسلمة بن عبد الملك . قتلهُ الترك في الخازر سنة مئة واثنتي عشر . ينظر : خليفة ، طبقات ، ١ / ٢٦٥ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٢١ / ٢٤٦ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ٣ / ٧٧ .

ج-حركة زيد بني علي[١] (١٢١ – ١٢٢هـ / ٧٣٩-٧٤٠م).

تعد حركة زيد بن علي من ابرز الحركات التي ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري لما ترتبَ عليها من نتائج كانَ لها تأثيرُ مهم في تاريخ العراق وصلة اهلهِ بأهل الشام وما نتجَ عن ذلك كلهُ من احداث ظهرت نتائجها فيما بعد [٢] .

اوردَ ابن عبد ربه ثلاث روايات عن حركة زيد بن علي تناول فيها بعض تفاصيل تلكَ الحركة منذُ بدايتها حتى استشهاد زيد وهي كلاتي:

الرواية الاولى [٣] ذكر المؤلف ان بداية امر زيد كان كتاب بعثهُ يوسف بن عمر[٤] الى هشام بن عبد الملك بانَ خالد بن عبد الله القسري [٥] أودعَ زيداً مالاً كثيراً ، فبعثَ هشام الى زيد فقدمَ عليه وسأله عن ذلك المال فانكرهُ فاستحلفهُ فحلفَ له فخلى سبيلهُ واقام عند هشام بعدَ ذلك سنة ، ثمَ دخلَ عليه في بعض الايام فقال لهُ هشام : بلغني انكَ تحدثُ نفسكَ بالإمامة ولا تصلحُ لكَ لأنكَ ابنُ امه فأجابهُ زيد : أما قولك إني أحدث نفسي بالخلافة، فلا يَعلم الغَيْب إلا الله؛ وأمّا قولُك إني ابن أمة، فهذا إسماعيلُ ، ابنُ أمة، من صلّبه خيرُ البشر محمد (ص) ، وإسحاق، ابن حُرّة، أخرج من

---

(١) هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب . ولدَ في المدينة سنة ثمان وسبعين للهجرة وقيلَ سنة خمس وسبعين ، وكنيتهُ ابو الحسين ، أمهُ جارية سندية اسمها جيدا اشتراها المختار الثقفي وأهداها لابي زيد علي بن الحسين ، عُرِفَ عنه الزهد والورع والتفقه في الدين ، خرجَ بالكوفة في خلافة هشام بن عبد الملك فبعث لهُ والي الكوفة يوسف بن عمر الثقفي جيش جعل عليه العباس المري فقُتِلَ من سهمُ اصابه في جبهته وكان ذلك سنة اثنتين وعشرين بعد المئة . ينظر: ابن سعد ، الطبقات ، ٥ / ٢٥٠ ؛ الدينوري ، المعارف ، ١ / ٢١٦ ؛ الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ١ / ١٢٤ .

(٢) حسن ، ناجي ، ثورة زيد بن علي ، ٧.

(٣) العِقد ، ٣ / ٢٩٥.

(٤) يوسف بن عمر بن محمد بن ابي عقيل بن مسعود الثقفي ، ابن عم الحجاج يجمعهُ معهُ الحكم بن ابي عقيل ، كنيتهُ ابو عبد الله وليَ اليمن لهشام ، ثمَ العراق فحاسبَ خالد بن عبد الله القسري وعمالهُ وعذبهم فماتَ في تعذيبهِ خالد وبلال بن ابي بردة احد عمال خالد ، فلما قُتِلَ الوليد هربَ فلحقَ بالشام فأُخِذَ وحبس ثم قُتِلَ في حبسه وكانَ يزيد بن خالد فيمن قتلهُ بأبيه ولهُ عقبُ بالشام . ينظر : ابن قتيبة ، المعارف ، ١ / ٣٩٨ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٢٩ / ١١٨ - ١١٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٣ / ١٨٨ .

(٥) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن اسد بن كرز بن عامر بن عبد الله بن عبد شمس البجلي ثم القسري . ولِدَ لأمٍ نصرانية رومية ، كان يزيد بن اسد جده وفدَ على رسول الله (ﷺ) فأسلمَ ونزلَ الشام وكان ممن يروي عنه (ﷺ) . كان خالد منغوصاً عليهِ في دينه وقد بنى لامهِ ديراً في الكوفة . يُعَد في جملة الخطباء العرب المشهورين بالبلاغة وكانَ جواداً كثير العطاء ولاه هشام بن عبد الملك اميراً على العراقين ثم عزلهُ وكتبَ الى يوسف بن عمر بدلاً عنه وامرهُ بمحاسبته فحاسبهُ وعماله حتى هلكَ خالد وجماعة منهم . كانت وفاتهِ في المحرم سنة ستُ وعشرن بعد المئة . ينظر : ابن قتيبة ، المعارف ، ١ / ٣٩٨ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٢ / ٢٢٩.

صلْبه القِردةُ والخَنازير وعَبدة الطاغوت. وخرج زيدُ مغضباً وقال : ما احبَ احدُ الحياة الا ذُلَ . فقال لهُ الحاجب : لا يسمعُ هذا الكلام منكَ احد . وخرجَ زيدُ حتى قدمَ الكوفة فقال :

شرَّده الخَوْفُ وأزْرى به ... كذاك مَن يَكره حَرّ الجلاد
محتفي الرِّجْلين يشكو الوَجى ... تَقْرعه أطرافُ مَرْوٍ حِدَاد
قد كان في الموت له راحة ... والموت حَتْم في رِقاب العِباد

ثم خرجَ بخراسان فوجهَ يوسف اليهِ الخيل وخرجَ في اثرها حتى لقيهُ فقاتلهُ فرُميَ زيدُ في اخر النهار بنشابة في نحرهِ فمات فدفنهُ اصحابهُ في حمأة كانت قريبة منهم وتتبعَ يوسف اصحاب زيد فأنهزمَ من انهزم وقتِل من قتِل ، ثمَ ان يوسف قيلَ لهُ ان زيداً دُفِنَ في حمأة فاستخرجهُ وبعثَ برأسهِ الى هشام ثمَ صلبهُ في سوق الكناسة .

الرواية الثانية [١] ذكر فيها ابن عبد ربه ما نصه " دخل زيد بن علي يوماً على هشام بن عبد الملك فلم يجد موضعاً يقعد فيه فعلم ان ذلك فُعِل به عن عمد فقال : ياأمير المؤمنين اتق الله . قال : او مثلك يازيد يامر مثلي بتقوى الله ؟ قال زيد انه لا يكبر احد فوق ان يوصى بتقوى الله ، ولا يصغر دون ان يوصى بتقوى الله . فقال له هشام : بلغني انك تحدث نفسك بالخلافة ... "

الرواية الثالثة[٢] وهي رواية غير مسندة قال فيها ما نصّه " بينما زيد بن علي في بعض ازقة الكوفة إذ بصر به رجل من الشيعة ، فدعاه الى منزله ، فأحضره طعاماً، فتسامعت به الشيعة ، فدخلوا عليه حتى غص المجلس بهم، فأكلوا معه ثم استسقى ، فقيل له أي الشراب نسقيك يابن رسول الله؟ قال : أصلبه أو أشده ، فأتوه بعس من نبيذ فشرب ، ودار العس عليهم فشربوا ."

تشتمل هذهِ الروايات على العموميات فقط من تلكَ الحركة المشهورة كما انها قدمت معلومات خالفت فيها ما جاء عنها من مرويات في باقي المصادر فقد ذكرَ الطبري رواية عن الهيثم بن عدي[٣] ان زيد بن علي وجماعة من بني هاشم قدموا على خالد بن عبد الله القسري الكوفة فأجازهم فرجعوا الى المدينة ، فلما وليَ يوسف بن عمر كتبَ الى هشام بأسمائهم وما اجيزوا بهِ ، ثمَ كتب ايضاً انَ خالداً ابتاعَ من زيد ارضاً في المدينة بعشرةِ الاف دينار ثمَ ردَ الارض عليه دونَ ان يردَ زيد المال ، فكتبَ هشام الى عامل المدينة ان يسرحهم اليه ففعلَ فسألهم هشام فاقروا بالجائزة وانكروا ما سوى ذلك وحلفوا لهُ فصدقهم هشام وردّهم الى عاملهِ على الكوفة الذي واجههم بخالد

(١) العِقد ، ٤ / ٣١ .
(٢) م. ن. ، ٦ / ٣٧٥ .
(٣)، تاريخ ، ٧ / ١٦٠ .

فانكرَ خالد ان يكون اشترى من زيد ارضاً فحلفهم يوسف فحلفوا ثم خرجوا الى المدينة . اما زيد فقد عادَ الى الكوفة من القادسية فطابقَ عليه الشيعة فيها .

اما ابو مخنف[١] فعلى الرغم من ذكرهِ رواية قريبة من رواية الهيثم بن عدي الا انهُ زاد عليها بانَ زيد كان في الرصافة [٢] يخاصم بني الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب في صدقة رسول الله (ﷺ) ومعهُ محمد بن عمر بن علي بن ابي طالب[٣] فلما قدمت كتب يوسف الى هشام بعثَ لهم يسألهم ما أدعى يزيد بن خالد فأنكروا فقالَ لهم هشام فانا باعثون بكم الى يوسف يجمع بينكم وبينه ، ثم كتب الى يوسف كتاباً يأمرهُ فيه الرفق بهم ثم سرحهم الى الكوفة مع حرسي لهُ ، ثم يكمل روايته بخروج اعضاء ذلكَ الوفد من الكوفة سوى زيد .

وعلى الرغم من اخذ اغلب المصادر بهاتين الروايتين الا انهما لم تتطرقا الى السبب الحقيقي الذي دفعَ زيد الى اعلان حركتهِ ضدَ السلطة في الكوفة لكنهما ذكرتا ان زيداً لبى دعوة الشيعة في الكوفة الذين اخذوا يترددونَ عليهِ فيها داعينَ الى خروجهِ على بني امية ونصرتهُ في ذلكَ الخروج أي انَ الدافع الى ذلكَ انما كانَ بسبب دعوة الشيعة ولا سببٍ اخر غير ذلك ،اما بالنسبة الى هشام فقد صورتهُ الروايتان بانهُ خليفة بار برعيته حريصٌ على اقامة العدل فيها.

اوردَ ابن الاثير[٤] رواية مطابقة لرواية ابن عبد ربه الا انهُ لا يذكر بانَ زيد مكثَ سنة في الرصافة ، لكنهُ ذكر بانهُ كانَ يرفعُ كل يوم قصـّة الى هشام فيردُ عليه هشام بالتوقيع في اسفلها "أرجع الى اميرك " ، فيرفض زيد ثمَ اذنَ لهُ بعدَ طول حبس وامرَ خادماً لهُ ان يتبعه بحيث لا يراه زيد ويسمعُ قوله فسمعَ زيد يقول "والله لا يحبُ احدُ الدنيا الا ذل " .

من الملاحظ ان الدافع الحقيقي وراء تلك الحركة قد اختفى من جميع تلكَ الروايات ففي الوقت الذي ذكرت فيهِ روايتا ابن عبد ربه وابن الاثير ان سبب قيامَ زيدٍ هو ما الحقهُ بهِ هشام من

(١) الطبري ، تاريخ. ، ٧ / ١٦٠ .

(٢) الرصافة هي بناء لهشام بن عبد الملك بناها لما وقع الطاعون بالشام وكان يسكنها بالصيف وتقع غربي الرقة بينهما اربع فراسخ على طريق البريد . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ٢٤١ ؛ الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ١ / ١٢٠.

(٣) هو محمد بن عمر بن علي بن ابي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي . كنيتهُ ابو عبد الله . امهُ اسماء بنت عقيل بن ابي طالب . عدهُ اصحاب التراجم في الطبقة السادسة . روى احاديث كثيرة عن ابيه وعمه علي بن الحسين واخرى مرسلة عن علي بن ابي طالب . وثقهُ ابن حبان وقال فيه كانَ سيداً من سادات بني هاشم توفيَ سنة مائة واربعين او ما دونها . ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ٥ / ٣٥٩ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ٥ / ٣٥٤ ؛ ابن عنبة ، عمدة الطالب في انساب ال ابي طالب ، ٣٥٨.

(٤) الكامل ، ٤ / ٢٥٨ .

أذى في شخصه ، اعطت روايتا الهيثم بن عدي و ابي مخنف سبباً اخر هو دعوة شيعة الكوفة لهُ بالنهوض على السلطة التي لبّاها زيد دونَ تردد ، يضاف الى ذلك ان الروايات التاريخية قد خلطت بينَ خالد بن عبد الله القسري وبينَ ابنهِ يزيد بن خالد ، فقد ذكرَ الهيثم بن عدي ان الذي اقرَ على ايداع اموالهِ لدى زيد هو خالد بن عبد الله ن بينما ذكرَ ابو مخنف بأنهُ يزيد بن خالد بن عبد الله لا خالد ، ثم ان هناك العديد من الروايات غير المسندة التي ذكرها كلُ من الطبري[١] والبلاذري[٢] اعطت اسباباً اخرى غيرَ التي ذكرنا والغريب في الامر ان ابن سعد[٣] أوردَ رواية عن محمد بن عمر ذكرَ فيها ان زيداً دخلَ على هشام رافعاً لهُ ديناً كثيراً وحوائجَ فلم يقضها هشام وتجهمهُ واسمعهُ كلاماً شديداً فخرجَ منهُ زيدُ مغضباً يلوي شاربهُ بيدهِ ويقول ما احبَ احدُ الدنيا الا ذل ولعلَ هذا الاضطراب في ذكرِ سبب قيام تلك الحركة هوَ ما دفعَ الطبري الى القول[٤] : " وقد اختُلِفَ في سبب خروجه " ، والتساؤل هو ما سبب كل هذا التقصير من الرواة تجاه تلكَ الحركة ؟.

قد تكون جميع الروايات المتقدمة اسباباً جزئية متسلسلة لقيام حركةِ زيد لكن دونَ ان يكون أياً منها سبباً رئيس مقنعاً دفعه للقيام ، وقد يكون هذا الاضطراب مصدرهُ السلطة بدليل ان رواية ابن سعد التي اوردها عن محمد بن عمر ينتهي بسندها الى سالم مولى هشام وهو الذي اوكلَ اليهِ مولاه بملازمة زيد ولربما هو الذي اصدر اليه تعليماته او – على الاقل - اوحى اليه بان يتكلم بما قال في محاولةٍ منهُ لتشويه صورة زيد وما يقودنا الى هذا الاعتقاد هو ان روايتي الهيثم بن عدي و ابي مخنف صورتا هشام البار بزيد الحامل لهُ على محمل الخير .

ذكرَ المسعودي[٥] ان زيداً شاور اخاه ابا جعفر محمد بن علي[٦] في امر القيام فأشار اليهِ بأن لا يركن الى اهل الكوفة لما بدا منهم من غدرٍ ومكر واخبرهُ بما لديه من علم في مدةِ بني

(١) تاريخ ، ٧ / ١٦٣ - ١٦٥ .
(٢) انساب ، ٣ / ٢٣٥ - ٢٣٧ .
(٣) الطبقات ، ٥ / ٢٥٠ .
(٤) تاريخ ، ٧ / ١٦٠ .
(٥) مروج ، ٣ / ١٧٩ .
(٦) محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ، امهُ ام عبد الله بنت الحسن بن علي بن ابي طالب ، فهو حسب - الشيعة الامامية والاسماعيلية - الامام العلوي الوحيد الذي جده علي بن ابي طالب من ابويه . ولِدَ سنة سبع وخمسين للهجرة في المدينة المنورة ونشأ في كنفِ جده الحسين بن علي وشهدَ مع ال بيته فاجعة كربلاء وقد نشأ متفقهاً بالدينِ عالماً متعبداً صارت اليه الامامة بعد وفاة ابيه ، لُقِبَ بباقر علم النبي (ﷺ) وهو خامس الائمة المعصومين عند الشيعة الامامية والاسماعيلية . توفي سنة مئة=

مروان فأبى الا ما عزمَ عليهِ من المطالبة بالحق ، كما ان هنالكَ - من غير اهل بيته – مَنْ نصحهُ بعدم الخروج مثل مالك بن انس وابو حنيفة [١] و هذه الروايات ان صحت فأنها تقودنا الى الاعتقاد بانَ زيد كانت تأتيه كتبٌ من شيعة الكوفة تحثهُ على الخروج منذُ ايام اخيه محمد[٢] ، ولعلَ السلطة كانت على دراية بتلك الكتب وهذا ما يفسر قول هشام لزيد " بلغني انكَ تحدثُ نفسكَ بالخلافة " ولكن اذا كانت السلطة على علمٍ بما يتلقاه زيد من اهل الكوفة فما الذي يمنعها من اخذهِ متلبساً بتلكَ التهمة ؟ .

قد يكون امتناع زيد من الرد على تلك الكتب هو السبب في تأخير عقاب السلطة لهُ ، أو قد يكون هشام كانَ يعمل بمشورة والدهِ عبد الملك الذي كتبَ الى الحجاج قائلاً : " جنبني دماء ال ابي طالب فأني رأيت الملك استوحشَ من ال حرب حينَ سفكوا دماءهم "[٣] . اما بالنسبة الى تفاصيل ذلكَ الخروج والصدام العسكري الذي افضى اليه[٤] فلم يتطرق ابن عبد ربه لهُ في مروياتهِ اطلاقاً وانما ذكرَ ان زيد قام بخراسان فوجهَ لهُ يوسف بن عمر خيلاً فرُميَ في اخر النهار بسهم وقعَ في نحره فقُتِل ، ثم قيلَ ليوسف ان زيد دُفِنَ في حمأة [٥] فاستخرجهُ وبعثَ برأسهِ الى هشام وصلب

=واربعة عشر للهجرة ودُفِنَ بالبقيع . ينظر : ابن سعد ، طبقات ، ٥ / ١٦٣ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٤ / ١٧٤ ؛ النووي ، تهذيب الاسماء واللغات ، ١ / ١٠٩ ؛ابن عنبة ، عمدة الطالب ، ١٨٣ .

(1) Fadl, K.A.E : Rebellion and Violence in Islamic Law, p. 72

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ٤ / ٢٥٨ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٣٠٤ ؛ المسعودي ، مروج ، ٣ / ١٣٩ .

(٤) اجتمعَ لزيد بن علي بعدَ أن أظهرَ دعوتهُ في الكوفة أربعون الفاً كلهم بايعوه على كتاب الله وسنة نبيه وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين واعطاء المحرومين وقسمة الفيء بينَ اهلهِ بالسواء ورد المظالم ونصرة اهل البيت ، ولما تمَ لهُ ذلك أمرَ اتباعه بالاستعداد في أول ليلٍ من صفر لكنهُ اضطرَ الى تقديم ذلكَ الموعد فلم يوافهِ من اصحابه الا مائتي رجل وثمانيةَ عشرَ رجلاً ، فدخلَ بمعركةٍ غير متكافئة مع جند والي الكوفة يوسف بن عمر استمرت يومين انتهت بإصابة زيدٍ بسهم في جانب جبهتهِ اليسرى فحملهُ اصحابه الى دار حران بن كريمة من الموالي فبعثوا لهُ بطبيبٍ لينزع السهم من جبهته ، فلما انتزعهُ شهقَ شهقةً وفاضت روحه ، ثم ان اصحابه حملوه الى حفرة يؤخذ منها الطين بجانب النهر ودفنوه فيها ثم اجروا عليها الماء ، والحّ يوسف في طلبِ اتباع زيد حتى قبضَ على غلامٍ لهُ سندي كانَ قد شهدَ المعركة مع سيدهُ وجُرِحَ فيها ، فلما خوفهُ يوسف دلهُ على قبر زيد فاستخرجوا جسده وقطعوا رأسه وبعثوا بهِ الى هشام ، اما جسدهُ فقد صُلِبَ في الكناسة وقد أوكلَ يوسف بن عمر بهِ مَنْ يحرسه . ينظر : البلاذري ، أنساب ، ٣/ ٣٤٠ - ٣٤٧ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٧ / ١٨٠ - ١٨٨ ؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ٧ / ٢٨٥ - ٢٩٢ ؛ مسكويه، تجارب الامم ، ٣ / ١٢٨ - ١٣٦ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٧ / ٢٠٧ - ٢٠٩ ؛ابن الاثير ، الكامل ، ٤ / ٢٦٦ - ٢٦٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٣١ / ١٠٦ – ١١٠ .

(٥) الحمأة : بقعة من الارض ذات طين أسود . ينظر : الفارابي ، الصحاح ، ١ / ٤٥ .

جسدهُ في سوق الكناسة . وفي الحقيقة ان ما ذكرهُ المؤلف في الجزء الاخير من روايتهِ هو كلامُ تفردَ بهِ وحده وخالفَ فيهِ المشهور ، لذا يمكننا القول ان رواياتهِ هذه حملت في طياتها تفاصيلاً اختلفت كلياً عما موجود في المصادر الاخرى التي اوحت بعدم دراية المؤلف بتفاصيل تلكَ الحركة ولا سبب بدايتها فضلاً عن المراحل التي مرت بها ، لذا لا يمكن بأية حال ان ترقى تلك المرويات الى مستوى الرواية التاريخية .

الفصل الخامس

حركات المعارضة من سنة

(١٣٢-٣٢٢هـ / ٧٥٠-٩٣٤م)

المبحث الاول- الدعوة العباسية (١٠٠- ١٣٢هـ / ٧١١-٧٥٠)

المبحث الثاني– حركات المعارضة في الدولة العباسية

من سنة (١٣٢-٢٠٢هـ/٧٥٠–٨١٨ م)

المبحث الثالث– حركات المعارضة في الاندلس من سنة

(١٣٢-٣٢٢هـ/٧٥٠–٩٣٤ م)

المبحث الاول

الدعوة العباسية (١٠٠- ١٣٢هـ / ٧١١-٧٥٠)

انفجر النشاط الشيعي بالكوفة في أخريات الحكم الاموي فقد عُرِفَ عن اهل الكوفة معارضتهم الصريحة لهذا الحكم بمؤازرتهم لثورات المختار والاشعث و يزيد بن المهلب ، مما اجبر الحكام الامويين الى تقوية مركز جند الشام في العراق ، لذا لم يبقَ امام اهل الكوفة سوى العمل السري للتعبير عن معارضتهم للسلطة [١] حتى تزول عنهم الغمامة وينقشع عنهم الخطر فينتقلون من العمل السري الى مرحلة الاجهار بالدعوة وهذا ما اتبعته الدعوة العباسية [٢] .

جاءت الروايات التي خصصها ابن عبد ربه عن المعارضة العباسية للدولة الاموية مقسمة على قسمين الاول منهما ذكر فيه اخباراً لعلي بن عبد الله بن عباس[٣] ، والآخر خصصه للحديث عن بداية الدعوة . فبالنسبة الى القسم الاول فقد أدرجَ المؤلف رواياته عنها ضمن بابٍ اسماه من اخبار الدولة العباسية[٤] ، ورغمَ ايراد المؤلف في هذا الباب روايات عدة لا علاقة لها بتلكَ المعارضة ،الا ان منها ثلاث روايات متتابعة يمكن عدها بداية غير مباشرة لها ، فجاءت الروايتان الاولى والثانية ضمن خبر واحد و نصّه [٥] : " وكان علي سيّداً شريفاً عابداً زاهداً، وكان يصلّي في كُل يوم ألف ركعة، وضرُب مرَّتين، كلتاهما، ضَربه الوليد، فإحداهما، في تزوجهِ من لُبابة بنت عبد الله بن جعفر، وكانت عند عبد الملك بن مروان فعضَّ تُفاحة ورَمى بها إليها، وكان أبخر[٦]، فدعت بسكّين. فقال: ما تصنعين به؟ قالت: أميط عنها الأذى، فطلَّقها، فتزوَّجها عليّ بن عبد الله بن عبّاس،

---

(١) شعبان ، محمد عبد الحي ، الثورة العباسية ، ٢٣٧.

(2) Momen , Moojan : An Introduction to Shi'i Islam , pp. 47-48.

(٣) هو علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي . كنيتهُ ابو الحسن . امهُ زرعة بنت متراح بن معد يكرب الكندي . ولِدَ في اليوم الذي استشهدَ فيهِ علي بن ابي طالب (ع) فسماه ابوه باسمه وكناه بكنيته وقيل بل ولد في حياة علي وهو الذي سماه وكناه ولقبهُ بأبي الاملاك . كان زاهداً عابداً سيداً جواداً وفد على عبد الملك بن مروان فاكرمهُ واحسن اليه ، فمكثَ معهُ في دمشق ، ثم اقطعهُ الحميمة فتحولَ اليها . توفي بها سنة مائة وسبعة عشر وقيلَ ثمانية عشر . ينظر: ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٣ / ٢٧٤ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٢١ / ١٣١ - ١٣٢ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ / ٣٩٢ .

(٤) العِقد ، ٥ / ٩٣.

(٥) م . ن ، ٥ / ٩٣.

(٦) البخر : نتن الفم . ينظر : الفارابي ، الصحاح ، ٢ / ٥٨٦.

فضَربه الوليد، وقال: إنما تتزوج أمهاتِ أولاد الخُلفاء لتضع منهم. لأنّ مروان بن الحَكم إنما تزوَّج أُم خالد بن يزيد ليَضع منه. فقال عليّ بن عبد الله بن عباس: إنما أرادت الخُروج من هذه البلدة وأنا ابنُ عمها ، فتزوجتُها لأكون لها مَحرماً. وأما ضربهُ إياه في المرة الثانية، فإن محمد بن يزيد قال: حدَّثني مَن رآه مَضروباً يُطاف به على بَعير ووجهُه مما يلي ذنَب البعير، وصائح يصيح عليه: هذا عليّ بن عبد الله الكذّاب. قال: فأتيتُه فقلتُ: ما هذا الذي نسبوك فيه إلى الكَذِب؟ قال: بلغهم أني أقول إن هذا الأمرَ سيكون في ولدي، والله ليكوننَّ فيهم حتى تملكَهم عبيدُهم الصغار العُيون، العِراض الوجوه، الذين كأنّ وجوههم المجانّ المُطرقة " .

ثم أوردَ المؤلف روايته الثالثة فقال ما نصّه [١] : " وفي حديث آخر: إن عليّ بن عبد الله دخل على هشام بن عبد الملك ومعه ابناه: أبو العباس وأبو جعفر، فشكا إليه ديناً لزمه، فقال له: كم دَينُك؟ قال: ثلاثون ألفاً، فأمر له بقضائه، فشكره عليه، وقال: وصلتَ رحماً، وأنا أريد أن تستوصي بابنيَّ هذين خيراً. قال: نعم. فلما تولّى، قال هشام لأصحابه: إن هذا الشيخَ قد أهْتَر وأَسنّ وخُولط، فصار يقول: إن هذا الأمر سينقل إلى ولده. فسمعه عليّ بن عبد الله بن العباس، فقال: والله ليكوننّ ذلك وليملكنّ ابناي هذان ما تملكه " .

أورد ابن عبد ربه هاتين الروايتين من باب تمهيد الحديث عن الدعوة العباسية التي ابتدأها محمد بن علي بن عبد الله بن عباس [٢] ، وبالرغم من ان الرواية الاولى تبدأ بمقدمة لا علاقة لها بالدولة العباسية – وهو زواج علي بلبابة – ولكن يمكننا ان نجعلها نقطة بداية في طريق توتر العلاقة بين علي وعبد الملك فقد كانت علاقتهما قبل ذلكَ الحدث علاقة جيدة وهذا ما شار اليه ابن الاثير[٣] الذي ذكر سبب نزول علي على عبد الملك وهو ان عبد الله بن الزبير بعدَ قتله المختار قوى على بني هاشم وقال لهم لا تجاوروني فخرجَ عبد الله بن عباس وولده علي الى الطائف فأرسلَ عبد الله ابنهُ علي الى عبد الملك وقال : لأن يربني بنو عمي احبُ اليَ من ان يربني رجلُ من بني اسد (يعني ابن الزبير) فتوفيَ ابن عباس في الطائف . اما علي فقد نزل على عبد الملك الذي أكرمهُ

(١) العِقد ، ٥ / ٩٤.

(٢) هو محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي . كنيتهُ ابو عبد الله وقيلَ ابو ابراهيم . ولِدَ بالحميمة سنة خمس وخمسين . صار اليهِ امر الدعوة عن طريق ابي هاشم بن محمد بن الحنفية ، فقام بأمرها وبثَ دعاته في خراسان موطئاً الامر لأولاده من بعدهِ الى ان توفيَ سنة خمس وعشرن بعد المئة عن سبعينَ سنة ، فخلفهُ في امر الدعوة ولدهُ ابراهيم الملقب بالإمام . ينظر: البخاري ، التاريخ الكبير ، ١ / ١٨٣ ؛ الذهبي ، العبر ، ١ / ١٢٣؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٤ / ٧٧ - ٧٨.

(٣) الكامل ، ٣ / ١٧ .

وقربَ مجلسه وظلَ حالهُ كذلك حتى توفيَ عبد الملك ، فذكرَ ابن كثير[١] ان عبد الملك لما حضرتهُ الوفاة أوصى ولدهُ الوليد[٢] بأمور كان من بينها علي بن عبد الله حيث قال ما نصّه : " ... وانظر الى ابن عمنا علي بن عبد الله بن عباس فانهُ قد انقادَ الينا بمودته ونصيحته ولهُ نسبُ وحقُ فصل رحمه وأعرف حقه " . فاذا كانت علاقة علي بعبد الملك بهذهِ المتانة والقوة فلماذا تبدلت في عهد الوليد ؟ فما حدا مما بدا ؟ .

ذكرت رواية ابن عبد ربه الاولى ان سبب الخلاف الذي جرى بين علي والوليد بن عبد الملك الذي امر بضربه هو تزوج علي بلبابة طليقة عبد الملك الذي طلقها للسبب الذي ذكرته الرواية فأضغنها عليه الوليد فلما كانت خلافته احضرهُ وامر بضربه محتجاً بالإهانة التي وجهها علي لآل مروان بسبب ذلكَ الزواج . وبالرغم من اتفاق بعض المصادر[٣]مع المؤلف في ايراد هذهِ الرواية الا انني ارى ان هذا السبب غير مقنعٍ لعدة وجوه : الاول منها ان العقاب لم يصدر عن عبد الملك في حياته وانما نفذهُ الوليد فيما بعد اي انهُ عقابُ مؤجلُ ، وهذا أمرُ يصعب تقبله ، فلو كانَ الامر فيه اهانة لبني مروان لكانَ حرياً بعبد الملك ان يعاقب عليه وهوَ المخصوص بالإهانة لا الوليد .

اما السبب الثاني فتمثل بكون بعض المصادر اوردت روايات تختلفُ كلياً مع رواية ابن عبد ربه فقد ذكرَ ابن قتيبة[٤] طلاق عبد الملك للبابة وزواجها بعليٍ بعده الا انهُ لا يذكر حادثة الضرب ، كما انهُ ذكرَ ان لبابة ظلت عندَ علي حتى توفيت ، فلو كانَ الوليد عاقبَ علياً على ذلكَ الزواج لكانَ الاجدر بهِ ان يفرق بينَ علي وزوجه حتى ينهي تلكَ الاهانة ، والا فما الفائدة من العقاب اذا كان

(١) البداية والنهاية ، ١٢ / ٣٩٢.

(٢) هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو العباس القرشي الاموي. بويعَ بالخلافةِ بعدَ ابيه في شوال سنة ستة وثمانين وكان اكبرُ ولده والولي من بعده . امهُ ولادة بنت العباس بن جزي بن الحارث بن زهير العبسي. ولِدَ سنة خمسين وكان ابواه يترفانه فشبَ بلا ادب ولا يحسن العربية . كان همهُ بالعمران فبنى مسجد النبي (ص) وصخرة بيت المقدس والجامع الاكبر بدمشق. توفي يومَ السبت للنصف من جمادي الاخرة لسنة ستٍ وتسعين بديرِ مُرّان فحُمِلَ الى دمشق وصلى عليه عمر بن العزيز ودُفِنَ بمقابر باب الصغير وقيلَ بمقابر باب الفراديس .ينظر: ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٦٣ / ١٦٤ - ١٦٧ ؛ الصفدي ، الوافي ، ٢٧ / ٧٠ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، ٦٠٩/٢ - ٦١٠ .

(٣) ينظر: المبرد ، الكامل في اللغة ، ٢ / ١٦٢ ؛ مؤلف مجهول ، اخبار الدولة العباسية ، ١ / ١٣٩ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٤ / ٢٧٩ ؛ ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٧ / ١٤٦ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٣ / ٢٧٤ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٢١ / ١٣٢ .

(٤) المعارف ، ١ / ٢٠٧.

الزواج باقياً ! . أما ابن سعد[١] فلم يذكرها في زوجات عبد الملك ، مما يشير الى انها وان كانت زوجه الا انها لم تنجب منهُ وهذا ما يتضارب مع الرواية التي يقول فيها الوليد : " إنما تتزوج امهات أولاد الخلفاء لتضعَ منهم " . كما ان عذرَ عليٍ للوليد كان ضعيفاً وغير مسوغ ، أفكلما ارادَ رجلُ السفر مع امرآه تزوجَ منها ؟! .

اما البلاذري[٢] فقد ذكر ان الوليد كانَ ينتقصُ من علي بن عبد الله ويشتمه فرأى اباه عبد الملك في منامه يقول : يابني ما تريد من علي بن عبد الله فقد ظلمته والله لا يبتز امركم ولا يسلب ملككم الا ولده . فأزداد بذلك بغضاً لهُ وحنقاً عليه فلما ضربهُ كتبَ الى الافاق يُشنِع عليه . وهذهِ الرواية لا تعطي سبباً للضرب الا انها توحي من خلال تلكَ الرؤيا انَ الضغينة التي كانت بينَ الوليد وعلي تتعلقُ بأمرٍ سياسي بحت وهوَ تمني الخلافة والا فماذا يعني كلام عبد الملك " والله لا يبتز امركم ولا يسلب ملككم". وهذا السبب ينسجمُ تماماً مع الرواية الثانية التي اوردها ابن عبد ربه المتعلقة بضرب الوليد لعلي بن عبد الله والتشهير بهِ بأركابه على الجمل ، ولكن كيفَ عرفَ الوليد بخبر تولي ولد علي للخلافة بعدَ بني أمية؟ هل اخبرهُ هو بذلك ؟! .

لم تشر الرواية الى حقيقة ذلكَ الامر الا اننا نفهم ان الوليد وصلهُ كلام علي عن الخلافة ولم يكن علي كلمَ الوليد بهِ وانما قد يكون هنالكَ من سعى للخليفة بهذا الامر ولكن الغريب في هذهِ الرواية ان علي لم يَعمَد الى نفي التهمة عن نفسه لما تحدث مع من شهدَ منظره ، فالأحرى بهِ ان ينكرَ مثلَ هكذا حديث بعدَ ان وقعَ في قبضة السلطة ، ثم كيف انتهى الامر بالضرب والتشهير دونَ القتل ؟ فالمعروف ان بني امية لا ترعى في دماء بني هاشم إلاً ولا ذمةً ، فضلاً عن كون تلك التهمة من العيار الثقيل ، ولعلَ ما شفعَ لعلي وخفف عقوبته من القتل الى الضرب والتشهير هو مكانتهُ من عبد الملك ومكانهُ من دمشق ذلكَ ان مكانهِ في الحميمة [٣] القريبة من دمشق يجعل من السهل للسلطة ان تراقبهُ عن كثب بعينٍ ساهرة . ثم ان تلكَ الحادثة اشتهرت عن علي حتى صارت لهُ شعاراً يعرفهُ بهِ بني امية ، ولعل تقادم العهد بعلي جعلت منهُ شخصاً غير مبالٍ بكتم تلكَ المسالة أو اظهارها ، وربما يكون السبب الذي دفعهُ لذلك هوَ انَ حديثهُ صار يُضربْ بهِ المثل بالسخرية وهذا ما أشارت اليهِ الرواية الثالثة .

---

(١) طبقات ، ٥ / ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٢) انساب ، ٣ / ٢٧٥.

(٣) الحميمة : قرية من كور دمشق من ارض السراة من اعمال عَمّان في اطراف الشام . اقطعها عبد الملك بن مروان لعلي بن عبد الله بن عباس . ينظر: الحميري ، الروض المعطار ، ١ / ١٩٩ ؛ ابن شداد ،الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ،١/ ١٠٩.

ان اهم ما اشتملت عليه الروايتان الثانية والثالثة هو الجانب الغيبي الكبير الذي بدا وكانهُ الموجه للأحداث في المستقبل فمن المعروف ان الناس جُبِلت على حب الغيب والتزوّد منهُ ، ولكن كيفَ تسنى لعلي بن عبد الله معرفة ذلك ؟.

ذكرَ ابن عبد ربه[١] في موضعٍ متقدمٍ من كتابه في رواية غير مسندة ان الخليفة علي بن أبي طالب فقدَ عبد الله بن عباس في وقت صلاة الظهر فسألَ عنهُ فقيلَ لهُ ولد ذكر فذهبَ اليه ليباركهُ ودعا بالرضيع فجاء بهِ ابوه يحمله فسماهُ علي وكناهُ بأبي الحسن ودعا لهُ ثمَ اعادهُ لوالده وقالَ خذ اليك ابا الاملاك ، ولاشكَ من ان المؤلف اخذَ هذهِ الرواية عن المبرد[٢] لكونهِ أول من أوردها . والذي يهمنا من هذهِ الرواية هو إخبارُ علي ولو بشكلٍ مجمل عن قيامِ دولة بني العباس ، ولكن الخبر الذي تداولتهُ الالسن عن علي بن عبد الله وولده كانَ أكثرُ تفصيلاً فمن اينَ علِمَ علي وبني امية بذلك. علقَ ابن ابي الحديد[٣] على هذهِ المسألة فذكرَ انهُ سألَ ابا جعفر يحيى بن محمد بن ابي زيد [٤]عن اي طريقٍ عرفَ بنو العباس و بنو أمية ذلكَ الخبر فأجابَ عن طريق محمد بن الحنفية وابنهِ عبد الله المكنى بابي هاشم[٥] ، ثمَ شرحَ لهُ كيفية ذلك .

اذاً فقد كان الامام علي بن ابي طالب هو مصدر ذلكَ الخبر ولاشكَ من انهُ اخذهُ عن النبي محمد (ﷺ) الذي لا ينطقُ عن الهوى مما يعطي انطباعاً لدى الاخرين من انَ ذلكَ الامر واقعٌ لا محالة وهذا ما عكّرَ العلاقة بين الخليفة الوليد وعلي بن عبد الله بشكلٍ ادى الى ضرب الاخير والتشهير بهِ .

---

(١) العِقد ، ٥ / ٩٣.

(٢) الكامل في اللغة ، ٢ / ١٦١.

(٣) شرح نهج البلاغة ، ٧ / ١٤٨ - ١٥٠.

(٤) هو يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن علي بن ابي زيد العلوي الحسني نقيب الطالبيين بالبصرة بعدَ ابيه . كانَ شيخاً أديباً فاضلاً عالماً بفنون كثيرة لاسيما بالأنساب وأيام العرب واشعارها ، وكان من جلساء الخليفة الناصر . توفي سنة ثلاثَ عشر وستمائة . ينظر: الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٢٠ / ٤٢٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٧ / ٥٨ .

(٥) هو عبد الله بن محمد بن علي بن ابي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي . كنيتهُ ابو هاشم. من اهل المدينة . يروي عن أبيه عن جده علي بن ابي طالب . انتهت رياسة بعض الشيعة اليه. ورثَ عن ابيه الصحيفة التي فيها اسماء نقباء الدعوة . كانَ ثقة صاحب علمٍ ورواية قليل الحديث . امهُ ام ولد تدعى نائلة . وفدَ على الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك الذي يتهمُ بانهُ سمه ، فخرجَ منهُ ، ونزل على محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بالحميمة فماتَ عندهُ . وقيلَ انهُ اوصى لهُ بالأمر من بعده . ينظر: خليفة ، طبقات ، ١ / ٤١٧ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ٧ / ٢ ؛ العيني ، مغاني الاخبار في شرح اسامي رجال المعاني والاثار ، ٣ / ١٥٦.

اما بالنسبة الى البداية الفعلية لحركة العباسيين فقد أوردَ ابن عبد ربه رواية[١] مطولة عن الهيثم بن عدي ذكرَ فيها ان امر الخلافة لما وصلَ الى علي اصارهُ الى ولده الحسن فأصارهُ الحسن الى معاوية فكره الحسين و محمد بن الحنفية ذلك ، فلما قُتِلَ الحسين بن علي صار امر الشيعة الى محمد بن الحنفية الذي أوصى ابنهُ ابا هاشم عبد الله بن محمد فلم يزل قائماً بأمر الشيعة حتى استخلفَ سليمان بن عبد الملك فوفدَ عليه ابو هاشم ثمَ شخصَ منهُ يريد فلسطين ، فلما كان بارض لخم وجذام دس له سليمان جماعة ضربوا لهُ اخبية في الطريق ومعهم لبناً مسموماً فلما نزلَ عليهم سَقوه منه فلما استقرَ في جوفه قال : ميلوا بي الى ابن عمي وما أحسبني ادركه فجدوا السير حتى اتوا الحميمة من ارض الشراة وبها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فنزل به، فقال: يا بنَ عمَ ، إني ميّت، وقد صرتُ إليك وأنت صاحبُ هذا الأمر، وولدُك القائم بِه، ثم أخوه مِن بعده، والله ليتمّن الله هذا الأمرَ حتى تَخرج الراياتُ السود من قَعْر خُراسان، ثم ليَغْلِبُنّ على ما بين حَضرموت وأقصى إفريقية، وما بين الهِنْد وأقصى فَرْغانة. فعليك بهؤلاء الشيعة واستَوْص بهم خيراً واعلم أنّ صاحب هذا الأمر مِن ولدك عبدُ الله بن الحارثية، ثم عبدُ الله أخوه . ثم مات ابو هاشم وقام محمد بن علي بالأمر " ولم يكن في ذلك الحين قد ولِدَ لهُ ولدٌ يسمى عبد الله، فوُلد من الحارثيّة ولدان سَمّيِ كل واحد منهما عبدَ الله، وكنى الأكبر أبا العباس، والأصغر أبا جعفر، فوَليا جميعاً الخلافة . ثم قدم الشيعةُ على محمد بن علي فأخبروه أنهم حبسوا بخُراسان في السجن، وكان يَخْدُمهم فيه غلام من السراجين ما رأوا قطُّ مثلَ عقله وظَرْفه ومحبّته في أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقال له: أبو مسلم. قال: أحر أم عبد؟ قال: أمّا عيسى فيزعم أنه عَبد، وأما هو فيزعم أنه حُر ، فأمرهم بشرائه وعتقه ثم جعلهُ بينهم .

فلما انقضت المائةُ السنة بعثَ محمد بن علي رُسلَه إلى خراسان فغرسوا بها غَرْساً، وأبو مسلم المُقدم عليهم، وثارت الفِتنة بها بين المُضرية واليمانية، فتمكن أبو مُسلم من اظهار امره وفَرّق رُسله في كُوَرِ خُراسان يدعو الناس إلى آل الرسول (ص) ، فأجابوه. ونَصْر بنُ سيار عامل خَراسان لهشام بن عبد الملك، فكان يَكتب لهشام بخَبرهم، وتمضي كتبه إلى يزيد بن هُبيرة [٢]

(١) العِقد ، ٥ / ٩٢.

(٢) هو يزيد بن عمر بن هبيرة بن معية بن سكين بن خديج بن بغيض بن مالك الفزاري ، كنيتهُ ابو خالد . اصلهُ من الشام وكان والياً على قنسرين للوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ثم صار مع مروان بن محمد يوم غلبَ على دمشق ، فلما استقام لهُ الامر جمعَ لأبن هبيرة ولاية العراقين ، فكانَ اخر من جُمِعَ لهُ ذلك . حاصرهُ المنصور العباسي بواسط لما غلبَ جندُ المسودة على خراسان والعراق ، فضلَ كذلك شهوراً ثمَ أمنهُ فأفتتحها صلحاً وركبَ يزيد باهل بيته وخاصته الى ابي جعفر ، فأمنهُ ثمَ غدرَ بهِ مع ولدهِ ومواليه سنة اثنين وثلاثين بعد المئة بواسط =

صاحب العراق ليُنفذها إلى هشام ، فكان يَحْبسها ولا يُنْفذها لئلا يقوم لنَصر بن سيّار قائمة عند الخليفة حتى كتب كتاباً وأمضاه إلى هشام على غير طريق ابن هُبيرة، وفي جَوف الكتاب تلكَ الابيات :

أرَى خَلَل الرماد وميضَ جَمْرٍ ... فيُوشِكُ أنْ يكون لها ضِرَامُ
فإنّ النارَ بالعُودين تُذْكَى ... وإن الحربَ أولها الكلامُ
فإنْ لم تُطْفئوها تَجْن حَر ... مُشَمِّرة يَشيب لها الغُلامُ
فقلتُ من التعجّب ليتَ شِعري ... أأيقاظُ أمَيّة أم نِيامُ
فإن كانوا لحينهمُ نياماً ... فقُل قوموا فقد حان القِيامُ
فِفِري عن رِحالك ثم قُولي ... على الإسلام والعَرب السلامُ

فكتب إليه هشام: أنِ احسم ذلك الثؤلول الذي نجم عندكم .

ومات محمد بن عليّ في أيام الوليد بن يزيد، وأوصى إلى ولده إبراهيم بن محمد، فقام بأمر الشّيعة. وقَدَّم عليهم أبا مسلمِ السرَّاج وسُليمان بن كَثير[١] فقويَ امرهم ثمَ ان ابن سيار كتبَ الى مروان بأمرِ ابي مسلم وانهُ يدعو الى ابراهيم بن محمد بن علي ، فكتبَ الى عاملهِ على دمشق أن يأمرَ عاملهُ على البلقاء ليسير الى الحميمة فيأخذَ ابراهيم ويوجههُ اليه فَحُمِلَ ابراهيم وادخِلَ على مروان فامر بهِ الى الحبس ، ثمَ استولى ابو مسلم على خراسان كلها فأرسلَ في طلب نصر بن سيار فهربَ هوَ واولاده وكاتبهُ داود حتى انتهوا الى الري فماتَ نصر وتفرقَ اتباعه .

وطبقاً لهذهِ الرواية – المطوّلة - فإنَ امر الدعوة العباسية انما تمَ بجهود ابي مسلمِ فقط دون غيرهِ من الدعاة ، وبمناسبة الحديث عن ابي مسلم فهنالكَ الكثير من الغموض الذي يلتاث بماضي هذهِ الشخصية ولعلَ هذا ما دفعَ المؤرخين الى الاختلاف في اصل ابي مسلم واسمهِ فضلاً عن هويته[٢] ، وقد يكون سبب ذلك هو السرية التي اتبعها ابو مسلمٍ بتوجيه من ابراهيم الامام الذي اختارهُ داعيةً لهُ في خراسان ، فقد ذكر ابن الاثير[٣] ان ابراهيم الامام امر ابا مسلم بتغيير اسمهِ

=. ينظر: ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٦ / ٣١٣ ؛ ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، ٢٧ / ٣٨٧ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٦ / ٢٠٨ .

(١) هو سليمان بن كثير بن امية بن اسعد بن عبد الله بن المؤتنف الخزاعي المروزي . احد النقباء الاثني عشر الذين بعثهم محمد بن علي لتوطيد الامر لولدهِ في خراسان . قتلهُ ابو مسلم بدعوى ممالأته لبني فاطمة . ينظر: الطبري ، تاريخ ، ٧ / ١١٤ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٢٢ / ٣٥٦ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٦ / ٥٢ .

(٢) عن ذلك الاختلاف ينظر : عمر ، فاروق ، الخلافة العباسية ، ٩٤ – ٩٩ . وانظر ايضاً بالنور ، ايمان علي ، دور الموالي في سقوط الدولة الاموية ، ٩٦ – ٩٧ .

(٣) الكامل ، ٤ / ٢٧٧.

قائلاً " غير اسمك فإنه لا يتم لنا الأمر إلا بتغيير اسمك على ما وجدته في الكتب ، فسمى نفسه عبد الرحمن بن مسلم " . ومهما تكن الاسباب فإنَ اختيار ابراهيم الامام لذلك الشخص في تلكَ الظروف يعد امراً بالغ الاهمية فلا بدَ لإبراهيم ان يكونَ على معرفةٍ تامة بأصلِ هذا الرجل وطبائعه حتى يوكل بهِ مهمة في غاية الخطورة وهوَ لم يتجاوز العشرين من عمره[١] .

و على أي حال فقد تمكنَ ابو مسلم ببراعة حاذق من الاستفادة من تلك الظروف المعقدة وتوجيهها بما يتوافق مع مصلحة الدعوة الناشئة . ولاشكَ ان الاضطراب العام في جميع اطراف الدولة في تلكَ المرحلة مكنهُ من تنفيذ مهمتهِ بنجاح ، يضافُ الى ذلكَ قوميتهُ التي تمكنَ من خلالها كسب دعم وتأييد بني جنسه في خراسان من الموالي ، ويتضحُ ذلكَ جلياً في خطبتهِ التي خطبها بمرو بعدَ ان جمعَ الاهالي هناك فقال[٢] : " يا معشر المسلمين بلغنا أن نصر بن سيار جمع قوما فخبرهم بأنكم على غير دين الاسلام ، وأنكم تستحلون المحارم، ولا تعملون بكتاب الله ولا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، يريد بذلك ليطفئ نوركم، ويؤلب عليكم الناس ... " .

وبهذهِ الكلمات التي تنطوي على جانبٍ قوميٍ واضح استطاعَ ابو مسلم ان يحصل على تأييد مطلقٍ من موالي مرو الذينَ سرعانَ ما تبعهم إخوانهم من موالي خراسان ، وهذا ما ذكرهُ الدينوري بقولهِ [٣] : " وانجفل الناس على أبي مسلم من هراة، وبوشنج، ومرو الروذ، والطالقان، ومرو، ونسا، وأبيورد ، وطوس ، ونيسابور، وسرخس، وبلخ، والصغانيان، والطخارستان، وختلان، وكش ، ونسف، فتوافوا جميعا مسودي الثياب، وقد سودوا أيضا أنصاف الخشب التي كانت معهم، وسموها (كافر كوبات) أي مضارب الكفار " .وبهذا يكون ابا مسلم قد جمعَ جيشاً كبيراً من بني جلدته[٤] فتمكن من خلالهِ من سحق الحاميات الاموية الموجودة في خراسان بعدَ ان هربَ واليها نصر بن سيار الذي رأى ان نهاية الدولة الأموية باتت وشيكة .

لم تكن المهمة التي أوكلت بأبي مسلم بهذهِ السهولة فعلى الرغم من انهُ نفذَ ما أنيطَ بهِ بنجاحٍ تام بعدَ تمكنهِ من السيطرة على مرو الا انهُ كانَ لهُ رأياً اخر مخالفاً لرأي سيدهُ ابراهيم الامام الذي

(١) ذكرَ ابن الاثير ان عمر ابي مسلم لما دخلَ في الدعوة كانَ تسع عشرَ سنة . ينظر : الكامل ، ٤ / ٢٧٧.

(٢) مؤلف مجهول ، اخبار الدولة العباسية ، ١ / ٢٩٢.

(٣) الاخبار الطوال ، ٣٦١.

(٤) ذكرَ فلهاوزن ان عامة الجيش كان من الفلاحين والموالي من القرى القريبة . ينظر : تاريخ الدولة العربية ، ٣٣٢ .

أمرهُ أن يأتلفَ العرب بدعوتهِ قائلاً [١] : " وانظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم وصلِ بين أظهرهم ... ثمَ قالَ لهُ ولا تخالف هذا الشيخ يعني سليمان بن كثير ولا تعصهِ اذا اشكلَ عليك أمر فاكتفِ بهِ مني " ، وفي الحقيقةِ فان مهمة ابي مسلم لم تكن عادية اذ كان عليه التضحية بدمهِ ودماء غيرهُ من الموالي الذين صاروا عماد تلكَ الثورة ليعودَ مرةً اخرى الى الانضواء تحتَ راية زعيم عربي وهو سليمان بن كثيرٍ الخزاعي لذا فقد قررَ التخلص من سليمان بدعوى انطوائهِ على غش الامام فقضى عليه [٢] . وهنا تمكنَ ابو مسلم من تصفيةِ ابرز الشخصيات العربية التي كانت تسير امر الدعوة العباسية في خراسان . لم يكن دور ابي مسلم واضحاً في تلكَ المرحلةِ من الدعوةِ اذ كانَ امامهُ الكثير لينجزه ، فلم يسيطر الا على اطرافاً من خراسان ويمكن توقع عودتها للسلطة الاموية في اي لحظة ، لذا ظلَ أبو مسلم موالياً للبيت العباسي مؤتمراً بأمره الذي تحولت القيادة فيه بعد اعتقال الخليفة مروان لإبراهيم الامام فأنابَ اخاهُ ابا العباس في التنظيم بدلاً عنهُ فواصلَ بعدَ اخيه أمرَ توجيه الدعوة الا ان رواية الهيثم التي اوردها المؤلف لم توضح حقيقة الدور الذي لعبهُ ابو العباس بعد اعتقال اخيه ابراهيم ، وانما استرسلت في ذكر دور ابي مسلم في توجيه تلك الاحداث ، وهذا هو المشهور، ولعل السبب في ذلكَ السّرية التامة التي اتبعتها الدعوة باختفاء قادتها عن مسرح الاحداث .

قلنا ان ابا مسلم استولى على خراسان كلها وطلبَ نصر بن سيار فهرب الاخير مع ولدِهِ حتى انتهوا الى الري حيث مات بإحدى قراها وتفرق اصحابه . وهنا اغفلت رواية الهيثم بشكلٍ تام دور قحطبة بن شبيب الطائي[٣] الذي عينهُ الامام ابراهيم شخصياً والذي أظهرَ كفاءة عالية في الاستيلاء على مدنٍ مهمة من خراسان وفقَ رواية الطبري[٤] ، ثم يعود الهيثم بروايتهِ الى ذكر قحطبة ولكن بعد استيلاء ابي مسلم على خراسان الذي جهز جيشاً وامر عليه قحطبة وسيرهُ الى العراق وهنا اشتبكَ قحطبة بمعارك مع فرق اموية أرسِلَتْ متأخرة لانقاذ الوضع في خراسان

(١) الطبري ، تاريخ ، ٧ / ٣٤٤.

(٢) الطبري ، تاريخ ، ٧ / ٤٥٠.

(٣) هو قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان بن عبد شمس بن قيس بن اكلت بن عمرو بن غنم الطائي المروزي . احد النقباء الاثني عشر وقيلَ ان اسمهُ زياد وقحطبة لقبُ لهُ . كان لهُ دورُ كبيرُ في اخضاع مدن خراسان لنفوذ العباسيين . قُتِلَ ليلة المسناة سنة اثنين وثلاثين ومئة بظروفٍ غامضة وقيلَ بل اصابتهُ ضربةٌ بوجههِ في تلكَ الليلة مات على اثرها ، وقيلَ مات غرقاً في الفرات ، فأمرَ جندهُ ولدهُ الحسن بن قحطبة الذي استكملَ السيطرة على باقي العراق . ينظر: اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٣٤٢ ؛ الذهبي ، العبر ، ١ / ١٣٧ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٢٤ / ١٥١ .

(٤) تاريخ ، ٧ / ٣٨٨.

فقضى عليها قضاءً تاماً ، ثم سار الى ابن هبيرة في العراق والتقى معهُ بالفرات فاقتتلوا حتى اختلط الظلام ، فقُتلَ قحطبة في المعركة وهوَ لا يُعرف فقال بعضهم غرق بالفرات ، ولعله هو الآخر نال نصيبه من التصفية في ذلك اليوم المضطرب ، ثم انهزم ابن هبيرة حتى لحقَ بواسط وغلبت المسودة على العراق ، وبايعوا لابي العباس فوجهَ عمهُ عبد الله بن علي لقتال مروان واهل الشام ووجهَ اخاهُ ابا جعفر الى واسط لقتال ابن هبيرة واقامَ هو بالكوفة حتى اتتهُ هزيمة مروانٍ بالزاب .

اما الجزء الاخير من الرواية فقد خُصِصَ لوضع نهاية لابي سلمة الخلال وابي مسلم حيث قتل ابو العباس الاول ، اما الثاني فقتلهُ ابو جعفر المنصور دونَ ان تفصل الرواية سبب قتلهما[١] جاءت رواية الهيثم بن عدي التي اوردها ابن عبد ربه مطابقة لما ذكرتهُ باقي المصادر[٢] ولم تختلف عنها سوى بما كتبهُ نصر بن سيار من ابيات شعر فقد ذكرت الرواية بانهُ بعثَ بها الى هشام بينما اجمعت المصادر الانفة بانهُ كتبها الى مروان بن محمد الذي اجابهُ قائلاً : أحفظ ناحيتكَ بجندك . كما ان الرواية غَيّبَت بشكلٍ واضح دور قحطبة المحوري في تلكَ الاحداث ، فضلاً عن كونها لم تذكر اسباباً لنهاية كلٍّ من ابي سلمة الخلال و ابي مسلم . وبالعودة الى ابن عبد ربه فعلى الرغم من تلكَ المآخذ على روايته فقد تمكنَ من الاحاطة بحركة العباسيين التي قسمها على قسمين : الاول ما

(١) لم يكد ابو العباس السفاح ان يتسنم منصب الخلافة حتى وجدَ نفسهُ امام مؤامرة جديدة قادها ابو سلمة الخلال لنقل الخلافة من ولد العباس الى ولدِ علي بن ابي طالب . وقد ثبتت هذهِ التهمة عليه بقرائن عديدة كان اهمها اخفاء خبر ابناء محمد بن علي قرابة الشهرين منذ ورودهما الكوفة حتى دلَ عليهم احد غلمانهم . والثانية مراسلتهِ ال علي في المدينة ، فلما انكشفَ امرهُ عزمَ الخليفة الجديد على التخلص منه ، فأستشار بأمرهِ ابا مسلم فأشار بقتلهِ وبعثَ لهُ احد اتباعه الذي كمن لهُ ليلاً فأورده حتفه . اما ابو مسلم فقد تعاظمَ نفوذهُ كثيراً في عهد ابي العباس فلما ملك ابو جعفر كان قد امتلأ غيضاً وهو يحصي عليه تجاوزاته فأستدرجهُ الى قصرهِ بعد امتناعٍ طويل فلما وفدَ عليه دار بينهما جدلاً انتهى بقتلِ ابا مسلم . ينظر: ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ٢ / ١٦٥ و ١٨٣ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٣٤٥ و ٣٦٧ ؛ الدينوري ، الاخبار الطوال ، ٣٧٠ و ٣٨٢ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٧ / ٤٤٩ و ٤٩٠-٤٩١ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٥ / ٢٨ و ٦٣ .

(٢) ينظر: خليفة ، تاريخ ، ١ / ٣٩٠ - ٣٩٥ ؛ ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ٢ / ١٤٨ - ١٦٢ ؛ البلاذري ، انساب ، ٣ / ٢٧٣ - ٢٧٦ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٦ / ٥٦٢ و ٧/٢٩٤-٢٩٥ ؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ٨ / ٣٠٧ - ٣٣٤ ؛ المسعودي ، مروج ، ٣ / ١٩٩ و ٢٠٨ ؛ الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ١ / ١٢٤ - ١٥٧ ؛ مؤلف مجهول ، اخبار الدولة العباسية ، ١/٢٦٣ - ٢٧٥ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٧ / ٢٤٤ – ٢٤٥ و ٢٧٠ - ٢٨٩ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٤ / ١٠١ و ١٠٧ – ١٠٨ ؛ ابن الطقطقي ، الفخري ، ١ / ١٣٧ - ١٤٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ / ٦٦٨ – ٦٦٩ و ١٣ / ٢٢٤ - ٢٣٣ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ،٣ / ٢١٤–٢١٨ .

ذكرهُ عن علي بن عبد الله بن عباس وقصة ضرب الوليد له والآخر ما ذكرهُ بخصوص بداية الصدام العسكري بينَ اتباع تلكَ الحركة والدولة الاموية تلكَ الاحداث التي يدلُ ذكرها على احاطتهِ بأخبارها وبراعتهِ في الدمج بين الخبرين مع اختصارهِ لبعض التفاصيل التي لا تضر بالمعنى العام كما ان الملاحظ عليه مع تلك الحركة انه اغفل – وربما عن عمد – ذكر اي دور للسلطة الاموية التي كان عليه ان يخصها بالذكر تماشياً مع مجريات الاحداث ، مما يقودنا الى القول بانه ترك ذلك لكون ذكره ربما يهيّج مشاعر السلطة الاموية التي يعيش في كنفها.

المبحث الثاني

حركات المعارضة في الدولة العباسية (١٣٢-٢٠٢هـ/٧٥٠-٨١٨ م)

شهدت الدولة العباسية في عصرها المبكر الواناً عدة من الخلافات الداخلية التي سرعان ما تطورت الى اشتباكات دامية راحَ ضحيتها الكثير من افراد البيت الهاشمي ، فقد واجهَ العباسيون معارضة بعض من ابناء عمهم الطالبيين الذينَ أملوا عندما ساندوا الدعوة ان تؤول لهم الخلافة ، ولكن تشبث العباسيين بالحكم جعلَ منهم اضاحي تتساقط اجسادهم على طريق ذلكَ المشروع ، حتى اذا خفتت اصواتهم برزت معارضات من داخل البيت العباسي لتنظيم صياغة جديدة لانتقال السلطة بين افراده الا ان تلكَ الحركات تفرقت على مدار طويل نتيجة لامتداد حكم هذا البيت ، ولكن رغم ذلك اختزل ابن عبد ربه اغلب تلك الحركات ولم يذكر منها سوى حركتين هما :-

أ- حركة محمد ذو النفس الزكية(١٤٥هـ/ ٧٦٣ م)

ما ان تسلم ابو جعفر المنصور الخلافة بعد اخيه ابي العباس السفاح حتى بدأ يرقب تحركات الطامحين للخلافة من الطالبيين وبالأخص ابني عبد الله بن الحسن ويتحرى عن اخبارهم منذُ تخلفهم عن بيعة اخيه واشاعتهم بأن عامة بني هاشم بمن فيهم السفاح والمنصور قد بايعوا لمحمد بن عبد الله بن الحسن قبل سقوط دولة بني مروان الاموية [١]. فضلاً على قرب نسبهم من الرسول ﷺ وتمركزهم في الحجاز حيث منطلق الدعوة فشكلا خطراً كبيراً على نفوذ الخليفة الديني وضرراً كبيراً لمركزهِ لذا كان لابد له من ضربهم لتثبيت ذلكَ المركز ، وتأتي اهمية هذه الحركة بوصفها اولى الحركات العلوية التي حدثت في العصر العباسي فكشفت الى حد بعيد مقدار الخلاف الذي نشب داخل البيت الهاشمي بعد ان كان كامناً [٢].

(١) الدوري ، عبد العزيز ، العصر العباسي الاول ، ٨٠ .

(٢) الجنابي ، سعد كاظم عبد ، الحركات العلوية في تاريخ الطبري،٢٣٧

أوردَ ابن عبد ربه [١] رواية عن عبد العزيز بن عبد الله البصري [٢] ذكرَ فيها ان أبا العبَّاس السفّاح لما وَلى الخلافةَ قَدِم عليه بنو الحَسن بن عليّ ابن أبي طالب، فأعطاهم الأموال وقَطع لهم القطائع، وخَصَّ منهم عبد الله بن الحَسن ، ثمَ انهُ أرسل معهم رجلاً من ثِقاته وقال له: قُم بإنزالهم ولا تَأن في إلطافهم. وكلما خلوتَ معهم فأَظْهر الميل إليهم والتحاملَ علينا وعلى ناحيتنا، وأنهم أحقُّ بالأمر منّا، وأحْص لي ما يقولون وما يكون منهم في مَسيرهم ومَقْدَمهم. ثم ذكرَ ان السبب الذي حمل أبا العبّاس على إساءة الظن بهم ، أنه لما بَنى مدينةَ الأنبار ودخلَها مع أبي جعفر أخيه وعبد الله بن الحسن، وهو يسير بينهما ويُريهما بُنيانه وِما أقام فيها من المَصانع والقُصور، فجَعل عبد الله بن الحسن يتمثَّل بهذه الأبيات:

ألم ترَ حوشباً قد صار يَبْني ... قصوراً نَفْعُها لبني نُفَيْلَهْ
يُؤَمِّل أن يُعِمِّر عُمْرَ نُوح ... وأَمرُ الله يَحْدث كلّ لَيله

قال: فتغيَر وجهُ أبي العبَّاس. فقال له أبو جعفر: أتراهما ابنيك أبا محمد والأمر إليهما صائر لا محالة ؟ قال: لا والله ما ذهبتُ هذا المذهب ولا أردتُه، ولا كانت إلا كلمة جرتْ على لساني، لم ألقِ لها بالاً. فأوحشتْ تلك الكلمة أبا العباس . فلما عادَ بنو الحسن الى المدينةَ بدأ عبد الله بن حسَن يُكلِّمُ من صار اليه من ابناء عمومته – بعد ان فرق بينهم المال – يحثهم على طلبِ حقهم بالامرِ قائلاً : أفَرَضيتُم أن تنالوا هذا من تحت أيدي قومٍ آخرين ؟ فخرج الرجلُ الذي كان وكَّله أبو العباس بإحصاء أخبارهم فأخبرهُ بما سمعَ من قولهم ، فأخبر أبو العبّاس بها أبا جعفر ، فزادت الأمور تعقيداً . ثم مات أبو العباس وقام أبو جعفر بالأمر بعده، فبعث بعطاء أهل المدينة، وكتب إلى عامله: أن أعط الناسَ في أيديهم ولا تَبعث إلى أحدٍ بعطائه، وتَفقّد بني هاشم ومَن تخلَف منهم ممّن حضر، وتحفّظ بمحمد وإبراهيم، ابني عبد الله بن الحسن. ففعل وكتب: إنه لم يتخلف أحدٌ عن العطاء إلا محمد وإبراهيم ، فإنهما لم يَحضرُا. فكتب أبو جعفر إلى عبد الله بن الحسن، وذلك مبتدأ سنة تِسْع وثلاثين ومئة، يسأله عنهما ويأمره بإظهارهما وأنهُ غير عاذره فيهما. فردَ عليهِ عبدُ الله: إنه لا يَدري أين هما ولا الى أين توَجّها . فلم يلبث أبو جعفر، وكان قد أذكى العُيون ووَضع الأرصاد، حتى عرفَ حقيقة امر أبني عبد الله ومن يكاتبهما من انصاره في خراسان وغيرها ، فكتبَ الى عبد الله :

أريد حياتَه ويُريد قتلي ... عذيرَك مِن خليلك من مُرادِ

(١) العِقد ، ٥ / ٦٧.

(٢) من الرواة المُبهمين . ينظر :جدول رقم (٣) .

ثمَ امرهُ بإظهار اولاده واعطاهم الامان جميعاً فكتبَ لهُ عبد الله :

وكيف أريد ذاك وأنت منى ... وزَنْدُك حين تُقْدح من زِنادِي
وكيف أريد ذاك وأنت منى ... بمَنزلة النياط من الفُؤاد

وأكدَ لهُ انهُ غير عارف بمكانهما ، فلما اعياهُ ذلكَ دسَ لهُ سَلْم بن قُتيبة الباهليّ[١] وبَعث معه بمالٍ ، وأمره بأن يحتال على عبد الله وانهُ مبعوثٌ من شيعته بخراسان، فلما امنَ لهُ عبد الله اخرجَ لهُ ابناه محمد وابراهيم . ثم طلبَ سَلْم من عبد الله ان يخلعَ ابا جعفر ويبايع لولدهِ محمد حتى يقتدي بعمله شيعتهم ، ثم خرجَ سَلْم وقدم على أبي جعفر فأخبرهُ الخبر وسلمهُ الكتب فأرتحلَ أبو جعفر ودخلَ المدينةَ فأرسل إلى بني الحسن فجَمَعهم، ثمَ امرَ سَلْم بأن يقيم على رأسه إن رأى عبد الله بن الحسن . فلما رآه في مجلس أبي جعفر خرجَ ووقفَ على رأسه ، فلما رآهُ عبد الله سقطَ في يده وتغيرَ وجهه وطلبَ من أبي جعفر ان يقيله فقالَ لهُ : هل علمتَ أنك تعرف موضع وَلَديك وأنه لا عُذر لك وقد باح السرُّ، فأظهرهما لي، ولك أن أصلَ رحمك ورَحمهما، فتراجعَ عبد الله حتى أنكفأ على ظهره، وبنو حسن اثنا عشر رجلاً، فأمر ابو جعفر بهم جميعاً الى السجن ، ورغم اتفاق العديد من المصادر[٢] مع ابن عبد ربه في ايرادِ مرويات قريبة من هذهِ الرواية ، الا ان جميعها لم تبين حقيقة الحاح ابي جعفر في امر محمدٍ وابراهيم ولـدَيْ عبد الله بن الحسن ، وارى ان السبب الذي ذكرتهُ رواية المؤلف غيرُ كافٍ لجعلِ ابي جعفر يجدُ في طلبهما ، كما ان الرواية التي ساقها المؤلف وروايات المصادر التاريخية المتفقة معها تجعلُ من محمد وابراهيم خاملا الذكر وليسَ لهما دورٌ بارزٌ في تسيير تلكَ الاحداث ، بل على العكس فقد صرفت الاضواء عنهما الى ابيهما الذي اعياه طلب المنصور حتى افضى بهِ الحال الى السجن ، والسؤال هو ما سر هذا الغموض؟.

(١) هو سلم بن قتبة بن مسلم بن عمرو بن ربيعة بن خالد بن اسيد الخير بن كعب بن قيس عيلان بن مضر بن نزار . امير خراسان ، ولاه المنصور البصرة بعدَ ان كاتبَ اهلها منحازاً بهم في ثورة ابراهيم عبد الله بن الحسن . توفيَ بالري سنة تسع واربعين بعد المئة وصلى عليه المهدي لعظم شأنهِ عند العباسيين. ينظر: ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٢٢ / ١٥٥ ؛ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٦ / ٢٢١ ؛ ابن حجر ، تقريب التهذيب ، ١ / ٢٤٦ .

(٢) ينظر: ابن سعد ، الطبقات ، ٥ / ٣٨٦-٣٩٠ ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ١ / ٣٧٨ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٣٦٠ ؛ الفسوي ، المعرفة والتاريخ ، ١ / ١٢٨ ؛ المبرد ، الكامل في اللغة ، ٤ / ٩٤ - ٩٦ الطبري ، تاريخ ، ٧ / ٥١٩ - ٥٣٩ و ٥٥٠-٦٠٩ ؛ المقدسي ، البدء والتاريخ ، ٦ / ٨٤ – ٨٦ ؛ الاصفهاني ، الاغاني ، ٥ / ٣٦٩ - ٣٧٠ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١١ / ٩٠-٩١ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٢٧ / ٣٧٠ و ٣٨٥ - ٣٩٠ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٧ / ٢١٢ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٥ / ٩٧-٩٩ ؛ اليافعي ، مرآة الجنان ، ١ / ٢٣١ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١١ / ٣٢٠ .

أوردَ المسعودي [١] رواية عن المدائني اعطت سبباً ربما يكون مقنعاً لذلكَ الطلب فقد ذكرَ ان جدالاً جرى بينَ داود بن علي بن عبد الله بن عباس[٢] واخيه عبد الله من جهة وعبد الله بن الحسن من جهة أخرى فقال داود لابن الحسن : لم لا تأمر ابنيك، بالظهور، فقال عبد الله: هيهات لم يَئِنْ لهما بعدُ فالتفت إليه عبد اللهّ بن علي فقال: كأنك تحسب أن ابنيك هما قاتلا مروان، فقال: إن ذلك كذلك . لذا وطبقاً لهذه الرواية فانَّ أمرَ محمدٍ واخاه ابراهيم كانَ قد وطِدَ لهما منذُ ايام مروان بن محمد [٣] ، ولكنَ هذهِ الرواية ليسَ لديها المزيد لتخبر عنه . فمن الذي وطَّدَ امرهما وكيف ؟ . اما صاحب كتاب أخبار الدولة العباسية [٤] فقد ذهبَ ابعد من ذلكَ اذ اوردَ رواية عن بكير بن ماهان [٥] ذكرَ فيها انهُ كانَ جالساً عندَ محمد بن علي بن عبد الله في بيتهِ بالحميمة فأقبلَ ابنهُ ابو العباس فقالَ لهُ محمد وأشارَ الى ابنهِ : هذا المجلي عن بني هاشم القائم المهدي لا ما يقول عبد الله بن الحسن في ابنه . إذاً فقد كانَ هناكَ تنافس خطير على ذلكَ الامر منذُ ان ضعفت دولة بني امية ، ولكن على اي شيءٍ استندَ ذلكَ التنافس ؟ .

---

(١) مروج ، ٣ / ٢١٥.

(٢) هو داود بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي . كان فصيحاً مفوهاً. كنيتهُ ابو سليمان. وليَ امر الكوفة ثمَ المدينة والموسم ومكة واليمن واليمامة ، وكانَ من جبابرة الامراء . لهُ هيبة ورواء وعندهُ ادبُ وفصاحة . حجَ بالناس سنة اثنين وثلاثين بع المئة وهيَ أول حجة حجها ولد العباس . توفيَ وهو ابن اثنين وخمسينَ سنة . كانَ بالحميمة من ارض الشراة من البلقاء وقيلَ كانَ حاضراً معَ ابي العباس لما صعدَ منبر الكوفة ليخطبَ اول خطبةٍ لهُ ، فَحُصِرَ ولم يتكلم فوثبَ داود بينَ يدي المنبر فخطبَ فذكرَ امرهم وخروجهم ومنى الناس ووعدهم العدل فتفرقوا عن خطبته . ينظر: الذهبي ، العبر ، ١ / ١٣٨؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٣ / ٣٠٠ ؛ العيني ، مغاني الاخبار ، ٣٠١/١ .

(٣) هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن ابي العاص القرشي الاموي . امهُ كردية قيل ان اسمها لبابة ، امة ابراهيم بن الاشتر النخعي اخذها محمد بن مروان بعدَ قتل الاشتر . ولاه هشام اذربيجان وارمينية والجزيرة ففتحَ بلاداً كثير وكان لايفارق الغزو لشدة ما فيه من الشجاعة والباس ويقال انهُ لقب بالحمار لأجل ذلك . بويعَ لهُ بالخلافة في ربيع الاول سنة مئة وسبع وعشرين بعد المئة فمكثَ بها خمس سنين وشهراً حتى قُتِلَ بمصر لثلاث بقينَ من ذي الحجة لسنة مئة واثنتين وثلاثين بعد المئة . ينظر: ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٥٧ / ٣١٩ - ٣٢٤ ؛ ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، ٧ / ٢٥٨ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٣ / ٢٦٢ ؛

(٤) ١ / ٣٨٢.

(٥)هو بكير بن ماهان ابو هاشم الحارثي . احد دعاة بني العباس . كان كاتباً لبعض عمال السند . قدمَ على محمد بن علي الى البلقاء فأقام عنده واخذَ عنه ، ثم بعثهُ الى خراسان داعيا ، وظل كذلك حتى ايام ابراهيم الامام ولكن الغموض يكتنف الشطر الاخر من حياته . ينظر: الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٦ / ٥١ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٠ / ١٧١ .

ذكرنا في المبحث السابق ان ابا هاشم اطلعَ محمد بن علي بن عبد الله على حقيقة الدعوة وذكرَ لهُ انها ستكون لهُ في ولده وهذا ما ورثهُ عن ابيه محمد بن الحنفية الذي ورثهُ بدوره عن أبيه علي بن ابي طالب ، لذا فقد كان ولد علي العباسي متيقنين من امر الدعوة ونجاحها والى مَن ستؤول فيما بعد . ولكن كيفَ كانت الحال لدى ولد الحسن ؟ او بعبارة اخرى من اينَ استقى ولد الحسن خبرَ قيام دولتهم ؟ . لم تشر المصادر الى اية رواية يمكنها ان تدعمَ ذلك ولكن الاصفهاني(١) أوردَ رواية عن عمر بن شبة ذكرَ فيها ان جماعة من بني هاشم اجتمعوا بالأبواء (٢) وفيهم عبدالله بن الحسن بن الحسن وابناه محمد(٣) وإبراهيم(٤) وابو جعفر وإبراهيم إبنا محمد بن علي بن عبدالله بن العباس وصالح بن علي (٥) وآخرون. فقال صالح: " قد علمتم انكم الذين تمد الناس اعينهم اليهم وقد جمعكم الله في هذا الموضع فاعقدوا بيعة لرجل منكم تعطونه إياها من انفسكم وتواثقوا على ذلك حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين " . فقام عبدالله بن الحسن فحمد الله واثنى عليه ثم قدمَ ابنهِ محمداً ذاكراً فضله وعبادته ثم طلبَ منهم البيعة له . فقال ابو جعفر (المنصور): " لأي شيءٍ تخدعون انفسكم ووالله لقد علمتم ما الناس إلى احد اطول اعناقا ولا اسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى - يريد محمد بن عبدالله". قالوا: قد والله صدقت إن هذا لهو الذي نعلم. فبايعوا جميعا محمدا ومسحوا على

(١) مقاتل الطالبيين ، ١ / ١٨٦ - ١٨٧.

(٢) الابواء : ماء من المياه تقع على الطريق بين المدينة ومكة وبينها وبين مكة اربعة مراحل . ينظر: ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ١ / ١٣٠؛القزويني ،اثار البلاد واخبار العباد،١٢٥/١.

(٣) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب القرشي الهاشمي . أمهُ هند بنت ابي عبيدة بن علي الاسيدي . كنيتهُ ابو عبد الله . ولدَ سنة مائة ولُقِبَ بالمهدي لحديث للرسول (ص) : انَ المهدي من ولدي اسمهُ اسمي واسمُ ابيه اسمُ أبي ، و لايوجد احد من بني فاطمة يتطابق اسماه مع ما نصوص عليه في الحديث . كانَ جمَ الفضائل ، كثير المناقب لذا فقد تطلعت لهث نفوس بني هاشم فعظموهُ ، ثمَ اضيف لأسمهِ لقبَ المهدي حتى عُرِفَ به . قُتِلَ بأحجار الزيت في المدينة اثناء ثورته على المنصور العباسي سنة خمس واربعين بع المئة ولهُ خمس واربعين سنة. ينظر : ابن حبان ، الثقات ، ٧ / ٣٦٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣٨٠/١٣ ؛ ابن عنبة ، عمدة الطالب ، ٩٥.

(٤) هو ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب القرشي الهاشمي . كنيتهُ ابو الحسن . كانَ يرى مذهب الاعتزال . ظهرَ بالبصرة بعد ظهور اخيه محمد بأشهر فاستولى على واسط والاهواز بغير قتال . ندبَ لهُ المنصور ابن عمه عيسى بن موسى فالتقوا بباخمرا بأطراف الكوفة فقتلَ ابراهيم وتفرق جمعه وكان ذلك سنة مئة وخمس واربعين بع المئة وهي نفس السنة التي قُتِلَ فيها اخوه محمداً. ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣٧٣/١٣ ؛ ابن عنبة ، عمدة الطالب ، ١٠١.

(٥) هو صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي . كنيتهُ ابو عبد الملك. ولِدَ بالسُراة من ارضِ البلقاء من اعمال دمشق سنة ستُ وتسعون أو قبلها . فتحَ مصر ووليها وقهرَ بني امية ووليَ الموسم وامرة دمشق . بنى مدينة ادنة وانتصر على حملةِ قادة قسطنطين بن ليون طاغية الروم فقتلَ وسبى وخرجَ سالماً . توفي سنة اثنتين وخمسين بعد المئة وكانَ والياً على حمص و قنسرين . ينظر: ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٢٢ / ٤٨٠ ؛ أبن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٦ / ١١٨الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٨ / ١٥٧.

يده. ثمَ ارسلَ عبد الله بن الحسن الى جعفر بن محمد (الصادق) [١] فقالَ لهُ بعضهم : "لا نريد جعفرا لئلا يفسد عليكم امركم " ، ثم جاء جعفر بن محمد فأوسع له عبدالله بن الحسن إلى جنبه فتكلم بمثل كلامه فقال جعفر: "لا تفعلوا فان هذا الامر لم يأت بعد فإن كنت ترى - يعني عبدالله - أن ابنك هذا هو المهدي فليس به ولا هذا اوانه وإن كنت إنما تريد ان تخرجه غضبا لله وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فانا والله لا ندعك وانت شيخنا ونبايع ابنك " . فغضب عبدالله وقال: " لقد علمت خلاف ما تقول و والله ما اطلعك الله على غيبه ولكن يحملك على هذا الحسد لابني" . فقال: " والله ما ذاك يحملني ولكن هذا وإخوته وابناؤهم دونكم وضرب بيده على ظهر ابي العباس ثم ضرب بيده على كتف عبدالله بن الحسن وقال: إنها والله ماهي اليك ولا إلى ابنيك ولكنها لهم . وإن ابنيك لمقتولان " . ثمَ توكأ على يدِ احدهم وقام .

أعطت هذهِ الرواية سبباً مقنعاً لطبيعة الخلاف الذي كان قائماً بينَ ولد محمد بن علي بعدَ توليتهم الخلافة وبينَ عبد الله بن الحسن وابناه محمد وابراهيم ، لذا فإننا لا نعدو الصواب إذا قلنا ان هذه الرواية تعد من ادق الروايات التي تحدثت عن ذلك فبيعة بني العباس لمحمد بن عبد الله بن الحسن هيَ ما جعلتهم يطلبونهم منذُ ان صارت اليهم الخلافة ، وهذا ما أيدتهُ بعض المصادر[٢] ، لأنَ بيعة المسلمين لهم بالخلافة وفي اعناقهم بيعة لمحمد بن عبد الله يجعل من خلافتهم غير شرعية في نظر الجميع – إن أطلعوا على ذلكَ – لذا فقد حاولوا منذُ توليتهم السلطة العمل على التخلص من ابن عبد الله بن الحسن وهذا مخالفُ تماماً للرواية التي ذكرها ابن عبد ربه .

اكمل المؤلف روايتهُ فذكرَ ان المنصور تهيأ للحرب فعبأ جيشهُ وفرقَ الاموال بينَ الناس في المدينة ولكنهُ خرجَ الى العراق ، فظهرَ محمد بن عبد الله من مكمنهِ واستولى على المدينة فبايعهُ اهلها واهل مكة ثمَ ارسلَ اخاه ابراهيم الى البصرة فاستولى بدورهِ على واسطَ والاهواز دونَ قتالٍ ، ثمَ انَ ابا جعفرٍ جهزَ اليهم عيسى بن موسى[٣] فخرجَ الى المدينة فلقيهُ محمد بن عبد الله فأنهزمَ

(١) هو الامام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب القرشي الهاشمي . أمهُ ام فروة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر. كنيتهُ ابو عبد الله . ولدَ سنة ثمانين . هو سادس الائمة المعصومين عند الشيعة الامامية والاسماعيلية . كانَ من سادات اهل البيت . لُقِبَ بالصادق لصدق حديثه ، وكانَ لهُ فضلُ وعلمُ وفقهُ سارت بهِ الركبان . توفيَ بالمدينة سنة ثمان واربعين بعد المئة ودفن بالبقيع . ينظر : ابن قتيبة ، المعارف ، ١ / ٢١٥ ؛ ابن خلكان ، الوافي بالوفيات ، ٣٢٧/١ ؛ ابن عنبة ، عمدة الطالب ، ١١٢.

(٢) ينظر: البلاذري ، أنساب ، ٣ / ٧٨ – ٧٩ و ٨٦ - ٨٧ ؛ مجهول ، اخبار الدولة العباسية ، ١ /٣٨٣ - ٣٨٦ ؛ ابن الطقطقي ، الفخري ، ١ / ١٦٢ - ١٦٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٣ / ٣٥٠ - ٣٥٢ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ٣ / ٢٢٦ – ٢٤٦ .

(٣) هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس القرشي الهاشمي . ولدَ سنة اثنتين ومائة في الحميمة ، ثم انتقلَ مع اهلهِ الى العراق . عُدَ من مشايخ بني هاشم ورؤسائهِ بل وشجعانهم ايظاً. جعلهُ السفاح=

اصحابهُ وقُتِلَ ثُمَ مضى عيسى الى البصرة فلقيَ ابراهيم بن عبد الله فقتلهُ وبعثَ برأسهِ الى أبي جعفر . والى هنا تنتهي رواية ابن عبد ربه من دون ان تفصّل طبيعة تلك الصدامات ، وعلى الرغم من اتفاق المصادر الآنفة جميعها على تفاصيل تلكَ الحركة [١] الا ان المؤلف لم يذكر تلكَ التفاصيل ، بل نجدهُ على العكس اهتمَ بما طالَ اباهما من عقاب على يد المنصور وهذا خلاف المشهور ، لذا ارى انَّ المؤلف اظهرَ تقصيراً واضحاً تجاه تلكَ الحركة وما كان بعدها ولعل السبب في ذلك عدم رغبته بالطعن في شخص الخليفة ابي جعفر وان ادى ذلكَ الى اخفاء جزء من الحقيقة التاريخية ، او انه شذّب روايته حتى لم يبق منها ما يُفهم من ان ابو جعفر المنصور كان قد مارس الغدر والخديعة من اجل الايقاع بغريمه فيكون اظهره بالصورة التي لا تليق ، وهذا ما لا يريده المؤلف لكون المنصور يعد المؤسس الحقيقي لدولة بني العباس التي عاصر المؤلف شطراً منها وقد يكون المؤلف على علاقة ببعض امرائها او انه يطمح بصلاتهم فإخراجه اسلافهم بصورة غير لائقة قد يقضي على كل هذه الفرضيات .

=ولياً لعهدهِ بعد اخيه المنصور ، ثمَ طالبهُ المنصور بعد ان صار خليفة بان يقدم عليه ولدهُ المهدي فخلعَ نفسه من ولاية العهد . تقلبَ في المناصب الادارية والعسكرية في بداية دولة بني عمه .توفيَ سنة ثمان وستين بعد المئة بالكوفة ودُفِنَ فيها. ينظر : المرزباني ، معجم الشعراء ، ١ / ٢٥٨ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٤٨ / ١٩ .

(١) كان ابو جعفر المنصور بعدَ ظهور محمد ذو النفس الزكية بالمدينة بعثَ اليهِ رسائل عمدَ فيها حل الازمة دبلوماسياً الا ان ذلكَ لم يفلح ، فبعثَ جيشاً اوكل قيادته بأبن عمه وولي عهده عيسى بن موسى وسيرهُ الى المدينة وقد تمكن الاخير من الاتصال ببعض الشخصيات في المدينة ومكة ممن التحقوا بمحمد ذو النفس الزكية واقنعهم بعدم هدر دمائهم بتأييدهم لتلك الحركة ، لذا اخذ جمعُ محمدٍ بالتفرق عنه اذ غادر بعض اتباعه المدينة ليلاً وبقى مع ثلةٍ قليلة منهم ، فتمكنَ بذلكَ الجيش العباسي من دخول المدينة وحسم امر محمدٍ واتباعه وحمل رؤوسهم الى ابي جعفر . اما اخاه ابراهيم فقد تأخرَ في اعلان ثورتهِ بالبصرة لمرضٍ المَ بهِ فأظهرَ امره في رمضان من السنة نفسها واستولى على البصرة وواسط والاهواز وكثر اتباعه حتى باتَ يهدد الكوفة مما اقلق ابا جعفر الذي كان في ذلكَ الوقت قد فرقَ اتباعهُ في خراسان ولم يكن معهُ من الجند ما يكفي لمجابهةِ الموقف ، فكتبَ الى عيسى بن موسى في المدينة بأن يعجل الى ابراهيم فالتقى الجيشان بباخمرا على مسافةٍ من الكوفة باتجاه الشرق فدارت بينهما الحرب التي اصيبَ فيها ابراهيم اصابةً في راسه مات على اثرها من فوره . ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ٥ / ٣٨٦-٣٩٠ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٣٦٠ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٧ / ٥١٩ - ٥٣٩ و ٥٥٠-٦٠٩ ؛ الفسوي ، المعرفة والتاريخ ، ١ / ١٢٨ ؛ المبرد ، الكامل في اللغة ، ٤ / ٩٤ - ٩٦ ؛ الاصفهاني ، الاغاني ، ٥ / ٣٦٩ - ٣٧٠ ؛ المقدسي ، البدء والتاريخ ، ٦ / ٨٤ – ٨٦ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١١ / ٩٠-٩١ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٢٧ / ٣٧٠ و ٣٨٥ - ٣٩٠ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٧ / ٢١٢ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٥ / ٩٧-٩٩ ؛ اليافعي ، مرآة الجنان ، ١ / ٢٣١ .

ب- حركة ابراهيم بن المهدي[١] (٢٠٢هـ/ ٨١٨ م)

كان للتنافس على السلطة الذي جرى بين ابني الرشيد محمد الامين [٢] وعبد الله المأمون [٣] اثرٌ كبيرٌ في اختلال التوازن بين العرب والفرس في الدولة ، ثم ان تعاظم النفوذ الفارسي في الدولة بعد مقتل الامين شكلَ صدمة لجميع العناصر العربية التي ادركت بأن امتيازاتها شارفت على الافول [٤] . وقد عزز هذه النظرة الخطأ الذي ارتكبه المأمون ببقائهِ بمرو [٥] بعيداً عن مركز خلافتهِ

(١) هو ابراهيم بن المهدي بن المنصور ابو جعفر بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي . كنيتهُ ابو اسحاق . امهُ وصيفة سوداء اسمها شكلة وكان يعير احياناً فيقال لهُ ابن شكلة . كان اسود اللون عظيم الجثة ولذلكَ لقبَ بالتنين . بايعهُ اهل بغداد في الاول من المحرم سنة مئتين واثنين بعد خلعهم المأمون لكنهُ توارى في بغداد خوفاً من المأمون الذي توجه اليها على رأس جيشٍ كبير . عفا عنهُ المأمون وامنهُ على نفسه وماله . توفي في بغداد سنة اربع وعشرين ومئتين ودفنَ فيها . ينظر: ابن ماكولا ، الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ، ١ / ٥١٨ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ١ / ٣٩ - ٤٠ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ١٠ / ٥٧٤ .

(٢) هو ابو عبد الله محمد بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي . امهُ زبيدة بن ابي جعفر المنصور . ولد سنة سبعين ومائة في بغداد . بويعَ لهُ بالخلافة بعد الرشيد سنة ثلاثٍ وتسعين ومائة فكانت مدة ولايتهُ اربع سنين واشهر وعاش ثمان وعشرين سنة . قتلهُ جند طاهر بن الحسين الخزاعي في الفتنة التي نشبت بين الامين وأخيه المأمون ، وكان قتلهُ في المحرم سنة ثمانُ وتسعون ومائة . ينظر: ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٥٦ / ٢١٣ ؛ ابن حجر ، لسان الميزان ، ٥ / ٤١٢ .

(٣) هو عبد الله بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي . كنيتهُ ابو العباس . ولد ببغداد سنة سبع وعشرين بعد المئة لِأمَة باذغيسية تدعى مراجل . وهو سابع خلفاء بني العباس . تسلّم الخلافة بعد ان قتلَ اخاه الامين الذي خلع اخاه المأمون عن ولاية العهد جاعلاً ابنهُ موسى بدلاً عنه . عُرِفَ واشتهر بهمته العلية بطلب العلم وتشجيع العلماء . شهدَ عصرهُ نهضة ثقافية كبيرة . توفي غازياً سنة ثمان عشر ومائتين على نهر البدندون فَحـُملَ الى طرسوس ودُفِنَ هناك . ينظر : اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٤٤٤ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٣٣ / ٢٨٢ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ٣٥ .

(٤) الدوري ، عبد العزيز ، العصر العباسي الاول ، ٢٠٩ .

(٥) أشهر مدن خراسان وتعني بالفارسية نَفـَسُ السلطان ، وسميت بذلك لجلالتها عندهم . تضم العديد من الكور التي امتازت جميعها بخصب اراضيها وانتشار الصنائع بها . اشتهرت في التاريخ بكونها احد كبرى مراكز تجمع المجاهدين في ما وراء النهر . اكتسبت اهمية خاصة في عهد العباسية بكون اغلب دعاة العباسيين كانوا منها. ينظر: الحموي ،معجم البلدان ، ٣/ ١١٧

ببغداد واطلاقه يد وزيره الفضل بن سهل [١] في جميع اركان الدولة مما فسح المجال امام بعض الامراء العباسيين الى تنصيب احد ابناء المهدي واختاروا ابراهيم للحفاظ على ما تبقى من تلك الامتيازات الا ان ذلكَ التنصيب جوبِهَ بتحركٍ جدي من المأمون ازال به اسباب ذلك الامتعاض معيداً الى الاذهان انهُ منصوريُّ في سياسته [٢].

أورد ابن عبد ربه مجموعة من الروايات التي دللت على رصدهِ لتلك الحركة و كان اولها ما ذكره من علاقة بين المأمون وابراهيم بن المهدي فقال [٣] : " لما ظفر المأمون بإبراهيم بن المهدي وهو الذي يقال له ابن شكلة أمر بإدخاله عليه، فلما مثل بين يديه، قال: ولي الثأر محكم في القصاص، والعفو اقرب للتقوى ، وقد جعل الله كل ذنب دون عفوك، فإن صفحت فبكرمك، وإن أخذت فبحقك. قال المأمون: إني شاورت أبا إسحاق والعباس في قتلك ، فأشارا علي به ، قال: أما أن يكونا قد نصحاك في عظم قدر الملك، وما جرت عليه عادة السياسة فقد فعلا ، ولكنك أبيت أن تستجلب النصر إلا من حيث عودك الله ، ثم استعبر باكياً ، قال له المأمون: ما يبكيك؟ قال: جذلاً إذ كان ذنبي إلى من هذه صفته ، ثم قال: يا أمير المؤمنين، إنه وإن كان جرمي يبلغ سفك دمي، فحلم أمير المؤمنين وتفضله يبلغاني عفوه، ولي بعدها شفاعة الإقرار بالذنب، وحرمة الأب بعد الأب، قال المأمون: لو لم يكن في حق نسبك ما يبلغ الصفح عن زلتك ، لبلغك إليه حسن توصلك، ولطيف تنصلك " .

وفي رواية اخرى قال فيها [٤] : " قال إبراهيمُ بن المهديّ قال لي المأمونُ: أنت الخليفة الأسْود؟ قلت: يا أميرَ المؤمنين، أنت مَنَنت عليّ بالعَفو، وقد قال عبدُ بني الْحسحاس:

أشعارُ عَبْد بنيِ الحسْحاس قُمْنَ له ... عند الفَخار مَقامَ الأصل والوَرقِ

إن كنتُ عبداً فنَفْسي حُرّة كَرَماً ... أَو أَسْودَ الجلْد إني أَبْيضُ الخُلُقِ

فقال المأمون: يا عمُّ، خرّجك الهَزْل إلى الجد، ثم أنشأ يقول:

(١) هو ابو العباس الفضل بن سهل السرخسي . أسلمَ على يد المأمون سنة تسعين ومائة وقيلَ ان اباه اسلمَ على يد المهدي ، وزرَ للمأمون واستولى عليه ، كانَ فيه فضائل ولقبَ ذا الرياستين لتقلده الوزارة والسيف . كانَ من= =اخبر الناس بعلم النجامة واكثرهم اصابةً في احكامه و لما ثقلَ امرهُ على المأمون دسَ اليهِ جماعة فدخلوا عليه الحمّام بسرخس فقتلوه في شعبان سنة اثنين ومئتين وعمرهُ يومئذٍ ثمانُ واربعين سنة . ينظر: الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٨ / ٢٨٤ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٤ / ٤٣ - ٤٤ .

(٢) الدوري ، العصر العباسي الاول ، ٥١ .

(٣) العِقد ، ٢ / ١٢٢.

(٤) م. ن. ، ٢ / ٢٢٧ – ٢٢٨ .

ليس يُزْرِي السواد بالرَّجلِ الشَّهم ... ولا بَالفتى الأديب الأريبِ
إن يكُن للسّواد مِنك نصِيبٌ ... فبَيَاض الأخلاق منك نَصيبي

وفي رواية أخرى [١] : " كتب إبراهيم بن المهديّ إلى المأمون في كلام له: إن غَفرت فبفَضلك، وإن أخذت فبحقّك. فوقع في كتابه: القُدرة تُذهب الحَفيظة، والنَّدم جُزء من التوبة، وبينهما عفوُ الله " .

وفي رواية غيرها ذكر ابن عبد ربه [٢] : " قال إبراهيم بن المهديّ يشكر المأمون:

رددتَ مالي ولم تَمنُن عليّ به ... وقَبل رَد ك مالِي قد حَقَنْتَ دَمِي
فابتُ منكَ وقد جَعلتني نِعَماً ... هي الحياتان من مَوتٍ ومن عَدم
فلو بذلتُ دمِي أبْغي رِضاك به ... والمالَ حتى أسُل النَعل من قَدمي
ما كان ذاك سِوَى عارية رَجعت ... إليك لو لم تعِرْها كنتَ لم تُلَم
البِرُّ بي مِنك وَطي العُذر عندك لي ... فيما أتيتُ فلم تَعتب ولم تَلُم
وقام عِلمك بي يَحتَجُّ عندك لَي ... مقامَ شاهدِ عَدْلٍ غير مُتَّهم " .

وفي رواية اخرى للمؤلف قال [٣] : " ويروى عن إبراهيم أنه قد كان خالف على المأمون ودعا إلى نفسه، فظفر به المأمون فعفا عنه، وقال لما ظفر به المأمون:

ذهبت من الدنيا كما ذهبت مني ... هوى الدهر بي عنها وأهوى بها عني
فإن أبك نفسي أبك نفساً عزيزةً ... وإن أحتسبها أحتسبها على ضن

فلما فتحت له أبواب الرضا من المأمون غنى بهما بين يديه. فقال له المأمون: أحسنت والله يا أمير المؤمنين. فقام إبراهيم رهبةً من ذلك، وقال: قتلتني والله يا أمير المؤمنين، لا والله لا أجلس حتى تسميني باسمي. قال: اجلس يا أبراهيم. فكان بعد ذلك آثر الناس عند المأمون، ينادمه ويسامره ويغنيه .

وطبقاً لجميع تلك الروايات - غير المسندة – لم يتطرق ابن عبد ربه الى تفاصيل تلك الحركة [٤]، وانما اكتفى بذكر اعتذارات ابراهيم بن المهدي للمأمون ، ولعل طبيعة هذهِ الحركة

(١) العِقد ، ٤ / ٢٠٨.
(٢) م . ن ، ٤ / ٢٠٨.
(٣) م . ن ، ٦ / ٣٧ - ٣٨.
(٤) كانت الافعال التي قام بها المأمون بعد قتل اخيه الامين كفيلة بانكار بني العباس وخاصتهم في بغداد فقد ذكرت المصادر ان العباسيين من اهل بغداد انكروا على المأمون اشياء منها بيعتهُ لعلي بن موسى الرضا بولاية =

والنهاية التي آلت اليها جعلَ منها خبراً غير شيّق حتى يبحث الناس عنهُ اذ ان صاحبها ابراهيم انما كان شاعراً مغنياً بين يدي أخوه الرشيد ، ثم ولداه الامين والمأمون وقد نشأ وترعرعَ منذُ صغره على هكذا عمل لذا فهو أبعد ما يكون عن جد السياسة ومكرها ، ولعلَ هذا ما دفعَ المأمون الى العفو عنه ، ذلكَ العفو الذي صارَ شعاراً للمأمون يضرب بهِ المثل في الحلم ، أضف الى ذلك انهُ وبعد القسوة اللامتناهية التي تعامل بها مع اخيهِ الامين وما ولّدهُ من رد فعل معاكس في البيت العباسي وجد ان الامر لن يكلّفهُ الكثير هذهِ المرة اذا ابدل المبادرة بالأناة فبالميزان الدقيق الذي عرف عنه في وزنه للأمور وجد انه قد قضى على اسباب الخلاف الحقيقي في البيت العباسي (ازاحة العنصر الفارسي والتخلص من رأس البيت الطالبي) لذا فلا حاجة له بعد ذلك من اراقة دماء آل بيته مادام

=العهد وتبديلهِ لباس الناس من السواد الى الخضرة فسقطَ في ايديهم وظنوا انهُ يريد ان ينقل الخلافة عنهم الى ولدِ فاطمة بنت النبي (ﷺ) ، فاجتمعوا واتفقوا على مبايعة ابراهيم بن المهدي وخلع المأمون ، فبايعوه في اول يوم من المحرم سنة اثنتين ومائتين ولقبوه بالمبارك وكان اول من بايعهُ عبيد الله بن العباس الهاشمي ، ثم منصور بن المهدي ، ثم سائر بني هاشم ، وكان المتولي بأخذ البيعة له المطلب بن عبد الله بن مالك . ثم ان ابراهيم وعد الجند ان يعطيهم ارزاق ستة اشهر ، ولكنهُ ماطلَ بوعوده ، فلما رأوا ذلكَ شغبوا عليه فأعطاهم مائتين لكل فرد وكتب لبعضهم الى السواد بقيمة مالهم حنطةً وشعيراً ، فخرجوا بقبضها فلم يمروا بشيءٍ الا اتلفوه وانتهبوه وشاع ببغداد وما حولها الهرج والمرج . لم يكن المأمون يعرف بكل ما يجري ببغداد وقد كان بخراسان مع وزيره الفضل بن سهل وولي عهده علي بن موسى الرضا ، لأنَّ وزيره حجب عنهُ تلك الاخبار . لكن علياً الرضا لم يكتمه الخبر وان الفضل يستر عليه تلك الاخبار وان اهل بغداد قد خلعوه ، ونصبوا ابراهيم خليفةً بدلاً عنه وان الحرب قائمةٌ بينهُ وبين الحسن بن سهل ، كما انهُ اخبرهُ بسبب نقمة اهل بغداد عليه ، فلم يصدق المأمون كل ذلك وسأل بعض قادة جنده فلم يكتموا عليه ذلك ،عندها امر بالرحيل الى العراق وفي سرخس دبر مكيدة لقتل ابن سهل ، فتخلص منهُ وفي الوقت نفسه كتب رسالة الى اخيه الحسن بن سهل بواسط يعلمهُ فيها بمصيبة قتل الفضل وانهُ قد صيرهُ مكانه ، ثم ان المأمون لما وصلَ الى طوس تخلصَ من ولي عهده علي بن موسى الرضا بالسم وصلى عليه ودفنهُ عند قبر والدهِ الرشيد ثم تقدم الى العراق وعبثاً حاولَ جند ابراهيم من مقاومة جيش المأمون الذي كانَ عليه حميد بن عبد الحميد ، فلما تقدمَ صوب بغداد اخذَ بعض العباسية يكاتبونهُ ، ثم انحازوا الى عسكرهِ الواحد منهم تلو الاخر، فلما رأى ابراهيم ذلكَ سقطَ في يده وشقَ عليه فتوارى في دور بغداد ، ولم يزل متوارياً حتى قدم المأمون اليها ، فعفى عنه وقربهُ وادنى مجلسه فكانت خلافتهُ كلها سنة واحدَ عشر شهراً واثني عشرَ يوماً . ينظر: خليفة ، تاريخ ، ١ / ٤٧١ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٤٥٣ - ٤٥٤ ؛ الطبري ، ٨ / ٥٥٧ -٥٧٣ ؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ٧ / ٤٢٤ - ٤٢٧ ؛ المسعودي ، مروج ، ٣ / ٦ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ / ١٠٥ – ١٢٧ و ٢٧٠ - ٢٨٩ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٥ / ٤٩٦ - ٥١١؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ١ / ٣٩ - ٤٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٤ / ١٢٢ – ١٣٠ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ،٣ / ١٣– ٣٨ .

الامر لا يشكل خطراً على سلطته ، وارى ان هذا هو محل الشاهد الذي دفع ابن عبد ربه على التركيز على عفو المأمون وصفحهِ عن ابراهيم دون التكلف بذكر حركته .

المبحث الثالث

حركات المعارضة السياسية في الدولة الأموية في الاندلس(١٣٢-٣٢٢هـ/٧٥٠ــ٩٣٤ م)

انتقلَ ابن عبد ربه للحديث عن الاندلس منذ دخولها تحت عباءة الاسلام وكيفية قيام الدولة الاموية فيها وابرز امرائها الا انهُ مع طول هذهِ المدة الزمنية لم يذكر سوى حركتين من حركات المعارضة السياسية التي جرت ضد السلطة الاموية هناك و لعل السبب وراء ذلك هو كثرة الحركات المعارضة للسلطة التي قامت على ارض الاندلس التي قد يؤدي ذكرها الى تشتيت انتباه السامع او القارئ لكتابه على حد سواء من جهة ، ومن جهة اخرى محاولة المؤلف اضفاء شيء من التعظيم على الدولة الاموية التي قامت هناك من خلال اظهارها بالمظهر الموازي للدولة العباسية فأقدم على ذكر تاريخها بالتفصيل مع إدراج حركتين فقط من حركات المعارضة التي قامت ضدها . ولعل ذلك ناتج عن كون المؤلف عاصر تلك الدولة وعاش في كنف امرائها لذلك لابد له ان يخصص جزءً من كتابه للإشادة بها واظهارها بالصورة التي تليق .اما بالنسبة الى حركتي المعارضة التي ذكرها المؤلف فهما :

أ- حركة معارضة أهل الربض [١] (١٨٩ــ ٢٠٢هـ/٨٠٥ــ٨١٨م).

حدثت حركة اهل الربض خلال امرة الحكم بن هشام[٢] والذي تميز عهدهُ بكثرة الفتن والاضطرابات التي شغلت معظم سني حكمه [١] وفي الحقيقة إن تلك الحركة انقسمت تاريخياً الى

(١) الربض هو ما حول المدينة من بيوت ومساكن وقيلَ بل هوَ سور المدينة وما بعدهُ من الضواحي . اما ربض قرطبة فهو احدى ضواحي قرطبة تقع على الضفة اليسرى لنهر الوادي الكبير وهي قريبة من مسجد قرطبة وقصر الامارة والسوق الرئيس . ينظر: ابن سيده ، المخصص في اللغة ، ١ / ٥٠٥ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ٢ / ٢٠٢ .

(٢) هو الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان . ملك الاندلس. وليَ الامر بعدَ ابيه وامتدت ايامه واقام اميراً سبعة وعشرينَ سنة وشهراً ، ولقبَ نفسهُ بالربضي . كان فارساً شجاعاً فاتكاً جباراً وكانَ يمسك اولاد الناس الملاح فيخصيهم ويملكهم لنفسه . توفيَ سنة ستُ ومئتين وهوَ ابن خمسين سنة فصلى عليه ولدهُ عبد الرحمن ودُفِنَ بالقصر بقرطبة . ينظر: الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٥ / ٦٠ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيلت ، ١٣ / ٧٣-٧٤ ؛ ابن شاكر ، فوات الوفيات ، ١ / ٣٩٣ – ٣٩٤ .

حركتين منفصلتين الاولى وقعت سنة تسع وثمانون ومائة ، وقد عزا دوزي[٢] سببها الى محاولة الحكم الانعتاق من هيمنة الفقهاء ورجال الدين على السياسة العامة وتأثيرهم المتصاعد في عامة الناس الذينَ اقنعوهم بضرورة عزل الامير الفاسق المتجبر[٣] . ولعل سبب تأثير رجال الدين بمجمل النشاطات العامة للدولة ومحاولتهم التدخل في شؤونها هو موقع ضاحية الربض القريب من قصر الامارة والمسجد والسوق الكبير في ان واحد الذي جعل احتكاك طبقات المجتمع الرئيسة الثلاث (رجال الدين والامراء ومعهم الجند والتجار والسوقة) أمراً مفروغاً منه ، لذا فقد كان هناكَ حنقُ كبيرُ على السلطة يغذيه رجال الدين وطلابهم وعامة الناس والجميع يطالب بخلع الامير الحكم بن هشام . وقد بالغ الامير الحكم في التنكيل بأهل الربض حتى صلب منهم اثنين وسبعين فرداً مما ادخل الرعب والكراهية في نفوس اهل قرطبة [٤] و بذلك تمكن من القضاء على تلك الحركة .

اما الحركة الثانية التي وقعت سنة مائتين واثنين فسببها الرئيس اعتداء احد جنود القصر على صيقلٍ في السوق اذ كانَ ذلكَ الجندي قد اعطى الصيقل سيفهُ ليصلحه . ولما حضرَ ليأخذهُ ماطلهُ الصيقل وأخرّه فغضبَ الجندي واستلَ حربة كانت عندهُ وقتلَ الصيقل ، فوثبَ من كان بالسوق على ذلكَ الجندي فقتلوه ، ثمَ اغلقوا متاجرهم وتوجهوا الى قصر الامارة فحاصروه محاولين اقتحامه ومعاقبة الحكم بوصفهِ المسؤول عن ذلكَ التجاوز . وبعدَ مناوشات بسيطة تمكنَ الحكم بكمين من تفريق المحتجين ، ثمَ نقلَ المعركة من القصر الى حاراتهم ، ففتكَ جندهُ بالألاف منهم.

ادت السياسة التعسفية البالغة القسوة التي اتبعها الامير الحكم مع معارضيه من اهل الربض في كلتا الحركتين الى تشردِهم من قرطبة حتى انقسموا على انفسهم الى ثلاث فرق : الاولى توجهت الى طليطلة فدخلت في حماية القبائل العربية هناك . والثانية عبرت المضيق الى فاس . والثالثة ابحرت شرقاً نحوَ الاسكندرية فأقاموا بها مدة ثمَ أجلاهم الخليفة المأمون[٥] عنها ، فتوجهوا الى جزيرة اقريطش (كريت) التابعة للدولة البيزنطية فاستولوا عليها قسراً واستقروا بها .

---

(١) طقوش ، تاريخ المسلمين في الاندلس ، ٨٣ .

(٢) تاريخ مسلمي الاندلس ، ٧١ .

(٣) طقوش ، تاريخ المسلمين في الاندلس ، ٩١ .

(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ٢ / ٧١ .

(٥) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ٦٨ - ٧٠ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس في ذكر ولات الاندلس ، ١ / ١٠ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٥ / ٤٦١ – ٤٦٢ ؛ محي الدين المراكشي ،المعجب من تلخيص اخبار المغرب ، ١/ ٢٤ -٢٥؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢ / ٧٢ – ٧٣ و ٧٥ – ٧٧ ؛ ابن الخطيب ، الاحاطة في أخبار غرناطة ، ١ / ٧ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ٤ / ١٦١ – ١٦٢ .

لم يخصص ابن عبد ربه مادة تاريخية كافية للحديث عن تلكَ الحركة ، وانما اكتفى بالإشارة اليها من بعيد في سياق حديثِهِ عن الامير الحكم بن هشام ، فذكرَ لهُ ابياتاً من الشعرِ قالها بعدَ خفرهِ بأهل الربض وهيَ[١] :

رأبت صُدوعَ الأرْض بالسَّيف راقعاً ... وقِدْماً رأبتُ الشَّعب مُذ كُنتُ يافعَا
فسائلْ ثُغوري هل بها اليوم ثُغْرةٌ ... أبادِرُها مُسْتنْضيَ الصيف دارِعا
وشافِه علىِ أرْض الفَضاء جَماجماً ... كأقحاف شِرْيان الهَبيد لَوَامِعا
تنبئْك أني لم أكن عن قراعهم ... بوانٍ وأني كنت بالسيف قارعا
ولما تَساقَينا سِجال حُروبنا ... سَقَيتُهم يسُمًا من المَوت ناقِعا
وهل زِدْت أنْ وَفَّيتُهم صاعَ قَرْضهم ... فوافَوْا مَنايا قُذَرت ومَصارعا

ثمَ ذكر ابن عبد ربه ان عباس بن ناصح [٢] قدمَ من الجزيرة ايام الامير عبد الرحمن بن الحكم فاستنشدهُ شعر الحكم فأنشده ، فلما انتهى الى قوله " وهل زِدْت أنْ وَفَّيتُهم صاعَ قَرْضهم " . قالَ : " لو جوثي الحكم في حُكومة لأهل الربض لقام بعُذره هذا البيت " . ومن خلال تلكَ الرواية نجد ان المؤلف قد سار في ركب من اعذروا بني أمية وعذروهم على مجازرهم المتتابعة التي ارتكبوها بحق رعاياهم في الشرق والغرب والدليل على ذلكَ هوَ انهُ لم يذكر اي تفصيل لتلكَ الحركة ، بل انهُ وبعكسِ ذلك قد وصف الحكم بن هشام بطريقةٍ منافيةٍ للطريقة التي عالجَ بها الحكم تلكَ الحركة ، فذكر بانهُ باسط الكف ، عظيم العفو ، شديد الورع . كما انهُ أوردَ رواية [٣]عن تحيرّ الحكم في احدى لياليه وتململهُ تململ السليم لعدمِ عثورهِ على شخصٍ مناسب يوليه القضاء بينَ الناس .وهذا تناقضُ فاضح لا يمكن مداراته بأي شكلٍ من الاشكال ، بل على العكس فقد كان الحكم شديد الفخر بنفسهِ بعدَ خفرهِ بأهل الربض وهذا ما عكسهُ بشعره الذي يَظهر فيه بانهُ فخور بما فعل[٤] في الوقت الذي كانت عروض القسوة الوحشية واضحة في عهده من قطع للرؤوس وتعليقها على ابواب

(١) العِقد ، ٤ / ٤٦٠.

(٢) هو ابو العلاء عباس بن ناصح الجزيري الثقفي الاندلسي ، ارتحل به ابوه الى الحجاز والشام والعراق ليمكنه من طلب العلم فنشأ عالماً حافظاً لغوياً شاعراً ، ادرك العديد من امراء الاندلس فنال الحظوة لديهم وولوه قضاء بلدة الجزيرة مع شذونة ، توفي في اواخر ايام الامير عبد الرحمن بن الحكم سنة مئتان وثلاثين .ينظر: ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ١١٠/١ .

(٣) العِقد ، ٤ / ٤٦١.

(٤) دوزي ، تاريخ مسلمي الاندلس ، ٧٢ .

المدن سواء كانت هذه الرؤوس لمعارضين سياسيين ام للمقاتلين الاعداء في الحملات العسكرية التي كان الحكم يشنها بين الفينة والاخرى [١].

ب- معارضة عمر بن حفصون[٢] (٢٦٧ – ٣١٦ هـ / ٨٨١-٩٢٩م).

يعد ابن حفصون احد ابرز معارضي الدولة الاموية في الاندلس ، وتأتي خطورة حركته من كونها ذات طابعٍ قومي بحت ، فقد كانت موجهة بشكل اساس نحو الانتصار للعنصر الاسباني الذي اهملتهُ السلطة مفضلةً عليه العنصر العربي ثمَ البربري حيث لجأ ابن حفصون إلى إثارة النزعة الأثنية لدى أهل البلاد الاصليين ضد الدولة الأموية في الأندلس في المناطق التي سيطر عليها، عبر نشر دعوات التخلص من نير العرب الغزاة[٣] .

أثارت شخصية ابن حفصون وحركتهِ جدالاً واسعاً بينَ المؤرخين[٤] ولعلَ سبب ذلكَ يعود الى ما أضيفَ لتلكَ الشخصية من صفات خيالية لدى مريديه من الاسبان المؤمنين بفكرة بعثِ بني جنسهم[٥] فخلعت عليهِ لباس القديسين مما اضرَ كثيراً بالحقيقةِ التاريخية .

تطرقَ ابن عبد ربه في كتابه الى ذكر ابن حفصون في معرضِ حديثهِ عن الامير المنذر بن محمد[٦] فقال[١] : " ثم ولي المنذرُ بن محمد، يوم الأحد لثلاث خلون من ربيع الأول سنة ثلاث

(1) Collins, Roger : Early Medieval Spain, pp. 188–189 .

(٢) هو عمر بن حفصون بن جعفر الاسلامي بن كسمسم بن دميان بن فرغلوش بن أذفونش كبير الثوار ومنازع الامراء بالاندلس . أصلهُ من رندة من كورة تاكرنا التي تركها جدهُ جعفر بعد فتنة الربض فنزلَ قرية طرجيلة من كورة رية . قتلَ احد جيرانه على سبب يسير فطلبهُ والي رية فتغرب لذلكَ زماناً فنزلَ على خياط من أهل رية وصادفَ في احد الايام شيخاً كبيراً دخلَ متجره ، فلما تعرفَ عليه تنبأ لهُ بما سيكون عليه امره فخرجَ من رية والتجأ الى قلعة ببشتر وصارت اليه عصابة ثم بدأ شأنهُ يعلو يوماً بعدَ اخر . اعلنَ تنصرهُ سنة ست وثمانين ومئتين الا ان ذلكَ لم ينفعهُ في شيء فأدبرَ امره وتوقفَ ظهوره بعدَ تخبطٍ شديدٍ ولجاجٍ كبير . توفي سنة ستٍ وثلاثمائة بعدَ مرضٍ شمل النفخ به جسده حتى تشققَ جلده فانتقلَ أمرهُ الى ولدهِ جعفر ثمَ الى سليمان حتى صارَ الى حفص وعليهِ انقرضَ امرهم . ينظر: ابن عذاري ، تاريخ المغرب ، ٢ / ١٠٤ ؛ ابن الخطيب ، الاحاطة في أخبار غرناطة ، ٤ / ٢٥ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ٤ / ١٧٢ - ١٧٣ .

(3) Ye'or, Bat; Kochan, Miriam and Littman, David : Where Civilizations Collide , p. 63.

(٤) بدوي ، عبد الرحمن ، موسوعة المستشرقين ، ٣٦٢ .

(٥) دوزي ، تاريخ مسلمي الاندلس، ١٤٣ .

(٦) هو المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الربضي بن هشام الاموي صاحب الاندلس . كنيتهُ ابو الحكم . وليَ الامر بعدَ وفاة ابيه سنة ثلاثُ وسبعين ومائتين فكانت ولايتهُ سنة واحدة وعشرة اشهر . مات عن عمر =

وسبعين ومائتين. ومات يومَ السبت في غَزاة له على بُبَشتر، لثلاثَ عشرةَ بقيت من صَفر سنة خمس وسبعين ومائتين، وهو ابنُ ستٍّ وأربعين سنة. وكان أشدَّ الناس شَكيمة، وأمضاهم عزيمة. ولما ولي المُلك بَعث إليه أهلُ طُليطلة بجبايتهمِ كاملةً فردّها عليهم، وقال: استعينوا بها في حَرْبكم فأنا سائر إليكم إن شاء الله. ثم غزا إلى المارق المرتدّ عمر بن حَفْصون وهو بِحصْن قامره، فأحْدق به وبخَيله ورَجْله، فلم يجد الفاسقُ مَنفذاً ولا متنفساً، فأعمل الحيلة ولاذ بالمكر والخديعة، وأظهرالإنابة والإجابة، وأن يكون من مُستوطني قُرطبة بأهله وولده، وسأل إلحاق أولاده في الموالي. فأجابه الأمير إلى كل ما سأل، وكتب لهم الأمانات، وقُطعت لأولاده الثياب، وخُرزت لهم الخِفاف، ثم سأل مائةَ بغل يَحمل عليها ما لَه ومتاعه إلى قُرطبة، فأمر الأمير بها. وطُلبت البغال ومَضت إلى بُبَشْتَر، وعليها عشرة من العرفاء، وانحلّ العسكرُ عن الحِصن بعضَ الانحلال، وعكف القاضيِ وجماعة من الفقهاء على تمام الصُّلح فيما حَسبوا. فلما رأى الفاسق الفُرصةَ انتهزها ففسق ليلاً وخَرج، فلقي العُرفاء بالبغال فقَتلهم، وأخذَ البغال وعاد إلى سيرتِه الأولى. فعقد المُنذر على نفسه عقداً أن لا أعطاه صُلحاً ولا عهداً إلا أن يُلقي بيده ويَنزل على عهدِه وحُكمه، ثم غَزاه الغزاة التي تُوفي فيها، فأمر بالبُنيان والسّكنى عليه، وأن يُردَّ سوق قرطبة إليه، فعاجله أجلُه عن ذلك " .

أبتدأ المؤلف بذكر معارضة ابن حفصون في ايام الامير الاموي المنذر بن محمد. ورغم التطابق الكبير بين رواية المؤلف والروايات المذكورة في المصادر الاخرى [٢] الا ان بداية تلكَ الحركة كانت في امارة محمد بن عبد الرحمن اذ عاصرَ ابن حفصون اربعةَ من الامراء كانَ اخرهم عبد الرحمن الناصر حيث انهُ تمكنَ خلال مدة زمنيةٍ بلغت ثلاثُة عقود تقريباً من بسطِ نفوذهِ على الجزء الجنوبي من الاندلس معَ امتدادهِ من الشرق حتى الغرب فخضعت لهُ مدنُ شتى ، ولاشكَ ان حالة الاستقرار في الاجزاء التي سيطرَ عليها يضافُ لها ما حظيت بهِ الحركة من ترحيبٍ بينَ سكان تلكَ المناطق من المولدينَ قٌدِرَ لها ان تستمرَ لمدةِ خمسةِ عقودٍ تقريباً حتى بعدَ وفاة ابن حفصون . اما عن بدايةِ تلكَ الحركة فقد بدأ عمر بن حفصون حياته العسكرية بتشكيل عصابةٍ

=الستُ والاربعين سنة ودُفِنَ بقصر قرطبة . ينظر: ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢ / ١١٣؛ ابو الفداء ،المختصر،٢ / ٥٤؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء ، ٢٦٣/٨.

(١) العِقد ، ٤ / ٤٦٤.

(٢) ينظرابن القوطية ، افتتاح الاندلس ، ١٠٣ - ١٢٤ ؛ ابن حزم ، فضائل الاندلس وأهلها ، ١ / ١٧ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٦ / ٣٩٠ – ٣٩١ و ٤٣٤ - ٤٣٨ ؛محي الدين المراكشي ، المعجب من تلخيص اخبار المغرب ، ١/ ٥٥ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١ / ١٧٧ – ١٧٨ و ٢٣٣ و ٢ / ١٠٤ – ١١٣ و ١١٨ - ١٣٤ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٦ / ٥٨٢ و ٦٣١ – ٦٣٢ ؛ ا ابن الخطيب ، الاحاطة في أخبار غرناطة ، ٣ / ٢١٠ – ٢٧٨ و ٤ / ٢٥-٢٨ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ٤ / ١٦٨ – ١٦٩ و ١٧٩ – ١٨٠ .

صغيرة اتخذت لنفسها مقاماً في قلعة ببشتر[١] فأخذت تغير على الطريق وتخيفُ السابلة لتتطور بعدها الى الاغارة على اطرافِ مدينة رية[٢] . ولا شكَ من ان النجاح الذي حققتهُ تلكَ العصابة يعود فضلهُ بالدرجةِ الاساس الى قائدها عمر بن حفصون وبراعتهِ العسكرية . وعلى ايةِ حالٍ فقد ذاعَ صيت ابن حفصون وكثُرَ اتباعه.

صادفت بداية تلكَ الحركة – كما ذكرنا – امارة محمد بن عبد الرحمن الذي حاولَ القضاء عليها فأعدَ حملة عهدَ امرتها الى هاشم بن عبد العزيز الذي تحركَ من فورهِ الى كورةِ رية فأجبرَ ابن حفصون على الاستسلام فَحُمِلَ الى قرطبة وهناكَ عفا الامير عنهُ وجعلهُ ضمن جيشهِ الذي اوكلَ بهِ مهمة عسكرية في الثغر الاعلى ، ولم يدم الحال طويلاً بابن حفصون حتى عادَ الى سيرتهِ الاولى فالتجأَ مرةً اخرى الى معسكرهِ بجبلِ ببشتر ولم تفلح الحملة التي وجهها الامير محمد بقيادةِ ولده المنذر في القاء القبض عليه فضلَ المنذر محاصراً لهُ ولم يرفع عنهُ ذلكَ الحصار حتى وردتهُ اخبار وفاةَ والدهِ في صفر من سنةِ ثلاثٍ وسبعين ومائتين فتركَ المنذر مشروعهُ الذي أوكلهُ بهِ والده وتوجهَ من فورهِ الى قرطبة فاستغلَ ابن حفصون ذلكَ وعادَ فاستولى مرةً اخرى على مساحاتٍ واسعةٍ من جنوب الاندلس ، كما انهُ راسلَ ابراهيم بن الاغلب (امير أفريقية) بغيةَ التحالفَ معهُ الا انَ ابراهيم رفضَ ذلك .

ان عدم تغطية ابن عبد ربه لكلِ تلكَ الاحداث التي جرت في السنوات الاخيرة من امارةِ محمد بن عبد الرحمن يعدُ تقصيراً واضحاً وقعَ فيهِ المؤلف . الا أنني ارى ان تلكَ الحركة كانت في طور التكوين وهيَ لا تختلفُ عن غيرها من الحركات التي انتشرت في عموم الاندلس التي احجمَ المؤلف عن ذكرها جميعاً ، لذا فلا فرقَ عندهُ بينَ حركةِ ابن حفصون وغيرها من الحركات لكون الجميع كانَ خطرها بعيداً عن قرطبة ، كما ان جميعها انتهت بعدَ مدةٍ وجيزةٍ ولكن بعدَ استمرار تلكَ الحركة حتى ايام المنذر والخطر الذي باتت تشكله على عمومِ البلاد حتى بادرَ الامير المنذر الى اعادةِ مشروعه بالقضاء على ابن حفصون ، جعلت المؤلف ينتقل بحديثه عنها من الاختصار الى التفصيل الذي بدا واضحاً في حديثه المتصل عن تلك الحركة .

(١) حصن في غاية الامتناع والتحصين والصعود اليه من طريق واحد من اعمال رية بينهُ وبين قرطبة ثلاثون فرسخاً . ينظر: الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ١١٦ ؛ الادريسي ، نزهة المشتاق ، ١ / ٩٨.

(٢) كورة من كور الاندلس نزلها جند الاردن من العرب وهيَ كثيرة الخيرات وتشتمل على العديد من المدن . قاعدتها مالقا . ينظر: الحميري ، الروض المعطار ،٧٨/١.

انتقلَ ابن عبد ربه الى ذكرِ خبر ابن حفصون في امارة عبد الله بن محمد فقال[١]ما نصّه : " ثم تولّى عبدُ الله بن محمد، التقيّ النقيّ، العابد الزاهد، التالي لكتاب الله، والقائم بحدود الله، يومَ السبت لثلاثَ عشرةَ بقيَت مِن صفر سنة خمس وسبعين ومائتين. فبنى الساباط وخرج إلى الجامع، والتزم الصلاة إلى جانب المنبر، حتى أتاه أجلُه، رحمه الله، يومَ الثلاثاء لليلة بقيت من صَفر سنة ثلثمائة. وكانت له غزوات، منها غَزاة بَلِيّ التي أنست كُلّ غزاة تقدّمتها، و ذلك أن المُرتد ابن حَفْصون ألّب عليه كُور الأندلسَ حتى لم يبق منها إلا قرطبة وحدها، ثم أقبل في ثلاثين ألفا من أهل الكور فنزل حِصْنَ بَلِيّ، وخرج إليه الأمير عبدُ الله بن محمد في أربعةَ عشرَ ألفاً من أهل قرطبة خاصة، وأربعة آلاف من حَشمه ومواليه، فبَرز إليه الفاسق، وقد كرْدس كراديسه بسَفْح الجبل، وناهضه الأميرُ عبد الله بجُمهور عسكره، فلم يكن له فيهم إلا صَدْمة صادقة، أزالهم بها عن معسكرهم، فلم يقدروا أن يتراجعوا إليه. ونظر الفاسقُ إلى مُعسكر عبد الله الأمير، فإذا بمَدَد مُقبل مثل اللَّيل، في انحدارِ السيل، لا ينقطع، فجَبُنت نفسه، وعَطف إلى الحصن يظهر إخراج مَن بقي فيه، فثَلم ثلمة وخَرج منها في خمسة معه، وقد طار بهم جَناحُ الفرار. فلما انتهى ذلك إلى أهل عَسكره وَلّوا مُدبرين، لا يلوي أحد على أحد، فعملت الرماحُ في أكتافهم، والسيوفُ في طلا أعناقهم، حتى أفْنوهم أو كادوا. وكان منهم جماعةٌ قد افترقوا في عسكر الأمير عبد الله، فقعد الأمير في المَظلة، وأمر بالتقاطهم، وأن لا يَمُر أحدٌ على أحد إلا قَتله. فقُتل منهم ألفاً صبراً بين يدي الأمير" .

وعلى الرغم من اشتمال رواية ابن عبد ربه هذه على معلوماتٍ هامة الا انها ركزت فقط على الصدام العسكري الذي جرى بينَ الامير عبد الله بن محمد وابن حفصون الذي البَ جميع الكورِ عليه – حسبَ ما تذكر الرواية - ، ومع ذلك فان هناك تفاصيل اخرى اختفت من الرواية فصدام ابن حفصون مع السلطة لم يبدأ مع بداية تسنم الامير عبد الله لأمارته وانما سبقتهُ مهادنة وقعت بينَ الطرفين اشترطَ فيها ابن حفصون على السلطة ان يقيم هو واتباعهُ ببشتر فوافقَ الامير على ذلكَ وبعثَ والياً جديداً على كورة رية ولكن بعدَ أشهر وثب ابن حفصون على ذلكَ الوالي فطردهُ واستولى على ما تحتَ يده فسارَ لهُ الامير عبد الله بنفسهِ واستولى على ببشتر فلاذ ابن حفصون بالجبل وتحصنَ بهِ ، وبعدَ حصارٍ دامَ اشهراً عادَ الامير الى قرطبة فنزلَ ابن حفصون من الجبل واستولى مرةً اخرى على بعض المناطق الا انهُ دخلَ في صراعٍ اخر معَ سوار بن حمدون القيسي[٢] انتهى بهزيمة ابن حفصون وابادةِ عدد كبير من اتباعهِ ، كما انهُ اصيبَ اصابة منكرة في

(١) العِقد ، ٤ / ٤٦٤.

(٢) هو سوار بن حمدون بن عبدة بن زهير بن قديد القيسي . كانَ عالماً من اعلام العرب وصاحب لواء قيس في الاندلس . كان بعيد الصيت رفيع الذكر شجاعاً حامي العرب وناصرها . قتلهُ حفص بن عمر بن حفصون=

يدهِ اليمنى منعتهُ من الاكلِ بها لما بقيَ من سني حياته ، ثم انهُ نقلَ قواته الى حصنِ بلاي ، ومنهُ اخذَ يغير على اطراف قرطبة فجهزَ الامير عبد الله جيشاً قوامهُ ثمانيةَ عشرَ الفاً وخرجَ بنفسهِ فالتقى بابن حفصون الذي بلغَ تعداد جيشهِ الثلاثين الفاً ، وعلى احد أفرع نهر الوادي الكبير وفي صفرٍ من سنةِ ثماني وسبعينَ ومائتين التقى الجيشان فدارت حرباً طاحنة انتهت بهزيمة ابن حفصون الذي فرَ مرةَ اخرى الى ببشتر .

ثمَ توالت المعارك التي اشتبكَ فيها ابن حفصون معَ السلطة الا انَ جميعها انتهت دونَ نتيجةٍ حاسمة ، وفي سنة ستةٍ وثمانين ومئتين اقدمَ ابن حفصون على اعتناق الديانة المسيحية في محاولة منهُ لكسبِ تأييد الفونسو الثالث (ملك استورياس) الا انَ ذلكَ جلبَ عليه نقمة بعضِ اتباعه من المسلمين ، فضلاً على بغضِ باقي المسلمين في الاندلس الذينَ اقنعهم رجال الدين بأنَ جهاد ابن حفصون صار واجباً . ورغمَ اصطدامهِ بعد ذلك معَ السلطة بمعارك متعددة الا انَ جميعها لم تضع حداً لتمرده .

كانت نهاية تلك الحركة في عهد الامير عبد الرحمن بن محمد حيث ذكرها ابن عبد ربه في معرض حديثهِ بكلماتٍ من التبجيل والتعظيم للأمير الجديد فقال[1] : " ... فتولّى المُلكَ، والأرض جَمْرة تحتدم، ونارٌ تَضْطرم، وشِقاق ونفاق، فأخمد نيرانَها، وسَكّن زلازلها، وافتتحها عَوْداً كما افتتحها بدءًا سميَّه عبدُ الرحمن بن معاوية، رحمه الله. وقد قلتُ وقيل في غَزواته كُلّها أشعار، قد جالت في الأمصار، وشُرِّدت في البلدان، حتى أتهمت أنجدت وأعرقت، ولولا أنَّ الناس مُكْتفون بما في أيديهم منها لأعدنا ذِكرها ... " . والعبارة الاخيرة تشي بأنَ المؤلف سيحجم عن الكثير من أخبار ووقائع الامير عبد الرحمن بن محمد ، لذا فعلى الرغم من اهمية ما يوردهُ من جميعِ تلكَ الاخبار الا انهُ مع ذلكَ مالَ الى الاختصار بشكلٍ عام في حديثهِ عن اخبار هذا الامير . وهذه خسارة كبيرة للتاريخ كونهُ شاهد عيان عليها وفي الوقت نفسه مثلبةً كبيرةً على منهجه التاريخي .

اما بخصوص تلكَ الوقائع فقد تناولها المؤلف بأبياتٍ شعرية فرّقها على سني حكم الامير عبد الرحمن وما يخصنا هنا هو الابيات التي تناولَ فيها المؤلف معالجة الامير عبد الرحمن لأمر

=بكمينٍ اعدهُ له سنة سبعُ وسبعين ومئتين . ينظر: ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ١ / ٢٦٠ ؛ ابن الخطيب ، الاحاطة في اخبار غرناطة ، ٤ / ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(١) العِقد ، ٤ / ٤٦٤.

ابن حفصون . فمنها ما ذكرهُ بأبياتٍ شعرية بعدَ معركة المنتلون التي استردَ فيها سبعينَ حصناً من التي كانَ ابن حفصون قد استولى عليها فقال[١] :

قد أوضحَ الله للإسلام مِنهاجَا ... والناسُ قد دَخلوا في الدِّين أفواجَا

وهيَ أبياتُ كثيرة كانَ اخرها البيت الذي قال فيه :

إنّ الخلافةَ لن تَرْضىَ ولا رَضِيت ... حتى عَقدت لها في رَأسك التَّاجا

سنة ثلاث وثلثمائة

ثُمت أغزى في الثلاث عَمَّهْ ... وقد كَساه عَزْمَه وحَزْمهْ

فسار في جَيْش شديدِ الباس ... وقائدُ الجيْش أبو العبَّاس

حتى تَرقّى بذُرى بُبَشْتَرْ ... وجالَ في ساحاتها بالعَسْكرْ

فلِم يَدَع زَرْعاً ولا ثِمارا ... لهم ولا عِلقَاَ ولا عُقَارَا

وقطع الكُروم منها والشَجَرْ ... ولم يُبايع عِلْجها ولا ظَهَرْ

ثم انثنى من بعد ذاك قافلا ... وقد أباد الزَرع والمآكِلاَ

فأيقن الخِنزيرُ عِند ذاكا ... أنْ لا بقَاء يُرتَجى هُناكا

فكاتَب الإمامَ بالإجابَه ... والسمْع والطّاعة والإنابه

فأخْمد اللهُ شِهابَ الفِتْنه ... وأصْبح الناسُ معاً في هُدْنه

سنة احدَ عشر وثلثمائة

غزا الإمامُ يَنتحي بُبَشْتَرا ... في عَسْكر أعظمْ بذاك عَسْكرا

فاحتلّ مِن بُبَشْتَر ذَراها ... وجال في شاطٍ وفي سواها

فخرّب العُمران من بُبَشْتَرِ ... وأذعنت شاطُ لربِّ العَسكرِ

فأدخل العدة والعديدَا ... فيها ولم يَترك بها عَنِيدَا

سنة أربع عشرة وثلثمائة

لم يَغْزُ فيها وغَزَتْ قُوادُه ... واعتورت ببُشْترا أجنادُهُ

فكلهم أبلَى وأغنَى واكتفَى ... وكُلُهم شَفَى الصُدورَ واشتفَى

سنة خمس عشرة وثلثمائة

فيها غَزا معتزما ببُشْترا ... فجال في ساحتها ودمرَا

(١) العِقد ، ٤ / ٤٦٤.

سنة ست عشرة وثلثمائة

لم يَغْزُو فيها وانتحَى بُبَشْترا ... فرمَّها بما رَأى ودَبرا
واحتلّها بالعزّ والتَمكينِ ... ومَحْو آثارِ بني حَفْصونِ
وعاضَها الإصلاحَ من فسادهمْ ... وطَهّر القبورَ من أجسادهمْ
حتى خَلا مَلْحودُ كل قَبْر ... من كل مُرتَدٍّ عظيم الكُفْرِ
عِصابةٌ من شيعةِ الشَيطانَ ... عدوّة لله والسلطانِ
فخُرّمت أجسادها تخرّما ... وأصليت أرواحهم جَهَنَمَا

سنة سبع وثلاث مائة

ثم لَوى الشيطانُ رأسَ جَعفرِ ... وصارَ منه نافخاً في المُنْخُر
فنقَضَ العُهودَ والميثاقَا ... واستعمل التشغيب والنَفاقَا
فاعتاقَه الخليفة المَؤيّد ... وهو الذي يشقى به ويسعد
فجَنّد الجُنودَ والكَتائبَا ... وقَوَّد القُوّاد والمَقانِبَا

وبالمحصلة النهائية تتفقُ هذهِ الابيات في معناها مع ما أوردتهُ المصادر المتقدمة من ان الامير عبد الرحمن بن محمد ابتدأ عهدهُ بقيادة حملة كبيرة عُرفت باسمِ غزوة المنتلون في رمضان من سنة ثلاث مائة استردَ بها عدداً كبيراً من المدن والحصون التي استولى عليها ابن حفصون ، كما انهُ اشتبكَ معهُ بمعارك انتصرَ فيها جميعاً مما حدا بالأخير بطلب الصلح من الامير وقد سعى في اتمامهِ صديقهُ يحيى بن اسحاق[1] طبيب الامير وخاصته وكتبَ بذلكَ كتابُ يُشهِد الله عليهِ إذا نكثَ ، ليُخلِدَ بعدها الى السكينة ،ولكن ذلكَ لم يدم بهِ طويلاً أذ وافاهُ اجله سنة خمس وثلاثمئة وقيلَ سنة ست وثلاثمئة ودُفِنَ بكنيسة ببشتر ، فخلفهُ ابناؤه الذين حاولوا استكمال طريق والدهم في اظهار المعارضة بوجه السلطة الا انَ الضربات الموفقة التي انزلها بهم الامير عبد الرحمن قضت على طموحاتهم فتمكنَ الامير عبد الرحمن اخيراً من بسطِ سيطرتهُ على ببشتر بعد استسلام اخر ابناء عمر بن حفصون والمسمى حفص سنة ست عشر وثلاثمئة ، فأمرَ الامير بنبشِ قبور ال حفصون واستخرجَ اجسادهم ثمَ صلبها أمام جامع قرطبة وظلت هناكَ حتى سنة واحد وثلاثين وثلاثمئة . وبعدَ ان قضى الامير نهائياً على تلكَ الفتنة اتخذَ لنفسهِ لقبَ خليفة لتبدأ الاندلس بدخول مرحلة جديدة وهيَ مرحلة الخلافة ، والى هذا المقدار انتهى ابن عبد ربه من تدوين تاريخه ، بل انه

(١) هو يحيى بن اسحاق . الطبيب الاندلسي احد وزراء عبد الرحمن الناصر . كانَ ابوه نصرانياً طبيباً صانعاً بيدهِ في ايام الامير عبد الله فأخذ ابنهُ يحيى عنهُ صناعته فاستوزرهُ عبد الرحمن الناصر بعد اسلامه وولاه الولايات الجليلة . ينظر: الحميدي ، جذوة المقتبس ، ١ / ٣٧٤ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢ / ١٨٣ .

انها كتابه الذي اراد له ان يكون موسوعة ادبية ثم تاريخية ، لذا وبعد هذا الاستعراض الخاطف لجميع حركات المعارضة التي ذكرها المؤلف في كتابه يمكننا القول بانه لم يستطع الخروج من دائرة الادب الذي بدا تأثيره واضحاً وبشكلٍ ملحوظ في منهجيته التي تهادت بين الادب تارة والتاريخ تارةً اخرى .

نتائج الدراسة

- يعد كتاب العِقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي احد ابرز المصادر الأدبية في التراث العربي الا انهُ رغم مواضيعه الادبية ضم بينَ دفتيه مادة تاريخية دسمة تفردت بذكر روايات عدة عن حركات المعارضة السياسية التي حدثت في الدولة العربية الاسلامية من سنة (١١ – ٣٢٢ هـ) .

- امتازت الروايات التي اوردها ابن عبد ربه بخصوص تلكَ الحركات بتنوع مادتها التي ربما تكون نتجت عن تعدد رواتها الذين تذبذبت ولاءاتهم بينَ موالين ومعارضين للسلطة . وهذا يعكس عدم اتباع المؤلف منهجية ثابتة في انتقاء رواته .

- تميزت المنهجية الاسنادية التي اتبعها ابن عبد ربه باضطرابها الشديد حيث انهُ اسندَ الكثير من رواياته التي أوردها عن حركات المعارضة السياسية التي حدثت في صدر الاسلام في حين لم يراع هذا الامر بالتزامن التدريجي لما تبعها من حركات ، ولعلهُ اعتمد فيها بشكلٍ كبير على ثقافته الشخصية او انهُ نقلها عن مصادر مكتوبة او مروية شفاهاً دون ان يصرّح بذلك .

- اتبع ابن عبد ربه منهجية سردية قائمة على اساس الاختصار والتشذيب لجميع الروايات التي اوردها ، ولعلَ سبب ذلك هو افهام السامع أو القارئ بأن كتابهُ قد أحاطَ خبراً بتلكَ الحركات ، ثم يترك لهم الاستزادة المعلوماتية من اي مصدرٍ شاؤوا ، الا انهُ مع ذلك ذكر تلك الروايات المشّذبة في مواطن متعددة من كتابها وعززها - بما يلائم وجهة نظره – بالإطناب والاسهاب .

- اتبعَ المؤلف منهجية متذبذبة في مروياته بصورة عامة التي تتأرجح بينَ رضا السلطة وسخطها في اخبارهِ عن الحركات السابقة لعصره ، بينما نجدهُ يورد اخبار تتطابق كلياً مع وجهة نظر السلطة التي عاصرها ، بل انه اسبغَ مديحه البالغ على شخوصها رغم ما أتبعوه من سياسة بالغة القسوة والبطش بحق معارضيهم .

- أغفلَ المؤلف ذكر العديد من حركات المعارضة التي تخللت ما استعرضه من مادة سياسية امتدت لحقبة طويلة نسبياً . فلم يذكر مثلاً حركة التوابين ، ولا حركة الحارث بن سريج التميمي ، او حركة عبد الله بن معاوية والكثير من حركات الخوارج ألمتشظية التي حدثت

في الدولة الاموية ، فضلاً عن ذكره حركتين من حركات المعارضة فقط حدثت ايام الدولة العباسية وهما حركة محمد ذو النفس الزكية وحركة ابراهيم بن المهدي . وبالطريقة نفسها تعامل مع حركات المعارضة ضد السلطة الاموية في الاندلس حيث انهُ لم يذكر سوى حركة اهل الربض وحركة عمر بن حفصون فقط .

- ابتعاد المؤلف بشكلٍ واضح وملحوظ عن كل الروايات التي قد تعكر العلاقة بينَ السلطة والرعية حيث انهُ لم يخصص في مروياتهِ مادةً عن حركات الردة ولا حركة حجر بن عدي وبمنهجية الطرح نفسها تعامل مع حركتي عبد الرحمن بن الاشعث ويزيد بن المهلب . التي أظهرت جميعها حجم القمع والرهق الذي مارستهُ السلطة بحقها .

- ايراد المؤلف العديد من الروايات التي تنطوي على جانب غيبي واضح حاولَ فيه ان يظهرهُ بمظهر الموجه للأحداث المستقبلية ، وهذا دليلُ على ايمانهِ بالغيبيات وتفسير الاحداث ضمن سياقها .

- اختفاء العنصر الزماني والمكاني في المعظم الغالب من مرويات المؤلف ، وما ذكرهُ من سنين ومواضع يغلب عليه الخطأ حيث كان مختلفاً عما اجمعت المصادر التاريخية .

- كشفت هذه الدراسة عن حجم التباين الذي وقع فيه المؤلف بتناولهِ تلك الحركات من حيث الكم والنوع حيث افرد مادة وافية عن بعضها ولم يراعِ هذا الامر في البعض الاخر .

- حرص المؤلف على ختم اغلب رواياتهِ بنهايات توفيقية غرضها عدم الطعن او تأييد جهة دون اخرى وبالطريقة نفسها تعامل مع مَن ترجم لهم من كبار الصحابة والتابعين حيث انهُ ذكر محاسن القوم ولم يتدخل فيما اشكلَ بينهم.

- من خلال مقارنة مرويات ابن عبد ربه الخاصة بحركات المعارضة مع المصادر التاريخية الاخرى نجد ان اغلب هذه المرويات ابتعدت كثيراً عما موجود من مادة تاريخية متفق عليها في تلك المصادر ، لذا لا يمكن الركون الى اغلب تلك المرويات بشكل مطلق وانما التعامل معها بحذر .

ملحق المعارضات الفردية

جدول رقم (١)

جدول يبين المعارضات الفردية في خلافة ابي بكر

ت	المعارضة	تاريخها	الاسباب والدوافع	اسلوبها	معالجة السلطة لها	الجزء /الصفحة
١.	ابو سفيان	بُعَيدْ انتخاب ابا بكر	قبلية	التحريض	استرضائه بترك ما بيده من صدقة	٤ / ٢٤٦
٢.	جماعة من المهاجرين	قبل وفاة ابي بكر	اختياره لعمر بن الخطاب كخليفة من بعده	اعتراض سلمي	تمسك الخليفة باختياره	٤ / ٢٥٦-٢٥٧

جدول رقم (٢)

جدول يبين المعارضات الفردية في خلافة عثمان

ت	المعارضة	تاريخها	الاسباب والدوافع	اسلوبها	معالجة السلطة لها	الجزء /الصفحة
١.	عبد الرحمن بن عوف	في الشطر الثاني من خلافة عثمان	خروج الخليفة عن سنة ابي بكر وعمر	مقاطعة السلطة	محاولة فاشلة لأسترضائه	٤ /٢٩١
٢.	عمرو بن العاص	بعد عزله عن ولاية مصر	عزله عن الولاية	التشهير والتحريض الصريح	التغاضي عنها	٢٩٥/٢

جدول رقم (٣)

جدول يبين اسماء الرواة المبهمين ومروياتهم

ت	اسم الراوي	موضوع الرواية	الدولة	الجزء /الصفحة
١.	ابو صالح	حركات اهل الردة	الدولة الراشدية / خلافة ابي بكر الصديق	٤ /٢٥٦
٢.	ابو نظرة	معارضة ام المؤمنين عائشة	الدولة الراشدية / خلافة عثمان بن عفان	٤ /٢٩١
٣.	الخشني	معارضة اصحاب الجمل	الدولة الراشدية / خلافة علي بن ابي طالب	٤ /٣١٠
٤.	علي بن عبد العزيز	معارضة الحسين بن علي	الدولة الاموية / خلافة يزيد بن معاوية	٤ /٣٥٦
		معارضة عبد الله بن الزبير	الدولة الاموية / خلافة يزيد بن معاوية	٤ /٣٧٠
٥.	ابو اليقظان	معارضة اهل المدينة	الدولة الاموية / خلافة يزيد بن معاوية	٤ /٣٦٦
٦.	ابو عبيدة	معارضة عمرو بن سعيد الاشدق	الدولة الاموية / خلافة عبد الملك بن مروان	٤ /٣٨٤

٧.	ابو عبيد	معارضة عبد الله بن الزبير	الدولة الاموية / خلافة عبد الملك بن مروان	٤ /٣٩١
٨.	محمد بن سعيد	معارضة عبد الله بن الزبير	الدولة الاموية / خلافة عبد الملك بن مروان	٤ /٣٩٥
٩.	عبد العزيز بن عبد الله البصري	معارضة محمد ذو النفس الزكية	الدولة العباسية / خلافة ابي جعفر المنصور	٥ /٦٧

قائمة المصادر

اولاً – القران الكريم .

ثانياً – المصادر

- **ابن أبي الحديد ، أبو حامد عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م).**

١. شرح نهج البلاغة ، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، (مصر – دت).

- **ابن أبي شيبة ، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي ،(ت ٢٣٥هـ/٨٤٩م) .**

٢. المصنف في الاحاديث والاثار ، تح: كمال يوسف الحوت ،مكتبة الرشيد ، ط١ ، (الرياض – ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م).

- **ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣ م) .**

٣. أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تح : علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ،ط١ ،(بيروت- ١٤١٥هـ /١٩٩٤م).

٤. الكامل في التاريخ ، تح :عمر عبد السلام تدمري ، ط١ ، دار الكتاب العربي، (بيروت -١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).

- **الادريسي ، محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحسني الطالبي (ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م) .**

٥. نزهة المشتاق في اختراق الافاق ،عالم الكتب ، ط ١ ، (بيروت – ١٤٠٩) .

- **الازرقي ، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد بن الازرق الغساني المكي (ت ٢٥٠ هـ / ٨٦٥ م) .**

٦. أخبار مكة وما جاء فيها من الاثار ،تحقيق رشيد الصالح ملحس ، دار الاندلس للنشر (بيروت – د ت) .

- **الاشعري ، أبو الحسن علي بن اسماعيل بن اسحاق ، (ت ٣٢٤ هـ/٩٣٦م) .**

٧. مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، تح: هلموت ريتر ، دار فرانز شتايز ، ط ٣ ، (المانيا – ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م).

- **الاصفهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن احمد بن الهيثم القرشي الاموي المرواني (ت ٣٥٦ هـ - ٩٦٦ م) .**

٨. الأغاني ، تح : سمير جابر ، ط٢ ، دار احياء التراث العربي ، ط١، (بيروت- ١٤١٥ هـ) .

٩. مقاتل الطالبيين ، تح : احمد صقر ، دار المعرفة ، (بيروت ــ د.ت) .

- **ابن اعثم ، ابو محمد احمد بن اعثم الكوفي (ت ٣١٤ هـ / ٩٢٧ م) .**

١٠. الفتوح ، تح :علي شيري ، دار الاضواء ، ط ١ ، (بيروت ــ ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م).

- **الآمدي ، أبو القاسم الحسن بن بشر (ت ٣٧٠ هـ/٩٨٠م) .**

١١. المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم ، تح: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، ط١ ، دار الجيل، (بيروت ـ١٤١١هـ / ١٩٩١م).

- **البخاري ، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة (ت٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م)**

١٢. التاريخ الكبير ، تح: الأستاذ محمد عبد المعيد خان ، دار المعارف العثمانية، (حيدر اباد ــ د ت).

١٣. صحيح البخاري ، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ط١ ، (بيروت ـ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢ م).

١٤. الهداية والارشاد في معرفة اهل الثقة والسداد ، تح: عبد الله الليثي ، دار المعرفة ، ط ١ ، (بيروت ـ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

- **البغدادي ، عبد القاهر بن ظاهر بن محمد بن عبد الله التميمي (ت ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٨ م) .**

١٥. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، دار الافاق الجديدة، ط٢،(بيروت- ١٣٩٧هـ/١٩٧٧ م).

- **البلاذري ، ابو العباس أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م).**

١٦. أنساب الأشراف ، تح: سهيل زكار ورياض الزركلي ، دار الفكر، ط١ ، (بيروت- ١٤١٦هـ / ١٩٩٦ م).

- **البوصيري ، أحمد بن ابي بكر اسماعيل بن سليم بن قايماز (ت ٨٣٩ هـ/١٤٣٦م) .**

١٧. أتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة ، تح: أبو تميم ياسر ابراهيم ، دار الوطن للنشر ، ط١ ،(الرياض-١٤٢٠هـ/١٩٩٩ م).

- **البيهقي ، ابو بكر احمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني (ت ٤٥٨ هـ/١٠٦٦ م) .**

١٨. دلائل النبوة، تح : عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، (بيروت– ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) .

- **الجاحظ ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي (ت ٢٥٥ هـ/ ٨٧٠ م) .**

١٩. البيان والتبيين ، دار ومكتبة الهلال ، ط٢ ، (بيروت - ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢ م).

- **ابن الجزري ، شمس الدين ابو الخير (ت ٨٣٣ هـ/ ١٤٣٠ م) .**

٢٠. غاية النهاية في طبقات القراء ، تح: برجستراسر ، مكتبة ابن تيمية ، ط ١،(د . م – د . ت).

- **ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي التيمي البكري البغدادي ،(ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) .**

٢١. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تح: محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، (بيروت –١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) .

- **الجياني ، أبو علي الحسين بن محمد الغساني ،(ت ٤٨٩هـ/١٠٩٦م) .**

٢٢. القاب الصحابة والتابعين في المسندين الصحيحين ، تح: محمد زينهم عطا و محمود نصار ، دار الفضيلة ، (مصر – ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠ م) .

- **الحاكم النيسابوري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم ،(ت ٤٠٥هـ/١٠١٤م).**

٢٣. المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، (بيروت – ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م).

- **ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم الدارمي البُستي (ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م).**

٢٤. الثقات ، تح: محمد عبد المعيد خان ، ط١، دائرة المعارف العثمانية ، (حيدر اباد –١٣٩٣ هـ /١٩٧٣م).

٢٥. السيرة النبوية واخبار الخلفاء ، تح: عزيز بك واخرون ، دار الكتب الثقافية ، ط ٣، (بيروت ـ ١٤١٧ هـ /١٩٩٦ م).

- **ابن حبيب ، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي ، البغدادي ،(ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م).**

٢٦. المحبر ، تح : إيلزة ليختن شتيتر، ، دار الآفاق الجديدة ، (بيروت ـ د.ت) .

- **ابن حجر ،أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ،(ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م).**

٢٧. الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض ، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت- ١٤١٥هـ).

٢٨. تقريب التهذيب ، تح : محمد عوامة ، دار الرشيد ، ط١ ،(حلب ـ ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م).

٢٩. تهذيب التهذيب ،د.تح ، ط١ ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ،(الهند ـ ١٣٢٦هـ).

٣٠. لسان الميزان ،تح: دائرة المعرف النظامية ـ الهند ،ط٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ،(بيروت ـ١٣٩٠هـ /١٩٧١م).

- **ابن حزم ،أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري،(ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٣م).**

٣١. جمهرة أنساب العرب ،تح: لجنة من العلماء،ط١ ، دار الكتب العلمية ،(بيروت- ١٤٠٣/١٩٨٣).

٣٢. فضائل الاندلس واهلها ، تح: صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، ط١،(د.م- د.ت)

- **الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، (ت ٦٢٦ هـ /١٢٢٨م).**

٣٣. معجم الأدباء ، تح: إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، ط١، (بيروت ـ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).

٣٤. معجم البلدان ، د.تح ، دار صادر ، ط٢ ، (بيروت ـ١٩٩٥م).

- **الحميدي ، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح الميورقي ،(ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م).**

٣٥. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والنشر، (القاهرة- ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦م) .

- **الحميري ، محمد بن عبد المنعم ،(ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م).**

٣٦. الروض المعطار في خبر الاقطار ، تح : احسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، ط ٢ ، (بيروت- ١٩٨٠م) .

- **ابن حنبل ،أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني،(ت: ٢٤١هـ/٨٥٥م).**

٣٧. فضائل الصحابة ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، (بيروت- ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

- **ابو حنيفة الدينوري ، أحمد بن داود ،(ت ٢٨٢هـ /٨٩٥ م).**

٣٨. الأخبار الطوال ، تح: عبد المنعم عامرو جمال الدين الشيال ، دار إحياء الكتب العربي ، ط١، (القاهرة ـ ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠م)

- **ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت نحو ٢٨٠ هـ / ٨٩٤ م) .**

٣٩. المسالك والممالك ، دار صادر (بيروت – ١٩٨٩ م) .

- **ابن الخطيب ، لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني الغرناطي الأندلسي، (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) .**

٤٠. الإحاطة في أخبار غرناطة ، دار الكتب العلمية ، ط١، (بيروت ـ ١٤٢٤هـ).

- **الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد ،(ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) .**

٤١. تاريخ بغداد ، تحقيق : بشار عواد معروف ، دار الغرب الاسلامي ، ط١،(بيروت ـــ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢ م).

ابن خلدون ،عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي ،(ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م).

٤٢. العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تح ، خليل شحادة ، دار الفكر ، ط٢ ، (بيروت ـ ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) .

ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م).

٤٣. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح: إحسان عباس ، دار صادر،(بيروت ـــ ١٣٩١ هـ / ١٩٧١م).

- **ابن خياط ، أبو عمرو خليفة الشيباني العصفري البصري (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م)**

٤٤. تاريخ خليفة بن خياط، تح: أكرم ضياء العمري ، دار القلم ، ط ٢ ،(بيروت ـ ١٣٩٧هـ / ١٩٦٠م).

٤٥. طبقات خليفة بن خياط، تح: سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،(دمشق ـ ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).

- **الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز ،(ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م) .**

٤٦. تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير من والاعلام ، تح: بشار عواد معروف ، دار الغرب الاسلامي ، ط١ ، (بيروت- ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م).

٤٧. سير أعلام النبلاء ، تح : شعيب الارناؤوط واخرون، مؤسسة الرسالة ، ط٣ ، (بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م).

٤٨. العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد ، دار الكتب العلمية ، (بيروت- د.ت).

٤٩. ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تح : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، ط ١ ، (بيروت ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣ م).

- **الرازي ، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن ادريس بن المنذر التميمي ، (ت٣٢٧ هـ /٩٣٩ م).**

٥٠. الجرح والتعديل ، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت - ١٣٧١ هـ /١٨٥٢م).

- **الزبير بن بكار ، بن عبد الله القرشي الأسدي المكي، (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م).**

٥١. الاخبار الموفقيات ، تح: سامي مكي العاني ، عالم الكتب ، ط ٢ ،(بيروت – ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦ م).

- **الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد، (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م).**

٥٢. اساس البلاغة ، تح: محمد باسل ، دار الكتب العلمية ،ط١ ، (بيروت ـ ١٤١٩هـ / ١٩٩٨ م)

- **السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين ،(ت ٧٧١ هـ/ ١٣٧٠م).**

٥٣. طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمود الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو ، دار هجر للطباعة والنشر ، ط ٢، (د م - ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).

- **ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري البصري الهاشمي بالولاء ، البغدادي ،(ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م).**

٥٤. الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادرعطا ، دار الكتب العلمية ، ط١، (بيروت-١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).

- **ابن سلاّم ، أبو عُبيدة القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي،(ت٢٢٤هـ/٨٣٨م) .**

٥٥. الغريب المصنف ، تح : صفوان عدنان ، (المدينة المنورة - ١٤١٥هـ /١٩٩٥م) .

- **سليم بن قيس ، ابو صادق سليم بن قيس الهلالي العامري الكوفي (ت ٧٦ هـ / ٦٩٦م)**

٥٦. كتاب سليم بن قيس ، تحقيق محمد باقر الانصاري ، مطبعة الهادي ، ط٢ ، (قم – ١٩٩٥ م)

- **ابن سيدة ، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي ،(ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م).**

٥٧. المخصص في اللغة ، تح: خليل إبراهم جفال ، دار إحياء التراث العربي ، ط١ ، (بيروت-١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

- **ابن شاكر ، محمد بن شاكر بن احمد بن عبد الرحمن بن شاكر ، (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣ م)**

٥٨. فوات الوفيات ، تح : إحسان عباس ، دار صادر ، ط ١ ، (بيروت - ١٣٩٣هـ /١٩٧٣م) .

- **ابن شبة ، عمر بن شبة بن عبيد بن ريطة النميري البصري ، (ت ٢٦٢هـ / ٨٧٦ م).**

٥٩. تاريخ المدينة ، تح : فهيم محمد شلتوت ، (جدة - ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

- **ابن شداد ، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم الانصاري الحلبي ،(ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٥ م) .**

٦٠. الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ، وزارة الثقافة السورية ، ط ١ ، (دمشق - ١٤١١هـ /١٩٩١م) .

- **الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر بن أحمد ، (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)**

٦١. الملل والنحل ، مؤسسة الحلبي ، (د.مك -١٤٣١هـ/٢٠١٠م) .

- **الصفدي ، صلاح الدين خليل أيبك بن عبد الله ، (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) .**

٦٢. الوافي بالوفيات ، تح : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ،(بيروت-١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

- **الطبراني ، ابو القاسم سليمان بن احمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ، (ت٣٦٠هـ/٩١٨م) .**

٦٣. المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد ، دار الصميعي ، ط١ ، (الرياض – ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م) .

- **الطبرسي ، ابو منصور احمد بن علي بن ابي طالب (من اعلام القرن السادس الهجري).**

٦٤. الاحتجاج ، تحقيق : محمد باقر الخرسان ، منشورات الشريف الرضي ، (د م – ١٣٨٠ هـ)

- **الطبري،أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي،(ت:٣١٠هـ/٩٢٢م).**

٦٥. تاريخ الرسل والملوك ، د.تح ، دار التراث ، ط٢ ، (بيروت-١٣٨٧هـ / ١٩٦٧ م).

- **ابن الطقطقي ، أبو الحسن محمد بن علي بن طباطبا الحسني العلوي، (ت٧٠٩هـ/٨٢٠م).**

٦٦. الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، تح :عبد القادر محمد مايو ، دار القلم العربي ، ط ١ ، (بيروت-١٤١٨هـ / ١٩٩٧ م).

- **الطيالسي ، أبو داود سليمان بن داود الطيالسي البصري، (ت٢٠٤هـ/٩٣٣م).**

٦٧. مسند ابي داود الطيالسي ، تح :محمد بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، ط ١ ، (مصر-١٤١٩هـ / ١٩٩٩ م)

- **ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ،(ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م).**

٦٨. الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، تح: علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، ط١ ، (بيروت- ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

- **العجلي ، أبو الحسن احمد بن عبد الله بن صالح الكوفي ،(ت٢٦١هـ/٨٧٥م) .**

٦٩. معرفة الثقات من رجال العلم والحديث من الضعفاء وذكر مذاهبهم و أخبارهم ، تح : عبد العليم البستوي ، مكتبة الدار ، ط١ ، (المدينة المنورة - ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م) .

- **ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي ،(ت٦٩٥هـ /١٢٩٥م) .**

٧٠. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تح: ج . س . كولان و أ . ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ،ط٣، (بيروت – ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م).

- **ابن عساكر، أبو القاسم ثقة الدين علي بن الحسن بن هبة الله ، (ت٥٧١هـ/١١٧٥م) .**

٧١. تاريخ دمشق ، تح: عمرو بن غرامة العمري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،(بيروت ـ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

- **العسكري ،أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران ،(ت نحو ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م) .**

٧٢. الأوائل ، دار البشير، ط١ ، (طنطا ـ ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م).

- **العلائي ، صلاح الدين ابو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي ، (ت٧٦١ هـ/١٣٦٠ م) .**

٧٣. جامع التحصيل في أحكام المراسيل ، تح: حمدي عبد المجيد السلفي ، عالم الكتب ، ط ٢ ، (بيروت ــ ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦م).

- **ابن عنبة ، جمال الدين احمد بن علي الحسيني ، (ت ٨٣٨ هـ/١٤٣٥م) .**

٧٤. عمدة الطالب في انساب ال ابي طالب ، مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر ، ط١ ، (المدينة المنورة - ١٣٧٥هـ /١٩٥٦م) .

- **العيني ، بدر الدين أبو محمد محمود بن احمد بن موسى بن احمد العينتابي الحنفي (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م) .**

٧٥. عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، دار احياء التراث العربي ، ط ١ ، (بيروت ــ د ت) .

٧٦. مغاني الاخبار في شرح اسامي رجال المعاني والاثار ، تح: محمد حسن محمد ، دار الكتب العلمية، ط١ ،(بيروت-١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

- **الفارابي ، ابو نصر إسماعيل بن حماد، (ت ٣٩٣ هـ).**

٧٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، د. تح، دار العلم للملايين ، ط٤ ، (بيروت ــ ١٩٨٧ م).

- **أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م).**

٧٨. المختصر في أخبار البشر ، د. تح، المطبعة الحسينية المصرية ، ط١ ، (القاهرة ــ د.ت).

- **ابن الفرضي ، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، (ت٤٠٣هـ / ١٠١٢ م).**

٧٩. تاريخ علماء الأندلس ،تح: عزت العطار الحسيني ، مكتبة الخانجي ، ط٢، (القاهرة ـــ ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م).

- **الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي،(ت٢٧٧هـ/٨٩٠م).**

٨٠. المعرفة والتاريخ ، تح : أكرم ضياء العمري ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، (بيروت ـ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

- **القاضي عياض ، أبو الفضل بن موسى اليحصبي ، (ت٥٤٤هـ / ١٠١٢ م).**

٨١. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ،تح: أبن تاويت الطبخي واخرون ، مطبعة فضالة ، ط ١، (المغرب ـــ د ت).

- **ابن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م) .**

٨٢. الامامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء ، تح: علي شيري، دار الاضواء للطباعة والنشر ، (بيروت ـ ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م).

٨٣. عيون الأخبار ، د. تح ، دار الكتب العلمية ،(بيروت- ١٤١٨هـ / ٢٠٠٢م).

٨٤. المعارف ، تح: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٢ ، (القاهرة ـ ١٤٠٨ هـ / ١٩٩٢ م).

- **القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٤ م) .**

٨٥. اثار البلاد و اخبار العباد ، دار صادر (بيروت – د ت) .

- **ابن القوطية ، ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم بن عيسى بن مزاحم الاندلسي القرطبي (٣٦٧ هـ/٩٧٧م)**

٨٦. تاريخ افتتاح الاندلس ، تح: ابراهيم الأبياري ،دار الكتاب اللبناني ، ط٢، (بيروت -١٤١٠ هـ/١٩٨٩م) .

- **ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ،(ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م).**

٨٧. البداية والنهاية، تح: عبد الله عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ،(د. مك ـ ١٤١٨هـ /١٩٩٧م).

٨٨. السيرة النبوية ، تح: مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت - ١٣٩٥هـ / ١٩٧٦م).

- **ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، (ت٢٧٣هـ/٨٨٦ م).**

٨٩. سنن ابن ماجه ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار أحياء الكتب العربية ، (بيروت- د . ت).

- **ابن ماكولا ، سعد الملك أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر، (ت٤٧٥هـ/١٠٨٢م).**

٩٠. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ، ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، (بيروت-١٤١١هـ/١٩٩٠م).

- **المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي ، (ت٢٨٥هـ/٨٩٨م).**

٩١. الكامل في اللغة والأدب ، تح :محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، ط ٣ ، (القاهرة- ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م).

- **مجهول .**

٩٢. اخبار الدولة العباسية ، تح : عبد العزيز الدوري و جبار المطلبي ، دار الطليعة ، (بيروت – د ت).

- **محب الدين الطبري ، أبو العباس احمد بن عبد الله بن محمد ،(ت٦٩٤هـ/٩٩٤م).**

٩٣. الرياض النضرة في مناقب العشرة ، دار الكتب العلمية ، ط٢ ، (بيروت – د ت).

- **محي الدين المراكشي ، عبد الواحد بن علي التميمي (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩ م) .**

٩٤. المعجب في تلخيص اخبار المغرب من لدن فتح الاندلس الى اخر عصر الموحدين ، تح: صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية ، ط ١ ، (بيروت ــ ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٦ م).

المرزباني ، أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى ،(ت ٣٨٤ هـ/٩٩٤م).

٩٥. معجم الشعراء ، تح: ف . كرنكو، دار الكتب العلمية ، ط٢ ، (بيروت ــ١٤٠٢هـ /١٩٨٢ م).

- **المزي ، أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ،(ت٧٤٢هـ/١٣٤٢م).**

٩٦. تهذيب الكمال في اسماء الرجال ، تح : بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ،(بيروت-١٤٠٠هـ/١٩٨٠ م).

- **المسعودي ، أبو الحسن على بن الحسين بن على ،(ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م).**

٩٧. مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد، دار الانوار ، ط ١ ،(بيروت-١٤٣٠هـ/٢٠٠٩ م).

- **مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (ت٢٦١هـ/٨٧٤م).**

٩٨. صحيح مسلم ، تح: نظر بن محمد الفاريابي ، دار طيبة ، ط ١ ، (د . م - ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م).

- **مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ /١٠٣٠ م) .**

٩٩. تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، تح: أبو القاسم إمامي ، ط٢ ، (طهران ــ ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

- **المفيد ، ابو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن النعمان بن عبد السَّلام الحارثي المذحجي العكبري، المعروف بابن المعلم ،(ت ٤١٣ هـ /١٠٢٢ م).**

١٠٠. الارشاد في معرفة حجج الله على العباد ، تح : مؤسسة ال البيت عليهم السلام لأحياء التراث ، مؤسسة ال البيت ، ط ٢ ، (د.م ــ ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م).

- **المقدسي ، المطهر بن طاهر ،(ت ٣٥٥هـ/٩٦٥م).**

١٠١. البدء والتاريخ ، تح ، مكتبة الثقافة الدينية ، (بور سعيد ــ د.ت).

- **المقريزي ، ابو العباس تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد الشافعي الاثري ،(ت ٨٤٥ هـ /١٤٤٢ م).**

١٠٢. رسائل المقريزي ، دار الحديث ، ط١ ، (د.م ــ ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م).

- **ابن منظور ، أبو الفضل محمد بن مكرم بن على ، جمال الدين الأنصاري الإفريقى (ت ٧١١هـ/١٣١١م) .**

١٠٣. لسان العرب ، دار صادر، ط٣ ، (بيروت- ١٤١٤هـ / ١٩٩٦م).

١٠٤. مختصر تاريخ دمشق لأبن عساكر ، تح : روحية النحاس وأخرون ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ، ط١، (دمشق ــ ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م).

- **المنقري ، نصر الدين بن مزاحم ،(ت ٢١٢ هـ / ٨٢٨ م).**

١٠٥. وقعة صفين ، تح : عبد السلام محمد هارون ، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر ، ط٢ ، (دم-١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م).

- **النجاشي ، ابو العباس احمد بن علي بن احمد الاسدي (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م).**

١٠٦. الرجال ، تح : موسى الشبري ، مؤسسة النشر الاسلامي ، (قم-١٤١٨ هـ)

- **ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي، (ت٤٣٨هـ/١٠٤٦م).**

١٠٧. الفهرست ،تح: إبراهيم رمضان ، دار المعرفة ، ط٢ ،(بيروت - ١٤١٧ هـ /١٩٩٧م).

- **النووي ، أبو زكريا محب الدين يحيى بن شرف ، (ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م).**

١٠٨. تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية ، (بيروت - د.ت).

١٠٩. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ، دار احياء التراث العربي ، ط٢ ،(بيروت - ١٣٩٢ هـ /١٩٧٢م).

- **ابن هشام ، ابو محمد عبدالله بن عبد الملك بن هشام بن ايوب المعافري، (ت٢١٣هـ/٨٢٨م).**

١١٠. السيرة النبوية ، مؤسسة المعارف ،(بيروت ـ ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧ م).

- **اليافعي ، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت-٧٦٨هـ/١٣٦٦م).**

١١١. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية ، ط١، (بيروت -١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

- **اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت- ٢٩٨هـ/٩١١م).**

١١٢. تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، (بيروت – د ت).

- **ابن يونس ، عبد الرحمن بن احمد الصدفي ابو سعيد المصري (ت-٣٤٧هـ/٩٥٩م).**

١١٣. تاريخ ابن يونس ، دار الكتب العلمية ، ط١، (بيروت -١٤٢١هـ/٢٠٠٠ م)

ثالثاً – المراجع العربية

- **الآراكي ، محسن .**

١١٤. نظرية الحكم في الاسلام ، مجمع الفكر الاسلامي ، (لندن- ١٤٢٥ هـ)

- **الاميني، عبد الحسين بن احمد التبريزي النجفي ،(ت١٣٩٠هـ/١٩٠٢م).**

١١٥. الغدير ، تح : مركز الغدير للدراسات الاسلامية ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – د ت).

- **بالنور ، ايمان علي .**

١١٦. دور الموالي في سقوط الدولة الاموية (٤١ – ١٣٢ هـ / ٦٦١ – ٧٥٠ م) ، دار الكتب الوطنية ، ط ١ ، (بنغازي – ٢٠٠٨ م).

- **البحراني، هاشم (ت نحو – ١١٠٩ هـ / ١٦٩٨ م).**

١١٧. غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الامام من طريق الخاص والعام ، تحقيق : علي عاشور ، دار الغدير ، ط١، (د م ، د ت).

- **بدوي ، عبد الرحمن ،**

١١٨. موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين ، ط٣، (بيروت - ١٩٩٣ م)

البكاي ، لطيفة ،

١١٩. حركة الخوارج نشاتها وتطورها الى نهاية العهد الاموي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط١، (بيروت - ٢٠٠٧ م)

- **التستري ، نور الله ،(ت١٠١٩هـ/١٦١٠م).**

١٢٠. الصوارم المهرقة في جواب الصواعق المحرقة ، دار سلوني ، (بيروت – د ت) .

- **حسن ، ابراهيم حسن .**

١٢١. تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٧ ، (القاهرة – ١٩٦٦ م).

- **حسن ، ناجي .**

١٢٢. ثورة زيد بن علي ، مطبعة الآداب ، ط ١ ، (النجف – ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م)

- **الخوئي ، ابو القاسم .**

١٢٣. معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة ، مؤسسة الامام الخوئي الاسلامية ، ط ١ ، (د م – ١٤٠٩ هـ).

- **دكسن ، عبد الامير .**

١٢٤. الخلافة الاموية (٦٥ – ٨٦ هـ / ٦٨٤ – ٧٠٥ م) ، دار النهضة العربية ، ط ١ ، (بيروت – ١٩٧٣ م).

- **دهش ، علي**

١٢٥. الرواية السياسية عن الدولة الاموية في كتاب الاغاني لأبي الفرج الاصفهاني ، دار ومكتبة البصائر ، ط ١ ، (بيروت - ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦ م) .

- **الدوري ، عبد العزيز**

١٢٦. العصر العباسي الاول ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ١ ، (بيروت – ٢٠٠٦ م).

١٢٧. مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ١ ، (بيروت - ٢٠٠٥ م).

- **ديودار ، حسين يوسف .**

١٢٨. المجتمع الاندلسي في العصر الاموي (١٣٨ – ٤٢٢هـ / ٧٥٥ – ١٠٣٠ م) ، مطبعة الحسين الاسلامية ، (د م – ١٩٩٤ م).

- **الزبيدي ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ) .**

١٢٩. تاج العروس من جواهر القاموس ، تح : مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، ط ١، د.م – ١٩٨٤ م).

- **الزركلي ، خير الدين .**

١٣٠. الاعلام ،دار العلم للملايين ، ط١٥(بيروت-٢٠٠٢)

- **ابو زيد ، بكر .**

١٣١. طبقات النسابين ، دار الرشد ، ط ١، (الرياض – ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م).

- **سالم ، عبد العزيز .**

١٣٢. التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية ، دار المعرفة الجامعية ، (الاسكندرية – ١٩٨٨ م).

- **سرور ، محمد جمال الدين .**

١٣٣. الحياة السياسية في الدولة العربية خلال القرنين الاول والثاني بعد الهجرة ، دار الفكر العربي ، (بيروت – ١٩٧٢ م).

- **السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م).**

١٣٤. تاريخ الخلفاء، د ت ح ، دار العلوم الحديثة ، ط١ ،(بيروت ـ١٣٧١هـ/١٩٥٢م).

١٣٥. طبقات الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، ط١، (بيروت – ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م)

١٣٦. اسعاف المبطأ برجال الموطأ ، المكتبة التجارية ،(مصر - دت).

- **شعبان ، محمد عبد الحي .**

١٣٧. الثورة العباسية ، ترجمة : عبد المجيد حسيب القيسي ، دار الدراسات الخليجية ، (د م – د ت).

- **شمس الدين ، محمد .**

١٣٨. ثورة الامام الحسين في الوجدان الشعبي ، الدار الاسلامية للطباعة والنشر ، ط ١ ، (بيروت – د ت).

- **شوفاني ، الياس .**

١٣٩. حروب الردة ، دار الكنوز الادبية ، ط ١ ، (بيروت – ١٩٩٥م).

- **الشيرواني ، حيدر علي (من اعلام القرن الثاني عشر) .**

١٤٠. ماروته العامة من تاريخ اهل البيت ، تحقيق : محمد الحسون ، مطبعة المنشورات الاسلامية ، ط٢ ، (د م – ١٤١٧ م).

- **صالح ، احمد عباس .**

١٤١. اليمين واليسار في الاسلام ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط٢ ، (بيروت-١٩٧٣م)

- **طقوش ، محمد سهيل .**

تاريخ المسلمين في الاندلس، دار النفائس للطباعة والنشر ، ط ٣ ، (بيروت – ١٤٣١ هـ).

- **طه حسين .**

١٤٢. كتاب في الشعر الجاهلي ، مطبعة المعارف ، (القاهرة – ١٩٦٤م).

١٤٣. الفتنة الكبرى(عثمان) ، دار المعارف ، ط٧ ،(مصر-٢٠٠٧م)

- **عبد الحميد ، صائب .**

١٤٤. علم التاريخ ومناهج المؤرخين ، دار ومكتبة البصائر ، ط ٢ ، (بيروت – ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م).

- **العسكري ، مرتضى .**

١٤٥. احاديث ام المؤمنين عائشة، دار التوحيد للنشر ، ط ٥ ، (د م – ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م).

- **العقيلي ، عبد الرحمن .**

١٤٦. معجم نواصب المحدثين ، مكتبة العتبة الحسينية المقدسة ، ط ١ ، (كربلاء – ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م).

- **العلوي ، هادي .**

١٤٧. الاغتيال السياسي في الاسلام ، دار المدى للطباعة والنشر ، ط ٢ ، (د م – ١٩٩٩ م).

١٤٨. فصول من تاريخ الاسلام السياسي ، مركز الابحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي ،ط٢،(د.م-١٩٩٩م)

١٤٩. محطات في التاريخ والتراث ، دار الطليعة الجديدة ، ط١،(سوريا-١٩٩٧)

- **عمارة ، محمد .**

١٥٠. تيارات الفكر الاسلامي ، دار الشروق ، ط ٤ ، (القاهرة – ٢٠١١ م).

- **عمر ، فاروق .**

١٥١. الخلافة العباسية ، دار الشروق ، (بيروت – د ت).

- **فوزي ، محمد .**

١٥٢. حجر بن عدي الثائر الشهيد ، دار الشهيد ، (د م – ٢٠٠٤ م).

- **القمي ، عباس .**

١٥٣. بيت الاحزان ، دار زينب الكبرى ، (د م – ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥م).

- **القندوزي ، سليمان بن ابراهيم البلخي (ت ١٢٩٤ هـ / ١٨٧٧) .**

١٥٤. ينابيع المودة ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، (بيروت – ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م).

- **الكيالي ، عبد الوهاب ،**

١٥٥. موسوعة السياسة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، دار الهدى ، ط١، (بيروت - ١٩٧٩ م)

- **المجلسي ، محمد باقر (ت ١١١١ هـ / ١٧٧٠ م) .**

١٥٦. بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار ، مؤسسة الوفاء ، ط ٢ ، (بيروت – د ت).

- **المرندي ، ابو الحسن محمد النجفي الرازي (ت ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م) .**

١٥٧. مجمع النورين وملتقى البحرين فيما وقع من الجور على والدة السبطين ، دار المعرفة الجامعية ، (الاسكندرية – ١٩٨٨ م).

- **المسعودي ، محمد فاضل .**

١٥٨. الاسرار الفاطمية ، مطبعة الامير ، ط ٢ ، (قم – ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م).

- **معلوف ، لويس .**

١٥٩. المنجد في اللغة ، مطبعة اميران ، ط ٣٥ ، (ايران – ١٩٩٦م).

- **الملاح ، هاشم يحيى .**

١٦٠. الوسيط في السيرة والخلافة الراشدة ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، (بيروت – د ت).

- **مؤنس ، حسين .**

١٦١. معالم تاريخ المغرب والاندلس ، مؤسسة الوفاء ، ط ٢ ، (بيروت– د ت)

- **النوري ، ميرزا حسين (ت ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢ م) .**

١٦٢. نفس الرحمن في فضائل سلمان ، تحقيق : جواد الاصفهاني ، مطبعة الامير ، ط ٢ ، (قم – ١٤١١ هـ).

- **هيكل ، محمد حسين .**

١٦٣. الامبراطورية الاسلامية والاماكن المقدسة ، مؤسسة هنداوي للثقافة والنشر ، ط ١ ، (مصر – د ت).

رابعاً – المراجع المعربة

- **بروكلمان ، كارل .**

١٦٤. تاريخ الادب العربي ، ترجمة : عبد الحليم النجار ورمضان عبد التواب ، دار المعارف ، (القاهرة – ١٩٧٧ م).

- **دوزي ، رينهارت .**

١٦٥. تاريخ مسلمي الاندلس ، ترجمة : حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، (د م – ١٩٩٤ م).

- **فلهاوزن ، يوليوس**

١٦٦. احزاب المعارضة السياسية في صدر الاسلام ، ترجمة : عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة – ١٩٥٨ م).

١٦٧. تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية ، ترجمة : محمد عبد الهادي ابو ريدة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ٢ ، (القاهرة – ١٩٦٨ م).

- **فلوتن ، فان**

١٦٨. السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني امية ، ترجمة : حسن ابراهيم حسن و محمد زكي ابراهيم ، مطبعة السعادة ، ط١ ، (مصر – ١٩٣٤ م).

خامساً – الدوريات

- **الحريزي ، فارس رزاق**

١٦٩. حجر بن عدي الكندي ، مجلة ينابيع الحكمة ، العدد ٦٩ ، (النجف – ٢٠١٦ م) .

- **الحسيني ، حمدي .**

١٧٠. يزيد بن المهلب ، مجلة الرسالة ، العدد ٩٢٠ ، (مصر – اذار ،١٩٥١ م).

- **الرواحنة ، علي جمعة .**

١٧١. مرتكزات المعارضة السياسية في الفقه الاسلامي ، مجلة دراسات ، المجلد ٤٢ ، (عمان – ٢٠١٥ م).

- **سليم ، فاطمة .**

١٧٢. مندلي تاريخها واثارها ، مجلة الحوار ، العدد ٢٢ ، (د م – ٢٠١٣ م).

سادساً – الرسائل والاطاريح

- **الجنابي ، سعد كاظم عبد**

١٧٣. الحركات العلوية في تاريخ الطبري (٤٠-٣٠٢ هـ) دراسة منهجية مقارنة ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة القادسية ، (١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٧ م) .

- **الشرفة ، علي خليل ابراهيم**

١٧٤. دور حركات المعارضة في عرقلة تطبيق الدولة الاموية لحقوق الانسان ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة غزة الاسلامية ، (١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦ م) .

- **عبد الهادي ، طهَ عبد القادر**

١٧٥. اتجاهات التخطيط الاقليمي والتطور العمراني للقرى الواقعة شمال غرب محافظة نابلس ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة النجاح الوطنية – فلسطين ، كلية الدراسات العليا ، (١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م) .

سابعاً – المصادر الاجنبية

176. Brill : E.J. Brill's First Encyclopedia of Islam 1913-1936 . M. Th. Houtsma Edition by BRILL , 1987.

177. Collins, Roger : Early Medieval Spain. New York , St. Martin's Press. (1983) .

178. Cook, David : Martyrdom in Islam , Cambridge University Press , (2007).

179. Dunn , John : The Spread of Islam , World History Series , San Diego , 1996 .

180. English Wikipedia , https://En.wikipedia.org/wiki/ , Aisha-Wives of Muhammad, update 10\2\2018 .

181. Fadl , K.A.E. : Rebellion and Violence in Islamic Law , Cambridge University Press , (2006) .

182. Fred , M. Donner : Muhammad and the Believers: At the Origins of Islam , Harvard University Press, 2010 .

183. Gabrieli K, Francesco : Muhammad and the Conquests of Islam , Translated by Virginia Luling and Rosamund Linell as Muhammad and the conquests of Islam, , London Press -1968 .

184. Gordon , D. Newby : A CONCISE ENCYCLOPEDIA of ISLAM , 185 Banbury Road , Oxford OX2 7AR , England , 2002 Reprinted 2004 .

185. Halm , Heinz ; Watson , Janet and Hill , Marian : Shi'Ism. Edinburgh University Press , (2004) .

186. Hawting, Gerald R. : The First Dynasty of Islam: The Umayyad Caliphate Ad 661-750 , Routledge – 2000 .

187. Hinds, Martin : The murder of the Caliph Uthman , International Journal of Middle East Studies , (October 1972) .

188. Hoffman ,Valerie Jon : The Essentials of Ibadi Islam , Syracuse University Press , Syracuse , 2012 .

189. Holland, Tom : In the Shadow of the Sword The Battle for Global Empire and the End of the Ancient World , (Abacus-2012) .

190. Kennedy, Hugh N. : The Prophet and the Age of the Caliphates: The Islamic Near East from the 6th to the 11th Century , (Second ed.). Harlow, UK: Pearson Education Ltd ، (2004) .

191. Lewis , Bernard : The Arabs in History. London , Macmillan and Co , 2003 .

192. Madelung, Wilferd. The Succession to Muhammad, Cambridge University Press, 1997 .

193. Merriam Webster Authors' . Webster's Dictionary of English Usage . Springfield, Massachusetts : Philippines Copyright , 1989 .

194. Momen , Moojan : An Introduction to Shi'i Islam , Yale University Press , New Haven , 1985

195. Nicholoson , A.Reynold : Literary History of The Arabs , (Cambridge – 1930) .

196. Sayyid, Kamāl : Malik al-Ashtar , Ansariyan Foundation , 1996 .

197. Siddiqi , Mazheruddin : Modern reformist thought in the Muslim world , Adam Publishers & Distributors , 2007 .

198. Vaglieri , L. Veccia : Ibn al-Ashʿath . The Encyclopedia of Islam, New Edition, Volume III: H–Iram , Leiden, and New York ,(1986).

199. Ye'or, Bat; Kochan, Miriam and Littman, David : Where Civilizations Collide , Fairleigh Dickinson University Press, Madison, (2002) .

Abstract

The Andalusia ibn- 'Abdu Rabu 's book " al- 'Iqd al-Farid " or " The Unique Necklace " is considered one of the more famous literary sources that it's substances abounded of many historical recitals . These historical recitals approached the importance of it's parallel in the other historical sources . This book , also , contains news about the bigger men of the Islamic State and the well-known ones in the political field with a numerous names and many tales through the period limits of the research (11 – 322 a .h .) .

As a matter of fact , I had found myself after this huge book which whose reputation filled and spread out the horizons in order to discover the degree of it's reliability that made some of the new writers consider it as another source of historical books . For the previous reasons , I give my research a title of " The Political Movements Appositions at The Islamic Arab State within The Period research (11 – 322 a .h . / 633 – 934 A .D .) : Analytical and comparative Study ".

I had chosen this subject because it give me the chance to know the Caliphates' polices who ruled the state in succession and to discover the political failures that forced some of persons to make movements appositions against

the authority . On the other hand , the reason behind my choice to make this study an Analytical and comparative Study is to check the precise of the historical texts that were told by the author .

I had got the help of a group of many sources to complete this study . those include some of historical ones , geographical sources , linguistic sources … and, common sources . Also , I had got the help of a group of foreign sources to consolidate my study with the core of the western philosophy .

At last , I put my the results of my efforts before the readers and researchers to reduce their labors and keeping them away from the reading of this whole big book .

The Ministry of Higher Education and

Scientific Research

Al-Qadisiya University

College of Education

Higher studies

The Political Movements Appositions at The Islamic Arab State within The Period research (11 – 322 H .D . / 633 – 934 A .D .)

Analytical and comparative Study

A Thesis Submitted by

Ali Anad Ashoor

To the Council of the College of Education , University of Al-Qadisiya , in Partial Fulfillment of The Requirement for the Degree of Master of Islamic History .

Supervised by

Assistant Professor

Saad Kadhim Abbid Al-Janaby

1440 A.H 2019 A.D